بسم الله الرحمن الرحيم

(*وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ*) (١)

صدق الله العظيم

(١) سورة الأنبياء ، آية ١٠٧ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

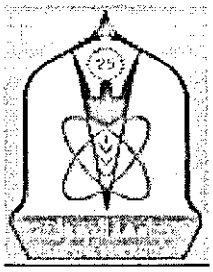

جامعة اليرموك
كلية الشريعة
برنامج الدكتوراه في الحديث الشريف وعلومه

قيام الحضارات وانهيارها من منظور السنة النبوية

إعداد

حسين محمود فريحات

إشراف الأستاذ الدكتور

أمين محمد القضاة

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه
في الحديث الشريف وعلومه

٢٠٠٨م

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

قيام الحضارات وانهيارها من منظور السنة النبوية

إعداد

حسين محمود فريحات

ماجستير في الحديث الشريف وعلومه، الجامعة الأردنية (٢٠٠٣م)

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في الحديث الشريف وعلومه، في جامعة اليرموك اربد- الأردن

وافق عليها

أ. د أمين محمد القضاة..... مشرفاً / رئيساً

أستاذ الحديث الشريف وعلومه – جامعة اليرموك

أ . د محمد علي العمري.....عضواً

أستاذ الحديث الشريف وعلومه – جامعة اليرموك

أ. د عبد الله مرحول السوالمة .....عضواً

أستاذ الحديث الشريف وعلومه – جامعة اليرموك

أ . د بشار عواد معروف.....عضواً

أستاذ الحديث الشريف وعلومه – الجامعة الإسلامية

د . محمد عبد الرحمن طوالبه.....عضواً

أستاذ الحديث الشريف وعلومه- جامعة اليرموك

نوقشت وأجيزت بتاريخ: ٢٠٠٨/١٢/٢٨م

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

www.manaraa.com

الإهـــــداء

إلى من يحبون أن تقوم حضارة الإسلام ويسطع نورها من جديد، إلى من ربياني صـــغيراً والديَّ، رمز المحبة والعطاء، إيماناً بقول الله تعالى: ﴿*وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَـــاحَ الـــذُّلِّ مِـــنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾[1] .

وإلى أخواتي وأخواني، تعبيراً عن الحب... وإقرارا بخالص الودّ .

وإلى زوجتي الغالية رمز الإخلاص والوفاء، إيماناً وتصديقاً لقوله صلى الله عليه وســـلم: (خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي)[2] .

وإلى الأمل الناهض بناتي وأبنائي، داعياً الله العلي القدير أن يكونوا من الـــصالحين، وأن ينفع بهم أمة الإسلام .

إلى الذين يؤمنون بأن العزة لله جميعاً .

إلى خير أمة أخرجت للناس .

إلى الراغبين بالإصلاح والسالكين سبيل الرشاد .

إلى الشباب المؤمن المتطلع إلى فجر جديد تشرق منه .

هداية الإسلام ونور الإيمان .

إلى كل من علمني حرفاً... إلى أصدقائي وزملائي .

إلى كل من تربطني بهم أواصر المحبة والوداد .

أهدي هذا الجهد المتواضع

---

(1) سورة الإسراء ، آية ٢٤ .

(2) سنن الترمذي ، كتاب المناقب ، باب فضل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، رقم ٣٨٩٥، ج٥/٧٠٩، وقال: حديث حسن غريب صحيح. سنن ابن ماجة ، كتاب النكاح ، باب حسن معاشرة النساء، رقم ١٩٧٧،ج١/٦٣٦. وقال الألباني: حديث صحيح ، السلسلة الصحيحة ، رقم ٢٨٥،ج١/٥٧٥ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

الشكر والتقدير

أحمد الله تعالى الذي أعانني على إنجاز هذا البحث، حمداً يوافي نعمه، ويليق بعظيم سلطانه إنه نعم المولى ونعم النصير، وبعد:

وعرفاناً بالفضل لأهله أتقدم بجزيل الشكر، وفائق التقدير إلى كل من أسهم أو ساعد في إعداد هذه الرسالة، أو أسدى إليَّ توجيهاً، أو نصيحة أو مشورة .

وأخص بالشكر أستاذي المشرف على هذه الرسالة **الأستاذ الدكتور أمين القضاة**، حفظه الله تعالى، الذي منحني من فكره وجهده ووقته الشيء الكثير، فكان نعم المعلم ونعم الموجه والمعين، فالله أسأل أن يسبغ عليه نعمه، ويزيده من فضله وعلمه، ويمد في عمره، وأن يجعله في درجة الصديقين والشهداء والأبرار، وأن يجعله دوماً نبعاً للعطاء المتواصل، وأن ينفع به أمة الإسلام .

كما ويسرني أن أتقدم بجزيل الشكر إلى **أعضاء لجنة المناقشة**، الذين تفضلوا عليَّ بقراءة هذه الرسالة وتقويمها، نفع الله بهم وبارك في أعمارهم .

وكما أتقدم بصادق الشكر والعرفان إلى كلية الشريعة ممثلة **بعميدها أستاذنا الفاضل الأستاذ الدكتور محمد العمري** حفظه الله تعالى ونفع به وبعمله، وجزاه الله عنا خير الجزاء.

ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر وصادق المحبة، إلى **أساتذتي في قسم أصول الدين**، الذين شرفت بالجلوس بين أيديهم طالباً للعلم خلال دراستي وشرفت بتوجيههم وإرشادهم وعنايتهم .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

www.manaraa.com

واعترافاً بالفضل لأهله، أتقدم بجزيل الشكر وصادق المحبة والاحترام، إلى أستاذنا الفاضل **رئيس قسم أصول الدين الدكتور عبد الرزاق أبو البصل**، حفظه الله تعالى، على ما قدمه لي من نصح وإرشاد، أسأل الله تعالى أن يجعل ذلك في ميزان حسناته، وأن يبارك في عمره وعلمه، ويجعله دوماً نبعاً للعلم والعطاء .

وكما يسرني أن أتقدم بالشكر إلى **الأستاذ الدكتور عماد الدين خليل**، الذي تفضل عليَّ بقراءة خطة هذه الرسالة وتقويمها وهي لا زالت في مراحلها الأولى، فجزاه الله عنا خير الجزاء .

وكل الشكر والتقدير أيضاً إلى الأخ الفاضل الدكتور محمد زهير، الذي لم يبخل عليَّ بجهده ووقته، نفع الله به وبعلمه .

وكما أشكر أخواني وزملائي في الجامعة وفي العمل، وأخص بالذكر أخي وزميلي محمد الأعمر، فجزاهم الله خير الجزاء .

أدعو الله سبحانه وتعالى أن يتقبل هذا الجهد، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم

إنه نعم المولى ونعم النصير

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

حسين فريحات

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

www.manaraa.com

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
قرار لجنة المناقشة	ب
الإهداء	د
شكر وتقدير	ه
فهرس الموضوعات	ز
ملخص البحث	ل
مقدمة	١
الفصل الأول :- تمهيد في دراسة الحضارة	٩
المبحث الأول : تعريف الحضارة في اللغة والاصطلاح	١٠
المبحث الثاني : تعريف المدنية في اللغة والاصطلاح	١٤
المبحث الثالث : العلاقة بين المدنية والحضارة	١٧
المبحث الرابع : معنى الثقافة وصلتها بالحضارة	٢٠
المبحث الخامس : علاقة الحضارة بمقاصد الشريعة	٢٤
المبحث السادس : خصائص الحضارة الإسلامية	٣٤
الفصل الثاني :- عوامل قيام الحضارات في السنة النبوية	٤٨
المبحث الأول : العامل الديني	٥١
المطلب الأول: مفهوم العامل الديني	٥١
المطلب الثاني: دور العقيدة الإسلامية في بناء الحضارة	٥١
المطلب الثالث: دور العبادات في بناء الحضارة	٦١
المطلب الرابع: ترك المحرمات ودوره في بناء الحضارة	٦٧

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

المبحث الثاني : العامل الاجتماعي ٧٢
المطلب الأول: مفهوم العامل الاجتماعي ٧٢
المطلب الثاني: تنظيم الروابط الاجتماعية ٧٣
المطلب الثالث: القضاء على التمييز العنصري ٧٨
المطلب الرابع: التعاون وحفظ الحقوق ٨١

المبحث الثالث : العامل السياسي ٨٣
المطلب الأول: مفهوم العامل السياسي ٨٣
المطلب الثاني: إقامة الحكم الإسلامي ٨٤
المطلب الثالث: دور الدولة الإسلامية في بناء الحضارة ٨٩

المبحث الرابع : العامل الاقتصادي ٩٤
المطلب الأول: مفهوم العامل الاقتصادي ٩٤
المطلب الثاني: الهدي النبوي في البناء الاقتصادي ٩٥
المطلب الثالث: فلسفة تملك المال وإنفاقه في السنة النبوية ١٠٩

المبحث الخامس : العامل العسكري ١١٣
المطلب الأول: مفهوم العامل العسكري ١١٣
المطلب الثاني: دعوة الإسلام إلى بناء القوة ١١٣
المطلب الثالث: أخلاق الإسلام في الحرب ١٢٣
المبحث السادس : العامل الأخلاقي ١٢٦
المطلب الأول: مفهوم العامل الأخلاقي ١٢٦
المطلب الثاني: أهمية الأخلاق في الإسلام ١٢٧
المطلب الثالث: دور الأخلاق في بناء الحضارة ١٣٢

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

المبحث السابع : العامل الفكري ١٣٦
المطلب الأول: مفهوم العامل الفكري ١٣٦
المطلب الثاني: العلم بوجود الخالق ١٣٧
المطلب الثالث: تحرير العقل وأثره في بناء الحضارة ١٣٩

المبحث الثامن : العامل العلمي ١٤٤
المطلب الأول: مفهوم العامل العلمي ١٤٤
المطلب الثاني: دعوة الإسلام إلى العلم النافع ١٤٥
المطلب الثالث: فضل العلم والعلماء في بناء الحضارة ١٥١

الفصل الثالث :- عوامل استمرار الحضارات في السنة النبوية ١٥٤

تمهيد ١٥٥
المبحث الأول : قيادة الأمة (الإمامة) ١٥٦
المبحث الثاني : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ١٦٤
المبحث الثالث : التناصح والمحاسبة ١٧٤
المبحث الرابع : المحافظة على القدرة الجهادية وتطويرها ١٨١

المبحث الخامس : تطوير التعليم واكتساب المعرفة ١٨٨
المبحث السادس : الازدهار الاقتصادي ١٩٤
المبحث السابع : إشاعة الأمن والاستقرار السياسي ١٩٩
المبحث الثامن : نشر الفضيلة والمحافظة على الأخلاق الرفيعة ٢٠٥
المبحث التاسع : التعاون والتكافل الاجتماعي ٢١١
المبحث العاشر : استثمار الزمان والمكان ٢١٨
المبحث الحادي عشر : الشورى والمشاركة في صنع القرار ٢٢٥

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

الفصل الرابع :- عوامل انهيار الحضارات في السنة النبوية ٢٣٠

تمهيد ٢٣١

المبحث الأول : غياب الوازع الديني وضعفه ٢٣٣

المطلب الأول: الشرك والضلال وتعطيل العبادات ٢٣٣

المطلب الثاني: انحسار الإعداد العسكري ٢٣٩

المطلب الثالث: تضاؤل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٢٤٢

المطلب الرابع: التحلل الخلقي والسلوكي ٢٤٧

المطلب الخامس: إسناد الأمر إلى غير أهله ٢٥٣

المبحث الثاني : ضعف الوعي الديني ٢٥٨

المطلب الأول: غياب العلم وانتشار الجهل والتقليد ٢٥٨

المطلب الثاني: الغلو والتشدد والجدل ٢٦٢

المطلب الثالث: طغيان القبلية والإقليمية على مفهوم الأمة ٢٦٥

المطلب الرابع: الظلم الاجتماعي ٢٦٩

المطلب الخامس: الاختلاف المذموم ٢٧٥

المبحث الثالث : الفساد ٢٨٠

المطلب الأول: الفساد السياسي ٢٨٠

المطلب الثاني: الفساد الاقتصادي ٢٨٥

المطلب الثالث: الفساد الإداري ٢٩١

المبحث الرابع : الترف والنزعة المادية الصرفة ٢٩٥

المطلب الأول: الترف ٢٩٥

المطلب الثاني: النزعة المادية الصرفة ٣٠٢

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

www.manaraa.com

الفصل الخامس : المشروع الحضاري للأمة الإسلامية من خلال السنة النبوية ٣٠٦

المبحث الأول : علامات تدهور الحضارة المادية المعاصرة ٣٠٧

المبحث الثاني : البشائر النبوية في هيمنة الحضارة الإسلامية ٣١٤

المبحث الثالث : دور الفرد والجماعة في إنجاز المشروع الحضاري ٣١٨

المبحث الرابع : الحضارة الإسلامية وارثة الحضارات ٣٢٥

الخاتمة وأهم النتائج ٣٣٠

التوصيات ٣٣٣

فهرس الآيات القرآنية ٣٣٤

فهرس الأحاديث الشريفة ٣٣٧

فهرس المصادر والمراجع ٣٤٧

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

www.manaraa.com

ملخص

تشتمل السنة النبوية على منهج متكامل يضمن للبشرية العيش بأمن واستقرار ويحول دون وقوعها في مزالق الهلاك والدمار، وقد عملت هذه الدراسة على تحليل عوامل قيام الحضارات وانهيارها، من خلال جمع الأحاديث الواردة في ذلك، وتصنيفها وتوجيهها، وقد اشتملت هذه الدراسة على خمسة فصول:

الفصل الأول: تمهيد في دراسة الحضارة، بينت فيه مفهوم الحضارة والمدنية والفرق بينهما، وبينت كذلك معنى الثقافة وصلتها بالحضارة، وعلاقة الحضارة بمقاصد الشريعة، وخصائص الحضارة الإسلامية .

الفصل الثاني: عوامل قيام الحضارات في السنة النبوية، ويشتمل على العامل الديني، والاجتماعي، والسياسي، والاقتصادي، والعسكري، والأخلاقي، والفكري، والعلمي .

الفصل الثالث: عوامل استمرار الحضارات في السنة النبوية، وتشمل قيادة الأمة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والشورى، والتكافل، والمحافظة على القدرة الجهادية، وغيرها من العوامل الأخرى.

الفصل الرابع: عوامل انهيار الحضارات في السنة النبوية، وهي غياب الوازع الديني وضعفه، ويندرج تحته: الشرك والضلال وتعطيل العبادات، وانحسار الإعداد العسكري، وتضاؤل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتحلل الخلقي والسلوكي، وإسناد الأمر إلى غير أهله، وبينت أيضاً أن من عوامل انهيار الحضارات ضعف الوعي الديني لدى الأمة، ويندرج تحته، غياب العلم، والغلو والتشدد والجدل، وطغيان القبلية والإقليمية على مفهوم الأمة، والظلم الاجتماعي، والاختلاف، وبينت أيضاً أن الفساد يعتبر من عوامل انهيار الحضارات، ويندرج تحته، الفساد السياسي، والاقتصادي، والإداري، وبينت كذلك أن الترف والنزعة المادية الصرفة معول من المعاول الهدامة التي تهدم الحضارة .

وتحدثت في الفصل الخامس عن المشروع الحضاري للأمة الإسلامية، وبينت فيه: علامات تدهور الحضارة المادية المعاصرة، والبشائر النبوية في هيمنة الحضارة الإسلامية، ودور الفرد والجماعة في انجاز المشروع الحضاري، وبينت أن الحضارة الإسلامية وارثة الحضارات .

والله ولي التوفيق

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

المقدمـــــــة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله تتنزل الخيرات، وبتوفيقه تتحقق الغايات، له الحمد ملءُ السماوات والأرض، وملءُ ما شاء ربُّنا من شيءٍ بعد، والصلاة والسلام على معلم البشرية وهادي الإنسانية، منقذ الأمة من مهاوي الردى إلى معالي الهدى، الذي أرسله الله رحمة للعالمين، وحجة على الناس أجمعين، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد :

فقد جاء النبي صلى الله عليه وسلم للعالم برسالة ربانية، إنسانية أخلاقية، تتميز بالتوازن والتكامل، وتهيئ الإنسان ليقوم بعمارة الأرض وخلافة الله تعالى، وعبادته بالعلم النافع، والإيمان الصادق، والعمل الصالح، والتواصي بالحق والصبر.

ودعا إلى التقدم والازدهار والتطور في كافة المجالات، واستثمار الطاقات الكونية من أجل إسعاد البشرية في الدنيا والآخرة، فبنى بذلك أعظم حضارة عرفتها البشرية في تاريخها الطويل، فكانت دولة الإسلام الأولى كالبناء الشامخ، كل لبنة من لبناته تشكل أساسا لعلم أو عمل، أو اقتصاد أو سياسة، أو عمران، أو تربية للنفس الإنسانية من الشرور والآثام.

وقد وجه المصطفى صلى الله عليه وسلم الأمة للمحافظة على هذا البناء، وأمر بكل ما يضمن للحضارة استمرارها وبقائها، وحذر من الانحراف عن نهجه الذي خطّه لهم، وبين أن عاقبة من يفعل ذلك الهلاك والدمار في الدنيا والآخرة.

فرأيت أن أتناول هذا الموضوع، تحت عنوان عوامل قيام الحضارات وانهيارها من منظور السنة النبوية، والله أسأل أن يلهمني الصواب والسداد، وأن يجعل ذلك خالصاً لوجه الكريم، أنه نعم المولى ونعم النصير وبالاستجابة جدير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

أهداف البحث وأهميته :

١- بيان منهج السنة النبوية في أسباب قيام الحضارات وعوامل انهيارها .

٢- توظيف الأحاديث النبوية في مجال بناء الحضارة الإسلامية وتطورها .

٣- بيان المنهج النبوي في توجيه الأمة إلى ضرورة الحفاظ على عوامل استمرار الحضارة الإسلامية .

٤- التنبيه إلى ضرورة الرجوع إلى السنة النبوية، وفهمها والعمل بها لمنع أسباب انهيار الحضارة الإسلامية.

مشكلة البحث :

يعتقد بعض علماء الاجتماع، أن أي حضارة لابد لها من الزوال وأن لها أعماراً كأعمار البشر وهي نظرية قد تتعارض مع فلسفة الإسلام للحضارات .

فالحضارة الإسلامية لم تتشكل من العدم، ولم تتكون من الحضارات الأخرى وإنما نشأت بتأثيرات إسلامية، صاغها هذا الدين ممثلاً بكتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، فحضارتنا الإسلامية تظل الوحيدة من بين سائر الحضارات الأخرى قادرة على الانبعاث، فهي تستمد أصولها من هذا الدين الصالح لكل زمان ومكان .

فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يوجه أصحابه لإدامة البناء، ويحذرهم من الأمور التي قد تؤدي إلى انهيار الحضارة، فهو بهذا قد شخص الداء ووصف له الدواء الذي يكفل استمرار الحضارة الإسلامية، فكان لابد من توظيف الأحاديث النبوية في بيان هذه القضية والكشف عن منهج الإسلام في ذلك .

حدود الدراسة :

تبين هذه الدراسة وجهة نظر السنة النبوية في عوامل قيام الحضارات وانهيارها، وقد اقتصرت على عصر الرسول صلى الله عليه وسلم وبعض التطبيقات العملية من حياة الخلفاء الراشدين، ولم أتعرض لهذه القضية في مراحل الدولة الإسلامية الأخرى.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

منهج البحث :

سلكت في بحثي هذا المنهج الاستقرائي: فقمت باستقراء كتب السنة النبوية وبعض كتب السيرة، واستخلصت الكثير من النصوص الواردة في قيام الحضارات وانهيارها، وصنفت الأحاديث الواردة في هذا المجال، وقسمتها حسب الموضوعات، وسلكت أيضا المنهج التحليلي: وذلك باستخراج المعاني الواردة في الأحاديث النبوية، وتوجيهها وتوظيفها بما يخدم واقعنا المعاصر، مستعينا بذلك بأقوال شراح الحديث .

ومن المناهج التي سلكتها أيضا: المنهج النقدي فقمت بتخريج الأحاديث والحكم عليها مستعيناً بأقوال علماء الحديث وأحكامهم، وجعلت التخريج مختصراً عندما يكون الحديث في الصحيحين أو في أحدهما، وحاولت أن لا أكرر المتن إلا ما دعت الضرورة إليه، وبينت الغريب من الألفاظ من خلال كتب غريب الحديث .

وحرصت على إيراد بعض الآيات القرآنية التي تؤيد ما أتحدث عنه، وجعلت ذلك غالباً في بداية المباحث أو المطالب، لإظهار الارتباط الوثيق بين كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم .

الدراسات السابقة :

لا شك أن هذا الموضوع من الأهمية بمكان، فكان من الطبيعي أن يتناوله الباحثون في كتاباتهم، ومما كتب في هذا المجال:

١- "القيم الحضارية في رسالة الإسلام" للدكتور محمد فتحي عثمان، تناول فيه المؤلف موضوع الحضارة من ناحية إسلامية، ولم يتعرض لموضوع قيام الحضارات وانهيارها مطلقاً، ولم يعتمد على كتب السنة النبوية في معالجة الموضوعات، بل كان اعتماده على كتابات مالك بن نبي وآدم متز وغيرهم .

٢- حضارات ورد ذكرها في القرآن الكريم والسنة النبوية: عبد الحكم عبد اللطيف الصعيدي، تحدث فيه المؤلف عن بعض الحضارات السالفة وأسباب انهيارها.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

٣- أسباب هلاك الأمم وسقوط الحضارات في سورة الأعراف: عبد الحميد محمود طهماز، بين المؤلف في هذه الدراسة الأسباب التي كانت وراء سقوط الحضارات السالفة.

٤- "دليل التاريخ والحضارة الإسلامية في الأحاديث النبوية" للدكتور عماد الدين خليل وحسن الرزو، تناول المؤلفان في هذا الكتاب موضوع قيام الحضارات وانهيارها في الفصل الرابع والخامس من الكتاب، وقد قاما بجمع الكثير من النصوص النبوية الواردة في هذا الموضوع، ومن الجدير بالذكر أن الدكتور عماد الدين خليل قد شارك في وضع هذه الخطة، حيث أن أساتذتي الكرام حفظهم الله تعالى أخبروني بضرورة عرض الخطة عليه، فالتقيت به وعرضت عليه خطة هذه الرسالة فاستحسنها وأرشدني لبعض الأمور التي تساهم في إنجاح هذه الرسالة، نفع الله به وبعلمه وجزاه الله عنا خير الجزاء .

٥- "قيم حضارية في القرآن الكريم" للمؤلف توفيق محمد سبع، وهذه الدراسة جاءت في القرآن الكريم لا في السنة النبوية .

٦- بحث بعنوان: "نشوء الحضارات ونموها في المنظور القرآني" للدكتور عماد الدين خليل، لم يحط هذا البحث بجميع جوانب الموضوع ولم يتناول السنة النبوية .

٧- المنهج النبوي والتغيير الحضاري: برغوث عبد العزيز بن مبارك، وقد تضمن كتابه ثلاث فصول تحدث في الفصل الأول عن الإطار المنهجي العام الذي يجب أن يدرس فيه المنهج النبوي، وتحدث في الفصل الثاني عن قدرة المنهج النبوي على فهم واستيعاب الظاهرة التغيرية في العصر العالمي، وتحدث في الفصل الثالث عن المنهج النبوي وقدرته على تركيب حضارة في العصر العالمي .

٨- أسباب هلاك الأمم السالفة كما وردت في القرآن الكريم: سعيد محمد باباسيلا.

٩- الحضارة الإسلامية وعوامل الازدهار وتداعيات الانهيار: محمد عادل عبد العزيز، تناول المؤلف هذا الموضوع من ناحية تاريخية وفكرية، ولم يتناوله من منظور السنة النبوية، ويشترك هذا الكتاب مع موضوع رسالتي من حيث التسمية فقط.

من خلال ما تقدم وجدت أن الدراسات السابقة لم تستوعب هذا الموضوع بما يغني عن النظر فيه، وأجد فسحة في إضافة شيء جديد والله ولي التوفيق.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

خطة البحث :

وهي على النحو الآتي :

مقدمة :تتضمن : أهمية الموضوع، ومشكلة البحث، وحدود الدراسة، ومنهج البحث، والدراسات السابقة .

الفصل الأول :- تمهيد في دراسة الحضارة

المبحث الأول: تعريف الحضارة في اللغة والاصطلاح .

المبحث الثاني: تعريف المدنية في اللغة والاصطلاح .

المبحث الثالث: العلاقة بين المدنية والحضارة .

المبحث الرابع: معنى الثقافة وصلتها بالحضارة .

المبحث الخامس: علاقة الحضارة بمقاصد الشريعة .

المبحث السادس: خصائص الحضارة الإسلامية .

الفصل الثاني: عوامل قيام الحضارات في السنة النبوية .

المبحث الأول : العامل الديني .

المطلب الأول: مفهوم العامل الديني

المطلب الثاني: دور العقيدة الإسلامية في بناء الحضارة

المطلب الثالث: دور العبادات في بناء الحضارة

المطلب الرابع: ترك المحرمات ودوره في بناء الحضارة

المبحث الثاني: العامل الاجتماعي

المطلب الأول: مفهوم العامل الاجتماعي

المطلب الثاني: تنظيم الروابط الاجتماعية

المطلب الثالث: القضاء على التمييز العنصري

المطلب الرابع: التعاون وحفظ الحقوق

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

المبحث الثالث: العامل السياسي

المطلب الأول: مفهوم العامل السياسي

المطلب الثاني: إقامة الحكم الإسلامي

المطلب الثالث: دور الدولة الإسلامية في بناء الحضارة

المبحث الرابع : العامل الاقتصادي

المطلب الأول: مفهوم العامل الاقتصادي

المطلب الثاني: الهدي النبوي في البناء الاقتصادي

المطلب الثالث: تملك المال وإنفاقه في السنة النبوية

المبحث الخامس : العامل العسكري

المطلب الأول: مفهوم العامل العسكري

المطلب الثاني: دعوة الإسلام إلى بناء القوة

المطلب الثالث: أخلاق الإسلام في الحرب

المبحث السادس: العامل الأخلاقي

المطلب الأول: مفهوم العامل الأخلاقي

المطلب الثاني: أهمية الأخلاق في الإسلام

المطلب الثالث: دور الأخلاق في بناء الحضارة

المبحث السابع : العامل الفكري

المطلب الأول: مفهوم العامل الفكري

المطلب الثاني: العلم بوجود الخالق

المطلب الثالث: تحرير العقل وأثره في بناء الحضارة

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

www.manaraa.com

المبحث الثامن : العامل العلمي

المطلب الأول: مفهوم العامل العلمي

المطلب الثاني: دعوة الإسلام إلى العلم النافع

المطلب الثالث: فضل العلم والعلماء في بناء الحضارة

الفصل الثالث :- عوامل استمرار الحضارات في السنة النبوية

المبحث الأول: قيادة الأمة (الإمامة)

المبحث الثاني: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

المبحث الثالث: التناصح والمحاسبة

المبحث الرابع: المحافظة على القدرة الجهادية وتطويرها

المبحث الخامس: التطوير في مجال العلم والمعرفة

المبحث السادس: الازدهار الاقتصادي

المبحث السابع: تحقيق الأمن والاستقرار السياسي

المبحث الثامن: الأخلاق الفاضلة والحض عليها

المبحث التاسع: التعاون والتكافل الاجتماعي

المبحث العاشر: استثمار الزمان والمكان

المبحث الحادي عشر: الشورى والمشاركة في صنع القرار

الفصل الرابع :- عوامل انهيار الحضارات في السنة النبوية

المبحث الأول: غياب الوازع الديني وضعفه

المطلب الأول: الشرك والضلال وتعطيل العبادات

المطلب الثاني: انحسار الإعداد العسكري

المطلب الثالث: تضاؤل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

المطلب الرابع: التحلل الخلقي والسلوكي

المطلب الخامس: إسناد الأمر إلى غير أهله

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

www.manaraa.com

المبحث الثاني : ضعف الوعي الديني

المطلب الأول: غياب العلم وانتشار الجهل والتقليد

المطلب الثاني: الغلو والتشدد والجدل

المطلب الثالث: طغيان القبلية والإقليمية على مفهوم الأمة

المطلب الرابع: الظلم الاجتماعي

المطلب الخامس: الاختلاف المذموم

المبحث الثالث : الفساد

المطلب الأول: الفساد السياسي

المطلب الثاني: الفساد الاقتصادي

المطلب الثالث: الفساد الإداري

المبحث الرابع : الترف والنزعة المادية الصرفة

المطلب الأول: الترف

المطلب الثاني: النزعة المادية الصرفة

الفصل الخامس : المشروع الحضاري للأمة الإسلامية من خلال السنة النبوية .

المبحث الأول : علامات تدهور الحضارة المادية المعاصرة

المبحث الثاني : البشائر النبوية في هيمنة الحضارة الإسلامية

المبحث الثالث : دور الفرد والجماعة في إنجاز المشروع الحضاري

المبحث الرابع : الحضارة الإسلامية وارثة الحضارات

الخاتمة وأهم النتائج

التوصيات

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث الشريفة

فهرس المصادر والمراجع

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

الفصل الأول

تمهيد في دراسة الحضارة

المبحث الأول : تعريف الحضارة في اللغة والاصطلاح .

المبحث الثاني : تعريف المدنية في اللغة والاصطلاح .

المبحث الثالث : العلاقة بين المدنية والحضارة .

المبحث الرابع : معنى الثقافة وصلتها بالحضارة .

المبحث الخامس : علاقة الحضارة بمقاصد الشريعة.

المبحث السادس : خصائص الحضارة الإسلامية .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

المبحث الأول

تعريف الحضارة في اللغة والاصطلاح

إن المنهج السليم لتحديد دلالات أي مفهوم هو الرجوع إلى جذور المفهوم في لغته وتتبع دلالاته في مصادرها الأساسية ثم ببيان معناها الاصطلاحي.

الحضارة في اللغة :-

الحضارة في اللغة مأخوذة من الفعل "حضر" .

قال ابن فارس : "الحاء والضاد والراء" إيراد الشيء، وروده ومشاهدته

قال أبو زيد : الحِضارة بالكسر، وقال الأصمعي : الحَضارة بالفتح[١] .

وقال ابن منظور : والحضارة بالكسر الإقامة في الحضر، من حضر حضوراً نقيض المغيب والغيبة، والحضر خلاف البدو، والحاضر خلاف البادي، والحاضر المقيم في المدن والقرى، والبادي المقيم في البادية[٢]، وبهذا قال الجوهري أيضاً[٣] .

وقال الصاحب بن عباد :الحَضارة: ، هي ضد البداوة[٤] .

وقال الأصفهاني : الحَضَر خلاف البدو، والحَضارة : السكون بالحضر[٥] .

وبالنظر إلى هذه الدلالات نجد أن الحضارة في اللغة أطلقت على معنيين : الأول : بمعنى الشهود والحضور، والثاني : بمعنى سكن المدن .

يقول الدكتور محسن عبد الحميد : (ومنطلق المعنى اللغوي، يقتضي أن يكون الحضور دالاً على معناه بدقة، باعتبار أن التصرفات الإنسانية في البداوة تلقائية، ليست حاضرة في الذهن، وأما في المدينة فهي منضبطة حاضرة في الذهن مخطط لها)[٦].

---

(١) معجم مقاييس اللغة ابن فارس، دار الفكر، بيروت، ج٢، ص٧٦ ، مادة حضر .
(٢) لسان العرب، ابن منظور، دار صادر- بيروت، ج٤، ص١٩٦، مادة حضر .
(٣) الصحاح، الجوهري، إسماعيل بن حماد، دار العلم، بيروت، ط٢، ج٢، ص٦٣٣، مادة حضر .
(٤) المحيط في اللغة: ابن عباد، إسماعيل الصاحب، عالم الكتب، بيروت، ط١، ج٢، ص٤٣٩، مادة حضر .
(٥) معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم، الأصفهاني، الحسين بن محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ص١٣٧، مادة حضر .
(٦) مذهبية الحضارة الإسلامية وخصائصها، محسن عبد الحميد، دار عمار، عمان، ط١، ص١٠ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

الحضارة في الاصطلاح :-

يختلف الناس في تعريفهم لمفهوم الحضارة اختلافاً بيناً، فمنهم من ينظر إليها نظرة شاملة، ومنهم من ينظر إليها نظرة أدق، ويعرفها تعريفاً محدوداً خاصاً، وسنقدم جانباً من تلك التعاريف، يظهر لنا من خلالها مفهوم الحضارة:

١- عرف ابن خلدون الحضارة بقوله : الحضارة إنما هي تفنن في الترف وإحكام الصنائع المستعملة في وجوهه ومذاهبه، من المطابخ والملابس والمباني والفرش والأبنية، وسائر عوائد المنزل وأحواله ...[١].

حصر أبن خلدون الحضارة بالإنجازات المادية فقط، وهي جزء من الحضارة وليست الحضارة كلها.

٢- وعرَّف مجمع اللغة العربية بالقاهرة الحضارة بأنها: مظاهر الرقي العلمي، والفني، والأدبي، والاجتماعي في الحضر[٢].

وهذا تعريف غير جامع لأنه قصر الحضارة على أهل الحضر دون غيرهم.

٣ - وعرفها محمد محمد حسين بأنها : كل ما ينشئه الإنسان في كل ما يتصل بمختلف جوانب نشاطه ونواحيه عقلاً، وخلقاً، مادة وروحاً دنيا ودينا [٣] .

ركز هذا التعريف على كل ما يقدمه الإنسان للعالم في شتى أنواع مظاهر الحياة المختلفة، وربط الحضارة بعقيدة الأمة التي هي سبب الحضارة .

٤- وعرفها أحمد شلبي بأنها : الإنجازات التي تحقق للبشرية، أو حققتها البشرية من خلق وسلوك ومعارف[٤].

٥- وعرفها المؤرخ الأمريكي ديورانت فقال: الحضارة نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي[٥].

---

(١) مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون،تحقيق : علي عبد الواحد، دار النهضة، مصر، ص٥٤٨ .
(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية القاهري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج١، ص١٨٠ .
(٣) الإسلام والحضارة الغربية، محمد محمد حسين، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ص٤ .
(٤) الحضارة الإسلامية، أحمد شلبي، دار النهضة المصرية، ج١، ص٢٠ .
(٥) قصة الحضارة، ديورانت، ول،ترجمة: زكي نجيب، الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية، القاهرة، ط٢، ص٦٦ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

٦- وعرفها عفت الشرقاوي فقال: هي التراث التاريخي المتمثل في العقائد والقيم التي ترسم للحياة غاية مثلى ومغزى روحياً عميقاً، متعالياً على متناقضات الزمان والمكان[١].

٧- يقول سيد قطب عن الحضارة : هي ما تعطيه للبشرية من تصورات ومفاهيم ومبادئ وقيم تصلح لقيادة البشرية، وتسمح لها بالنمو والترقي الحقيقيين، والنمو والترقي للعنصر الإنساني، وللقيم الإنسانية والحياة الإنسانية[٢] .

وهذا الاتجاه في فهم الحضارة هو الاتجاه الأكثر صواباً، حيث إنه ركز على حياة الإنسان وما يؤدي إلى نهضة الإنسان ورقيه، في عقيدته وعقله وسلوكه ومنهجه ونظام حياته، ولا يمكن أن تكون تلك الحضارة إلا إذا كانت وحياً من الله تعالى لأنه وحده الذي يعلم ما يصلح الإنسان في حياته ومعاده .

من خلال النظر في التعريفات السابقة، نجد أن العلماء قد اختلفوا في تحديد معنى الحضارة، ولم يتفقوا على تعريف محدد لها، فمنهم من يرى أنها انجازات مادية وتقدم عمراني وصناعي فقط، فكان تعريفهم قاصرا لأنه لم يشتمل على كل جوانب الحضارة، فالإنجازات المادية جزء من الحضارة وليست الحضارة كلها، ومنهم من قيد الحضارة بأهل الحضر دون غيرهم، ونجد أن الاتجاه الأكثر صوابا في تعريف الحضارة، هو الاتجاه الذي اعتبر العقيدة هي الأساس في بناء الحضارة، وذلك لان عقيدة الأمة وما ينبثق عنها من حلول لمشكلات الأمة، هي التي تمنح الأمة شخصيتها الحضارية .

فخلاصة الأمر أن الحضارة لا تنبثق إلا عن عقيدة، ولو تأملنا الحضارات السابقة سنجد أن كل حضارة انطلقت من منطلقات معينة في بناء صرحها الحضاري، وهذه المنطلقات اعتمدت في الغالب على تصوراتها، بغض النظر إن كانت صحيحة أم فاسدة ، فقد بنت مستقبلها على معتقدات آمنت بها ودارت حولها .

فالأمة التي تبني حضارتها على عقيدة صحيحة، تنتج حضارة صالحة راقية تحقق السعادة لأبنائها في الدنيا والآخرة، والأمة التي تبني حضارتها على عقيدة فاسدة، تنتج حضارة فاسدة شقية، تقود أبنائها إلى التردي في مزالق الهلاك والدمار.

---

(١) فلسفة الحضارة، عفت الشرقاوي، دار النهضة العربية، بيروت، ص١٨ .

(٢) المستقبل لهذا الدين، سيد قطب، دار الشروق، بيروت، ص٥٦ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

وبعد هذه الجولة الطويلة مع مفهوم الحضارة في اللغة وفي الاصطلاح، أخلص إلى أن الحضارة: هي ما يحققه الإنسان من استقامة في السلوك، وما يبنيه من انجازات مادية ومعنوية في ضوء ما يعتقد من المعتقدات، وهذا تعريف الحضارة بشكل عام، أما الحضارة الإسلامية بشكل خاص فهي تعني: حضور الإسلام وتعاليمه في حياة الأمة واتخاذه منهجا للحياة .

فاتخاذ الإسلام منهج حياة في العبادات وفي المعاملات وسائر شؤون الحياة، يعدّ قمة الحضارة.

يقول الدكتور محمد الخطيب : (فالحضارة الصحيحة حقاً، هي تلك الحضارة التي تلبي مطالب الإنسان المادية والروحية، وتقيم بينها توازناً يتمشى مع الفطرة التي فطر الله الناس عليها) [1].

[1] دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية،محمد عبد القادر الخطيب،مطبعة الحسين الإسلامية ،القاهرة ،ط١ ،ص٢٤ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

المبحث الثاني

تعريف المدنية في اللغة والاصطلاح

المدنية في اللغة :

يقال رجل "مدني" أي منسوب إلى المدينة، وتمدن عاش عيشة أهل المدن وأخذ بأسباب الحضارة[١] وقد اختلف الباحثون حول تحديد الجذر اللغوي لكلمة "المدنية" فأرجعها بعضهم إلى "مدن" بمعنى أقام في المكان، وأرجعها آخرون إلى "دان" وهي جذر مفهوم الدين، وتعني خضع وأطاع[٢] . ومدن بالمكان : أقام به، ومنه سميت المدينة، وهي فعلية وتجمع على مدائن[٣] .

والمدينة اسم مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم خاصة[٤] . والميم والدال والنون، أصل ليس فيه إلا مدينة، إن كانت على فعلية، ويجمعونها مُدنا[٥] .

والمدينة : الحصن يبنى في الأرض، وكل أرض يبنى بها حصن فهي مدينة[٦]، والمدينة في اللغة مشتقة من مدَّن المدائن أي بناها، وقيل إنها مشتقة من تمدن أي عاش عيشة أهل المدن، وأخذ بأسباب الحضارة[٧] .

يقول نصر محمد عارف : "وبغض النظر عن مصدرها، فإن إطلاق اللفظ في أول الدعوة الإسلامية اقترن بتأسيس الدولة، وارتبط بمفهوم الدين بما يعنيه من دلالات مثل الطاعة والخضوع والسياسة والسلطان والجزاء والعقيدة والورع ..الخ" .

وقد أطلق النبي صلى الله عليه وسلم لفظ المدينة على يثرب، وكان لا يذكر كلمة يثرب أبدا[٨]

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، مادة مدن، ج٦، ص٤١٦١ .
(٢) المرجع السابع، مادة مدن .
(٣) الصحاح، الجوهري، ج٦، ص٢٢٠١ .
(٤) تهذيب اللغة، الأزهري، ج١٤، ١٤٥ .
(٥) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ص٩٧٨ .
(٦) الصحاح، الجوهري، ج٦، ص٢٢٠١ .
(٧) المعجم الوجيز، إصدار مجمع اللغة العربية، القاهرة، ص٥٧٦ .
(٨) الحضارة، الثقافة، المدنية، نصر محمد عارف، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط٢، ص٥٠ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

نستنتج من هذا أن لفظ "مدنية" ارتبط بدلالة المفهوم الإسلامي حيث مثلت المدينة نظاماً شاملاً للحياة الإسلامية، كما أحدثت نقلة كاملة على مستوى الاعتقاد والتصور ومنهج الحياة والتفكير .

المدنية في الاصطلاح :

من العلماء من اعتبر المدنية والحضارة بمعنى واحداً ومنهم من فرق بين المدنية والحضارة فالذي فرق بين المدنية والحضارة، اعتبر المدنية هي الجانب المادي من الحضارة، وبناء على هذا التفريق عرف العلماء المدنية بما يلي:

١- عرفها الدكتور عزمي طه فقال: هي جملة المنجزات الإنسانية المادية المتراكمة لأمة من الأمم، أو مجتمع من المجتمعات، خلال حقبة زمنية معينة، تمت بهدف تيسير حياة الإنسان وتسهيلها وتكميل وجودة في ضوء العقيدة السائدة في هذه الأمة أو المجتمع[١] .

٢- وعرفها الدكتور أحمد شلبي فقال: إن المدنية هي الرقي في العلوم التجريبية كالطب، والهندسة والكيمياء، والزراعة، والصناعة[٢] .

٣- المدنية: هي الأشكال المادية للأشياء المحسوسة التي يصنعها الإنسان كوسائل المواصلات وأدوات الطبخ والأجهزة والآلات والجسور، والإنسان بصنع هذه الآلات ينفذ أغراضه ويسخرها لرفاهيته ويسهل الحياة عليه[٣].

٤- المدنية هي الجانب المادي من الحضارة، كالحرف والمكاسب والصناعات والوسائل المادية والأساليب العلمية، وتمتاز المدنية بالتعميم فهي ملك لجميع البشر، ولا تصلح لتميز امة عن أمة[٤].

من خلال ما تقدم من تعريفات لمصطلح المدنية، نجد أنها تتفق على أن المدنية هي الجانب المادي من الحضارة، وأنها تمثل الأشكال المادية المحسوسة التي تستعمل

---

(١) الثقافة والثقافة الإسلامية، عزمي طه السيد أحمد، مطبعة الروزنا، عمان، ط١، ص٢٤٢ .
(٢) الحضارة الإسلامية، أحمد شلبي، مطبعة دار النهضة المصرية، ج٢، ص٢٠ .
(٣) الإسلام وإيديولوجية الإنسان، سميح عاطف الزين، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ص٢٢٨ .
(٤) دراسات في الفكر العربي الإسلامي،الكيلاني وآخرون ،ص٢٤٧ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

في الشؤون الحياتية المختلفة، وهذا هو الرأي الصواب في تعريف المدنية، وذلك لأن الحضارة اعم من المدنية والمدنية مظهر من مظاهر الحضارة، وأرجح تعريف الدكتور عزمي طه لأنه أتم من غيره من التعريفات .

ومن الجدير بالذكر أن التعريفات السابقة تناولت مفهوم المدنية على اعتبارها جزءاً من الحضارة، وهناك تعريفات أخرى اعتبرت المدنية والحضارة بمعنى واحد، وهذا ما سوف أبينه في المبحث الثالث في العلاقة بين المدنية والحضارة إن شاء الله تعالى .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

www.manaraa.com

المبحث الثالث

العلاقة بين المدنية والحضارة

مصطلح المدنية يشير في استعماله عند بعض الباحثين إلى معنى مرادف للحضارة، فيقال المدنية الإسلامية أي الحضارة الإسلامية، وهناك من خصص المدنية بالجانب المادي للحضارة، كتشييد المدارس وإقامة المؤسسات والحدائق والأسلحة، وكل المبتكرات المادية الملموسة للحضارة، فهذا الجانب هو المدنية كما استقر عليه رأي الكثيرين[١] .

فقد اختلف العلماء في العلاقة بين الحضارة والمدنية على مذهبين: المذهب الأول: يرى أن الحضارة والمدنية بمعنى واحد، وممن قال به عبد الغني عبود، وقسطنطين زريق، ومحمد علي ضناوي.

يقول الدكتور عبد الغني عبود: "الحضارة والمدنية، لفظان مترادفان في اللغة العربية" [٢] .

ويقول الدكتور قسطنطين زريق: "ومهما يكن من أمر فالواضح أن المعنى الأصلي الذي تنطوي عليه لفظتا الحضارة والمدنية إنما هو سكن الحواضر والمدن، وما ينشأ عن هذه السكنى أو يصاحبها من فنون الحياة ومظاهرها، وواضح كذلك أن الاستعمال العربي لا يميز بين هاتين اللفظتين، ولا يخص إحداهما بمعنى دون الأخرى، بل يطلقهما مترادفتين دون تمييز" [٣]

ويقول محمد علي ضناوي: أولى تأويلات الحضارة تلك التي تجعلها مرادفة لمصطلح المدنية، فالحضارة مدنية، والمدنية حضارة[٤].

فالأقوال الثلاثة السابقة تؤكد على إن الحضارة والمدنية بمعنى واحد.

والمذهب الثاني: يفرق بينهما ويرى إن المدنية جزء من الحضارة، وممن قال بذلك: الدكتور عزمي طه، وإبراهيم زيد الكيلاني وغيرهما.

---

(١) انظر: دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، محمد محمد عبد القادر الخطيب، ص٢٨-٢٩ .
(٢) الحضارة الإسلامية والحضارة المعاصرة، عبد الغني عبود، دار الفكر العربي، ط١، ص٢١ .
(٣) في معركة الحضارة، قسطنطين زريق، دار العلم للملايين، بيروت، ص٣٢ .
(٤) مقدمات في فهم الحضارة الإسلامية، محمد علي ضناوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص١٠ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

يقول الدكتور عزمي طه: " فالحضارة تشتمل على جانبين، مادي يتمثل في الصناعات والوسائل المادية، ومعنوي يتمثل في المعتقدات والآداب، والفنون والعادات والتقاليد والأخلاق والأفكار، وعلى هذا فالمدنية جانب وجزء من جوانب الحضارة "[1] .

ويقول إبراهيم زيد الكيلاني: " المدنية هي الجانب المادي من الحضارة، كالحرف والمكاسب والصناعات والوسائل المادية والأساليب العلمية "[2].

فالمدنية ليست مرادفة للحضارة كما يظن بعضهم وإن كانت جزءاً منها، لأنها غير مرتبطة بأي فكر وإنما ترتبط بالعقل المجرد، ولهذا فهي ليست وليدة زمن محدد ولا مكان معين أو شعب معين، فهي إذن ظاهرة مادية ذات هوية عالمية، فللأمة الإسلامية أن تنتفع بما توصلت إليه الأمم الأخرى من تقدم في مجال العلم والتكنولوجيا، ويحذر عليها أن تأخذ ثقافتهم المخالفة لتعاليم ديننا.

يظهر من خلال ما تقدم أن من العلماء من اعتبر الحضارة والمدنية بمعنى واحد، ومنهم من فرق بينهما والظاهر أن التفريق أرجح، وذلك لما بين الحضارة والمدنية من فروق تظهر فيما يلي :

١- إن المدنية تتعلق بالوسائل والحضارة تتعلق بالغايات، فالمدنية تشتمل على مظاهر التقدم الصناعي والاقتصادي، مادام ذلك النوع من التقدم لا يهدف إلا إلى تحقيق الرخاء للإنسان، أي أنها وسيلة لا تقصد لذاتها وإنما تستهدف من أجل غرض آخر مغاير لها، أما الحضارة فترتبط بالقيم الإنسانية الكافية التي هي غايات مقصودة لذاتها ويستحيل تصورها كوسيلة لتحقيق غرض آخر[3].

٢- إن المدنية ليست مرتبطة بفكر أمة معينة، وإنما تنبثق عن قوانين العلوم المختلفة، أما الحضارة فترتبط بعقيدة الأمة ووجهة نظرها في الحياة[4].

---

(١) الثقافة والثقافة الإسلامية، عزمي طه، ص٢٤٢ .
(٢) دراسات في الفكر العربي الإسلامي ،الكيلاني وآخرون ، ص٢٤٧.
(٣) الإنسان والحضارة في العصر الصناعي، فؤاد زكريا، ص١٤ .
(٤) دراسات في الثقافة الاسلامية، صالح الهندي، ص١٩٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

٣- إن المدنية تقبل الانتقال والتوارث من جيل إلى آخر، وكل جيل يبدأ في مدنيته عند النقطة التي انتهى إليها الجيل السابق ويضيف عليها، أما الحضارة فلا تقبل الانتقال، إلا إذا آمنت بها أمة من الأمم باعتبارها عقيدة تحملها[١] .

وخلاصة الأمر أن الحضارة أعم واشمل من المدنية، وأن المدنية مظهر من مظاهر الحضارة وجزء من أجزائها، فالجانب المادي من الحضارة هو المدنية.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

(١) الشبهات والأخطاء الشائعة في الفكر الإسلامي، أنور الجندي، دار الاعتصام، مصر، ص٢٣ .

www.manaraa.com

المبحث الرابع

معنى الثقافة وصلتها بالحضارة

الثقافة في اللغة :

الثقافة في اللغة: الحذق وسرعة الفهم . يقال رجل ثقفٌ: أي حاذق فهم[١] .

وَثُقفَ الرجل ثقافة: أي صار حاذقاً، ويقال ثَقِفَ الشيء وهو من سرعة التعلم[٢] .

وثقف العلم والصناعة: أي حذقهما. وصارت الثقافة تعني: العلوم والمعارف والفنون التي يطلب الحذق فيها [٣] .

وتأتي الثقافة أيضاً بمعنى: التهذيب والتأديب[٤] .

يظهر من خلال ما سبق، أن الثقافة تأتي على معان عدة منها، الحذق، والفطنة، وسرعة أخذ العلم وفهمه، والتهذيب، والتأديب.

الثقافة في الاصطلاح :

هناك تعريفات متعددة لمفهوم الثقافة يمكن معرفتها من خلال الآتي :

١- يرى مالك بن نبي: أن الثقافة هي : " مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته، وتصبح لا شعورياً العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه "[٥] .

ويطلق البعض مصطلح الثقافة على المعرفة بصفة عامة، فيتسع ليشمل جميع المعارف النظرية المتعلقة بواحد أو أكثر من مجالات الحياة، وتخضع الثقافة لوجهات نظر متعددة تجعلها تصطبغ بها فقد تكون ثقافة شرقية أو غربية، وقد تكون إسلامية أو غير إسلامية وقد تكون اقتصادية أو اجتماعية أو أدبية أو غير ذلك من الاطلاقات[٦].

---

(١) الصحاح، الجوهري، مادة ثقف ج٤، ص١٣٣٤ .
(٢) القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب، الفيروز أبادي، دار الجيل، بيروت، ج٣، ص١٢٥ .
(٣) لسان العرب، ابن منظور، ج٩، ص٢٠ .
(٤) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ج١، ص٩٨ .
(٥) مشكلة الثقافة، مالك بن نبي، دار الفكر، لبنان، ص٧١ .
(٦) حضارات ورد ذكرها في القرآن الكريم، عبد الحكم عبد اللطيف الصعيدي، ص٢٨ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

٢- وعرف عمر عودة الخطيب الثقافة بقوله : مجموعة من الصفات الخلقية، والقيم الاجتماعية التي يتلقاها الفرد منذ ولادته كرأسمال أولي في الوسط الذي ولد فيه، والثقافة على هذا هي المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته[١].

٣- وقد عرفها الدكتور عزمي طه فقال : الثقافة معرفة عملية مكتسبة تنطوي على جانب معياري، وتتجلى في السلوك الواعي للإنسان "فرداً وجماعة" في تعامله في الحياة الاجتماعية مع الوجود "بأجزائه المختلفة" [٢] .

يقول الدكتور عمر الأشقر : فالثقافة كلفظ مفرد يراد بها في الاستعمال الأخذ من كل علم بطرف، ولا يراد بها التعمق في دراسة علم من العلوم. أما إذا أضيفت إلى الأمة، فالمراد بها تراث تلك الأمة الحضاري والفكري في جميع جوانبه النظرية والعملية الذي تمتاز به الأمة، وهذا التراث الذي يشكل ثقافة الأمة متداخل مترابط يشكل إطاراً ومحيطاً يحكم الأفراد والأسر والمجتمع في كل أمة[٣] .

من خلال النظر في التعريفات السابقة نجد أنها تناولت معنى الثقافة بالمفهوم العام، ولابد من الإشارة إلى المراد بالثقافة الإسلامية خاصة.

وعرف تقي الدين النبهاني الثقافة الإسلامية فقال : "هي المعارف التي كانت العقيدة الإسلامية سبباً في بحثها سواء أكانت هذه المعارف تتضمن العقيدة الإسلامية وتبعثها مثل علم التوحيد، أو مبنية على العقيدة الإسلامية، مثل الفقه والتفسير والحديث، أو كان يقتضيها فهم ما ينبثق عن العقيدة الإسلامية من الأحكام، مثل المعارف التي يوجبها الاجتهاد في الإسلام كعلوم اللغة العربية، ومصطلح الحديث وعلم الأصول، فهذه كلها تدخل في نطاق الثقافة الإسلامية، لأن العقيدة الإسلامية هي السبب في بحثها[٤].

---

(١) لمحات في الثقافة الإسلامية، عمر عودة الخطيب، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٧، ص٤٨ .
(٢) الثقافة والثقافة الإسلامية، عزمي طه، ص٧٧ .
(٣) أنظر: نحو ثقافة إسلامية أصيلة ، عمر الأشقر، ص ١٨- ٢١
(٤) الشخصية الإسلامية، تقي الدين النبهاني، ج١، ص٥٧٦ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

صلة الثقافة بالحضارة :

يرى بعض الباحثين أن الثقافة والحضارة بمعنى واحد، بينما يرى الآخرون أن الثقافة تشمل الجانب الروحي أو المعنوي من الحضارة، أي أنها تشمل كل ما يتصل بالروح والفكر والعقل والذوق والمشاعر والعواطف .. فهي حصيلة الإنسانية في هذه المجالات كلها[١].

يقول الدكتور عمر الأشقر : " أن العلاقة بين الثقافة والحضارة علاقة وثيقة، فإما أن تكون الحضارة والثقافة شيئاً واحداً، فثقافة الأمة وحضارتها بناء على ذلك تعني المستوى الرفيع الذي بلغته الأمة في فكرها وتصوراتها، وعقائدها، وأخلاقها، وإما أن تكون الثقافة هي الركيزة التي تقوم الحضارة عليها إذا عنينا بالثقافة الجانب المعنوي وبالحضارة الجانب المادي" [٢].

"ويمكن أن نشبه علاقة الثقافة بالحضارة بعلاقة الشجرة بثمرها حيث تشكل الثقافة الجذور والساق حيث القيم الثابتة والمبادئ الراسخة، وتمثل الحضارة الثمار والأغصان حيث النتائج والأشكال، فالثقافة هي الركيزة التي تقيم الحضارة عليها صرحها" [٣].

يقول توفيق سبع:" للحضارة عند علماء الاجتماع وشراح الحضارات جانبان: الأول مادي، والثاني معنوي . فإذا أردت بالحضارة جانبها المادي الملموس كالعمائر والمساجد والمدارس والملابس والأسلحة وكل المبتكرات المادية الملموسة للحضارة فهذا الجانب هو المدنية. والجانب الثاني للحضارة هو: الجانب الروحي أو المعنوي، وهو ما يطلق عليه علماء الاجتماع ثقافة، فهي بذلك تقابل المدنية، وتشمل كل ما يتصل بالروح والفكر، والعقل والذوق، فهي حصيلة الإنسانية في هذه المجالات، وهي تشمل أنماط الحياة الإنسانية وأسلوبها في المعرفة روحياً وفكرياً ولغوياً وأدبياً" [٤].

فالحضارة عنده تتكون من المدنية والثقافة معا، ويؤكد ذلك بقوله: " فكلمة حضارة تعني الحصيلة الشاملة للمدنية والثقافة، وهي مجموع الحياة في صورتيها المادية والمعنوية، فأن قلنا أن هذا المجتمع متحضر : فمعناه أنه قد حذق ألواناً من المعارف ثم ترجمها إلى

---

(١) انظر: دراسات في تاريخ الحضارة، محمد الخطيب، ص٣٠ .
(٢) نحو ثقافة إسلامية أصيلة، عمر سليمان الأشقر، ص٢٦- ٢٧ .
(٣) الثقافة الإسلامية، عطا الله خضر أبو كف ومأمون صالح الساكت، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ص٣١ .
(٤) انظر: قيم حضارية في القرآن الكريم، توفيق محمد سبع، ج١، ص٤٠ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library- Yarmouk University
www.manaraa.com

واقع ملموس، فالمعرفة النظرية الأكاديمية هي الثقافة، وترجمة هذه المعرفة إلى واقع ملموس في الحياة هي المدنية، وبهذا ترتبط المدنية بالثقافة لأنها التجسيد الحي لها، وقد تنحرف الحضارة عن الطريق السوي فلا تأخذ سمة التكامل فتكون ذات طابع مادي، أو ذات طابع نظري وكلتاهما صورة مشوهة ممسوخة للحضارة الخالدة، التي يجب أن تعبر عن نظرة الإنسان مادة وروحاً[1] .

يظهر من خلال ما سبق أنه لا يمكن لأي مجتمع من المجتمعات أن يصنع حضارة، إلا إذا امتلك هذا المجتمع ثقافة إيجابية فاعلة تمكنه من ذلك، فللثقافة صلة وثيقة بالحضارة، وهي جزء منها، وعلى كون ثقافة الأمة صالحة أو فاسدة، يتوقف صلاح الحضارة وفسادها، فالأمة التي تمتلك ثقافة صالحة، تبني حضارة صالحة تحقق السعادة لأبنائها، والأمة التي تمتلك ثقافة فاسدة، تبني حضارة فاسدة تسبب الشقاء لأبنائها.

---

[1] المرجع السابق، ص٤٠- ٤٢، الثقافة الإسلامية، صالح نياب، ص١٩٥ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

المبحث الخامس

علاقة الحضارة بمقاصد الشريعة

أرسل الله تعالى رسوله بالهدى ودين الحق، وجعله خاتماً للأنبياء والمرسلين، وأنزل إليه القرآن الكريم ليقيم به عدل الله في الأرض، ويحقق به مصالح العباد في المعاش والمعاد، فجاءت دعوته صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين، أخرجت الأمة من متاهات الشرك والضلال إلى نور الهداية والإسلام، ومن الظلم والجور إلى العدل والأمان، ومن الفساد والانحلال إلى الانضباط والنظام، ومن التفكك والضياع، إلى التواصل والتراحم.

فقد تلقى صلى الله عليه وسلم المنهج الرباني العظيم، قرآناً ووحياً، وقاد البشرية على أساسه وفق المقاصد الشرعية، فبنى بذلك أعظم حضارة عرفتها البشرية في تاريخها الطويل.

يقول ابن عاشور: " إن مقصد الشريعة من التشريع، حفظ نظام العالم وضبط تصرف الناس فيه على وجه يعصم من التفاسد والتهالك، وذلك إنما يكون بتحصيل المصالح واجتناب المفاسد على حسب ما يتحقق به معنى المصلحة أو المفسدة "[1] .

فابن عاشور يحدد المقصد العام بأنه جلب الصلاح ودرء الفساد للمجتمع والأفراد،ولاشك أن تحقيق هذا المقصد هو قمة الحضارة،فالأمة التي تسعى لتحقيق هذا المقصد تستحق أن توصف بأنها أمة متحضرة.

أما علال الفاسي : فقد اعتبر المقصد العام للشريعة هو عمارة الأرض وحفظ نظام التعايش فيها، واستمرار صلاحها بصلاح المستخلفين فيها، وقيامهم بما كلفوا به من عدل واستقامة، ومن صلاح في التعقل، وفي العمل، وإصلاح في الأرض، واستنباط لخيراتها، وتدبير لمنافع الجميع[2] .

---

(1) مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن عاشور، الشركة التونسية، ط٢،ص٧٨ .

(2) مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، علال الفاسي، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣م، ص٤١-٤٤ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

فعمارة الأرض وحفظ نظام التعايش هو المقصد عنده، وصلاح المستخلفين فيها هو الوسيلة لتحقيق ذلك .

ويقول الدكتور جمال الدين عطية : تتمثل المقاصد العالية للشريعة الإسلامية في تحقيق عبادة الله تعالى، والخلافة عنه، وعمارة الأرض، من خلال الإيمان ومقتضياته من العمل الصالح المحقق للسعادة في الدنيا والآخرة والشامل للنواحي المادية والروحية، والذي يوازن بين مصالح الفرد والمجتمع، والذي يجمع بين المصلحة القومية الخاصة والمصلحة الإنسانية العامة، وبين مصلحة الجيل الحاضر ومصلحة الأجيال المستقبلية، كل ذلك بالنسبة للفرد والأسرة والأمة، والإنسانية جمعاء[1] .

يقول المودودي: لكي نتعرف على حضارة من الحضارات من حيث صلاحها وفسادها، لابد من معرفة الغاية التي تعرضها هذه الحضارة على الإنسان، وتطالبه بالسعي لبلوغها في حياته، فعلى كون هذا الهدف صالحاً أو فاسداً تتوقف ذهنية الإنسان في صلاحها أو فسادها والحضارات التي لا تقوم على أساس فكرة دينية معنوية، هدفها تحقيق ملذات الدنيا بكافة صورها وأشكالها، ولا تهتم إلا بالملذات الحسية، وليس هذه الغاية إلا غاية حيوانية بحتة، أما الحضارة الإسلامية فقد قررت غاية الإنسان في حياته، ومقصوده من وراء كل مجهوداته ومساعيه وهدفه الذي يجب عليه أن يطمح إليه ببصره، وهو ابتغاء وجه الله عز وجل ونيل رضوانه، وهي الغاية التي عرضها الإسلام على الإنسان ودعاه إلى اختيارها لنفسه[2] .

ويظهر مما تقدم أن هناك علاقة وثيقة بين الحضارة ومقاصد الشريعة، فالحضارة الحقة هي التي تحقق مقاصد الشريعة، بينما الحضارات التي هدفها التقدم العلمي والعمراني فقط دون النظر إلى الغاية التي خلق الإنسان من أجلها لا تستحق أن يطلق عليها اسم الحضارة مطلقاً بل يمكن أن يطلق عليها أسم المدنية.

يقول الدكتور عبد المجيد النجار: فالشهود الحضاري بالنسبة للأمة الإسلامية تكليفاً دينياً إذ هو من مستلزمات التكليف بالتدين، وهو فرض جماعي تكون الأمة الإسلامية إذا ما

---

(1) نحو تفعيل مقاصد الشريعة، جمال الدين عطية، دار الفكر، دمشق، ط١، ٢٠٠٣م، ص١٢٢ .
(2) الحضارة الإسلامية أسسها ومبادئها، أبو الأعلى المودودي، دار العربية للنشر والتوزيع، ت: محمد عاصم الحداد، ص٥١- ٦٥ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

نهضت به موقية بركن أساسي من التكليف بالدين، كما تكون مخلة إخلالاً عظيماً بذلك التكليف إذا ما تخلف شهودها الحضاري، والعامل المحرك للحضارة الإسلامية هو المنظومة العقدية القيمية، وهو العامل المحفوظ المحتفظ بالقدرة على إحداث النهوض ومعاودة الشهود الحضاري[1].

قال تعالى : ﴿* وكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا..﴾ [2].

فمن حيث الأصل تفيد مادة شهد معاني : الحضور والعلم، والبيان والتبليغ، ومن حيث النظم تفيد الشهادة على الناس معنى المناعة والعزة والنَّفاسة، وذلك لأنها علة للوسطية، والوسطية تتضمن هذه المعاني كما بينها المفسرون[3] .

ويقول سيد قطب : إنها الأمة الوسط التي تشهد على الناس جميعاً فتقيم بينهم العدل والقسط، وتضع لهم الموازين والقيم وتبدي فيهم رأياً فيكون هو الرأي المعتمد، وتزن قيمهم وتصوراتهم وتقاليدهم وشعاراتهم فتفصل في أمرها، وتقول: هذا حق منها وهذا باطل، لا التي تتلقى من الناس تصوراتها وقيمها وموازينها، وهي شهيدة على الناس في مقام الحكم العدل بينهم، وبينما هي تشهد على الناس هكذا، فإن الرسول هو الذي يشهد عليها، فيقر لها موازينها وقيمها، ويحكم على أعمالها وتقاليدها، ويزن ما يصدر عنها، ويقول فيه الكلمة الأخيرة، وبهذا تتحدد حقيقة الأمة ووظيفتها، لتقدر دورها حق قدره وتستعد له استعداداً لائقاً .. فالأمة الإسلامية أمة وسطاً في التصور والاعتقاد .. لا تغلو في التجرد الروحي ولا في الارتكاس المادي، وهي أمة وسطاً في التنظيم والتنسيق وفي الارتباطات والعلاقات وغيرها من الأمور[4] .

ويقول أيضاً: وما يعوق هذه الأمة اليوم عن أن تأخذ مكانها الذي وهبه الله لها، إلا أنها تخلت عن منهج الله الذي اختاره لها، واتخذت لها مناهج مختلفة ليست هي التي

---

(1) فقه التحضر الإسلامي، عبد المجيد عمر النجار، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ص١١- ١٥ .
(2) سورة البقرة، آية ١٤٣ .
(3) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج٢، ص١٤، لسان العرب، ابن منظور، مادة شهد .
(4) في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق القاهرة، ط١٠، ج٢، ص١٣٠ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library- Yarmouk University
www.manaraa.com

اختارها الله لها، واصطبغت بصبغات شتى ليست صبغة الله واحدة منها، والله يريد لها أن تصطبغ بصبغته وحدها[1] .

وخلاصة الأمر أن التقدم يقاس بالنسبة لهدف يريد الإنسان أن يبلغه، فكل حركة في اتجاهه تقرب إليه تعد تقدماً بخلاف أي حركة في عكس الاتجاه الموصل إلى الهدف، لأنها حركة إلى الوراء حتماً .

ومن هنا يبرز السؤال الكبير ما الهدف أو الأهداف التي يجب على البشر أن يبلغوها ويحققوها في حياتهم حتى يكون القرب منها أو البعد عنها مقياساً للتقدم أو التخلف ..؟

إن الإسلام يجعل لحياة البشر على الأرض أهدافاً أساسية وأبرزها كما جاء بها القرآن العظيم ثلاثة :

١- **تحقيق العبودية لله تعالى** : فغاية خلق الإنسان في هذه الأرض عبادة الله تعالى، قال سبحانه : **﴿* وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ والإِنسَ إلا لِيَعْبُدُون...﴾**[2].

فالله عز وجل يبين في هذه الآية الكريمة أن الغاية من خلق الإنسان هي العبادة، فالمجتمع الذي لا ينقاد لأمر الله ويذعن إليه بالعبادة، لا يستحق أن يوصف بأنه مجتمع متحضر، لأن التقدم والتحضر من وجهة نظر الإسلام لا يكون إلا بامتثال أمر الله عز وجل وطاعته،فالحضارة التي لا يتحقق فيها هذا المقصد، تعد حضارة فاسدة من وجهة نظر الإسلام.

ولا شك أن الانقياد لحكم الله عز وجل، يعد قمة الحضارة ، لأنه الطريق الذي يقود الأمة إلى الخير والفلاح في الدنيا والآخرة.

فالإيمان كما أنه قوة دافعة إلى فعل الخير، فهو كذلك قوة ضابطة تحبس صاحبها عن الشر، وتلجمه بلجام التقوى، وتردعه عن الإثم، وعن الفواحش ما ظهر منها وما بطن.. والإيمان بعد ذلك قوة تزرع في النفس السكينة، وفي القلب الأمن والطمأنينة وهما ينبوع السعادة الحقيقية، التي تنبع من الداخل ولا تستجلب من الخارج .. وما آفة مسلمي

---

(١) المرجع السابق، ج٢، ص١٣٢ .
(٢) سورة الذاريات، آية ٥٦ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

عصور الانحطاط، ومسلمي اليوم كذلك إلا غياب الإيمان الإيجابي الذي لا يقوم شيء مقامه من علم ولا أدب ولا فلسفة ولا قانون[1].

" فمستقبل ومصائر الحضارات متوقف على جانب العبودية أكثر من توقفه وارتباطه بجانب السيادة، إذ أن جانب العبودية في نشأة الحضارات بمثابة المقدمات، وجانب السيادة بمثابة النتائج، والمقدمات تسبق النتائج كما تسبق العلل المعلولات، فإذا فسدت المقدمات أو العلل، فسدت المعلولات أو النتائج بالضرورة .

ومن هذا استئصال الأمم من الأرض وتفككها كأمة حضارية بالعوامل التاريخية لفناء الأمم والمجتمعات والحضارات، قال تعالى مبيناً انتهاء الأمة ذات المستوى المتقدم في جانب السيادة، بسبب تسفلهم في جانب العبودية والعلاقات الإنسانية **﴿* أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ *ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾**[2].

فعبر سبحانه وتعالى عن التقدم في جانب السيادة وفي الجانب المدني بوصفهم بأنهم كانوا أشد قوة وآثاراً في الأرض، ولا يعني تقدمهم في الجانب المدني عن ارتدادهم إلى أسفل سافلين في جانب العبودية، فالتقدم المدني والتقني والعمراني يحدث في جانب السيادة بسبب زيادة حصيلتهم في العلوم والخبرات، وقد فتنهم هذا كله فلم يستجيبوا لدعوة الرسل للسمو في جانب العبودية، والارتفاع إلى أحسن تقويم، فحقت عليهم سنة الله في فناء الحضارات، إما بالاستئصال وإما بالاندثار، وذلك بسبب فرحهم واستغنائهم بالجانب المدني القائم على العلم عن جانب العبودية القائم على الدين والوحي الذي تأتي به الرسل[3] .

ويقرر القرآن الكريم أن العامل الأول والرئيسي في انهيار الحضارة وفنائها هو تفريط أهلها في العبودية، الأمر الذي يؤدي بالضرورة إلى فقد الإنسان في مسيرته الحضارية، للهدف المطلق الذي ينبغي أن تتوجه إليه الطاقات والفاعليات، وأساس هذا كله هو الشرك بالله عز وجل والكفر به وباليوم الآخر، بطغيان العقائد المادية التي تنسي

---

(1) الصحوة الإسلامية من المراهقة إلى الرشد، يوسف قرضاوي، دار الشروق، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢م، ص٢٠-٢٢ .
(2) سورة غافر، الآيات ٢١- ٢٢ .
(3) أنظر: استخلاف الإنسان في الأرض، فاروق الدسوقي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ص٥٧- ٥٨ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

الإنسان آخرته أو تنكرها، فيجهل الإنسان الهدف المطلق أو الأبدي من وجوده ولا يعرف الغاية من حياته الدنيا[1] .

من خلال ما تقدم يتبين لنا أن هناك علاقة وثيقة بين الحضارة ومقاصد الشريعة، فالحضارة تتكون من جانبين مادي، وروحي، وإذا لم تحقق الحضارة مقاصد الشريعة وعلى رأسها تحقيق العبودية لله تعالى، فإنها حضارة قاصرة، لا تحقق للإنسان السعادة في الدنيا ولا في الآخرة .

٢- **خلافة الله في الأرض :** خلق الله عز وجل الإنسان وجعله خليفة له في الأرض ،وذلك لأن الإنسان هو الكائن الوحيد القادر على تلقي العلم والمعرفة وعمارة الكون، ومتى قام الإنسان بهذا الواجب على أكمل وجه، فانه يحقق لنفسه ولمجتمعه الخير والفلاح في الدنيا والآخرة ، أما إذا قصر في ذالك، فانه يجلب الهلاك لنفسه ومجتمعه، فلا يمكن لحضارة من الحضارات أن تقوم وتزدهر في امة من الأمم، إذا لم تحقق هذه الأمة الغايات والمقاصد التي خلقها الله من أجلها وعلى رأسها الخلافة في الأرض.

قال تعالى : ﴿* **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً...**﴾[2]، وليس المقصود بالخليفة شخص آدم فقط، بل المقصود به نوع الإنسان عامة، فالآية جاءت في معرض الإخبار بخلق نوع جديد، وليس في معرض البيان لأحوال خاصة بشخص آدم، وذلك ما بينه الزمخشري في قوله : أريد بالخليفة آدم، واستغني بذكره عن ذكر بنيه[3].

وهذه الخلافة في الأرض هي خلافة الإنسان عن الله، ليقوم بتنفيذ مراده في إقامة الحياة على الأرض، إذ من معاني الاستخلاف التكليف بتنفيذ الأوامر وهو ما بينه ابن عاشور في قوله : "فالخليفة آدم وخلافته قيامه بتنفيذ مراد الله تعالى من تعمير الأرض[4].

يقول القرضاوي، ومعنى خلافة الإنسان في الأرض : أن ينفذ فيها أمر الله تعالى ويقيم فيها الحق والعدل .. وكل إنسان راع في دائرة معينة.. فعليه أن يحكم بالحق في

---

(١) استخلاف الإنسان في الأرض، فاروق الدسوقي، ص٨٧ .
(٢) سورة البقرة، آية ٣٠ .
(٣) الكشاف، الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، دار الفكر، بيروت، ج١، ص٢٧١ .
(٤) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج١ ص٣٩٩ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

حدود دائرته، فمعنى خلافة الإنسان لله تعالى في أرضه إذن : أن يقيم الحق والعدل، ويتخلق بأخلاق الله تعالى، بقدر الطاقة البشرية، أي على الإنسان أن يجاهد ويجتهد في سبيل الترقي.. فالإنسان المذموم إنسان عاجز لا يتكلم بحق، ولا يقدر على شيء، يأخذ ولا يعطي يستهلك ولا ينتج عالة على غيره.. وفي مقابلة الإنسان المحمود الإنسان الإيجابي الفاعل، الصالح في نفسه المصلح لغيره، فهو ينطق بالحق ويأمر بالعدل، وهو في الوقت نفسه على صراط مستقيم، لا ينحرف يمنة ولا يسرة، فهو حين يأمر بالعدل يطبق العدل على نفسه[1] .

يظهر من خلال ما سبق، أن للخلافة معان كثيرة، فهي تعني تنفيذ أوامر الله عز وجل وإقامة الحق والعدل والتخلق بالأخلاق الفاضلة، وأعمار الكون وفق مراده تعلى ،ولاشك أن هذا كله يدفع بالإنسان إلى التقدم والترقي، وهو السبيل إلى بناء حضارة صحيحة فلا يتصور وجود حضارة تحقق للبشرية السعادة والاستقرار إلا بتحقيق هذه المعاني،إذ كيف يمكن لنا أن نصف أمة بأنها أمة متحضرة إذا لم تلتزم أمر الله تعالى ،وتلتزم الحق والعدل والأخلاق الفاضلة ،وتقوم بعمارة الكون وفق مراد الله عز وجل.

فالله عز وجل جعل الإنسان مكلفاً وصاحب مسؤولية، الأمر الذي أهله لكي يكون خليفة في الأرض ليعمرها بالخير، وقد كرمه الله وفضله على جميع المخلوقات، وهذه المسؤولية التي ألقيت على عاتق الإنسان لم تستطع المخلوقات الأخرى تحملها .

قال تعالى : **﴿* إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولا﴾**[2].

---

(1) الإسلام حضارة الغد، يوسف قرضاوي، ص١٩٥- ١٩٦.
(2) سورة الأحزاب، آية ٧٢ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

فالإنسان محور هذا الكون وهو سيد هذا الكون، والذي أعطى له هذه المكانة الفريدة هو الله الذي جعله خليفة في الأرض وأسند إليه مهمة تعمير الكون وصنع الحضارة فيه[1] .

وتشير مسألة الاستخلاف إلى أن المحور الأساسي لوجود الإنسان فرداً وجماعة على الأرض هو العمل الذي يتخذ مقياساً عادلاً لتحديد المصير في الدنيا والآخرة، وهو موقف ينسجم تماماً مع فكرتي الاستخلاف والاستعمار الأرضي.. وموقف الإنسان في الحياة الدنيا سيؤول إلى الخسران بمجرد افتقاد شرطين أساسيين : الإيمان والعمل الصالح[2].

يقول الله تعالى : ﴿* وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ *وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاء مَا يَعْمَلُونَ﴾[3].

فيبدو من خلال الآيتين أن الإيمان والتقوى وتحقيق منهج الله في واقع الحياة البشرية في هذه الحياة الدنيا لا يكفل لأصحابه جزاء الآخرة وحده، ولكنه كذلك يكفل إصلاح أمر الدنيا، ويحقق لأصحابه جزاء العاجلة، فالأصل في طبيعة الحياة الإنسانية أن يلتقي فيها طريق الدنيا وطريق الآخرة، وأن يكون الطريق إلى إصلاح الآخرة هو ذاته الطريق إلى إصلاح الدنيا، وأن يكون الإنتاج والنماء والوفرة في عمل الأرض هو ذاته المؤهل لنيل ثواب الآخرة كما أنه هو المؤهل لرخاء هذه الحياة الدنيا، وأن يكون الإيمان والتقوى والعمل الصالح، هي أسباب عمران هذه الأرض، كما أنها وسائل الحصول على رضوان الله وثوابه الأخروي[4] .

فلا بد لمن يريد الفوز بالآخرة، أن يحيا لغاية إنسانية لائقة به كإنسان، ومن ثم يجب عليه أن يصلح دنياه ويوجه فاعليته وأعماله كلها لتحقق هذه الغاية، فالدين والعلم التجريبي هما الأساسان اللذان تقوم عليهما الحضارة الحقة الكاملة، فإذا قامت على أحدهما دون الآخر، أو على واحد صحيح وآخر غير صحيح، فإنها تصبح حضارة ناقصة ذات جناح واحد لا يمكنها أن تحلق عاليا وطويلاً، فحين ينقص المجتمع أو الحضارة العلم والتكنولوجيا ويكون متخلفاً فيهما عن غيره من المجتمعات أو الحضارات المعاصرة له فإنه يوصف بأنه

---

(1) الحضارة فريضة إسلامية، محمود حمدي زقزوق مكتبة الشروق، القاهرة، ط١، ص١٤- ١٥ .
(2) أسس مفهوم الحضارة في الإسلام، سليمان الخطيب، الزهراء للإعلام، القاهرة، ط١، ص١٠ .
(3) سورة المائدة،الآيات ٦٥ -٦٦.
(4) في ظلال القرآن، سيد قطب، ج٢، ص٩٣٠ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

على حالة من التخلف، وفي حالة تنحية شريعة الله عن تنظيم المجتمع والحياة فإنه يوصف بأنه مجتمع جاهلي أو مجتمع فيه جاهلية، وذلك بقدر الانحراف عن أحكام الشريعة وقراراتها أو بقدر خلوه منها[1] .

وخلاصة الأمر أن الالتزام بأمر الله عز وجل، والقيام بواجب الخلافة على أكمل وجه، هو السبيل الوحيد لبناء حضارة راشدة تحقق للأمة الخير والفلاح في الدنيا والآخرة.

٣- **عمارة الأرض:** خلق الله الإنسان وسخر له كل ما في الكون من أرض وماء وسماء،وأمره بعمارة الأرض والانتفاع بها واستغلال خيراتها، ليتمكن من تلبية حاجاته والعيش بأمن واستقرار، والأمة التي لا تستطيع الانتفاع بموجودات الكون، واستغلالها لمصلحة البشرية،أمة عاجزة عن بناء حضارة سوية، تحقق السعادة لأبنائها، فعمارة الأرض هدف من أهداف خلق الإنسان ولا يمكن للأمة مواكبة التقدم الحضاري إلا بتحقيق هذا الهدف، قال تعالى: ﴿.. **هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا**...﴾[2].

فرسالة الدين بصفة عامة هي الاعمار والبناء، والعمل من أجل الخير والحق والسلام، وتحقيق سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة وعمارة الأرض جزء من مهمة الخلافة، ومندرج فيها، ولكن أفرد بالذكر لئلا يظن الناس أن الدين إنما يهتم بعمارة الآخرة وحدها ولو بخراب الدنيا، فالحقيقة أن الدنيا مزرعة الآخرة وأن هذه الحياة وإن كانت قصيرة العمر بالنسبة إلى الحياة الآخرة، لها أهميتها لأن فيها التكليف والابتلاء والعمل فاليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل[3] .

من خلال ما تقدم ندرك أن عمارة الأرض واجب من الواجبات التي كلف الله الإنسان بالقيام بها، وعلى القيام بهذا الواجب يتوقف قيام الحضارة، فلا يستطيع أحد أن يصف أمة بأنها أمة متحضرة إذا قصرت بالقيام بهذا الواجب، فالأمة التي تستهلك ولا تنتج، وتأخذ ولا تعطي، أمة عاجزة عن بناء حضارة سوية، تحقق لأبنائها أسباب العزة والنصرة.

---

(١) استخلاف الإنسان في الأرض، فاروق الدسوقي، ص١٢٤ .
(٢) سورة هود، آية ٦١ .
(٣) الإسلام حضارة الغد، يوسف قرضاوي ص ١٩٦ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

ويقول الشيخ القرضاوي أيضا: إن هذه المقاصد الثلاثة من خلق الإنسان، متكاملة ومتلازمة فعبادة الله تعالى جزء من خلافته، والخلافة والعمارة ضرب من العبادة لله تعالى، والمؤمن الحق هو الذي يجمعها كلها في تكامل واتساق وبقدر ما يحقق الإنسان هذه المقاصد أو الأهداف يكون تقدمه حقاً وبقدر إخفاقه فيها كلها أو بعضها يكون تخلفه. والمسلمون لم يحققوا التقدم المنشود لأنهم في القرون الأخيرة لم يقوموا بعمارة الأرض كما أمرهم الله تعالى، ولم يراعوا سنن الله في خلقه فحكمت عليهم هذه السنن أن يسودهم غيرهم، كما أنهم لم يقوموا بحق الخلافة كما ينبغي، فسحبت القيادة من أيديهم وسادهم من كانوا له سادة[1].

وهذا يؤكد أن قيام الحضارة الراشدة متوقف على تحقيق هذه المقاصد، فمتى قامت الأمة بتحقيقها، استحقت أن توصف بأنها أمة متحضرة، وإذا تخلت عن ذلك سارت في سبل الهلاك والدمار.

وبهذا يتبين لنا أنه لا قيمة لأي حضارة ومهما بلغت من التقدم المادي والعمراني، إلا إذا ارتبطت بالله تعالى، وحققت مقاصد الشريعة الإسلامية .

يقول الفيلسوف محمد إقبال : "إن النظر إلى المؤسسات والأشياء لا يكون لما تؤديه من نفع أو ضرر اجتماعي في بلد من البلدان، لأن مثل هذا الهدف ضئيل القيمة، وإنما يكون بتحقيق الهدف الذي تسعى الإنسانية إليه وهو هدف الروح" .

وهو يريد بذلك أن يجعل من الظاهرة الحضارية المادية في العالم كله منطلقات لدعم الروح وقوة الإيمان وتحقيق الأشواق الرفيعة[2].

من خلال ما تقدم ندرك أن الهدف من الحضارة في الإسلام تحقيق السعادة للبشرية في الدنيا والآخرة، ولا يمكن لأي حضارة أن تحقق ذلك إلا إذا حققت مقاصد الشريعة الإسلامية، فالعلاقة وثيقة بين الحضارة ومقاصد الشريعة، فالحضارة التي لا تحقق مقاصد الشريعة حضارة قاصرة ولا وزن لها من وجهة نظر الشرع .

---

(1) الإسلام حضارة الغد، يوسف قرضاوي، ص١٧٤ .

(2) قيم حضارية في القرآن الكريم، توفيق محمد سبع، ج١، ص١٠٩ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

المبحث السادس

خصائص الحضارة الإسلامية

لقد تميزت الحضارة الإسلامية عن غيرها من الحضارات وذلك لأنها تستمد أصولها من الشريعة الإسلامية، فالحضارة الإسلامية ترجع في مصدرها الأساسي إلى الله سبحانه وتعالى خالق الإنسان وخالق كل شيء .

فقد انطلقت الحضارة الإسلامية من منطلق واضح المعالم فلابد لها بناء على ذلك من خصائص ذاتية، تشكل ملامحها العامة والخاصة وتميزها عن بقية الحضارات، وتسبغ عليها شخصيتها المستقلة فقد انفردت الحضارة الإسلامية بعدة خصائص تكسبها الطابع المميز لها بين الحضارات الإنسانية المتعاقبة في الماضي وفي الحاضر على السواء وهي :

١- حضارة ربانية .

إن الحضارة الإسلامية حضارة ربانية بمعنى أنها تنبثق عن أصول عقدية مستمدة من منهج عمل إلهي .. وحي قادم من السماء وهي بهذا تتجاوز اعتبار (الوجود) المصدر الوحيد للمعرفة، فهي تعتمد الوحي جنباً إلى جنب مع الوجود .

لأن الله سبحانه وتعالى أمر بإقامتها ووجهها توجيهاً مباشراً عن طريق الوحي إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم[١] .

قال تعالى : **﴿* وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾**[٢] .

إذن لقد كانت الربانية في الحضارة ضرورة نهائية حتى لا يستمر الشرك مسيطرا على الحضارة .

---

(١) خصائص التصور الإسلامي، سيد قطب، دار إحياء الكتب العربية، ط١، ص٤٦

(٢) سورة الشورى، آية رقم ٥٢- ٥٣ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

فالخطاب الأساسي في الحضارة الإسلامية خطاباً ربانياً وليس بشرياً . علماً أن الإرادة البشرية، تتحقق أيضاً في هذا الإطار الرباني، عندما تندمج مع ما لديها من عناصر الانطلاق والإبداع فتسعى إلى أن تقوم بدور حضاري متزن[١] .

ومعنى أن الحضارة الإسلامية حضارة "ربانية" هو أن السير في طريقها، تم بأمر الله سبحانه، لحكمة أرادها، ومعنى أن الحضارات الأخرى غير إلهية، هو أن السير في طريقها، قد تم لتحقيق غرض آخر من أغراض الحياة الدنيا، كتحقيق الذات أو السيطرة على الطبيعة، أو على الغير أو لغير ذلك .

وقد تكون نتيجة الحضارتين الإلهية وغير الإلهية، تحقيق التقدم ولكن دافع الحضارتين، لابد أن يكون مختلفاً[٢]، فالربانية نسبة إلى الرب عز وجل، فهي تعني بالنسبة إلى الفرد عبادة الله، والتوجه إليه، واستمداد المنهج منه، وأن سبيلها العلم بكتاب الله ودراسته، والتقرب إليه سبحانه بالعمل بمقتضى العلم، وبنشر العلم بين الناس، وإفاضته على الناس، وهذا هو جماع الأمر في صلاح الفرد والجماعة[٣] .

ولا يمكن لهذه الحضارة أن تجف أو تذوى إلا حين تنفصل عن كتابها الخالد .. وما هي إلا أن ترتبط به فتجري فيها دورة الحياة ويعود إليها النماء والازدهار والحيوية، وبهذا تظل قادرة على مواجهة التحديات الحضارية الأخرى عبر القرون، لأنها مزودة بما يكفل لها القوة والقدرة والاستمرار والتجدد، وسيظل القرآن يمد تلك الحضارة بالإيمان لتضيء جوانب الحياة بالأمل والخير والحق وكل المعاني الطيبة .. حتى يرث الله الأرض ومن عليها[٤] .

٢- الثبات والمرونة .

من خصائص الحضارة الإسلامية أنها تعتمد على ثوابت راسخة لأنها ليست نظريات وضعها البشر، فحقائقها لا نقص فيها ولا أخطاء، وهي لا تقبل تعديلاً ولا تطويراً لأنها كاملة لا تحتاج إلى تكميل، فثبات العقيدة الإسلامية يظهر في كل ركن من أركانها، غير أن هذا الثبات لا يعني تجميد النشاط الإنساني، وإنما ينبغي الالتزام بمقاييس ثابتة يقاس بها نشاط البشر .

---

(١) تفسير التاريخ، علم إسلامي، عبد الحليم عويس، دار الصحوة، القاهرة، ط١، ص٥٩ .
(٢) الحضارة الإسلامية والحضارة المعاصرة، عبد الغني عبود، دار الفكر العربي، ص١١٨ .
(٣) الإسلام مقاصد وخصائصه، محمد عقلة، مكتبة الرسالة، عمان، ط١، ص١٢ .
(٤) قيم حضارية في القرآن الكريم، توفيق محمد سبع، دار المنار، القاهرة، ج٢، ص٧٩ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

ومن خلال حقائق الإسلام الثابتة يستطيع الإنسان أن يتحرك ويرتقي ويكتشف سنن الله في الكون .

ونزوع الإنسان إلى الحركة لتغيير الواقع الأرضي وتطويره، حقيقة ثابتة كذلك منبثقة أولاً من الطبيعة الكونية العامة، ومنبثقة ثانياً من فطرة هذا الإنسان . وهي مقتضى وظيفته في خلافة الأرض، فهذه الخلافة تقتضي الحركة لتطوير الواقع الأرضي وترقيته، أما أشكال هذه الحركة فتتنوع وتتغير وتتطور[١] .

ومن الخصائص الكبرى لحضاراتنا القرآنية أنها ذات صبغة إلهية وهذا يجعلها ذات صبغة ثابتة في خطواتها الكبرى ومراميها البعيدة، ويحصنّها ضد أهواء البشر وشهواتهم لأن الحلال والحرام والخير والشر وما يجوز وما لا يجوز، كلها أمور ثابتة في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وكلها تطبق على البشرية بطريقة واحدة لا فرق بين كبير وصغير، ولا بين حاكم ومحكوم، ولا بين رجل وامرأة، الجميع أمام التشريع سواء[٢] .

ولقد وضع الإسلام أحكاماً ثابتة وهذه لا سبيل إلى البحث فيها، ولا تقبل التجديد أو التطور، وهي المسائل والقضايا التي ورد فيها نصوص قطعية في ثبوتها وفي دلالتها، وبالتالي فهي لا مجال فيها للاجتهاد، ولا تتغير بتغير الزمان والمكان ولا تتأثر بالأعراف والتقاليد، وهذا النوع يطلق عليه اسم الثوابت في الإسلام .. وليس معنى ذلك أن الإنسان عاجز مسلوب التفكير أمام هذا التشريع، فللاجتهاد مجال كبير في التشريع والاجتهاد في فهم نصوصه، والاجتهاد في استنباط الأحكام لما لا نص فيه من خلال القياس والاستحسان والمصالح المرسلة وسواها من مصادر الأحكام وأدلتها . فالثبات لا يقتضي تجميد حركة الفكر والحياة، ولكنه يسمح لها بالحركة، ولكن داخل إطار الثبات، حول المحور الثابت[٣].

وهذه الخاصية هي التي ضمنت للمجتمع الإسلامي تماسكه وقوته مدى ألف عام على الرغم من جميع الهزات، ومن جميع الضربات، ومن جميع الهجمات الوحشية عليه من أعدائه المحيطين به في كل زمان .. ولم يبدأ تفككه وضعفه إلا منذ أن تخلى عن هذه

---

(١) أنظر: خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، سيد قطب، ص٨٢- ١٠٨ .
(٢) قيم حضارية في القرآن الكريم، توفيق محمد سبع، ج٢، ص١٠٠ .
(٣) الإسلام مقاصده وخصائصه، محمد عقلة، ص٨١ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library- Yarmouk University
www.manaraa.com

الخاصية في تصوره، وإلا منذ أن أفلح أعداؤه في تنحية التوجيه الإسلامي، وإحلال التوجيهات الغربية مكانة في العالم الإسلامي[1] .

فالثبات في العقيدة الإسلامية يعطي للحضارة الإسلامية عنصر الأصالة فيها، ويكسبها البقاء والاستمرار وعدم الانصهار في المبادئ والأفكار المستوردة .

٣- حضارة شاملة متكاملة .

تميز النشاط الحضاري الإسلامي بالشمولية والقدرة على التحقق بكافة الأنشطة والامتداد إلى كافة المناحي، والتوغل في نسيج الحياة والوجود، ومتابعة كل ما من شأنه أن يهم الإنسان .

وهكذا وجدنا بناة هذه الحضارة يسعون في الأرض لكي يمسوا كل قضية ويتعاملوا مع كل موقف، لم ينكمشوا يوماً إزاء هذا الجانب أو ذاك من جوانب الكون والعالم والإنسان ولا انحسروا إزاء هذه المساحة أو تلك من سطح الوجود، ولا هربوا أو فروا أمام معضلة من معضلاته، فالحضارة الإسلامية تتميز عن غيرها من الحضارات في أنها لم تهتم بجانب وتهمل سواه، بل كل ما كان ينبض في نسيج العالم والحياة والوجود كان يجد صداه المناسب في نبض الحضارة الإسلامية، التي كانت قديرة على تنفيذ حوار متكافئ بين الأنشطة البشرية وبين ظواهر الوجود وحقائقه ومعطياته كافة[2] .

ومعنى هذه الميزة أن الإسلام نظام شامل من حيث تناوله لجميع ومختلف شؤون الحياة، وأنه الحكم على جميع أفعال الإنسان، والمبين لمنهج السلوك في الحياة، والمحدد لعلاقة الإنسان بالله وبالآخرين من بني جنسه، ومقتضى هذا الشمول أنه ليس في الإسلام شيء يتعلق بالإنسان والحياة يمكن بحثه بمعزل عن الدين، وأنه ما من جانب أو زاوية يمكن أن يستثنى منها فرد أو تخصص بها طائفة من الناس دون غيرها في المجتمع[3] .

فالإنسان حين يفكر في إنشاء تصور اعتقادي من ذات نفسه، أو في إنشاء منهج للحياة الواقعية من ذات نفسه، يجيء تفكيره جزئياً يصلح لزمان ولا يصلح لآخر ويصلح

---

(١) خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، سيد قطب، ص١٠٠ .
(٢) أنظر: الوسيط في الحضارة الإسلامية، عماد الدين خليل، وفايز الربيع، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ص١٧٣ .
(٣) الإسلام مقاصده وخصائصه، محمد عقلة، ص٣٨ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

لمكان ولا يصلح لآخر، ويصلح لحال ولا يصلح لآخر، ويصلح لمستوى ولا يصلح لآخر، فوق أنه لا يتناول الأمر الواحد من جميع زواياه وأطرافه وذلك لما يعتري الإنسان من النقص، فلا يمكن أن يجيء منهج من صنع البشرية يتمثل فيه الشمول أبداً [١] .

والحقيقة أن القرآن بوصفه منهجاً للحضارة الإسلامية فيه بيان كل شيء كما وصفه رب العزة والجلال، فهو لم يدع ناحية من نواحي الحياة إلا ذكرها، بل لم يدع أملاً للإنسان إلا حققه، ولكنه مرتبط من قبل ومن بعد بجهد البشر ليحققوا مبادئه ويطبقوا أحكامه ويعيشوا نظامه، وهو نظام متكامل فالعقيدة والعبادة والأخلاق والمعاملات والحدود، كلها نظام رباني لا ينبغي أن يمس بتعديل أو جرح، وإنما يجب تطبيقه كما أراد الله في جميع الأوقات[٢] .

ويبدو شمول الحضارة الإسلامية في جمعها بين علوم القرآن والحديث، والفقه وعلم الفقه المقارن وبين العلوم الطبيعية والربانية والفلكية والفنون والآداب وبين علوم الإنسانية، والتشريعات التي تناولت جميع شؤون الحياة من نواحيها الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والمهنية[٣].

٤- الوسطية والتوازن .

الوسطية تعني : الاعتدال وعدم التفريط أو الإفراط في أي شيء وإعطاء كل ذي حق حقه[٤] .

فمن خصائص الحضارة الإسلامية التوازن في سائر الاتجاهات، وعلى الجبهات كافة.. قال تعالى : ﴿* وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا...﴾[٥] .

تتجلى وسطية الإسلام في صور ومظاهر شتى في العقيدة الإسلامية فهي وسط بين اللذين يسرفون في الاعتقاد فيصدقون ويأخذون معتقداتهم بغير برهان، وبين الماديين الذين يكفرون بالغيب وينكرون كل ما وراء الحس[٦]، فالإسلام يدعو إلى الاعتقاد بما قام عليه

---

(١) أنظر:خصائص التصور الإسلامي، سيد قطب، ص١٠٧- ١٠٨ .
(٢) أنظر: قيم حضارية في القرآن الكريم، توفيق محمد سبع، ج٢، ص١٣٨ .
(٣) أصالة الحضارة الإسلامية، ناجي معروف، مطبعة التضامن، بغداد، ط٢، ص١٧١
(٤) أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، ص٦٨ .
(٥) سورة البقرة، آية ١٤٣ .
(٦) الخصائص العامة للإسلام، يوسف قرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢، ص١٢٢ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

الحجة والبرهان قال تعالى : ﴿* قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي...﴾[1] .

وهي وسط بين الملاحدة الذين ينكرون وجود إله لهذا الكون على الإطلاق، وبين من يردد أن لهذا الكون أكثر من إله، فجاءت العقيدة الإسلامية بمنهجها الوسط الذي يرفض الإلحاد لأنه ظلم للحقيقة، كما ينكر دعوى التعدد لأنها باطلة منافية للحق والواقع[2] .

قال تعالى : ﴿* لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا...﴾[3] .

وهي وسط بين الذين بالغوا في تقديس الأنبياء وإضفاء صفات الإلوهية عليهم كما وقع من اليهود والنصارى، وبين من وقفوا من الأنبياء موقف التعذيب والتكذيب، فجاءت العقيدة الإسلامية لتبين أن الأنبياء بشر وليسوا آلهة أو أبناء آلهة ولكنهم صفوة مختارة من العالمين .

وفي نظرة الإسلام إلى قدرة الله تعالى وإلى سننه في الكون، فقد رسخت العقيدة الإسلامية في ذهن المسلم أن لله سبحانه وتعالى سنناً ثابتة في الكون فالولد لا يكون بغير زواج، والنصر لابد له من اتخاذ الأسباب، والرزق لا يحصل إلا بالسعي، وبذا ينتفع المسلم بثبات هذه السنن في بناء تجاربه العلمية وفي تعامله مع الكون والحياة، وحتى لا يذهب الإنسان بعيداً عن الواقع فيعتقدون السنن تؤثر بذاتها، وتفعل بما لها من قدرة خاصة، جاء التصور الإسلامي ليملأ القلب قناعة وإيماناً بأن القدرة الإلهية تبدع كل شيء بمجرد توجهها إليه دون قيد[4] .

قال تعالى: ﴿* قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا* قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴾[5] .

وبذا جمعت العقيدة الإسلامية في توازنها الرائع بين أن تظهر المشيئة الإلهية للناس في صورة سنن وقوانين يدركونها، ويكيفون حياتهم وفقها، ومن ثم تتوجه الأبصار إلى تدبير هذه السنن والتعامل معها والانتفاع بها، وبين أن يتعامل معها وهو موصول القلب بالله، موصول الضمير بالمشاعر التي تسمو بالحياة الإنسانية إلى أقصى كمالاتها، وفي

---

(1) سورة يوسف، آية ١٠٨ .
(2) الإسلام مقاصده وخصائصه، محمد عقلة، ص٥٢ .
(3) سورة الأنبياء، آية ٢٢ .
(4) أنظر:الوسطية في الإسلام، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ص٢٣- ٢٧، الإسلام مقاصده وخصائصه، محمد عقلة، ص٥١٠- ٥١٣ .
(5) سورة مريم، آية ٨- ٩ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

النظرة إلى الإنسان اتخذت العقيدة الإسلامية موقفاً متوازياً في هذا المجال بين الفلسفات التي بالغت في شأن الإنسان إلى حد التأليه، وبين تلك التي حطت من شأن الإنسان إلى حد الرزية[١] .

ونظرة الإسلام إلى الإنسان نظرة تكريم قال تعالى: ﴿* وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾[٢] .

إذن الوسطية في الإسلام هي رسم حدود مبنية على مبدأ الخليقة، لوضع منهج حركي يوجه الإنسان إلى طريق مستقيم يبعده عن الانحرافات التي تأتي من سبل شتى[٣] .

والوسطية ليست موقعاً جغرافياً ولكنها موقف عقيدي، وإستراتيجية عمل، ورؤية نافذة لموقع الإنسان المؤمن في الكون والعالم، إنها القدرة الدائمة على التحقق بالتوازن، وعدم الجنوح صوب اليمين أو الشمال، فالحضارة الإسلامية هي الحضارة التي استطاعت أن تجمع في كل متناسق واحد، الوحي والوجود، والإيمان والعقل، والظاهر والباطن، والحضور والغياب، والمادة والروح، والقدرة والاختيار، والطبيعة وما وراءها، والمنفعة والقيمة، والفردية والجماعية، والعدل والحرية، والثبات والتطور، والدنيا والآخرة والأرض والسماء، والفناء والخلود[٤] .

إن الموازنة بين الحقوق والواجبات، والموازنة بين مطالب الروح والجسد أمر عسير، فالإنسان بطبعه يميل إلى أحد الجانبين وهذا الميل يسبب فساداً للفرد والمجتمع، وقد جاء الإسلام بتشريعه حافظاً هذا التوازن، فأمر الإنسان بعبادة ربه، ولكنه أمره أن يصرف شيئاً من اهتمامه لنفسه وأولاده ومجتمعه، وجعل ذلك نمطاً من التعبد، وأمره أن يصرف همه للدار الآخرة ونهاه أن ينسى نصيبه من الدنيا، ووازن بين مطالب الروح والجسد [٥]، فالحضارة الإسلامية حضارة متوازنة، وازنت بين الجانب الروحي والجانب المادي من غير غلو ولا تفريط .

٥- حضارة إنسانية .

ومعنى إنسانية الحضارة الإسلامية، هو أنها رغم ربانيتها تتم بجهد البشر، بما زودهم به ربهم، من مواهب وملكات وإمكانيات، في جو نظيف تتيح لهذه المواهب والملكات

---

(١) أنظر: خصائص التصور الإسلامي، سيد قطب، ص١٥٢- ١٥٣ .
(٢) سورة الإسراء، آية ٧٠ .
(٣) مستقبل الحضارة، يوسف كمال، ط٤، ص١١٦ .
(٤) أنظر: مدخل إلى الحضارة الإسلامية، عماد الدين خليل، ص٧١- ٧٢ .
(٥) أنظر: نحو ثقافة إسلامية أصيلة، عمر الأشقر، دار النفائس، ط٦، ص٥٠- ٥١ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

والإمكانيات، أن تأتي بخير الثمار، وأن تأتي للإنسانية كلها بالخير والأمن والرفاهية، لا بالتسلط والعدوان والبغي، ولا بالظلم والهوان، كما فعلت كل حضارة، غير حضارة الإسلام.. فالمجتمع الإسلامي بانتسابه إلى الإسلام لم يخرج عن كونه مجتمعاً بشرياً، يتكون من أفراد، لهم ميول فردية، توحي بها طبائعهم، ككائنات حية، لها من فطرتها غرائز مختلفة، بجانب ما تميزت به من قدرة على التفكير[1].

فالحضارة الإسلامية حضارة إنسانية المنزع عالمية في آفاقها وامتداداتها، لا ترتبط بإقليم جغرافي، ولا بجنس بشري، ولا بمرحلة تاريخية، ولكنها تحتوي جميع الشعوب والأمم، وتصل آثارها إلى مختلف البقاع والأصقاع، فهي حضارة يستظل بظلالها البشر جميعاً، ويجني ثمارها كل من يصل إليه عطاؤها فالحضارة الإسلامية قامت على أساس الاعتقاد بأن الإنسان أهم مخلوقات الله، وأن جميع الأنشطة البشرية لا بد وأن تؤدي إلى سعادته ورفاهيته، وأن كل عمل يقصد به تحقيق هذه الغاية، هو عمل في سبيل الله، أي عمل إنساني في المقام الأول[2] .

والحضارة الإسلامية تتعامل مع الإنسان أياً كان موقعه، ولا تقتصر على الجماعات التي شكلتها فحسب، بل كسرت كافة الحواجز العرقية والإقليمية والمذهبية لكي تحقق انتشارها على مستوى العالم كله، كما أنها قبلت مشاركة كافة الفئات والجماعات المنضوية في نسيج المجتمعات الإسلامية، أياً كان أديانها وعروقها وانتماءاتها، لقد تشكلت هذه الحضارة لكي تتعامل مع الإنسان، وتستجيب لمطامحه وأشواقه، ولذلك فهي لم تضع بينها وبين الإنسان أسلاكاً شائكة باسم العرقية حيناً، أو الطبقية حيناً ثانياً، أو المذهبية حيناً ثالثاً، أو الجغرافية حيناً رابعاً.. لقد وهبت نفسها للإنسان والعالم ولم تمارس الانغلاق على الذات[3] .

ومن هنا قامت الحضارة الإسلامية بداية على الشمول، مستفيدة من جميع جهود بني الإنسان على أسس أربعة: على الكرامة الإنسانية ، وعلى العدل، وعلى السلم، وعلى العلم والعمل، فهي حضارة لا يستعلي فيها عرق على عرق، ولا لون على لون، فالعنصرية أو

---

(1) الإسلام في حياة المسلم، محمد البهي، مكتبة وهبة، ط٥، ١٩٧٧م، ص٣٣٧ .
(2) خصائص الحضارة الإسلامية وآفاق المستقبل، عبد العزيز بن عثمان التويجري، ص١٧ .
(3) انظر: مدخل إلى الحضارة الإسلامية، عماد الدين خليل، ص٧٦- ٧٧ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

العصبية تنكرها الدعوة المحمدية وتعتبرها دعوة جاهلية ومن ثم كان الخلفاء يصفون العلم فوق أي اعتبارات للجنس أو الدين أو مسقط الرأس[١] .

ولقد قادت هذه المذهبية الإسلامية الربانية إلى تسامح شامل لم تشهده حضارة من الحضارات السابقة عليها، أثبته مؤرخو الحضارات في دراساتهم عن الحضارة الإسلامية .

يقول باتولد: وفي نفس القرن التاسع الميلادي أقر حجاج نصارى أوروبا الغربية الذاهبين إلى بيت المقدس بأن حياتهم وأموالهم في البلاد الإسلامية كانت في مأمن أكثر منها في بلادهم[٢] .

والإنسانية الحضارة الإسلامية جانب آخر وهو: كونها ملائمة لفطرة الإنسان وخصائصه المتعددة التي تنفرد بها دون سائر المخلوقات ومسايرة لتطلعاته، ونشاطاته، وقادرة على تلبية حاجاته، لأنها أعطتنا من جملة ما أعطت أكمل تصور للإنسان باعتباره كائناً بشرياً خلقه الله تعالى في أحسن تقويم، واستخلفه في هذه الأرض من أجل غايات سامية وأهداف نبيلة[٣] .

٦- حضارة عالمية مفتوحة .

تتميز الحضارة الإسلامية بالانفتاح على غيرها من الحضارات وعدم التعصب والجمود، فهي حضارة تأخذ وتعطي، تأخذ تجربة حية نافعة، وتعطي غيرها ما يكون لديها من ثمرات، فلا تعيش في عزلة عن تجارب البشر، وهي تؤمن بأن الحضارات الإنسانية كلها هيكل ضخم قد شيدته جهود البشر جميعاً، فلكل شعب فيه لبنة، ولا يستقيم وضع حضارة تغلق النوافذ على نفسها، فالحضارة الإسلامية لا تصد عن تجارب البشر بالتعصب، ولا تبخل عليها بالعطاء، ولكنها لا تأخذ عن غيرها قوانين التشريع، ولا مبادئ الأخلاق لأنها تملك من ذلك منهجاً أصيلاً وثروة ضخمة، بل تأخذ تجارب الحياة وفروع المعرفة وكل ما يرتبط بنتائج العلم التجريبي والابتكار المثمر في شؤون الحياة، بشرط أن يكون في ذلك ما يثري حضارتنا، ويعود على مجتمعنا بالخير، أما حين تتعارض هذه الأمور مع عقيدتنا أو تراثنا، فإننا لا ننقله، وإنما نرفضه [٤] .

---

(١) الحضارة الإسلامية والحضارة المعاصرة، عبد الغني عبود، ص١٢٤ .
(٢) مذهبية الحضارة الإسلامية وخصائصها، محسن عبد الحميد، دار عمار، عمان، ط١، ص٦٢ .
(٣) أنظر:المرجع السابق، ص٦٤- ٦٥ .
(٤) أنظر: قيم حضارية في القرآن الكريم، توفيق محمد سبع، ج٢، ص١١٢ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

وهي حضارة تميزت بتقابل موزون بين الأصالة والانفتاح.. بين القدرة على حماية الذات من التفكك والتغير والانحلال وبين الاستعداد الدائم لقبول القيم والخبرات من الغير، وهضمها وتمثلها، لقد تحرك المسلمون إلى العالم وتمكنوا من صياغة حضارة تميزت بتلك الأصالة التي تستمد ديمومتها من تحصين الذات وعدم الذوبان في الكيانات الغربية التي تدمر شخصية الجماعة المسلمة وتلغي ملامحها وسماتها ولكنها لم تنغلق يوماً على معطيات الحضارات الأخرى بل فتحت صدرها دونما عقد ولا حساسيات على العالم الواسع، وأخذت وتمثلت كل ما هو إيجابي فعال في بنية المعارف البشرية كافة[١] .

يقول ابن رشد: يجب علينا أن نستعين على ما نحن بسبيله بما قاله من تقدمنا في ذلك .. سواء أكان مشاركاً لنا في الملة أم غير مشارك طالما كان صواباً[٢] .

" فيجب علينا أن ننفتح على العالم، وأن نتفاعل مع غيرنا من الحضارات الأخرى، فنقبل منها ما يتفق مع شريعتنا ومع واقعنا، ومع تراثنا، ونرفض ما نراه ماساً بوجودنا، أو مصادماً لتقاليدنا، فلا نكون نقلة مستعبدين، بل أحرار ناقدين، نسمح للعصارة الطيبة النافعة أن تسري في كياننا، ونستبعد النفايات الضارة التي تضر بأمتنا، ونطبع كل ذلك بطابع حضارتنا الإسلامية، ونبتكر من كل ذلك جديداً رائعاً ينفع الناس ويفيد التقدم ويثري الحياة، وعملية الاقتباس الحضاري تشبه إلى حد بعيد عملية نقل الدم، فكما لا ننقل كمية من الدم من شخص إلى آخر إلا بعد تعيين فصيلة الدم بالنسبة لهما، ونتأكد من اتفاقهما، فكذلك الأمر هنا، لابد أن نضع بالحسبان: هل ما ننقله يتصادم مع تعاليم ديننا مع أصول حضارتنا، فإذا تأكدنا أنه لا يصادم شيئاً من ذلك قررنا صلاحية الاقتباس، لأنه في هذه الحالة يكون صحيحاً[٣] .

ولعل من مظاهر هذه العالمية في الحضارة الإسلامية أن علماء الحضارة في أوروبا ومنذ قرون قد انكبوا على جهودنا وثمرات علومها وفلسفتها وآدابها وحقائق دينها، فاقتبسوها واستقبلوها استقبالاً عظيماً، حتى غدت حضارتنا الإسلامية رافداً مهماً من روافد حضارة الغرب[٤] .

---

(١) مدخل إلى الحضارة الإسلامية، عماد الدين خليل، ص٧٠ .
(٢) الاستقلال الحضاري، محمد عمارة، الوحدة للطباعة، بيروت، ط ، ص٢١٤ .
(٣) انظر: قيم حضارية في القرآن الكريم، توفيق محمد سبع، ج٢، ص١١٤- ١١٦ .
(٤) مذهبية الحضارة وخصائصها، محسن عبد الحميد، ص٦٩ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

٧- **حضارة إيجابية .**

إحدى الخصائص البارزة للحضارة الإسلامية الإيجابية، فالإسلام يأمر أتباعه بالسعي في الأرض وإعمارها، وينهي عن التخريب والإفساد فيها ويحث البشر على فعل الخير والصلاح لهم في الدنيا والآخرة .

يقول عماد الدين خليل: فالحضارة الإسلامية إيجابية بناءة رفضت التخريب والإفساد، ولم تسمح لأن تأخذ بخناقها رؤية سوداوية متشائمة للوجود والمصير . وللمسعى البشري في هذا العالم، ولم تثمر نزعات هدامة كالحة كالعدمية، أو الفوضوية أو العبثية، كالذي أفرزته الحضارة الغربية، كما أنها لم تعكس كما حدث في أوروبا رؤى وأخيلة وفلسفات يبلغ من جموحها واندفاعها باسم التطور، أن تدمر كل الثوابت والمرتكزات والخبرات والمؤسسات المتفق عليها في تاريخ الجماعات البشرية المتحضرة، وتسوق الإنسان والمجتمع إلى الانتحار أو الاصطراع مع الذات وقوانين الفطرة، وإنما أكدت على ضرورة إعمار الحياة وبناء العالم حتى آخر لحظة[١].

فهدف حضارة الإسلام، هو فهم الدنيا، وقوانين الكون، بهدف السيطرة على البيئة المادية وتذليلها، بحيث تساعد جماعة المسلمين على إعلاء راية الله تعالى في الأرض[٢] .

قال تعالى : ﴿ .. فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى﴾[٣] .

قال ابن عباس : لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة[٤] .

والضلال في الدنيا الانحراف عن الإسلام، والشقاء في الآخرة العقاب فيها .

وقال تعالى : ﴿* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾[٥].

فتظهر النقلة الحضارية التي نقل الإسلام بها العرب من حياة السلب والنهب، واستحلال بعضهم لدماء بعض وأموال بعض وأعراض بعض إلى أن تكون أمة رعاية العقود والالتزامات وحفظ حقوق الآخرين ولتكون أمة القانون .. وأصبح بيدها مقاليد الحكم، فهي مدعوة لإقامة أحكام الله مع العدو والصديق، وأن تحذر أشد الحذر من طغيان القوة

---

(١) مدخل إلى الحضارة الإسلامية عماد الدين خليل ص٧٥ .
(٢) الحضارة الإسلامية والحضارة المعاصرة، عبد الغني عبود، ص١٣٠ .
(٣) سورة طه، آية ١٢٣ .
(٤) تفسير ابن كثير، إسماعيل بن كثير القرشي، دار المعرفة، بيروت، ج٣، ص١٦٣ .
(٥) سورة المائدة، آية ١ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

لتعتدي وتظلم وتستبيح أموال الناس.. فجاء الأمر بالإيفاء بالعقود مؤذناً ببيان هوية المسلم الحضارية[١].

ففي مجال الحياة الاجتماعية لا يتوقف الإسلام عند النهي عن الإفساد في الأرض بالقتل والسرقة والزنا وشرب الخمر وتخريب الحضارة والعمران، ولكنه يأمر بالإصلاح والتعمير، ونستطيع أن نرى هذا المبدأ من خلال أمر الإسلام بالمعروف ونهيه عن المنكر، وكذلك نراه من خلال الأمر بالتعاون على البر والتقوى، والنهي عن التعاون على الإثم والعدوان[٢] .

وخلاصة الأمر أن الحضارة الإسلامية هي حضارة الإعمار والبناء والتقدم في كافة المجالات.

٨- حضارة أخلاقية .

الحضارة الإسلامية حضارة قيم سلوكية، تريد أن تربي الإنسان تربية خلقية متوازنة، فالنظام القيمي الإسلامي يربي الإنسان وينجيه من المادية المشينة التي تزرع الأنانية وعبادة الذات، والتي تكون طريقاً جهنمياً للانسلاخ من المسؤولية الاجتماعية، لأن الدين في أساسه جاء ليبني التعامل بين البشر على أسس أخلاقية، أي أن الدين الحق يحوّل النظريات إلى تعامل يومي ، ومن هنا فإن الحضارة الإسلامية جعلت للمبادئ الأخلاقية المحل الأول في كل نظمها ومختلف ميادين نشاطها، وهي لم تتخل عن هذه المبادئ قط، ففي العلم وفي التشريع وفي الحرب والسلم وفي الاقتصاد وفي الأسرة روعيت المبادئ الأخلاقية تشريعاً وتطبيقاً[٣].

والسقوط الأخلاقي سبب مهم من أسباب انهيار الحضارات وفنائها ولو استقرأنا الحضارات التي بادت لوجدنا هذه الحقيقة واضحة كل الوضوح فانتشار الرذائل فيها نخرتها وأسقطتها أمام الأمم القوية التي التزمت ببعض مفردات الفضائل، حتى لو كانت تلك الحضارة بارزة في العلم، لأن العلم بلا أخلاق تحويل لقدرة الإنسان نحو الشر والباطل، والأخلاق بلا علم تحويل لقدرة الإنسان إلى سراب حضاري قائم على الفقر والعوز[٤] .

---

(١) خصائص الأمة الإسلامية الحضارية كما تبينها سورة المائدة، إبراهيم زيد الكيلاني، ص١٨ .
(٢) نحو ثقافة إسلامية أصيلة، عمر الأشقر، ص٥٠ .
(٣) أنظر: من روائع حضارتنا، مصطفى السباعي، ص٣١- ٣٢ .
(٤) الإسلام والحضارة، أنور الجندي، المكتبة العصرية، لبنان، ص٤٠ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

وكذلك فإن العبادات المختلفة تمد الحضارة بأخلاقيات سامية، وذلك لأنها تعويد المرء على أن يحيا بأخلاق صحيحة، ولكل عبادة منها فلسفة أخلاقية متميزة تتمازج جميعاً لتنشئ الصدق، والإخلاص، والأمانة والعدل، وحب الحق والانتصار له، وكراهية الباطل والنفور منه، فالعبادات روافد أخلاقية تصب في الساحة الحضارية، وتقود مسيرة هذه الحضارة على صراط العزيز الحميد [1] .

من خلال ما تقدم نجد أن الحضارة الإسلامية ركزت على الأخلاق الفاضلة لما لها من دور بارز في البناء الحضاري واستقرار المجتمعات ورقيها فلا حضارة بغير الأخلاق.

٩- حضارة خالدة .

تتميز الحضارة الإسلامية من بين الحضارات الأخرى بأنها حضارة خالدة وذلك لأنها تستمد مقوماتها من هذا الدين الصالح لكل زمان ومكان .

" فقد ظهرت قبل الإسلام حضارات متنوعة على هذه الكرة الأرضية، كانت تعبر عن أوضاع شعوبها وأفكار القائمين بتوجيهها، وقد صنعت لها إنجازات وانتصارات في مجال الأدب والعلم وساحات الصراع والحروب واستمرت في العطاء أزماناً متفاوتة، ولكنها ضعفت لعدم امتلاكها نظريات حضارية راسخة خالدة، وإنما كانت تعبر عن مراحلها المتتابعة، فلما تغيرت المراحل وتغيرت الأوضاع وداهمتها الزحوف الحضارية الأخرى، عبر الاحتكاك والحروب، بادت وانتهت وذابت إنجازاتها في حضارات فتية جديدة، وهذا ينطبق على الحضارة المادية الحديثة، لأنها خرجت عن أصول الإيمان والفطرة وحاربتها ونادت بالانحراف والإباحة والاعتداء على الشعوب والأمم، وهذه الانحرافات هي التي نخرت فيها على الرغم من قوتها الظاهرة وإنجازاتها المادية الضخمة" [2] .

وقد تتعرض الحضارة الإسلامية للخمود والركود بفعل عوامل داخلية أو خارجية أو كليهما معاً، لكنها لا تموت وتختفي وذلك لأنها قامت على أصول قد تكفل الله بحفظها.

والحضارة الإسلامية هي التي ستغير الحضارة الغربية بإذن الله تعالى، لأنها حضارة باقية مع الأيام، ولا تفنى لامتلاكها مقومات الخلود على الوجه الآتي :

---

(١) أنظر: قيم حضارية في القرآن الكريم، توفيق محمد سبع، ج٢، ص١٧٣- ١٧٤ .
(٢) مذهبية الحضارة الإسلامية وخصائصها، محسن عبد الحميد، ص٨٥- ٨٦ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library- Yarmouk University
www.manaraa.com

١- لأنها تمتلك مذهبية عقلانية واضحة في الوجود، كما تبين لنا بإيمانها بوجود الله تعالى، ولأنها تنظر إلى الكون المادي نظرة واقعية وليست مثالية وتتعامل معه على أساس التسخير، وليس على أساس السيطرة والتدمير، ولأنها وضعت الإنسان في موضعه الحقيق به، وأثبتت كرامته وأعلنت عبوديته لله تعالى .

٢- ولكونها حضارة عالمية فتحت نوافذها لنتائج العقل والعلم، وحافظت على فضائل الحضارات، ولم يطمس أصحابها جهود الأمم التي سبقتهم، ونقلوا النتائج الصالحة والتنظيمات المفيدة[١] .

٣- ولأنها حضارة تنمية مستمرة حيوية، لا يوقفها الإسلام عند حد معين بل يأمر بالنظر الدائم في الكون والسير في الأرض، ويعد الحركة المادية في الحياة في شؤون الزراعة والصناعة والتجارة عبادة، ما دامت تسير بإذن الله وفي سبيل الله، تحقيقاً لأداء الأمانة التي كلف الله تعالى بها الإنسان[٢] .

٤- ولأنها حضارة أراد الله لها أن تقوم ابتداء حين دعا إلى إقامتها، وتعهد بحفظ كتابها، لأنه قانون الكون ودستور الحياة، ولأنه كتاب علم وهداية .

٥- ولأنها تنسجم مع جوهر الإنسان الواحد عبر الزمان في روحه وعقله ودوافعه .

٦- ولأنها تجنبت أمراض الحضارات الأخرى، من أوظار الوثنية، والفلسفات المنحرفة وخرافات علم السحر والنجوم، وأساليب الطغيان والإباحية المدمرة وغيرها من الأمور[٣].

٧- ولأنها نظام حضارة، شامل متكامل، عقيدة وشريعة وسلوكاً وقدوة، تتفرع منه أنظمة تفصيلية، كالعبادة والأخلاق، ونظام الاقتصاد والاجتماع،ونظام السلم والحرب، ونظام العقوبات، ونظام المراقبة والحسبة وغيرها من الأمور[٤].

---

(١) الإسلام والحضارة، أنور الجندي، ص١٧ .
(٢) مدخل إلى تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، حكمت عب الكريم فريحات، دار الشروق، عمان، ط١، ص١٧ .
(٣) مذهبية الحضارة الإسلامية وخصائصها، محسن عبد الحميد، ص٨٨ .
(٤) المرجع السابق، ص٨٨ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

الفصل الثاني

عوامل قيام الحضارات في السنة النبوية .

المبحث الأول : العامل الديني .

المطلب الأول: مفهوم العامل الديني

المطلب الثاني: دور العقيدة الإسلامية في بناء الحضارة

المطلب الثالث: دور العبادات في بناء الحضارة

المطلب الرابع: ترك المحرمات ودوره في بناء الحضارة

المبحث الثاني : العامل الاجتماعي

المطلب الأول: مفهوم العامل الاجتماعي

المطلب الثاني: تنظيم الروابط الاجتماعية

المطلب الثالث: القضاء على التمييز العنصري

المطلب الرابع: التعاون وحفظ الحقوق

المبحث الثالث : العامل السياسي

المطلب الأول: مفهوم العامل السياسي

المطلب الثاني: إقامة الحكم الإسلامي

المطلب الثالث: دور الدولة الإسلامية في بناء الحضارة

المبحث الرابع : العامل الاقتصادي

المطلب الأول: مفهوم العامل الاقتصادي

المطلب الثاني: الهدي النبوي في البناء الاقتصادي

المطلب الثالث: فلسفة تملك المال وإنفاقه في السنة النبوية

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library Yarmouk University

www.manaraa.com

المبحث الخامس : العامل العسكري

المطلب الأول: مفهوم العامل العسكري

المطلب الثاني: دعوة الإسلام إلى بناء القوة

المطلب الثالث: أخلاق الإسلام في الحرب

المبحث السادس : العامل الأخلاقي

المطلب الأول: مفهوم العامل الأخلاقي

المطلب الثاني: أهمية الأخلاق في الإسلام

المطلب الثالث: دور الأخلاق في بناء الحضارة

المبحث السابع : العامل الفكري

المطلب الأول: مفهوم العامل الفكري

المطلب الثاني: العلم بوجود الخالق

المطلب الثالث: تحرير العقل وأثره في بناء الحضارة

المبحث الثامن : العامل العلمي

المطلب الأول: مفهوم العامل العلمي

المطلب الثاني: دعوة الإسلام إلى العلم النافع

المطلب الثالث: فضل العلم والعلماء في بناء الحضارة

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

www.manaraa.com

الفصل الثاني

عوامل قيام الحضارات في السنة النبوية

تمهيد :

بعث الله عز وجل المصطفى صلى الله عليه وسلم، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، ومن ذلك إخراجهم من الحياة الجاهلية والبدائية إلى نور الحضارة والتمدن، وقد تضمنت رسالته صلى الله عليه وسلم كل القيم والعوامل الكفيلة بتأسيس حضارة راقية تحقق السعادة للبشرية، فدعت إلى عبادة الله وحده وترك الشرك والضلال، وأكدت على وجوب التعاون والتراحم بين أبناء الأمة، ووجهت المؤمنين إلى إقامة سلطة عادلة، تنظم شؤون الحياة وتحقق الأمن والاستقرار، ودعت إلى البناء والتطوير في كافة المجالات، وأكدت على أهمية العلم ودعت إلى السمو الروحي والأخلاقي، فكان لابد من تناول هذه العوامل بشيء من التفصيل، للتأكيد على أن السنة النبوية تشتمل على منهج يحقق لمن يلتزم به الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة، ولابد لي قبل الحديث عن هذه العوامل، أن أبين المراد بهذه العوامل .

من خلال رجوعي إلى معاجم اللغة العربية للوقوف على المراد بمصطلح العوامل وجدت أن ابن منظور ذكر معنى العوامل فقال : العوامل الأرجل، وعوامل الدابة قوائمها[1]. فسمى ابن منظور أرجل الدابة عوامل لأن الدابة لا تستطيع القيام بالعمل إلا بها، فكما أن الدابة لا تستطيع القيام بالعمل إلا بهذه الأرجل، فكذلك الحضارة لا يمكن أن تقوم إلا بوجود مؤثرات وأسباب تؤدي إلى قيامها .

فالمراد إذن بعوامل قيام الحضارة : الأسباب والمؤثرات التي تؤدي إلى قيام الحضارة، والتي لا يمكن أن تقوم الحضارة إلا بوجودها .

وتتمثل هذه المؤثرات والأسباب بجملة أمور دينية، واجتماعية، وسياسية، وأخلاقية، وعلمية،واقتصادية، وهذا ما سوف أتناوله بالدراسة في هذا الفصل بإذن الله تعالى .

---

[1] لسان العرب، ابن منظور، ج١١، ص٤٧٤ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

المبحث الأول

العامل الديني

يعد الدين العامل الأول والأساس في بناء الحضارة، ولا يمكن لحضارة من الحضارات أن تحقق السعادة لأبنائها ما لم ترتبط بدين سماوي موحى به من عند الله تعالى، وهذا ما سوف نتعرف عليه من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول :- مفهوم العامل الديني .

الدين لغة :- مأخوذ من دان له : وتعني أنه أطاعه وخضع له، فالدين هنا بمعنى الخضوع والطاعة والاستسلام والعبادة، والدين لله يعني الحكم لله والخضوع لله ، ودان بالشيء أي اتخذه ديناً ومذهباً، فالدين هو المذهب أو الطريقة التي يسير عليها المرء[1] .

الدين اصطلاحاً :

عرفه الدكتور دراز فقال: "هو الإيمان بذات إلهية جديرة بالطاعة والعبادة، أو هو الاعتقاد بوجود ذات غيبية علوية، لها شعور واختيار ولها تصرف وتدبير للشؤون التي تعني الإنسان، اعتقاداً من شأنه أن يبعث على مناجاة تلك الذات في رغبة ورهبة وفي خضوع وتمجيد" [2] .

فالمراد بالعامل الديني إذن أثر الإيمان ودوره في بناء الحضارة الإسلامية، فالإسلام يعتبر مصدراً رئيساً للحضارة البشرية، وهو دين حضاري وذلك لأنه يوجه الإنسان للإنتاج في مجالات الحضارة المختلفة .

المطلب الثاني :- دور العقيدة الإسلامية في بناء الحضارة .

سعى النبي صلى الله عليه وسلم منذ بداية دعوته إلى تحرير عقول البشر من إتباع الهوى وعبادة الأصنام التي لا تضر ولا تنفع، ودعا إلى الإيمان بالله وحده ، فأحدث بذلك انقلاباً كبيراً في حياة البشرية، فقد نقل صلى الله عليه وسلم الناس من عبادة الأشياء المحسوسة

---

(1) لسان العرب، ابن منظور، مادة دين، تاج العروس، مرتضى الزبيدي، مادة دين .
(2) الدين، محمد عبد الله دراز، دار القلم، الكويت، ط1، ص49 .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

كالأصنام والأوثان والكواكب التي يرونها ويلمسونها إلى عبادة الله الواحد الذي لا تدركه الأبصار، فلم يعد الإنسان يحصر ذهنه وعقله في المحسوسات فقط، بل انتقل إلى ما هو أسمى من ذالك وأدرك بأن هناك أمورا غيبية يجب الإيمان والتصديق بها، فبعد أن كان همهم الدنيا ونعيمها أصبح هدفهم مرضاة الله والفوز بالجنة، فنقل النبي صلى الله عليه وسلم البشرية بهذا من الضلال والضياع إلى الهدى والرشاد،فكان الإيمان بالله الأساس الأول الذي بنى عليه النبي صلى الله عليه وسلم حضارة الإسلام.

يقول عمر الخطيب: إن الإيمان بالله تبارك وتعالى هو الغذاء الوافي لقوى النفس في الإنسان، وهو المداد الخالد لحيويتها وتفتحها وإشراقها، وليست على وجه الأرض قوة تكافئ قوته أو تدانيه في ضمان استقامة الفرد ويقظة ضميره ومتانة خلقه، ثم تماسك المجتمع وتضامن أبنائه وتعاونهم على الخير والبر، وسر ذلك أن الإنسان يساق من باطنه لا من ظاهره، وليست أنظمة الأمم والجماعات مهما بلغت من الدقة والإحكام، ولا سلطان الحكومات والهيئات، مهما بلغت في المراقبة والتنظيم بكافيتين وحدهما بمعزل عن العقيدة لإقامة حياة فاضلة كريمة، تحترم فيها الحقوق وتؤدّى فيها الواجبات، على وجه مرض مقبول، فإن الذي يقوم بواجبه رهبة من السوط أو خشية من العقاب، لا يلبث أن يسيطر عليه الإهمال متى اطمأن إلى أنه سينجو من العقاب، ويفلت من قبضة القانون [1] .

من أجل هذا كان لابد من العقيدة في الحياة لتملأها بالخير والحق والصدق والاستقامة، بل إن الحياة بغير عقيدة ضياع وعبث وفراغ نفسي وقلق دائم، واضطراب مستمر، وغرق في لجج المتاعب والأزمات، ودخول في المعركة بلا سلاح ثم نهاية بائسة ومصير مرير[2] .

وقد ورد في الأثر عن الحسن البصري أنه قال:**(ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني إنما الأيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل)**[3].

فالإيمان إذن هو القوة الدافعة التي تدفع الإنسان إلى العمل الحضاري المنتج، وهو أيضاً السبيل لاستقامة السلوك وإشاعة المحبة بين أفراد المجتمع.

---

[1] لمحات في الثقافة الإسلامية، عمر عودة الخطيب، ص٣٥٧ .

[2] لمحات في الثقافة الإسلامية،عمر عوده الخطيب،ص٣٥٨.

[3] المصنف في الأحاديث والآثار ،عبد الله بن محمد بن شيبة،تحقيق: كمال الحوت ،مكتبة الرشيد، الرياض ، ط١، ج١٦٣/٦، شعب الإيمان، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد السعيد ،دار الكتب العلمية ، بيروت، ط١،ج٨٠/١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

يقول حسين مؤنس: إن أساس حضارة الإسلام هو الوحي والعقيدة وهي لا تزال تتجدد وتتعاقب على حمل رايتها الأجيال[1] .

من خلال ما تقدم ندرك أن الوحي الإلهي والالتزام به هو الذي يحقق الامتداد الحضاري الحقيقي في عالم الإنسان، فالإيمان بالله تعالى هو أساس الحضارة وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم إلى إصلاح الفرد من الداخل وذلك من خلال غرس العقيدة الإسلامية في نفسه، ويظهر هذا واضحاً في أحاديثه صلى الله عليه وسلم : فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(الإيمان بضعٌ وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذى[2] عن الطريق، والحياءُ شعبة من الإيمان)**[3] .

قال ابن حجر: إن هذه الشعب تتفرع عن أعمال القلب وأعمال اللسان وأعمال البدن، فأعمال القلب فيه المعتقدات والنيات، وتشتمل على أربع وعشرين خصلة، الإيمان بالله ويدخل فيه الإيمان بذاته وصفاته وتوحيده...، والإيمان بملائكته، وكتبه، ورسله، والقدر خيره وشره والإيمان باليوم الآخر، ويدخل فيه المسألة في القبر والبعث والنشور والحساب والميزان والجنة والنار...، ويدخل فيه ترك الرياء والنفاق والتوبة والخوف والرجاء ... الخ .

وذكر أيضاً أن من خصال الإيمان الصبر والتوكل والرحمة، وتوقير الكبير وترك الحسد والكبر وعقوق الوالدين[4]، وغير ذلك من الخصال التي يعد الالتزام بها قمة السلوك الحضاري.

فهذا الحديث جمع بين ذروة المعتقد وهو التوحيد وأدنى ما ينبثق عنه وهو مسألة النظافة التي تعد في أيامنا من أهم المظاهر الحضارية .

---

(1) الحضارة، حسين مؤنس، ص٢٧٣ .
(2) أي تنحيته وإبعاده، والمراد بالأذى كل ما يؤذي من حجر أو شوك وغيره، المنهاج شرح صحيح مسلم، النووي، ج٦/٢ .
(3) صحيح البخاري: كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان، رقم ٩، ج١٢/١ ، صحيح مسلم واللفظ له، كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان، حديث رقم ٣٥، ج١/ ٦٣، سنن الترمذي ، كتاب الإيمان، باب استكمال الإيمان، رقم ٢٦١٤، ج١٠/٥
(4) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، ج٥٢/١ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**إنَّ الله يرضى لكم ثلاثاً ويكرهُ لكم ثلاثاً : فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، ويكرهُ لكم قيل وقال، وكثرة السؤال وإضاعة المال**)[1] .

فالحديث يتضمن الحث على عبادة الله تعالى وعدم الإشراك به والاعتصام بحبل الله، قال النووي : وأما الاعتصام بحبل الله فهو التمسك بعهده وهو إتباع كتابه العزيز وحدوده والتأدب بأدبه[2] فإن التزام ما جاء به القرآن الكريم يعد من أقوى الدوافع التي تؤدي إلى إيجاد مجتمع حضاري يعرف فيه كل إنسان ما له من الحقوق وما عليه من الواجبات .

فالإيمان طاقة حية وقوة دافعة، وهو الذي يبني الحضارة وينشرها ويجدد حياتها دائماً، والعقيدة الإسلامية تعطي أول ما تعطي الطهارة في أسمى معانيها وأجمل صورها، الطهارة من الشهوات، فلا يضعف الإنسان أمام الشهوات وإغراءات المادة، وتعطي الإنسان أيضاً سمواً في التفكير، فتبعث في أصحابها التصور الحقيقي لقيم الأشياء وتثبت لهم أن النافع والضار هو الله تعالى، والمرء لا يستعين إلا بالله.

ومما يدل على ذلك من سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم ما روي عن ابن عباس أنه قال: كنت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فقال: (**يا غلام إني أعلمك كلماتٍ أحفظ الله يحفظك، أحفظ الله تجدهُ تُجاهَكَ إذا سالت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، وأعلم أنَّ الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيءٍ لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه اللهُ لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيءٍ، لم يضروك إلا بشيءٍ قد كتبه الله عليك، رُفِعت الأقلامُ وجفت الصحفُ**)[3] .

فالنبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث يدعو إلى الالتزام بشريعة الإسلام والتوجه إلى الله في كل الأحوال ويبين أن ذلك هو السبيل للفوز في الدنيا والآخرة .

---

(1) صحيح مسلم واللفظ له، كتاب الاقضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة، رقم ١٧١٥، ج١٣٤٠/٣، مسند أحمد بن حنبل، رقم ٨٧٨٥، ج٣٦٧/٢، صحيح ابن حبان، كتاب الزكاة، باب المسألة، رم ٣٣٨٨، ج١٨٢/٨ .

(2) المنهاج، شرح النووي على صحيح مسلم، ، ج١١/١٢ .

(3) سنن الترمذي واللفظ له، في صفة القيامة والرقائق والورع، رقم ٢٥١٦، ج٦٦٧/٤، وقال هذا حديث حسن صحيح، مسند الإمام أحمد بن حنبل، رقم ٢٧٦٣، ج٣٠٣/١، وقال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح، الحاكم في المستدرك، رقم ٦٣٠٣، ج٦٢٣/٣ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال المباركفوري:- يحفظك في الدنيا من الآفات والمكروهات وفي العقبى من أنواع العقاب والدركات[1] .

فالمسلم حينما يسلم أمره لله تعالى، ويتوجه إليه دائماً ولا يسأل سواه ويدرك أن النفع والضرر بيد الله تعالى وحده، فإن ذلك يمنحه القوة والشجاعة في كل ميدان من ميادين الحياة، الشجاعة في مواجهة النفس والشجاعة في مواجهة الشدائد، فأصحاب العقيدة لا يخافون الموت ويعلمون أنه حق لا مرية فيه .

" فالإيمان هو الذي يفجر الطاقات الكامنة في الإنسان، فيندفع بقوة العقيدة ليصنع البطولات، وهو الذي يحل مشكلة النزعة الذاتية الفردية عند الإنسان، حين يعلّمه أن ما يقدمه من خير للغير وما يضحي به من جهد للجماعة، وما يبذل من مال أو نفس لن يضيع عند الله تعالى، والإيمان هو الذي يضع بين يدي الإنسان قوة هائلة، حيث يغرس في نفسه أن قدر الله نافذ لا محالة، وإن ما يخاف عليه الناس من رزق أو أجل مكتوب عند الله لا مجال فيهما لزيادة أو نقصان، فالأرزاق مقسومة، والآجال معلومة" [2] .

" وإذا كان هناك أشياء تفرق بين الناس من اختلاف العرق أو اللون أو النسب أو الثروة أو غير ذلك، مما يحجز الناس بعضهم عن بعض، فإن الإيمان بحرارته وقوته هو الذي يذيب هذه الحواجز، ولا يعترف بها، ويجعل من وحدة العقيدة، رابطة فوق رابطة الدم، حتى أن المؤمن ليؤثر أخاه في العقيدة على أخيه من النسب، بل وعلى ابنه من الصلب، وفي رحاب هذه الأخوة الكبيرة تختفي الأحقاد، وتهون الدنيا التي يتهارش عليها الناس، وتنكمش مشاعر الحسد والبغضاء، وتسود المحبة بين الناس" [3] .

ومن يطالع سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم، يجد أن النبي قد حرص على ربط قلوب المسلمين برباط الأخوة والمحبة، يظهر ذلك من خلال قيامه صلى الله عليه وسلم بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، فقد آخى الرسول الكريم بين المهاجرين ولأنصار على الحق والمواساة ،وكانوا يتوارثون بهذا الإخاء إرثا مقدماً على القرابة،فإذا مات المهاجر ورثه الأنصاري ،وإذا مات أحد من الأنصار ورثه أخوه المهاجر [4].

---

(1) تحفة الأحوذي، المباركفوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ج١٨٥/٧ .
(2) الإسلام حضارة الغد، يوسف قرضاوي، ص١٧٤ .
(3) الإسلام حضارة الغد يوسف قرضاوي، ص١٧٥ .
(4) أنظر: البداية والنهاية،ابن كثير،مكتبة المعارف ،بيروت،ج٢٦٢/٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

فقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم رابطةُ العقيدة أقوى من رابطةُ النسب،وكان هذا من أول الأسس التي اعتمدها النبي لإقامة دولته في المدينة المنورة،ولاشك أن هذا يمثل قمة الحضارة.

ولم يكتف النبي صلى الله عليه وسلم بتشريع المؤاخاة فقط، بل حث على إشاعة المحبة والألفة بين قلوب المؤمنين، وعدّ ذلك من كمال الإيمان، فعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : **(لا يؤمن أحدكم حتى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه)**[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **(لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟: أفشوا السلام بينكم)**[2].

فالنبي صلى الله عليه وسلم يدعو إلى إيجاد المحبة بين المسلمين ويبين أن ذلك من الإيمان وهو سبب في دخول الجنة، فقد حث النبي صلى الله عليه وسلم على إيجاد مجتمع قوي مؤمن بالله تسوده الرحمة والمحبة ولا شك أن ذلك قمة الحضارة .

يقول محمد البهي: فإذا كانت الغاية من الدين هي استقامة الإنسان في سلوكه وفي تفكيره وفي علاقته بالآخرين، فلا شك أن الإنسان صاحب الإيمان وبالتالي صاحب الاستقامة، سيكون إسهامه في بناء الحضارة ليس إسهاماً قوياً فحسب، وإنما إسهاماً حضارياً صافياً يعبر عن الحضارة في أجلى صورها[3] .

ويقول فاروق الدسوقي: لا تنطلق الفاعلية الإنسانية في مسار صحيح للحضارة الإنسانية الصحيحة إلا في ظل التوحيد الإسلامي، الذي يوجب على الإنسان الإيمان بالله واحداً لا شريك له في ألوهيته وربوبيته، كما يوجب عليه الإيمان باليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، وبهذا الإيمان يدرك الإنسان الهدف الرئيس من وجوده، ذلك الهدف الذي يجب عليه أن يوجه أفعاله نحوه لتحقيقه، كما يعرف بهذا الإيمان مكانة الإنسان بين الموجودات، وصلة ذلك بمصيره في الحياة وبعد الممات، وبذلك فقط تتحرر فاعلية الإنسان من كل العوائق

---

(1) صحيح البخاري واللفظ له، كتاب الإيمان، من الإيمان أن يحب المرء لأخيه ما يحب لنفسه، رقم ١٣، ج١/١٤، صحيح مسلم، كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه، رقم ٤٥، ج١/٦٧ .

(2) صحيح مسلم واللفظ له، كتاب الإيمان، باب أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، رقم ٥٤، ج١/٧٤ ،سنن أبي داود، أبواب السلام، باب إفشاء السلام، رقم ٥١٩٣، ج٢/٧٧١ .

(3) الدين والحضارة الإنسانية، محمد البهي، ص٧٦ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

والموانع التي تكبلها، أو التي تطلقها في غير المسار الإنساني الصحيح ومن ثم يصبح منتجاً للحضارة الإنسانية الصحيحة[1] .

والرسول صلى الله عليه وسلم يحدثنا عن الإيمان في صورة أخلاق وأعمال وفضائل، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(من كان يؤمنُ بالله واليوم الآخر فلا يؤذِ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت)**[2] .

فالنبي صلى الله عليه وسلم يبين في هذا الحديث أن الإيمان هو الموجه للإنسان في أفعاله وأن الإيمان متى استقر في نفس الإنسان فإنه يدفعه لما فيه الخير في الدنيا والآخرة .

فالحضارة الإنسانية الحقة الصحيحة هي التي تقوم على أساس الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وهذا ما سعى النبي صلى الله عليه وسلم إلى غرسه في نفوس أصحابه.

فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: **(بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشَعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحدٌ، حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال يا محمد أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم(الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحُجَّ البيتَ إن استطعت إليه سبيلا) قال: صدقت، قال: فعجبنا له يسألهُ ويصدقهُ، قال: فأخبرني عن الإيمان، قال:(أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيرهِ وشرهِ) قال: صدقت، قال: فأخبرني عن الإحسان، قال:(أن تعبدُ الله كأنك تراهُ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك) قال: فأخبرني عن الساعة، قال:(ما المسؤول عنها بأعلم من السائل) قال: فأخبرني عن أماراتها، قال:(أن تلدَ الأمةُ ربَّتها، وأن ترى الحفاة العراة،**

---

(1) الإسلام والعلم التجريبي، فاروق أحمد الدسوقي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ص٥٤ .

(2) صحيح البخاري واللفظ له، كتاب الأدب، باب أكرام الضيف، رقم ٥٧٨٥، ج٥/ ٢٢٧٣، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار، رقم ٤٧، ج٦٨/١ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

العالة رعاءَ الشَّاءِ، يتطاولون في البنيان) قال: ثم انطلق، فلبث مليّـاً ثم قال لي(يا عمـرُ أتدري مَنِ السائل؟) قلت: الله ورسوله أعلم، قال:(فإنه جبريلُ أتاكم يعلّمُكُم دِينَكُم)[1]

بيّن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث أركان الإسلام والإيمان وتحدث فيه أيضاً عن الإحسان وعلامات الساعة، فالحديث يشتمل على أمور عظيمة تحقق لمن يلتـزم بها الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة، فالنبي صلى الله عليه وسلم يدعو إلى توحيد الله تعالى والالتزام بأوامره ولا يخفي دور هذا في بناء الحضارة الإسلامية .

يقول محمد قطب: والمهم من التزام الإنسان المؤمن ليس فقـط أن يقـوم بعمـارة الأرض، فهذا يقوم به الكافر كذلك، ولكن أن يقوم بعمارة الأرض بمقتضى المنهج الرباني، وهذا بالذات هو المقتضى الحضاري للا إله إلا الله ، فالإنسان مدفوع بفطرته إلى الإنتـاج الحضاري، فالتصنيع والتحسين والتجميل كلها من مزايا الإنسان، التـي تفـرد بهـا عـن الحيوان، وكلها من مقومات الحضارة، ولكن المعيار الحقيقي للحضارة ليس هذا، أولـيس هذا وحده على أقل تقدير، فالحضارة لا تقوَّم بما حققته من إنجازات مادية فقط ولكـن تقـوَّم بمقدار تمشي هذه المنجزات مع غاية الوجود الإنساني .. فالحضارة ليست مجرد البراعـة في الإنتاج المادي، وإن كان هذا مطلوبا للنجاح والتمكين في الأرض، ولكن هذه البراعـة وحدها من غير الالتزام بالمنهج الصحيح لا تنشىء حضارة حقيقية بـل تنـشىء حـضارة جاهلية تدمر الإنسان، والحضارة الحقيقية هي التي تعمّر الأرض بمقتضى المنهج الربـاني وتجمع أمر الدنيا والآخرة [2] .

"والتوحيد هو الركيزة الأساس في البناء الحضاري وله ثمرته الإيجابية في إعـادة صياغة الإنسان، وتوحيد وجهته في العقيدة والعبادة، وكذلك فإن له أثراً في تهذيب الإنسان ورقيه، حيث قضى على الانحراف والضلال الذي سبب سقوط الحضارات تاريخياً " [3] .

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي، رقم ٥٠ ،ج٢٧/١ ، صحيح مسلم واللفظ له، كتاب الإيمان، باب الإيمان والإسلام والإحسان، رقم ٨، ج٣٦/١ .

(2) لا إله إلا الله عقيدة وشريعة ومنهاج حياة، محمد قطب، دار الشروق، بيروت، ط٢، ص١٠١ بتصرف.

(3) في النهوض الحضاري بصائر وبشائر، عمر عبيد حسنة، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ص٢١ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

إن الحجر الأساسي الذي يقوم عليه بناء الحضارة الإسلامية هو الفكرة القائلة بـــأن الإنسان ليس كسائر المخلوقات، بل هو خليفة لله تعالى في هذه الأرض وغايته نيل مرضاة الله، ومن اللازم لتحقيق هذه الغاية :

١- أن ينال معرفة صحيحة بالله تبارك وتعالى، ويدرك أن الأمر كله بيد الله ولا حاكماً ولا مطاعاً سواه .

٢- أن يتعرف على الطرق والوسائل التي ينال بها مرضاة الله تعالى .

٣- أن يتعرف على ثمرات مرضاة الله وعواقب عدم مرضاته .

فهذه الأمور هي التي تقتضيها أركان الإيمان[١] .

فما كل ما قيل في القرآن عن ذات الله وصفاته، إلا لينال به الإنسان معرفة صحيحة بالله، وما كل ما قيل في القرآن عن وجود الملائكة ووظائفهم إلا لأن لا يرى الإنسان فـــي قوة من القوى العاملة في هذا الكون، ذات ألوهية وربوبية وحاكمية أو مشاركة لله تعالى في ألوهيته وربوبيته وحاكميته .

والإيمان بالرسول والكتاب يبين للإنسان القوانين والمناهج التـــي يجـــب عليـــه أن يلزمها لنيل مرضاة الله تعالى، ولا يدرك الإنسان ثمرات مرضاة الله وعواقب عدم مرضاته إلا بالإيمان باليوم الآخر، فعقيدة الآخرة أي العلم بالمعاد، تشحذ نظر الإنسان شحذاً ينظر به إلى عالم آخر وراء ظاهر الحياة الدنيا، ويعرف أن ليس النعيم أو البـــؤس، ولا النفـــع أو الضرر في هذه الحياة الدنيا هو المقياس لمرضاة الله أو سخطه، وأن الثواب أو العقاب على الأعمال من جانب الله لا ينتهي في هذه الدنيا فحسب، وإنما سيأتي بعد هذه الحياة الدنيا عالم آخر سيحكم فيه الله بين عباده ويجزيهم على أعمالهم إن خيراً فخير وإن شـــراً فـــشر، وأن ليس العبرة إلا بجزاء الله تعالى في ذلك العالم، والتيقن أن الفوز في ذلك العالم لا يكون إلا بأن يتبع قانون الله ويلزم ما وضع من الحدود[٢] .

فالعامل الديني المتمثل بالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخـــر ،يمثـــل الأساس القويم الذي تبنى عليه الحضارة، لأنه الطريق الصحيح الذي يحقق سعادة الإنـــسان

---

[١] الحضارة الإسلامية أسسها ومبادئها، أبو الأعلى المودودي، ص٢٨٥ .

[٢] المرجع السابق،ص ٢٨٦ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

www.manaraa.com

في الدارين،والحضارة التي لا تقوم على هذا الأساس حضارة بائسة تقود أبنائها إلى الشقاء في الدنيا والآخرة.

يقول المودودي: فالإسلام حين يثبت هذه العقيدة عقيدة الإيمان بالله واليوم والآخر في قلب الإنسان فكأنه بذلك يلقى في روعه حارساً من الشرطة الخلقية، يدفعه إلى العمل ويحثه على التقيد بأوامر الله تعالى والتصور الإسلامي للكون والإنسان يهيئ عوامل تستحث المرء وتحضه على العمل وفق ما يقتضيه القانون الخلقي[١] .

وخلاصة الأمر : أن الالتزام بأركان الإيمان والعمل بمقتضاها هو الذي يحقق غاية الوجود الإنساني وينشئ الحضارة الصحيحة .

ولقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم الأمة إلى إتقان العمل ومراقبة الله تعالى في كل الأحوال، فعلّم الأمة الإحسان إلى جانب تعليمها الإسلام والإيمان، وأمرها أن تحسن العمل وتراقب الله فيه لأنه يعلم السّر وأخفى ويرى كل عمل يعمله الإنسان، وهو ما يجعل فضائل الأخلاق نابعة من أعماق النفس فيتحقق لها الدوام والاستمرار، ويتوقى السلوك مزالق الرياء والنفاق .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان يوما بارزا للناس إذ أتاه رجل **فقال: يا رسول الله ما الإيمان؟، قال: (الإيمان: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ولقائه، وتؤمن بالبعث الآخر) قال: يا رسول الله ما الإسلام؟، قال: (الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان) قال: يا رسول الله ما الإحسان؟، قال:(أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك...)**[٢].

فقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث إلى مراقبة الله تعالى واستشعار وجوده في كل الأحوال، ولا شك أن هذا من الأمور التي تحجز الإنسان عن فعل المعصية وتدفعه إلى فعل الخير، ولا يخفى أثر ذلك في بناء المجتمع المتحضر .

---

(١) نظام الحياة في الإسلام، أبو الأعلى المودودي، ص١٦ .

(٢) صحيح البخاري واللفظ له، كتاب التفسير، باب قوله إن الله عنده علم الساعة، رقم ٤٤٩٩، ج١٧٩٣/٤، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الإيمان والإسلام والإحسان، رقم ١٠،ج٣٩/١ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وعن شداد بن أوس، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(إن الله كتب الإحسانَ على كل شيءٍ فإذا قتلتم فأحسنوا القِتلةَ، وإذا ذبحتُم فأحسنوا الذِّبحَ، وليُحدَّ أحدُكُم شفرته فليرح ذبيحته)**[1] .

فقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث إلى الإتقان في كل شيء وهذا الإتقان نابع من الإيمان .

" فالإتقان والإحسان قيمتان حضاريتان جليلتان، يقترنان في الإسلام بالإيمان، فيرعاهما ضمير المؤمن لا أجهزة السلطة الحاكمة، وهكذا يداوم الإيمان على حث المؤمن على فعل الأحسن والأفضل، مما يحفظ مسيرة الفرد والجماعة نحو التقدم والترقي دائماً"[2]. وخلاصة الأمر أن الوحي الإلهي والالتزام به هو الذي يحقق الامتداد الحضاري الحقيقي في عالم الإنسان .

المطلب الثالث : دور العبادات في بناء الحضارة .

اهتم النبي صلى الله عليه وسلم بالعبادات وأكد على ضرورة الالتزام بها، وذلك لما للعبادة من دور فاعل في توثيق الصلة بالله ، وتهذيب سلوك البشر والسير بهم على طريق الخير والفلاح، ومما يدل على اهتمامه صلى الله عليه وسلم بالعبادات، ما ذكر بعض كتب السيرة بأن بناء المسجد النبوي، كان من أول الأعمال التي قام بها النبي عند قدومه للمدينة المنورة[3]

فقد حرص النبي صلى الله عليه وسلم على بناء المسجد النبوي ليكون مقرا للعبادة وأداء الشعائر الدينية، وتعلم أحكام الدين وتوحيد الأمة وجمع شملها على كلمة التوحيد ، فللمسجد دور كبير في إيجاد التآلف بين المسلمين وتهذيب سلوكهم وتعليمهم الانضباط والنظام ، ولا شك أن هذا مما يدفع بالإنسان ليقوم بدوره الحضاري على أكمل وجه.

يقول محمود زقزوق: (نود أن نلفت الأنظار إلى حقيقة مهمة تتمثل في وعود إلهية ثلاثة للمؤمنين ورد ذكرها في القرآن الكريم، وهي وعود يؤدي تحقيقها إلى الوصول بالأمة الإسلامية إلى الدرجة العليا في التقدم الحضاري . وقد وردت هذه الوعود الثلاثة بقوله

---

(1) صحيح مسلم واللفظ له، كتاب الإمارة، باب الأمر بإحسان الذبح، رقم ١٩٥٥،ج١٥٤٨/٣، سنن أبي داود، كتاب الضحايا، باب في النهي عن أن تصبر البهائم، رقم ٢٤٣٢، ج٤٨٥/٧، سنن الترمذي، كتاب الديات، باب ما جاء في النهي عن المثلة، رقم ١٣٢٩، ج٢٩٥/٥ .

(2) القيم الحضارية في رسالة الإسلام، محمد فتحي، ص١٢٢ .

(3) السيرة النبوية، ابن هشام ،ج٢/ ١٦١،البداية والنهاية ،ابن كثير،ج٢٢٠/٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تعالى: ﴿*وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا...﴾[1] .

فهذه الوعود لا تتحقق للمسلمين إلا باستيفاء شرطين أساسيين هما :-

الإيمان بالله والعمل الصالح، فالإيمان هو الأساس والعمل الصالح هو البناء، ويفهم البعض أن العمل الصالح هو مجرد أداء الشعائر الدينية المعروفة وهذا خطأ فاحش، لأنه يعني التقوى السلبية، وهذا ليس المقصود من العبادات في الإسلام، فالشعائر الدينية أو العبادات بجانب أنها تعبير عن الخضوع لله وحده، فإنها من ناحية أخرى تهيئ الإنسان لكي يكون عضواً صالحاً في مجتمعه، يفعل الخير لنفسه ولمجتمعه استجابة لأمر الله تعالى بإصلاح الأرض ومنع الفساد فيها، وبالتالي يكون إعمار الأرض وصنع الحضارة فيها عبادة لأنه استجابة لأمر الله تعالى) [2] .

فقد اعتبر الإيمان بالله تعالى والقيام بالأعمال الصالحة، من الأمور التي يتوقف عليها التقدم الحضاري، فالأمة التي لا تؤمن بالله ولا تقوم بواجبها نحو ربها لا يمكن أن توصف بأنها أمة متحضرة.

فالتقوى مفتاح الخيرات، وسبيل لتطهير الأمة من أسباب الفساد والانحلال، **قال تعالى: (*ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون*)[3].**

ومن المعلوم أن مفهوم العبادة في الإسلام يتسع ليشمل كل تصرفات الإنسان، ولا يقتصر على ما افترضه الله علينا من العبادات المعروفة كالصلاة والصيام والحج والزكاة، فللعبادة مفهوم خاص يتمثل بأداء العبادات المفروضة، ومفهوم عام يشمل كل تصرفات الإنسان ما دامت بنية التقرب إلى الله تعالى .

---

[1] سورة النور، آية ٥٥ .
[2] الحضارة فريضة إسلامية، محمود حمدي زقزوق، ص٤٥ .
[3] سورة الأعراف ، آية ٩٦ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

يقول ابن تيمية : فالعبادات اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، فالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين وغير ذلك مما أمر الله به فهو عبادة [1] .

إن من أهم ما يميز المجتمع المسلم عن غيره من المجتمعات أنه مجتمع مؤمن بالله، يقيم الشعائر التي تجسد صلته بالله وتحقق عبوديته له، وأولها شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ثم تأتي الفرائض الأربع: الصلاة والزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما:عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(بني الإسلام على خمسةٍ: على أن يوحد الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان والحجِّ)**[2] .

ولا شك أن الصلاة من وسائل إعداد المسلم ليكون أهلاً للحياة في العالم الآخر وهي رباط دائم يقوي صلة العبد بربه ، ووسيلة من وسائل الاستعانة بالله على الشدائد، وحاجز يحجز الإنسان عن الفحشاء والمنكر وارتكاب المعاصي والآثام، فالصلاة سبيل لتطهير النفس وتربيتها وتوجيهها الوجهة الصحيحة التي تحقق لها السعادة في الدنيا والآخرة.

ويظهر ذلك من خلال جملة أحاديث ذكرها المصطفى صلى الله عليه وسلم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(ألا أدلكم على ما يمحو اللهُ به الخطايا، ويرفع به الدرجات؟) قالوا: بلى يا رسول الله، قال:(إسباغُ الوضوءِ على المكارهِ، وكثرة الخُطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط)**[3].

وعن أبي أمامة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول في حجة الوداع: **(اتقوا الله ربكم، وصلوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأدوا زكاة أموالكم، وأطيعوا إذا أمركم، تدخلوا جنة ربكم)**[4].

---

(1) العبودية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ص٣٨ .

(2) صحيح البخاري، كتاب الإيمان ، باب الإيمان وقول النبي صلى الله عليه وسلم بني الإسلام على خمس، رقم ٨،ج١/١٢، صحيح مسلم، واللفظ له، كتاب الإيمان، باب أركان الإسلام، رقم ١٦،ج١/٤٥.

(3) صحيح مسلم واللفظ له، كتاب الطهارة، باب فضل إسباغ الوضوء، رقم ٢٥١،ج١/٢١٩، سنن الترمذي، كتاب الطهارة، باب ما جاء في إسباغ الوضوء، رقم ٤٧، ج١، ٨٧ .

(4) سنن الترمذي واللفظ له، كتاب السفر، باب ما ذكر في فضل الصلاة، رقم ٦١٦،ج١/٦٠٢، وقال: هذا حديث حسن صحيح، الحاكم في المستدرك، كتاب الإيمان، باب اعبدوا ربكم، رقم ١٩، ج١/٢٢ وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

فقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم أداء الصلاة وسائر العبادات من أسباب دخول الجنة، وكم للطاعة والانقياد لأمر الله تعالى من آثار في بناء الحضارة الإسلامية، فقد جاء الإسلام بالعبادات والشعائر للإنسان لتنقي سريرته وتهذب نفسه، وتبلّغه مرضاة ربه عز وجل وهذا كله لا يبلغه الإنسان إلا إذا كان صادقاً مع الله في عباداته، يبتغي بها مرضاة ربه. وقد أكد النبي صلى الله عليه وسلم على أهمية الصيام، وذلك لما للصيام من دور بارز في تهذيب النفس البشرية وحبسها عن ارتكاب المعاصي والآثام.

فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(يقول الله تعالى: كلُّ عمل ابن آدم له إلا الصيام، فإنه لي وأنا أجزي به، والصيام جُنَّة[1]، وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب[2]، فإن سابَّه أحدٌ أو قاتله فليقل: إني امرؤٌ صائمٌ، والذي نفسُ محمدٍ بيده، لخُلُوفُ فم الصائم أطيبُ عند اللهِ من ريح المسك، للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح، وإذا لقي ربَّه فرح بصومه)**[3] .

فقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن في الصيام إبعاد للنفس من الوقوع في المعاصي والمنكرات، ولاشك أن تهذيب النفس البشرية مطلب من المطالب التي لابد منها لإيجاد مجتمع متحضر يعيش أبناؤه بأمن واستقرار.

قال ابن العربي: إنما كان الصوم جُنّة من النار لأنه إمساك عن الشهوات، والنار محفوفة بالشهوات، فالحاصل أنه إذا كف نفسه عن الشهوات في الدنيا كان ذلك ساتراً له من النار في الآخرة[4] .

والنبي صلى الله عليه وسلم يبين أن الهدف من الصيام تربية النفس على الفضائل وأنه لا فائدة من الصيام إذا لم ينعكس على سلوك الفرد ويهذب أخلاقه .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(من لم يدع قولَ الزور والعمل به، فليس لله حاجةٌ في أن يدع طعامَهُ وشرابَهُ)**[5].

فليس المقصود من شرعية الصوم نفس الجوع والعطش بل ما يتبعه من كسر الشهوات وتطويع النفس، فإذا لم يحصل ذلك لا ينظر الله إليه نظر القبول[6] .

---

(1) الجُنّة : بضم الجيم الوقاية والستر، فتح الباري، ابن حجر، ج١٢٩/٦ .
(2) الصخب: الخصام والصياح، فتح الباري، ابن حجر، ج١٤٤/٦ .
(3) صحيح البخاري واللفظ له، كتاب الصوم، باب هل يقول إني صائم إذا شتم ، رقم ١٨٠٥،ج٦٧٣/٢، صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب حفظ اللسان للصائم ، رقم ١١٥١،ج٨٠٦/٢.
(4) فتح الباري، ابن حجر، ج١٠٨/٤ .
(5) صحيح البخاري واللفظ له، كتاب الصوم، باب من لم يدع قول الزور، رقم ١٨٠٤،ج٦٧٣/٢، سنن أبي داود، كتاب الصيام، باب الغيبة للصائم، رقم ٢٣٦٢، ج٧٢٠/١، مسند أحمد، رقم ٩٨٣٨، ج٤٥٢/٢ .
(6) فتح الباري، ابن حجر، ج١١٦/٤ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library- Yarmouk University
www.manaraa.com

فالعبادات التي شرعها الله لنا تعوّد الإنسان على أن يحيا بأخلاق صحيحة، وأن يظل متمسكاً بهذه الأخلاق مهما تغيرت الظروف، والنبي صلى الله عليه وسلم يدعو إلى الصيام كعلاج لبعض الأمراض الاجتماعية التي قد تؤدي إلى فساد الأمة وانحطاطها ويبين أن الصيام يقي المجتمع من هذه الآفات .

فعن عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم: **(يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة[1] فليتزوج، فإنه أغضُّ للبصر، وأحصنُ للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء[2])**[3] .

فالنبي صلى الله عليه وسلم يبين أن عبادة الصوم تهذب نفس الإنسان وتكبح جماح الشهوة عنده، وتقي المجتمع من شيوع الزنا والانحلال الخلقي ولا شك أن في ذلك تحقيق لتقدم المجتمع ورقيه وبناء أعظم حضارة عرفتها البشرية .

وقد أكد النبي صلى الله عليه وسلم على ضرورة البذل والإنفاق والقيام بالعبادات المالية، وذلك لما لها من دور بارز في بناء الحضارة الإنسانية، فالزكاة تبني في نفس الإنسان القدرة على الإنفاق في سبيل الله وتطهر النفس من البخل والقسوة والأثرة، وتبني المجتمع بتنظيم حياة أفراده، وهي ضمان اجتماعي يرفع مستوى المجتمع كله ويحول دون وجود المحتاجين، وهي سبيل لحفظ التوازن بين طبقات المجتمع،وطريق لنشر المحبة بين أفراده، ولا يخفى أن لهذا اثر كبير في تقدم الأمة وبناء حضارتها.

فقد جاءت نصوص كثيرة من الكتاب والسنة وكلها تلامس قلب المؤمن الغني فتفجر فيه الأريحية في البذل والسخاء وتجعله يقبل بعطائه على الفئات الفقيرة، والمحتاجة فعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(يقولُ العبدُ مالي مالي، إنما له من ماله ثلاثٌ: ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلى، أو أعطى فاقتنى[4]، وما سوى ذلك فهو ذاهبٌ، وتاركه للناس)**[5] .

فالنبي صلى الله عليه وسلم يبين أن المال الذي يعود على المرء بالنفع في الدنيا والآخرة هو الذي ينفقه في سبيل الله تعالى .

---

(1) مؤن النكاح، شرح النووي على مسلم، ج٧٠/٥ .
(2) أي أن ترض أنثيا الفحل رضاً شديداً يذهب شهوة الجماع، النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ج٣٣٠/٥ .
(3) صحيح البخاري واللفظ له، كتاب النكاح، باب من لم يستطع الباءة، رقم ٤٧٧٩، ج١٩٥٠/٥، صحيح مسلم، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح، رقم ١٤٠٠، ج١٠١٨/٢ .
(4) أي ادخره لأخرته، أي ادخر ثوابه، شرح النووي على مسلم، ج٣٤٧/٩ .
(5) صحيح مسلم واللفظ له، كتاب الزهد والرقائق، بداية الباب، رقم ٢٩٥٨، ج٢٢٧٣/٤، سنن الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في الزهادة في الدنيا، رقم ٢٢٦٤، ج٣٣٨/٨، مسند أحمد، رقم ١٥٧١٥، ج٤٤/٣٣ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب، ولا يقبل الله إلا الطيب، وإن الله يتقبلها بيمينه، ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه، حتى تكون مثل الجبل)**[1] .

فهذا التوجيه النبوي السامي يربي الأمة الإسلامية على البذل والعطاء وسد حاجة الفقراء والمحتاجين، ولا شك أن ذلك من وسائل تقدم المجتمع ورقيه، فالعبادات إذن هي الطريق إلى النجاة ولا سعادة في الدنيا والآخرة إلا بها.

يقول ابن تيمية: "فالقلب لا يصلح ولا يفلح ولا ينعم ولا يسر ولا يلتذ ولا يطيب ولا يسكن ولا يطمئن إلا بعبادة ربه وحده، وحبّه والإنابة إليه، ولو حصل له كل ما يتلذ به من المخلوقات لم يطمئن ولم يسكن، إذ أن فيه فقر ذاتي إلى ربه بالفطرة من حيث هو معبوده ومحبوبه ومطلوبه"[2].

فالإيمان بالله تعالى وطاعته والتوكل عليه، سبيل لتحقيق الخير للبشرية، **فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (لو أنكم توكلتم على الله حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير، تغدوا خماصا وتروح بطانا)**[3].

فالإنسان حين يتيقن بأن الرزق بيد الله تعالى، فإنه يبتعد عن كسب المال بالباطل، فيطهر نفسه ومجتمعه من أسباب الانحلال التي تدمر الحضارة.

يظهر من خلال ما تقدم أن للعبادة دورا فاعلا في بناء الحضارة الإسلامية، وذلك لأنها تربي النفس البشرية وتوجهها نحو السلوك الصحيح، وتطهرها من الاستسلام لملذات الدنيا وشهواتها، فالإنسان حين يستشعر بأنه عبد لله عز وجل تسمو أخلاقه، ويبتعد عن سبل الانحراف والجريمة.

فالعبادة تعمل على بناء السلوك الحضاري الذي يدفع بالفرد إلى التقدم في كافة مجالات الحياة وهي سبيل لوحدة الأمة وجمع كلمتها .

---

(1) صحيح البخاري واللفظ له، كتاب الزكاة، باب الصدقة من كسب طيب، رقم ١٣٤٤،ج٢/٥١١، صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة، رقم ١٠١٤، ج٢/٧٠٢، مسند أحمد ، رقم ١٣٢١، ج٥/٢٢١ .

(2) العبودية، أحمد بن تيمية، ص١٠٨ .

(3) سنن ابن ماجة واللفظ له ، كتاب الزهد ، باب التوكل واليقين ، رقم ٤١٦٤،ج٢/١٣٩٤. مسند أحمد ، رقم ٣٧٠،ج١/٥٢ ، وقال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح . المستدرك للحاكم ، رقم ٧٨٩٤،ج٤/٣٥٤، وقال: حديث صحيح الإسناد .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

المطلب الرابع :- ترك المحرمات ودوره في بناء الحضارة .

إن الذي يلتزم أمر الله عز وجل بفعل الواجبات وترك المحرمات، فإن الله عز وجل يحقق له الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة . قال تعالى: **﴿... فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى﴾**[1]، فهو في أمان من الضلال والشقاء بإتباع هدى الله تعالى[2]، فالالتزام بما جاء من عند الله هو الذي يحقق غاية الوجود الإنساني وينشئ الحضارة الصحيحة، فالحضارة ليست مجرد البراعة في الإنتاج المادي، وإن كان هذا مطلوباً للنجاح والتمكين في الأرض، ولكن هذه البراعة وحدها من غير التزام بالمنهج الصحيح لا تنشئ حضارة حقيقية بل تنشئ حضارة جاهلية فالحضارة الحقيقة والصحيحة هي التي تعمر الأرض بمقتضى المنهج الرباني[3].

وقد بينت الشريعة الإسلامية للأمة ما يحل لها وما يحرم عليها وبينت أن الخير كل الخير في التزام أمر الله والابتعاد عما نهى عنه.

فعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(إنَّ الحلال بيِّنٌ، وإنَّ الحرام بيِّنٌ، وبينهما مشتبهاتٌ لا يعلمُهُن كثيرٌ من الناس، فمن اتَّقى الشبهات إستبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات، وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى، يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكلِّ ملكٍ حمىً، ألا وإنَّ حمى اللهِ محارمُهُ، ألا وإنَّ في الجسد مضغةً، إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الجسدُ كُلُّهُ، وإذا فسدت فسد الجسدُ كلُّه، ألا وهي القلب)**[4] .

فقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث، إلى الابتعاد عن المحرمات، وعن كل سبيل قد يؤدي للوقوع بها، وذلك لما لفعل المحرمات من دور في تدمير الفرد والجماعة.

---

(1) سورة طه، آية ١٢٣ .
(2) في ظلال القرآن، سيد قطب، ج٥/١٤٠ .
(3) لا إله إلا الله عقيدة وشريعة، محمد قطب، ص١٠٢ .
(4) صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب الحلال بينٌ والحرام بينٌ، رقم ١٩٤٦،ج٢/٢٢٣، صحيح مسلم واللفظ له، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، رقم ١٥٩٩،ج٣/١٢١٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

قال النووي: "ولله تعالى حمى وهي محارمه أي المعاصي التي حرمها الله، كالقتل، والزنا، والسرقة، والقذف، والخمر، والكذب، والغيبة، والنميمة، وأكل المال بالباطل، وأشباه ذلك فكل هذا حمى لله تعالى من دخله بارتكاب شيئاً من المعاصي استحق العقوبة" [1].

فالالتزام بترك المحرمات واتقاء الشبهات يحقق للإنسان رضوان الله تعالى وينقي المجتمع من شيوع الفساد والانحلال، ويوجد مجتمع متميز في سلوكه وأخلاقه ومعاملاته، ولا يخفى ما لهذا من أثر في بناء الحضارة .

والنبي صلى الله عليه وسلم يحذر من اقتراف المحرمات ويبين أنها سبب للهلاك فعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: **(اجتنبوا السبع الموبقات[2]، قالوا: يا رسول الله وما هنّ، قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتَّولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات)**[3]

فقد عد النبي صلى الله عليه وسلم الشرك بالله تعالى، والسحر، وقتل النفس الإنسانية بغير حق، واكل أموال الناس بالباطل، والفرار من مواجهة العدو في ساحة الجهاد، ورمي المؤمنات العفيفات بالزنا، من أسباب هلاك الأمة، وذلك لما لارتكاب هذه المحرمات من أثر في القضاء على كيان الأمة وتدمير حضارتها، ولا شك أن حياة الأمة ورفعتها لا تكون إلا باجتناب هذه المحرمات .

يقول محمد قطب: "إن المجتمع الإسلامي سواء في الريف أو البادية، أو المدينة، أقل مجتمعات العالم جريمة وأقلها وقوعاً في الفاحشة، نتيجة إيمانه بالله واليوم الآخر ونتيجة تطبيق المنهج الرباني وتطبيق شريعة الله، وهذا عنصر حضاري لا يجوز أن نغفله ونحن نتحدث عن المقتضى الحضاري للا إله إلا الله" [4] .

فإن الأمة التي يؤمن أبناؤها بالاختيار المطلق والفاعلية المطلقة للإنسان، تندفع للأخذ بالأسباب بلا قيود خلقية أو قيم مثالية نابعة من عقيدة صحيحة، فيسيطر عليهم

---

(1) شرح النووي على صحيح مسلم، حديث رقم ٢٩٩٦، ج٤٦٩/٥ .
(2) الذنوب المهلكات، النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير، ج٣١٥/٥ .
(3) صحيح البخاري واللفظ له، كتاب الحدود، باب رمي المحصنات، رقم ٦٤٦٥،ج٢٥١٥/٦، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر، رقم٨٩،ج٩٢/١.
(4) لا إله إلا الله عقيدة وشريعة، محمد قطب، ص١٠٦ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

الغرور والتكبر والجبروت والفرح بما أوتوا من العلم والمدنية، ويستخدمون كل ذلك في الظلم والبغي والعدوان على غيرهم، وفيما بينهم وينتهي بهم الأمر إلى تدمير أنفسهم وحضارتهم بالانحطاط الخلقي والوحشية في المعاملات .

أما المسلم فهو ملتزم بمنهج رباني وبشريعة محكمة، مفروضة عليه من ربه أحلت له الحلال وحرمت عليه الحرام، ورسمت له الصراط المستقيم، فهو مقيد في حياته كلها بما أحل الله له وليس له أن يفعل ما يشتهي، فلا يحل له تناول المحرمات والإضرار بنفسه أو بغيره بل هو مقيد فيما يفعل بأحكام الشريعة الإسلامية وإذا تجاوز ذلك فإنه يعرض نفسه لعقوبة الله تعالى[1] .

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم إن أداء العبادات وحدها لا ينجي الإنسان يوم القيامة، إلا إذا صاحب ذلك ترك المحرمات.

فعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(أتدرون ما المفلس؟ قالوا: المفلسُ فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال:(إنَّ المُفلسَ من أمتي، يأتي يومَ القيامةِ بصلاةٍ وصيامٍ وزكاةٍ، ويأتي وقد شتم، هذا وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيُعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناتُهُ، قبل أن يُقْضَى ما عليه، أخِذَ من خطاياهم فطُرِحَت عليه، ثم طُرح في النار)**[2] .

فقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث، من الاعتداء على الناس وشتمهم واتهامهم بالباطل، ومن ضربهم وقتلهم وأكل أموالهم، وبين أن ذلك من موجبات دخول النار يوم القيامة، وما ذلك إلا من أجل المحافظة على المجتمع طاهرا نقيا من أسباب الفساد والانحلال التي تدمر حضارتهم.

والنبي صلى الله عليه وسلم يبين أيضاً أن اجتناب المحرمات سبب لنيل ثواب الله تعالى، وهذا ظاهر في أحاديثه، فعن سهل بن سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(مَنْ يضمَنْ لي ما بين لَحْيَيْهِ[3]، وما بين رجليه، أضمنُ له الجنَّة)**[4] .

---

(1) أنظر: الإسلام والعلم التجريبي، فاروق الدسوقي، ص٥٣-٥٤ .

(2) صحيح مسلم واللفظ له، كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، رقم ٢٥٨١، ج١٩٩٧/٤، سنن الترمذي، كتاب القصاص، باب شأن الحساب والقصاص، رقم ٢٤١٨، ج٦١٣/٤، مسند أحمد، رقم ٨٠١٦، ج٣٠٣/٢ .

(3) هما العظمان في جانبي الفم، والمراد بما بينهما اللسان، فتح الباري، ابن حجر، ج٣٠٩/١١ .

(4) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان رقم ٦١٠٩، ج٢٣٧٦/٥، سنن الترمذي، كتاب الزهد، باب حفظ اللسان، رقم ٢٤٠٨، ج٦٠٦/٤، مسند أحمد، رقم ٣٨٠٤، ج٤٠١/١ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

قال ابن بطال: "دلَّ الحديث على أن أعظم البلاء على المرء في الدنيا لسانه وفرجه، ومن وقي شرهما وقى أعظم الشر" [1] .

وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من ارتكاب كل ما من شأنه إلحاق الأذى بالأمة، **فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم وهو مؤمن)**[2].

فقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن الزنا، وشرب الخمر، والسرقة، أعمالا تنافي الإيمان وتنقصه، وذلك لما لهذه المنكرات من آثار مدمرة، تعود على الفرد والمجتمع، فالأمة التي ينتشر فيها الزنا وتناول المسكرات والمخدرات، والنهب والسلب، أمة تخلت عن كل القيم والأخلاق النبيلة، وحكمت على أبنائها بالهلاك والدمار في الدنيا قبل الآخرة.

وقد وجه المصطفى صلى الله عليه وسلم الأمة، للقضاء على كل مظهر من المظاهر التي قد تؤدي إلى انتشار المعاصي والمنكرات، **فعن أبن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط، فاقتلوا الفاعل والمفعول به)**[3].

فقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل من يعمل عمل قوم لوط، وذلك لمنع انتشار هذا المرض الخطير الذي يدمر الأخلاق والقيم النبيلة.

ونهى كذلك عن الإفساد بين الناس، **فعن أبن عباس رضي الله عنهما قال: مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقبرين فقال: (إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير، أما أحدهما: فكان لا يستتر من البول، وأما الآخر: فكان يمشي بالنميمة)**[4].

فالإفساد بين الناس من الأسباب التي توجب العذاب في القبر، وذلك لما له من دور بارز في زرع الأحقاد بين أبناء الأمة، فهو يفضي إلى التقاتل والتنازع، الذي يقضي على هيبة الأمة ووحدتها.

---

(1) فتح الباري، ابن حجر، ج٣١٠/١١ .
(2) صحيح البخاري، كتاب الحدود ، باب ما يحذر من الحدود ، رقم ٦٣٩٠، ج٢٤٨٧/٦.
(3) سنن أبي داود ، كتاب الحدود ، باب فيمن يعمل عمل قوم لوط ، رقم ٤٤٦٢،ج٥٦٤/٢. سنن ابن ماجة ، كتاب الحدود ، باب من عمل عمل قوم لوط ، رقم ٢٥٦١،ج٨٥٦/٢. وقال الألباني حديث صحيح ، صحيح سنن ابن ماجة ، رقم ٢٠٧٥،ج٨٣/٢.
(4) صحيح البخاري ، كتاب الوضوء ، باب ما جاء في غسل البول ، رقم ٢١٥،ج٨٨/١ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

وقد دعت السنة النبوية إلى الابتعاد عن كل ما يضعف الروابط بين الناس، ويقلل الثقة بينهم، **فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان)**[1] .

يبين النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث، أن الكذب ونقض العهد وخيانة الأمانة من صفات المنافقين، لينفر الأمة من التخلق بهذه الأخلاق الذميمة، التي تهدد كيان الأمة وتضعف الروابط بين أبنائها.

فاجتناب المحرمات والتورع عنها له دور كبير في بناء الحضارة الإسلامية، وذلك لأن المجتمع الذي تصان به الأعراض، وتحترم فيه الحقوق من الاعتداء عليها، تنتشر فيه المحبة، ويعمه الأمن والرخاء، وهذا لا يكون إلا بإتباع كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم .

[1] صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب علامة المنافق ، رقم ٣٣،ج٢١/١ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

المبحث الثاني

العامل الاجتماعي

دعا الإسلام إلى الترابط بين أفراد المجتمع كافة قال تعالى: ﴿ ... **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ...**﴾[1] .

وأكد كذلك على ضرورة المحافظة على المجتمع من أسباب الفساد والانحلال حتى يتم البناء الحضاري ويندفع المجتمع نحو النمو والارتقاء .

وهذا ما سوف نتعرف عليه من خلال معرفة المراد بالعامل الاجتماعي، وبيان منهج الإسلام في تنظيم الروابط الاجتماعية، والقضاء على التمييز العنصري والدعوة إلى التعاون وحفظ الحقوق.

المطلب الأول :- مفهوم العامل الاجتماعي .

قال ابن منظور: جمع الشيء عن تفرقة، يجمعه جمعاً وجمعه وأجمعه فاجتمع، والجميع ضد المتفرق، والجماعة عدد كل شيء وجمعه[2] .

وقال الفيروز أبادي: جماع الناس أخلاطهم من قبائل شتى، ومن كل شيء مجتمع، أي كل ما اجتمع وانضم إلى بعضه بعضاً [3].

فالمجتمع يطلق على مجموع الناس الذين يرتبطون بعلاقات دائمة.

(والنظام الاجتماعي هو الأفكار التي ينظم الإسلام بموجبها علاقات الأفراد مع بعضهم البعض، بهدف تقوية الترابط والتجانس الفكري والتعاون المادي بينهم في مواجهة متطلبات الحياة)[4] .

يقول صلاح الفوال: وعلم الاجتماع هو الذي يتناول بالدراسة الجماعات من حيث صور أو نماذج تنظيمها الداخلي، والعمليات التي تميل إلى استمرار أو تغيير هذه الصورة التنظيمية والعلاقات بين الجماعات[5] .

---

(1) سورة المائدة، آية ١٠ .
(2) لسان العرب، ابن منظور، ج٨/٥٣ .
(3) القاموس المحيط ، الفيروزآبادي ، ج٢/٢٦٣ .
(4) دراسات في الثقافة الإسلامية، صالح ذياب هندي، ص١٤١ .
(5) علم الاجتماع، المفهوم والموضوع والمنهج، صلاح مصطفى الفوال، دار الفكر، بيروت، ط١، ص٢٤ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

فالمقصود بالعامل الاجتماعي إذن أثر ترابط أفراد المجتمع، وتعاونهم وتوثيق العلاقات بينهم في بناء الحضارة الإسلامية .

المطلب الثاني :- تنظيم الروابط الاجتماعية .

المجتمع المسلم مجتمع متميز، وذلك لأنه مجتمع أحكمت صياغته شريعة الإسلام الخالدة، وقد قام هذا المجتمع على أسس أرادها الله تعالى لعباده، ولم يقم على أسس أقامها البشر، فشريعة الإسلام، هي التي صنعت المجتمع المسلم وحددت علاقة الإنسان الذي يعيش فيه بربه، وبنفسه وأسرته، وبأقربائه وذوي رحمه، وبجيرانه وأصدقائه، وبأفراد مجتمعه قاطبة، وقد تميز المجتمع المسلم عن غيره من المجتمعات، لأن صانعه ومنشئه وبانيه أدرى بما يصلح للبشر من الفلاسفة والمفكرين وعلماء الاجتماع، الذين يتصدون لوضع أسس المجتمعات البشرية[1] .

ويظهر تنظيم الإسلام للروابط الاجتماعية من خلال الأمور التالية :

١- الحث على الزواج .

كما هدف الإسلام إلى تكوين الفرد أو الإنسان الصالح، بوصفه اللبنة الأساسية في البنيان الاجتماعي للأمة، هدف كذلك إلى بناء الأسرة الصالحة، التي هي الخلية الأولى والضرورية لقيام المجتمع الصالح .

فاعتنى الإسلام عناية كبيرة بتقوية الأسرة وشرع لها نظاماً دقيقاً يحفظ المجتمع من آفات الفساد والانحلال الاجتماعي، والفوضى الجنسية، فأوجب الإسلام الزواج الذي يؤدي إلى صيانة الأعراض وعفة النفوس، حتى يبقى المجتمع المسلم نقياً طاهراً صالحاً لأداء رسالته في الحياة .

فالمجتمع الإسلامي مجتمع طاهر نظيف يقوم على تلبية دوافع الفطرة وإشباع الغريزة بطريق مشروع لا عن طريق الفوضى وإرضاء النزعة الحيوانية والشهوة الجنسية من أي سبيل، فإنه يقوم على أساس الأسرة الشرعية المتينة القوائم وعلى البيت العلني

---

[1] المجتمع المسلم كما يبينه الإسلام في الكتاب والسنة، محمد علي الهاشمي، دار البشائر، بيروت، ط١ ، ص١١ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

الواضح المعالم، بحيث يعرف كل طفل أباه وكل أب ابنه الذي من صلبه في محضن الزوجية الشرعي، العامر بالمودة والرحمة .

قال تعالى: ﴿... وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً...﴾[1] .

إنه المجتمع النظيف العفيف الطاهر الذي لا تشيع فيه الفاحشة، ولا تروج فيه الفتنة، ولا ينتشر فيه التبرج، ولا تلتفت فيه الأعين إلى العورات[2] .

وقد اعتنى الإسلام بالزواج وحث عليه في الكتاب والسنة، فعن عبد الله بن عمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فاليتزوج، فإنه أغضُّ للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطيع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء)**[3] .

فقد حث النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث على الزواج وبين أن هذا الزواج سبيل للحفاظ على المجتمع من أسباب الفساد والانحلال .

فقد نظم الإسلام علاقة الرجل بالمرأة عن طريق الزواج وجعل هذه العلاقة من أسمى العلاقات وذلك لأنها سبيل لبناء المجتمع وطريق لزيادة التعارف بين الناس وكذلك فإن الزواج هو الطريق الوحيد لحفظ النسل وقوة الأمة ولا يخفى ما لهذا من دور بارز في بناء الحضارة الإنسانية والأصل الذي يجب أن يقوم عليه الزواج في الإسلام هو الدين والخلق الطيب .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(تنكحُ المرأةُ لأربع: لمالها ولحسبها، وجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدِّين، تَربَت يداك)**[4] .

فقد بين النبي صلى الله عله وسلم الأمور التي تنكح من أجلها المرأة، ولكنه أكد على ضرورة الارتباط بصاحبة الخلق والدين، ولا شك أن في هذا مصلحة عظيمة تعود على المجتمع بالنفع والخير، حيث أن صاحبة الدين تربي أبنائها على الفضيلة ولا يحفى ما لهذا من أثر في بناء المجتمع الحضاري المؤمن بالله .

---

(1) سورة الروم، آية ٢١ .
(2) انظر:المجتمع المسلم كما يبنيه الإسلام في الكتاب والسنة، محمد الهاشمي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١، ص٣٧٤ .
(3) صحيح البخاري واللفظ له، كتاب النكاح، باب قول النبي من استطاع منكم الباءة، رقم ٤٧٧٨، ج٥/١٩٥٠، صحيح مسلم، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح، رقم ١٤٠٠، ج٢/١٠١٨ .
(4) صحيح البخاري واللفظ له، كتاب النكاح، باب الأكفاء في الدين، رقم ٤٨٠٢، ج٥/١٩٥٨، صحيح مسلم، كتاب الرضاع، باب استحباب نكاح ذات الدين، رقم ١٤٦٦، ج٢/١٠٨٦، سنن النسائي، كتاب النكاح، باب كراهية تزويج الزناة، رقم ٣٢٣٠، ج٦/٦٨

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

٢- الدعوة إلى بر الوالدين وصلة الأرحام .

وصى القرآن الكريم الأبناء بالوالدين، قال تعالى: ﴿ *وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾[١]. وقد حث النبي صلى الله عليه وسلم على بر الوالدين وصلة الأرحام لما في ذلك من الخير والأجر الذي يعود على المجتمع ويحقق له السعادة في الدنيا والآخرة.

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: **سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت: يا رسول الله، أيُّ العمل أفضلُ؟ قال:(الصلاة على ميقاتها)، قلت: ثم أيٌّ؟ قال: (ثم برٌّ الوالدين)، قلت: ثم أي؟ قال: (الجهاد في سبيل الله)**[٢]

أمر النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث ببر الوالدين ولا شك أن هذا البر يولد المحبة بين الأبناء والآباء ويقوي الصلة بين أفراد المجتمع، فالمجتمع الذي لا يسوده الإحسان للوالدين لا يعد مجتمعاً متحضراً .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: **جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، من أحقُّ الناس بحُسن صحابتي؟ قال: (أمك)، قال: ثم من؟ قال: (ثم أمك)، قال: ثم من؟ قال:(ثم أمك)، قال: ثم من؟ قال: (ثم أبوك)**[٣] .

فالنبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث يدعو إلى بر الوالدين وفي هذا تأكيد من النبي صلى الله عليه وسلم على ضرورة تقوية العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع وخصوصاً علاقة الأبناء بالآباء، فالمجتمع لا يستقر ولا يسعد إلا إذا سادت فيه المحبة والألفة، وأقرب دائرة تجدها بعد دائرة البيت الضيقة هي دائرة الأقرباء وذوي الأرحام، والإسلام يريد أن يرى الذين يمت بعضهم إلى بعض بأواصر الأبوة والأمومة أو المصاهرة متعاونين متوادين متضامنين، فقد أمر الإسلام بصلة الرحم واعتبرها من أعظم الحسنات

---

(١) سورة الإسراء، آية ٢٣-٢٤ .

(٢) صحيح البخاري واللفظ له، كتاب الجهاد والسير، باب فضل الجهاد، رقم ٢٦٣٠، ج٣/١٠٢٥، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كون الإيمان أفضل الأعمال، رقم ٨٥، ج١/٨٩ .

(٣) صحيح البخاري واللفظ له، كتاب الأدب، باب من أحق الناس بحسن الصحبة، رقم ٥٦٢٦، ج٥/٢٢٢٧، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب بر الوالدين، رقم ٢٥٤٨، ج٤/١٩٧٤، سنن ابن ماجة، كتاب الأدب، باب بر الوالدين، رقم ٣٦٥٨، ج٢/١٢٠٧ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

مثوبة عند الله، فشر الناس وأبغضهم في نظر الإسلام رجل يعامل أقرباءه وعشيرته بالنكران واللؤم وسوء الخلق[١] .

وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم إلى صلة الرحم، لما لذلك من دور في بناء المجتمع المسلم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(مَنْ سرَّهُ أن يُبسط له في رزقه، وأن يُنْسَأ[٢] له في أثره، فليصل رحِمَهُ)**[٣] .

فقد حث النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث على صلة الرحم، وبين أنها سبب في سعة الرزق وحصول البركة في العمر، فأراد بذلك أن يبني مجتمعاً متحضراً يقوم على أساس المودة والتراحم.

وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(إنَّ الرحمَ شُجْنَةٌ[٤] من الرحمن، فقال الله: من وصلك وصلته، ومن قطعك قطعته)**[٥] .

فصلة الرحم سبيل إلى توفيق الإنسان وطريق إلى نيل رضوان الله عز وجل وذلك لما لها من أثر في إشاعة المحبة والألفة بين أفراد المجتمع المسلم فالإسلام يدعو إلى الترابط والتعاون والتكافل من أجل الارتقاء بالإنسان والسمو به .

٣- حق الجار والوصية به .

"إن المجتمع الذي تنظمه عقيدة صالحة ينبثق عنها تشريع ينظم علاقات الناس وأخلاق وقيم تنبني عليها أعرافهم وعاداتهم، هو المجتمع الذي تضمن له الوحدة والتماسك، ويسوده العدل والنظام وتتكافل جماعاته وأفراده وتحكمه الطمأنينة والسلام، ومن هنا كان أساس المجتمع في نظر الإسلام العقيدة الإسلامية، وكان المفهوم في نظر الإسلام أن المجتمع الذي لا عقيدة له سوف ينهار لأنه مجتمع تنقصه المحبة والإخاء والترابط، ويفقد القيم السليمة والمقومات الأساسية له" [٦] .

---

(١) نظام الحياة في الإسلام، أبو الأعلى المودودي، ص٤٤ .
(٢) ينسأ أي يؤخر، النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير، ج١٠٨/٥ .
(٣) صحيح البخاري واللفظ له، كتاب الأدب، باب من بسط له في الرزق بصلة الرحم، رقم ٥٦٣٩، ج٢٢٣٢/٥، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب صلة الرحم، رقم ٢٥٥٧، ج١٩٨٢/٤ .
(٤) أي قرابة مشتبكة كاشتباك العروق شبهه بذلك، النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير، ج١١٠٠/٢ .
(٥) صحيح البخاري واللفظ له، كتاب الأدب، باب من وصل وصله الله، رقم ٥٦٤٢، ج٢٢٣٢/٥، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب صلة الرحم، رقم ٢٥٥٥، ج١٩٨١/٤ .
(٦) المجتمع المتكافل في الإسلام، عبد العزيز الخياط، دار السلام، بيروت، ط٣، ص١٢ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

فقد دعا الإسلام إلى الترابط بين المسلمين كافة وأرشد إلى كل سبيل يحقق للمجتمع الأمن والسعادة وينشر المحبة بين أفراده، فلم يكتف الإسلام بالأمر ببر الوالدين وصلة الرحم وغير ذلك بل أكد أيضاً على حق الجار وحث على الإحسان له، وهذا ما أرشد إليه المصطفى صلى الله عليه وسلم في أحاديثه، فعن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(مازال جبريلُ يوصيني بالجار، حتى ظننتُ أنَّهُ سيورِّثُهُ)**[1].

وعن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(والله لا يؤمنُ، والله لا يؤمنُ، واللهِ لا يؤمن)، قيل: ومن يا رسول الله؟ قال: (الذي لا يأمن جارُهُ بوائِقهُ[2])**[3] .

بهذه الأحاديث يؤكد النبي صلى الله عليه وسلم على حق الجار ويدعو إلى الإحسان له لأن ذلك يقوي الصلة بين أفراد المجتمع وينشر الأمان والمحبة، وقد حث النبي صلى الله عليه وسم على التكافل بين أفراد المجتمع، وبين أن من شأن المسلم الإحساس بمن حوله، والشعور به وأن الأنانية ليست من صفات المؤمنين .

فعن أبي ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(يا أبا ذرٍّ! إذا طبخت مرقة، فأكثر ماءها، وتعاهد جيرانك)**[4] .

فخلاصة الأمر أن الإسلام يريد أن يؤلف بين الجيران ويجعلهم متضامنين في كل ما يحل بهم من الأفراح والأتراح ويقيم بينهم عناصر الثقة والاعتماد حتى يأمن كل واحد منهم أخاه على نفسه وماله وعرضه ولا يخفى أن هذا سبيل إلى تقدم المجتمع ورقيه .

٤- قضاء حوائج المسلمين .

سعى النبي صلى الله عليه وسلم إلى ربط قلوب أصحابه برباط المحبة والألفة ، ودعا إلى إعانة الضعيف، وسد حاجة العاجز عن العمل، وقضاء حوائج المسلمين وإعانتهم، فعن عبد الله بن عمر، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(المسلمُ أخو المسلمِ، لا يظلمه ولا يُسْلِمُهُ، ومن كان في حاجة أخيه، كان الله في حاجته، ومن فرَّج عن مسلمٍ**

---

(1) صحيح البخاري واللفظ له، كتاب الأدب، باب الوصاية بالجار، رقم ٥٦٦٩، ج٥/٢٢٣٩، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب الوصية بالجار، رقم ٢٦٢٤، ج٤/٢٠٢٥، مسند أحمد، رقم ٦٤٩٦، ج٢/١٦٠ .

(2) أي غوائله وشروره، النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير، ج١/٢٤٦ .

(3) صحيح البخاري واللفظ له، كتاب الأدب، باب أثم من لا يأمن جاره بوائقة، رقم ٥٦٧٠، ج٥/٢٢٤٠، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان تحريم إيذاء الجار، رقم ٤٦، ج١/٦٨ .

(4) صحيح مسلم واللفظ له، كتاب البر وصلة، باب الوصية بالجار، رقم ٢٦٢٥، ج٤/٢٠٢٥، سنن ابن ماجة، كتاب الأطعمة، باب من طبخ فليكثر ماءه، رقم ٣٣٦٢، ج٢/١١١٦، مسند أحمد، رقم ٢١٤٦٥، ج٥/١٦١ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

كربة، فرَّج اللهُ عنه كربةً من كربات يوم القيامة، ومَنْ ستر مسلماً سترهُ الله يوم القيامة)[1] .

يبين النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث صفات المجتمع المسلم وأنه مجتمع متعاون متساند ويحث على ذلك ولا يخفى أن هذا مما يحقق السعادة والاستقرار للمجتمع ويساعد في بناء الحضارة الإسلامية .

المطلب الثالث : القضاء على التمييز العنصري .

لقد جاءت تشريعات الإسلام للإنسان شاملة كاملة متوازنة، فحققت له الطمأنينة والراحة والسعادة، في حياته الفردية والاجتماعية، فالمجتمع المسلم مجتمع إنساني عالمي مفتوح لكل البشر، على اختلاف أجناسهم وألوانهم ولغاتهم وأديانهم وعقائدهم، فهو ليس مجتمعاً عنصرياً ولا قومياً ولا محلياً قائماً على الحدود الجغرافية، بل هو مجتمع إنساني يرد البشرية كلها إلى أصل واحد، وينفي عنها كل نعرة عنصرية أو جنسية، ويقرر أنه لا فضل لجنس على جنس ولا ميزه لعنصر على عنصر إلا بالتقوى، والعمل الصالح، فهذا وحده هو ميزان التفاضل بين البشر، أما اختلاف الأجناس والألوان واللغات فلا يدل على ميزة ولا أفضلية، ولم يُرد الله به إلا التعارف والتلاقي قال تعالى: ﴿ *يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[2].

وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم إلى المساواة التامة بين البشر، ونبذ العصبية والعنصرية، فخاطب أمته قائلا: **(يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى... الحديث)**[3].

فالنبي صلى الله عليه وسلم يبين أن ميزان التفاضل هو التقوى، فالإيمان هو مفتاح شخصية هذه الأمة ووحدتها، وهو الأساس الذي قامت عليه، وميزها عن غيرها من الأمم،

---

(1) صحيح البخاري واللفظ له، كتاب المظالم، باب لا يظلم المسلم المسلم، رقم ٢٣١٠،ج٨٦٢/٢.

(2) سورة الحجرات، آية ١٣ .

(3) مسند أحمد واللفظ له، رقم ٢٣٥٣٦، ج٤١١/٥، وقال شعيب الأرنؤوط إسناده صحيح، الطبراني في المعجم الكبير، رقم ١٦، ج١٢/١٨، الهيثمي في مجمع الزوائد، أبواب في الحلق والتقصير، باب الخطب في الحج، رقم ٥٦٢٢، ج٥٨٦/٣، وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

لذلك قام البناء على أساس مترابط ومميز، يختلف عن كل حضارات الأمم قاطبة، لأن بناء حضارات الأمم السابقة واللاحقة كان على أساس العرق والجنس، حيناً والإقليم والبقعة الأرضية حيناً آخر، والمصالح في بعض الأحيان أما الإسلام فانه يرتقي ويترفع عن كل ذلك فقد بني المجتمع الإسلامي على أساس العقيدة، مما يؤدي إلى التعاون والتعارف والتكافل والمحبة والتآخي والتناصح .

فقد نقل الإسلام الناس نقلة كبيرة نقلهم من سجن القبلية الضيقة إلى باحة الأمة الواسعة، وحذر أشد التحذير من الدعوة إلى العصبية بكل ألوانها وخصوصاً العصبية للقبيلة.

فعن جندب بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(من قُتل تحت رايةٍ عُمِّيَّةٍ، يدعو عصبية، أو ينصر عصبية، فقِتْلَة جاهلية)**[1] .

قال النووي: أي يقاتل لشهوة نفسه وعصبية لقومه وهواه[2] .

فقد أراد الإسلام أن يبني أمته على أساس العقيدة وليس على أساس مادي أو أرضي مما يبني عليه البشر أممهم من عنصر أو لون أو لغة .

يقول صبحي الصالح: حفظ الإسلام كرامة المرأة لإصلاح الأسرة التي كان قبله تتخبط في الظلام، فقد بلغ الإسلام في تكريم المرأة ما لم يبلغه تشريع اجتماعي في القديم ولا في الحديث، إذ اعترف بأهليتها في الحقوق المدنية والمالية، ولم يفرق بينها وبين الرجل في المجال الإنساني أو الاجتماعي، وأول ما صنعه الإسلام لصيانة كرامة الأنثى، أنه حارب كرهها والتشاؤم منها فهي في الكرامة الإنسانية مساوية للرجل وحرم وأد البنات، وحث على تربية البنت وتأديبها والإحسان إليها[3] .

قال صلى الله عليه وسلم: **(من ولدت له أنثى فلم يئدها ولم يهنها ولم يؤثر ولده- يعني الذكر- عليها أدخله الله بها الجنة)**[4] .

فالنبي صلى الله عليه وسلم يدعو إلى عدم التمييز بين الذكر والأنثى ولا شك أن هذا مما يحقق السعادة ويدخل السرور على الأسرة .

---

(1) صحيح مسلم واللفظ له، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين، رقم ١٨٥٠، ج١٤٧٨/٣، سنن النسائي كتاب تحريم الدم، باب التغليظ فيمن قاتل تحت راية عمية، رقم ٤١١٥، ج١٢٣/٧، سنن ابن ماجة، كتاب الفتن، باب العصبية، رقم ٣٩٤٨، ج١٣٠٢/٢ .

(2) شرح النووي على صحيح مسلم ، ج٢٣٩/١٢ .

(3) النظم الإسلامية، صبحي الصالح، ص٤٤١ .

(4) صحيح الحاكم في المستدرك واللفظ له رقم ٧٣٤٨، ج١٩٦/٤، وقال حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب فضل من عال يتيما، رقم ١٤٦، ج٧٥٩/٢، مسند أحمد بن حنبل، رقم ١٩٥٧، ج٢٢٣/١ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

إنه لإنجاز حضاري بشري رائع أن يتحول العرب من قبائل متناحرة متباغضة، إلى مجتمع متآخ متحاب متواد متماسك، فعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)**[1] .

فأخوة العقيدة الإسلامية هي أساس المجتمع المسلم وهي أقصى ما بلغه مجتمع إنساني من الترابط والتساند، ومما لا شك فيه أن الربط بين القلوب برباط المحبة في الله لا يوجد إلا في المجتمع المسلم، وأنها لرابطة لا تقدّر بأموال الأرض كلها، ذلك أن الحب في الله الذي نجده في المجتمع المسلم لا يستطيع بلوغه إلا من صفت نفوسهم وسمت أرواحهم وهانت عليهم الدنيا بجانب مرضاة الله عز وجل .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

[1] صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس، رقم ٥٦٦٥، ج٥/٢٢٣٨، صحيح مسلم، واللفظ له، كتاب البر والصلة، باب تراحم المؤمنين، رقم ٢٥٨٦، ج٤/١٩٩٩ .

www.manaraa.com

المطلب الرابع :- التعاون وحفظ الحقوق .

تتفاوت المجتمعات البشرية في المستوى الذي وصلت إليه من الرقي والتقدم، بحسب توافر المقومات الإنسانية فيها، من حماية للأرواح والأجسام والأعراض والعقول والأموال، وسيادة المثل العليا وتحقيق الحياة الكريمة الراقية للإنسان .

وهذه المقومات الإنسانية هي حقوق للناس، ومن واجب السلطة الحاكمة الراشدة حماية هذه الحقوق وتعزيزها ومنع المساس بها أو الاعتداء عليها، وهذا كله لا يتم إلا بالتصدي لعوامل الشر والإفساد والانحطاط الخلقي والاجتماعي في المجتمع، كجرائم القتل والإيذاء الجسدي والسرقة والغصب، وشيوع التحلل والزنا والقذف والذم والاعتداء على كرامة الإنسان .

ومن خلال النظر لمنهج الحياة الذي اختطه الله لعباده في المجتمع ندرك بأن هذا المنهج قد كفل هذه المقومات الإنسانية وضمن تلك الحقوق على أتم وجه وأقوم صورة وتصدى لمحاربة الفساد[1] .

فقد ربى النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه على الأخلاق الفاضلة، وحثهم على التعاون والترابط، وحذّر من التقاطع والتباغض، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(لا تحاسدوا، ولا تناجشوا[2]، ولا تباغضوا، ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله، ولا يحقره، التقوى هاهنا)، ويشير إلى صدره ثلاثَ مراتٍ(بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه)**[3] .

تعد هذه الأحكام التي طرحها الرسول صلى الله عليه وسلم قفزة كبيرة جداً في حياة الإنسانية، التي كانت تعاني من الظلم والتأخر وضياع الحقوق، فقد تناول هذا الحديث أموراً عظيمة تدل على أن الإسلام دين الحضارة الراقية فقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم إلى إشاعة المحبة في المجتمع المسلم، وترك الحسد وكل ما من شأنه إيقاع العداوة والبغضاء بين المسلمين، وأكد على وجوب احترام حقوق المسلمين، وعدم الاعتداء عليها فحرم الاعتداء على نفس المسلم وماله وعرضه، فهذا التوجيه النبوي يعد بمثابة دستور اجتماعي

---

(1) أنظر: المجتمع المسلم كما يبنيه الإسلام، علي الهاشمي، ص٣٣٤ .

(2) أي أن يأتي شخص يزيد في ثمن سلعة من السلع وهو لا يريد شراءها ليقع غيره فيها، النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير، ج٥/٥١ .

(3) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد، رقم ٥٧١٧،ج٥/٢٢٥٣، صحيح مسلم واللفظ له، كتاب البر والصلة، باب تحريم ظلم المسلم، رقم ٢٥٦٤، ج٤/١٩٨٦، سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب شفقة المسلم على المسلم، رقم ١٩٢٧، ج٤/٣٢٥ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

يحقق لمن يلتزم به العيش بأمان واستقرار ويحقق له الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة وهذا يدل على أن الحضارة الإسلامية أرقى الحضارات .

فالإسلام يدعو إلى احترام الحقوق وإشاعة المحبة بين أفراد المجتمع بكل الطـــرق والوسائل وهذا ما يظهر من سنته صلى الله عليه وسلم فعن البراء بن عازب قال: **(أمرنـــا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبع، ونهانا عن سبع، أمرنا بعيادة المـــريض، وإتبـــاع الجنازة، وتشميتِ العاطس، وإبرار القسم أو المقسم، ونصر المظلوم، وإجابـــة الـــداعي، وإفشاء السلام ... الحديث)**[1] .

فقد حث النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث على الكثير من الأخلاق الفاضلة التي تعمل على نشر المحبة بين أفراد المجتمع، وتقوي الروابط بينهم، وما ذلك إلا من أجل بناء مجتمع متحضر يسوده الأمن والاستقرار.

يتبين من خلال ما سبق أن للتعاون والترابط بين أفراد المجتمع أثرا كبيرا في بنـــاء الحضارة الإسلامية، إذ لا يمكن لأمة من الأمم أن تقيم حضارة ســـوية إذا كـــان أبناؤهـــا يعانون من الفرقة والتنازع.

[1] صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب الأمر بإتباع الجنائز، رقم ١١٨٢، ج٤١٧/١، صحيح مسلم واللفظ له، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم استعمال أواني الذهب، رقم ٢٠٦٦، ج٣/ ١٦٣٥ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

المبحث الثالث

العامل السياسي

تمهيد :

لا يستطيع الناس أن يعيشوا منعزلين عن بعضهم، بل لابد من اختلاطهم واجتماعهم، فكان لابد من وجود سلطة تنظم أمورهم، وتمنع الظلم بينهم وتوفر لهم الأمن والاستقرار في حياتهم، وهذا لا يكون إلا بوجود سلطة سياسية منظمة تطبق شريعة الإسلام.

فسوف أتناول في هذا المبحث إن شاء الله تعالى العامل السياسي وأثره في إقامة الحضارة الإسلامية، وذلك من خلال بيان المراد بالعامل السياسي، والوقوف على منهج الإسلام في إقامة الحكم الإسلامي، ومعرفة دور الدولة الإسلامية في بناء الحضارة.

المطب الأول :- مفهوم العامل السياسي .

السياسة لغة : من ساس بمعنى دبّر وأمر ونهى، وسست الرعية إذا أمرتها ونهيتها، وساس الأمر سياسة، قام به[1] والسياسة القيام على الشيء بما يصلحه، والسياسة بمعنى القيادة فساس بمعنى قاد[2] .

فالسياسة في اللغة إذن بمعنى القيادة والقيام على الشيء بما يصلحه .

السياسة اصطلاحاً :

السياسة: هي استصلاح الخلق، بإرشادهم إلى الطريق المنجي في الدنيا والآخرة[3].

فهي إذن إدارة شؤون الرعية وفق منهج الشرع.

وسياسة الإسلام تعني حسن قيادته للناس في كل مجال من مجالات الحياة ليس في الدنيا فقط بل في الدنيا والآخرة[4] .

---

(1) القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ج١٨١/٤ .
(2) لسان العرب، ابن منظور، ج١٠٧/٦ .
(3) النظام السياسي في الإسلام، شوكت محمد عليان، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط١، ص٧ .
(4) الجانب السياسي في حياة الرسول، أحمد أحمد، دار القلم الكويت، ط١، ص٩ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

ومفهوم السياسة عندما تنسب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تعني: بذل الوسع فكراً وسلوكاً في تصريف أمور الناس لإحقاق الحق وإبطال الباطل، فليس الجانب السياسي عند الرسول صلى الله عليه وسلم إلا هذا المعنى المشرق، في عالم السياسة الحكيمة، أي قيادة الناس باسم الله لتنفيذ شريعة الله، حتى لا تزيغ الأهواء ولا تلتبس عليهم السبل[1] .

والسياسة الشرعية: هي قيام ولي الأمر المسلم أو من ينوبه في سلطته العامة، على تدبير الأصلح في شؤون الدولة والرعية، وفق مقتضيات الشرع في أحكامه وقواعده العامة، ومقاصده الكلية[2] .

وأقصد بالعامل السياسي: أثر وجود السلطة الحاكمة، التي تطبق شريعة الله تعالى في بناء الحضارة الإسلامية .

المطلب الثاني :- إقامة الحكم الإسلامي .

للالتزام والنظام وإقامة الحكم الإسلامي دور مهم وفعال في بناء الحضارة الإسلامية، فلا يمكن لأمة من الأمم أن يسودها الأمن والنظام واحترام الحقوق، إلا بوجود سلطة سياسية تقيم شرع الله عز وجل وتطبق أحكامه، والأمة التي تحيد عن منهج الله عز وجل وتحتكم إلى غير شريعته، أمة حادت عن المنهج الصحيح والطريق السليم وحكمت على أبنائها بالشقاء.

قال تعالى: **﴿*فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾**[3] .

فالآية الكريمة تبين أن عدم الرضا بحكم الله ورسوله يعدّ خروجا عن الإيمان، يؤيد ذلك ما روا أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: **(لا يؤمن أحدكم حتى أكونَ أحبَّ إليه من والده وولده، والناس أجمعين)**[4] .

قال الخطابي: فمعناه لا تصدق في حبي حتى تفني في طاعتي نفسك وتؤثر رضاي على هواك وإن كان فيه هلاكك[5] .

---

(1) المرجع السابق، ص١٠ .
(2) قواعد السياسة الشرعية في تعيين موظفي الدولة في الإسلام، مجيد محمود أبو حجير، دار الثقافة، عمان، ط١، ص١٨ .
(3) سورة النساء، آية ٦٥ .
(4) صحيح البخاري واللفظ له، كتاب الإيمان، باب حب الرسول، رقم ١٥، ج١٤/١، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب محبة رسول الله، رقم ٤٤، ج٦٧/١ .
(5) شرح النووي، صحيح مسلم، ج١٥/٢ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

فطاعة النبي صلى الله عليه وسلم والاحتكام لأمره، طريق يضمن لمن يلتزم به الخير والفلاح في الدنيا والآخرة، **فعن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يؤمن أحدكم، حتى يكون هواه تبعا لما جئت به)**[1].

وقد حث المصطفى صلى الله عليه وسلم على التزام النظام في كل شيء وأكد على احترام حقوق الآخرين، وعدم الاعتداء عليها ومراعاة أحكام الشرع في البيع والشراء والزواج والتقاضي وسائر أنواع التعامل بين الناس، وهذا كله لا يكون إلا بوجود سلطة سياسية تتولى تنظيم شؤون الناس، فتعاليم الإسلام لا ترتضي أن يعيش المسلون في فوضى وشتات، ولا ترتضي أن تحكم المسلمين الأهواء والطواغيت، فالإسلام يتطلب النظام ونصب القيادة المختارة المسئولة المطاعة حتى في الجماعة الصغيرة والعمل المحدود ومما يدل على ذلك ما روي عن أبي سعيد الخدري، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدَهم)**[2] .

قال الخطابي: إنما أمر بذلك ليكون أمرهم جميعاً ولا يتفرق بينهم الرأي ولا يقع بينهم الاختلاف[3] .

فأوجب الرسول صلى الله عليه وسلم تأمير الواحد في الاجتماع القليل العارض في السفر تنبيهاً بذلك على أنواع الاجتماع[4] .

ويقول الشوكاني تعليقاً على هذا الحديث: وإذا شرع هذا لثلاثة يكونون في فلاة من الأرض أو يسافرون، فشرعه لعدد أكثر يسكنون القرى والأمصار ويحتاجون لرفع التظالم، وفصل التخاصم أولى وأحرى، وفي ذلك دليل لقول من قال: إنه يجب على المسلمين نصب الأئمة والولاة والحكام[5] .

" فنظام الحكم يعد من أهم أجزاء النظام الإسلامي، فهو عمود هذا النظام وقلبه والمعول عليه في تطبيق كل أنظمة الإسلام الأخرى الاقتصادية، والاجتماعية، والإدارية، والقضائية، والجزائية، والتربوية، والعسكرية، فبدون نظام الحكم لا يمكن تطبيق الإسلام في مجالات الحياة، إذ كيف يمكن لنا أن نطبق أحكام الإسلام في المجال الاقتصادي أو الجزائي

---

(1) فتح الباري ، ابن حجر العسقلاني، ج١٣/٢٨٩، وقال: رجاله ثقات ، وقد صححه النووي في الأربعين النووية. وذكره صاحب كنز العمال، ج١/٣٧٧ .

(2) سنن أبي داود واللفظ له، كتاب الجهاد، باب في القوم يسافرون يؤمرون أحدهم، رقم ٢٦٠١، ج٢/٤٣، الحاكم في المستدرك، رقم ١٦٢٣، ج١/٦١١، وقال صحيح على شرط الشيخين، صحيح ابن خزيمة، كتاب المناسك، باب استحباب تأمير المسافرين أحدهم، رقم ٢٥٤١، ج٤/١٤١، مجمع الزوائد، كتاب الجهاد، باب الأمير في السفر، رقم ٩٣٠٧، ج٥/٤٦٥ وقال رجاله رجال الصحيح خلا عبيس وهو ثقة

(3) عون المعبود، العظيم آبادي، ج٧/١٩١ .

(4) السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، أحمد بن تيمية، دار المعارف، بيروت، ط٤، ص١٦٩ .

(5) نيل الأوطار، محمد بن علي الشوكاني، مكتبة مصطفى البابي، مصر، ط١، ج٨/٢٨٨ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

بدون نظام حكم يطبق مبادئ الاقتصاد الإسلامي، أو قواعد العقوبة الإسلامية ويرعاها، فنظام الحكم هو مجموعة الأحكام والقواعد التي تشرف على تطبيقها ورعايتها دولة إسلامية تستمد مقوماتها من القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة" [١] .

يقول الماوردي: الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا، وعقدها لمن يقوم بها واجب بالإجماع وإن شذ عنهم الأصم[٢].

ويقول ابن تيمية: يجب أن يعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين، بل لا قيام للدين إلا بها، فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض[٣].

والنصوص الشرعية صريحة بضرورة وجود حاكم للأمة الإسلامية ومن هذه النصوص :

قال تعالى: ﴿*يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾[٤] .

وعن عبد الله بن عمر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **(من خلع يداً من طاعةٍ، لقي الله يوم القيامة، ولا حُجَّةَ له، ومن مات وليس في عنقه بيعةٌ، مات ميتة جاهلية)**[٥] .

فالنبي صلى الله عليه وسلم يؤكد في هذا الحديث على ضرورة مبايعة إمام للمسلمين، ويحذر من ترك ذلك، لان حياة الأمة واستقامة أمرها لا تكون إلا بوجود إمام للمسلمين، يطبق شرع الله عز وجل، ويحفظ الأمن والنظام، ويحول دون فساد الأمة، وبغي بعضها على بعض.

ومما يؤكد ضرورة ذلك أيضا، ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(كانت بنو إسرائيل تسوسُهُمُ الأنبياءُ، كلما هلك نبيٌّ خلفه نبيٌّ، وإنه لا نبي بعدي، وسيكون خلفاءُ فيكثرون)، قالوا: فما تأمرنا؟ قال:(فوا بيعة الأولَ فالأول، وأعطوهم حقَّهُم، فإن الله سائِلُهُم عمَّا استرعاهم)**[٦].

---

[١] دراسات في الفكر العربي الإسلامي، إبراهيم زيد الكيلاني، ص٢٠٥ .
[٢] الأحكام السلطانية، علي بن حبيب الماوردي، دار الفكر، بيروت، ط١، ص٥ .
[٣] السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، أحمد بن تيمية، ص١٦٩ .
[٤] سورة النساء، آية ٥٩ .
[٥] صحيح مسلم واللفظ له، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين، رقم ١٨٥١، ج١٤٧٨/٣، مسند أحمد، رقم ٥٥٥١، ج٨٣/٢، سنن البيهقي، رقم ١٦٣٨٩، ج١٥٦/٨ .
[٦] صحيح البخاري واللفظ له، كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم ٣٢٦٨، ج١٢٧٣/٣، صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء، رقم ١٨٤٢، ج١٤٧١/٣، سنن ابن ماجة، كتاب الجهاد، باب الوفاء بالبيعة، رقم ٢٨٧١، ج٩٥٨/٢ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

قال ابن حجر: " في الحديث إشارة إلى أنه لابد للرعية من قائم بأمورها يحملها على الطريق الحسنة وينصف المظلوم من الظالم " [1] .

قال الإمام الغزالي: الدنيا مزرعة الآخرة ولا يتم الدين إلا بالدنيا، والملك والدين +توأمان، فالدين أصل والسلطان حارس، وما لا أصل له فمهدوم، وما لا حارس له فضائع، ولا يتم الملك والضبط إلا بالسلطان[2] .

وقد حث النبي صلى الله عليه وسلم على طاعة الحكام، واعتبر طاعتهم فرضاً من الفروض لأنه لا يتصور وجود نظام سليم وحياة مستقرة دون أن يكون هناك عدل من الحكام وطاعة من الرعية للحكام، وشورى بين الحكام والمحكومين.

فءعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(اسمعوا وأطيعوا، وإن استُعمِلَ عليكم عبدٌ حبشيٌّ، كأن رأسه زبيبة)**[3] .

فالنبي صلى الله عليه وسلم يؤكد على وجوب طاعة الحكام والأمراء لما في ذلك من تحقيق لمصلحة العباد في الدنيا والآخرة، ولكن هذه الطاعة ليست طاعة مطلقة بل مقيدة.

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(السمعُ والطاعةُ على المرءِ المسلمِ، فيما أحبَّ وكرهَ، ما لم يُؤمَرْ بمعصيةٍ، فإذا أمِرَ بمعصيةٍ، فلا سمع ولا طاعة)**[4] .

يؤكد النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث على وجوب طاعة ولي الأمر، ويبين أن هذه الطاعة ليست طاعة مطلقة بل مقيدة بإقامة شرع الله وعدم الأمر بالمعصية، فإذا تجاوز الإمام ذلك ولم يطبق شريعة الإسلام وأمر العباد بفعل المعاصي فلا طاعة له في ذلك، لأن الغاية من تنصيب الإمام إقامة شرع الله والعدل بين الناس ورفع التظالم والإمام الذي لا يحقق هذه الغاية لا تجب طاعته .

فالإسلام لا يأمر الناس أن يطيعوا الإمام طاعة عمياء بل يوجههم إلى الطاعة الواعية، ويبين أن على المسلمين أن ينصحوا ولاة أمورهم فسياسة المسلمين مشاركة وتعاون بين الراعي والرعية، ولا يخفى ما لهذا من دور بارز في بناء الحضارة الإسلامية وازدهارها .

---

[1] فتح الباري، ابن حجر، ج٤٩٧/٦ .
[2] إحياء علوم الدين، الغزالي، ج٧١/١ .
[3] صحيح البخاري واللفظ له، كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة، رقم ٦٧٢٣، ج٢٦١٢/٦، سنن النسائي، كتاب الجماعة والإمامة، باب إمامة العبد، رقم ٦٦١، ج٢٤٦/١، سنن ابن ماجة، كتاب الجهاد، باب طاعة الإمام، رقم ٢٨٦٠، ج٩٥٥/٢ .
[4] صحيح البخاري واللفظ له، كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة، رقم ٦٧٢٥، ج٢٦١٢/٦، سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب في الطاعة، رقم ٢٦٢٩، ج٤٧/٢، مسند أحمد، رقم ٤٦٦٨، ج١٧/٢ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من الخروج على الإمام العادل، للحفاظ على المجتمع الإسلامي من الفوضى والفساد .

فعن أبن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(من رأى من أميره شيئاً يكرَهُهُ، فليصبر، فإنه من فارق الجماعة شبراً، فيموت، إلا مات ميتة جاهلية)**[1] .

فالنبي صلى الله عليه وسلم يحذر من معصية السلطان، وحل عقد البيعة التي حصلت لذلك الأمير، ولو بأدنى شيء فكنّى عن ذلك بمقدار الشبر لأن ذلك يؤول إلى سفك الدماء بغير حق، والذي يخرج على الإمام يموت كموت أهل الجاهلية على ضلال وليس له إمام مطاع، لأن أهل الجاهلية كانوا لا يعرفون ذلك[2] .

وهذا يدل على أن العيش بدون نظام وإمام يدير شؤون المسلمين هو قمة الجاهلية والتخلف، وأن العيش في دولة إسلامية تطبق شريعة الإسلام قمة الحضارة والتقدم .

وعن عرفجة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **(من أتاكم وأمرُكُم جميعٌ، على رجلٍ واحدٍ، يريد أن يَشُقَّ عصاكم، أو يفرق جماعتَكُم، فاقتلوه)**[3].

فالنبي صلى الله عليه وسلم يحث على مقاتلة من يسعى إلى تفريق جماعة المسلمين ويبين جواز قتله إذا لم يندفع إلا بذلك، وهذا يدل على أهمية وحدة المسلمين ويبين أن ذلك لا يكون إلا إذا كان لجماعة المسلمين أمام واحد يتولى إدارة شؤون المسلمين لأن التعدد يؤدي إلى التنازع ووقوع الخلاف .

وخلاصة الأمر انه لا يمكن لأمة من الأمم أن تصنع حضارة تحقق السعادة لأبنائها إلا بوجود سلطة حاكمة، تقيم شرع الله عز وجل وتحفظ الأمن والنظام وتحمي المجتمع من أسباب الانحلال والفساد، والأمة التي تفتقر إلى ذلك لا تستطيع الصمود طويلا وسرعان ما تنهار حضارتها وتتلاشى.

---

(1) صحيح البخاري واللفظ له ، كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة، رقم ٦٧٢٤، ج٢٦١٢/٦، صحيح مسلم ، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين، رقم ١٨٤٩، ج١٤٧٧/٣ .

(2) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ج٧/١٣ .

(3) صحيح مسلم واللفظ له، كتاب الإمارة، باب حكم من فرق أمر المسلمين، رقم ١٨٥٢، ج٣/ ١٤٨٠، سنن النسائي، كتاب تحريم الدم، باب قتل من فارق الجماعة، رقم ٤٠٢٢، ج٩٣/٧، مسند أحمد، رقم ١٨٣٢١، ج٢٦١/٤ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

المطلب الثالث :- دور الدولة الإسلامية في بناء الحضارة .

لا يمكن لحضارة على وجه الأرض أن تعيش دون أن تستقر، ولا يمكن لها أن تستقر وتهنأ ما لم تستظل بظل نظام سياسي يتولى حمايتها ويقيم العدل بين أطرافها، ويدفع العداة والغزاة عن ممتلكاتها ومنجزاتها ، والنظام السياسي ذو أهمية كبيرة في البناء الحضاري، وهو مقوماً أساساً وركناً من أركان الحضارة التي لا تقوم إلا بها.

يقول محمد علي ضناوي : وفي هرم الضوابط الحضارية تأتي الدولة ضمن مفهوم ومعطيات أصلية ترعى الإنسان وتكفل تجمعه وتسهل له معايشه، وتفسح له المجال رحيباً لتحقيق التفاعل المستمر بين الإنسان والبيئة والأكوان، محققة في مجملها الأمن والعدل والسعادة والاستقرار والكفاية، وهي صفات أساسية في مقياس حضارة من الحضارات، ولا يخفى دور القيادة الراشدة الواعية في تصعيد الحضارة، فتعين على تفتح الكفاءات وتدريبها في سبيل استمرارية العمل الحضاري المنتج، والقيادة هنا كل مسؤول تتفاعل معه الدولة بدءاً بالإمام الأعلى وانتهاء بالشرطي مروراً بكل المكونات القيادية الأخرى[1] .

وقد اعتبر النبي صلى الله عليه وسلم واجب النهوض بالأمة الإسلامية مسؤولية كل فرد من أفراد المجتمع .

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **(كلكم راع ومسؤولٌ عن رعيتهِ، فالإمامُ راع وهو مسؤولٌ عن رعيته، والرجل في أهله راع وهو مسؤول عن رعيته، والمرأةُ في بيت زوجها راعيةٌ، وهي مسؤولةٌ عن رعيتها، والخادمُ في مال سيِّدهِ راع وهو مسؤولٌ عن رعيته)**[2] .

والراعي هو الحافظ المؤتمن الملتزم صلاح ما قام عليه، وما هو تحت نظره ومن كان تحت نظره شيء فهو مطالب بالعدل فيه والقيام بمصالحه في دينه ودنياه ومتعلقاته[3].

فيجب على كل فرد من أفراد الأمة أن يسعى بكل جدٍ ونشاط من اجل تحقيق التقدم والازدهار في كافة مجالات الحياة.

" ومن الوسائل الجليلة لبناء الحضارة الإسلامية بناء واقعياً على أسسها الفكرية الراسخة، إقامة الحكم الإسلامي، المتقيد بأسس الإسلام وتعاليمه وإرشاداته ووصاياه، ومن

---

(1) مقدمات في فهم الحضارة، محمد علي ضناوي، ص٣٣-٣٥ .

(2) صحيح البخاري واللفظ له، كتاب الاستقراض، باب العبد راع، رقم ٢٢٧٨، ج٨٤٨/٢، صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل، رقم ١٨٢٩، ج١٤٥٩/٣ .

(3) شرح النووي على صحيح مسلم، ج١٢، ص٢١٣ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

شأن هذه الوسيلة أن تكون مستمرة مع الزمن لمتابعة البناء الحضاري وصيانته، والمفروض في الحكم الإسلامي السوي، أن يستخدم في دفع رعيته للقيام بأعمال البناء الحضاري المجيد، مختلف الوسائل المادية المعنوية التي توصي بها أو تبيحها أسس الإسلام وتعاليمه، وكل ذلك ضمن خطتين هما :

١- خطة إنشاء وتعمير .

٢- خطة صيانة وترميم[١] .

ففي خطة الإنشاء والبناء يعمل الحكم الإسلامي على دفع مواكب رعيته لبناء الحضارة الإسلامية، والسير الحثيث بتقدم وارتقاء في كل ميدان من ميادين العمل المنتج، ويعمل أيضاً على توجيه مواكب البناء الحضاري توجيهاً تمليه أسس الإسلام الحضارية، ويبذل كل جهد لامتصاص مختلف الطاقات البشرية وغير البشرية، التي يمكن امتصاصها لتحقيق أكبر مقدار ممكن من البناء العظيم، الذي تهدف إلى إقامته أسس الإسلام الحضارية[٢] .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(من أطاعني فقد أطاع الله، ومَنْ عصاني، فقد عصى الله، ومَنْ يُطِع الأميرَ فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني، وإنما الإمامُ جُنَّةٌ، يُقاتَلُ من ورائهِ ويُتَّقى به، فإن أمر بتقوى اللهِ وعدلَ، فإن له بذلك أجراً، وإن قال بغيرهِ فإنَّ عليه منه)**[٣] .

فالإمام كالساتر لأنه يمنع العدو من أذى المسلمين، ويمنع الناس بعضهم من بعض، ويحمي بيضة الإسلام، ويتّقيه الناس ويخافون سطوته، ويقاتل من ورائه: أي يقاتل معه الكفار والبغاة والخوارج وسائر أهل الفساد، ويتّقي به: أي شر العدو وأهل الفساد والظلم[٤].

فالخليفة أو الإمام يعمل على وحدة المسلمين وصهرهم شعوباً وأقاليم في دولة الخلافة لتظهر الدولة والأمة قوية عزيزة مهابة الجانب .

---

(١) انظر:الحضارة الإسلامية ووسائلها، عبد الرحمن حبنكة الميداني، ص٣٨٣ .
(٢) المرجع السابق، ص٣٨٣ .
(٣) صحيح البخاري واللفظ له، كتاب الجهاد والسير، باب يقاتل من وراء الإمام، رقم ٢٧٩٧، ج٣/١٠٨٠، صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب الإمام جنة، رقم ١٨٤١، ج٣/١٤٧١ .
(٤) شرح السيوطي على مسلم، ج٤/٤٥٤ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

"وفي خطة الصيانة والترميم يعمل الحكم الإسلامي على مراقبة رعيته مراقبة شديدة، وتأديب المتوانين المتهاونين بواجباتهم، ورد المنحرفين إلى صراط الحق والخير، والأخذ على يد الظالمين وردعهم، ومعاقبة من يستحق العقاب، وقطع دابر الفتن، وحفظ المجتمع من التفكك بإقامة الحق والعدل، وتوثيق الروابط الاجتماعية وشدّ أواصرها، وكل ذلك ضمن منهج الإسلام القويم، وإن صحائف التاريخ لتشهد بأن إقامة الحكم السوي الرشيد من أفعل الوسائل التي ترسي في المجتمعات الإنسانية قواعد الحضارات الراقية، وتمنحها الطمأنينة والاستقرار والرفاه، ومن أفعل الوسائل التي تخلف آثاراً عظيمة في الإصلاحات الحضارة للأمم" [1] .

وبالرجوع إلى نصوص كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم نستطيع أن نتعرف على الغاية التي من أجلها تقوم الدولة الإسلامية ومن هذه النصوص:

قال تعالى: **﴿*الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾**[2] .

قال ابن كثير: إن لكم على الوالي أن يؤاخذكم بحقوق الله عليكم، وأن يأخذ لبعضكم من بعض وأن يهديكم للتي هي أقوم ما استطاع[3] .

فالغاية الأساسية للدولة الإسلامية عند التمكين في الأرض إقامة شرع الله والقضاء على الشرك والفساد ومن نصوص السنة النبوية التي تبين هذه الغاية :

قوله صلى الله عليه وسلم: **(أيها الناس اتّقوا الله وإن أمرّ عليكم عبد حبشي مجدع[4] فاسمعوا له وأطيعوا ما أقام لكم كتاب الله)**[5] .

فالغاية الكبرى للدولة الإسلامية هي إقامة الدين وتطبيق شرع الله عز وجل، وهذا نص صريح بوجوب التزام الحاكم المسلم بتنفيذ أحكام القرآن الكريم وعدم الخروج عليه.

فوظيفة الحاكم منحصرة في أصلين عظيمين هما: حراسة الدين من محظور تبديله،

---

[1] أنظر: الحضارة الإسلامية ووسائلها، عبد الرحمن حبنكة الميداني، ص٣٨٤ .
[2] سورة الحج، آية ٤١ .
[3] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج٣/٣٠٥ .
[4] أي مقطع الأطراف، تحفة الأحوذي، المباركفوري، ج٥/٢٩٧ .
[5] صحيح مسلم، كتاب الحج، باب استحباب رمي جمرة العقبة، رقم ١٢٩٨، ج٢/٩٤٤، سنن الترمذي واللفظ له، كتاب الجهاد، باب طاعة الإمام، رقم ١٧٠٦، ج٤/٢٠٩ وقال حديث حسن صحيح، مسند أحمد، رقم ٢٧٣٠١، ج٦/٤٠٢،

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

وتغييره، وسياسة الدنيا بتنفيذ الأحكام، وإقامة الصلوات، وجباية الخراج، ونصب القضاء، وحماية ديار المسلمين، وتجهيز الجيوش، وبعث السعاة والولاة وإنصاف المظلوم[1].

يقول محمد أبو فارس: وهكذا اقترنت رسالة الإسلام بتوفير أساس حضاري متين هو قيام الدولة بسلطتها الضابطة المنظمة، وإقامة شريعة الله العادلة وتقرير الشورى والحقوق والواجبات لولي الأمر وللرعية، ومن واجبات الدولة الإسلامية إقامة العدل في المجتمع الإسلامي، فالدولة مكلفة بأن تقيم العدل في كل شعبة من شعب الحياة، وفق منهج الله في الإنفاق من بيت المال، وفي إتاحة الفرص للناس جميعاً في الوظائف والتجارة والصناعة وغير ذلك . فإقامة العدل في الحكم بين الناس هو الركن الأساسي في بقاء واستمرار الحضارة، لذلك كانت إقامة العدل بين الناس في الفكر السياسي الإسلامي واجبة، ولا تترك لمزاج الحاكم أو الأمير، بل إن إقامة العدل بين المسلمين وبين الناس عامة من أقدس الواجبات وأهمها" [2] .

فإذا أحس الناس بإقامة العدل في مجتمعهم، تستقر نفوسهم، وتطمئن قلوبهم ويزدهر مجتمعهم ويعمهم الخير والاستقرار، وقد حث النبي صلى اله عليه وسلم على العدل لما له من ثمرة طيبة تعود على المسلمين بالخير .

فعن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(إن المقسطين عند الله على منابر من نور، عن يمين الرحمن عز وجل، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا)**[3] .

فالنبي صلى الله عليه وسلم يبين في هذا الحديث أن أهل العدل لهم مكانة عالية عند الله عز وجل، وفي هذا توجيه من النبي صلى الله عليه وسلم إلى الأمة الإسلامية بضرورة التزام العدل لما له من أثر في نشر الخير والفضيلة، ولا شك أن العدل يعدُ من الأمور التي يتوقف عليها تقدم المجتمع وازدهاره .

ولقد أعدَّ الله سبحانه وتعالى للذين يحكمون بالعدل بين الناس منزلة عالية يوم القيامة فعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(سبعة يظلهم الله تعالى، في ظلِّهِ يومَ لا ظلَّ إلا ظلُّه، إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلَّقٌ في المساجد،**

---

(1) نظام الحكم في الإسلام، عارف خليل أبو عيد، دار النفائس، الأردن، ص٦٩ .
(2) النظام السياسي في الإسلام، محمد أبو فارس، ص٤٧ .
(3) صحيح مسلم واللفظ له، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل، رقم ١٨٢٧، ج١٤٥٨/٣، سنن النسائي، كتاب آداب القضاة، باب فضل الحاكم العادل، رقم ٥٣٧٩، ج٢٢١/٨، مسند أحمد، رقم ٦٤٨٥، ج١٥٩/٢ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

ورجلان تحابا في الله، اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدّق بصدقة، فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه)[1] .

والإمام العادل: هو كل من إليه نظر في شيء من مصالح المسلمين من الولاة والحكام وبدأ به لكثرة مصالحه وعموم نفعه[2].

فالعدل يعد من الأمور الضرورية التي تحقق السعادة للبشرية، وهو المنهاج السليم الذي يوصل إلى تحقيق المساواة بين الناس، فالمساواة بين الناس نتيجة حتمية لسيادة العدل بينهم .

وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من ظلم الرعية، وبين عاقبة من يفعل ذلك، فعن معقل بن يسار عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(ما من والٍ يلي رعية من المسلمين، فيموت وهو غاشٌّ لهم، إلا حرم الله عليه الجنة)**[3] .

قال القاضي عياض: معناه بين في التحذير من غش المسلمين، لما قلده الله تعالى شيئاً من أمرهم واسترعاه عليهم ونصبه لمصلحتهم في دينهم أو دنياهم، فإذا خان فيما أؤتمن عليه فلم ينصح فيما قلده إما بتضيعه تعريفهم ما يلزمهم من دينهم وأخذهم به، وإما بالقيام بما يتعين عليه من حفظ شرائعهم والذَّب عنها لكل متصد لإدخال داخله فيها أو تحريف لمعانيها أو إهمال حدودهم أو تضييع حقوقهم أو ترك حماية حوزتهم ومجاهدة عدوهم أو ترك سيرة العدل فيهم، فقد غشَّهم، وقد نبه صلى الله عليه وسلم على أن ذلك من الكبائر الموبقة[4] .

فالعدل قاعدة من قواعد الاستقرار، وسبب من أسباب الديمومة والازدهار وأي حضارة مهما زهت مظاهرها، وتبرجت أشكالها، إن لم تقم على العدل، فلن تستطيع أن تحقق السعادة والاستقرار لأبنائها، وما نلاحظه في العالم اليوم من ظلم للبشرية، إنما هو بسبب سيطرة الحضارة المادية التي لا تعرف للعدل طريق.

يتبين من خلال ما سبق، أن الحضارة لا تقوم ولا تزدهر إلا بوجود نظام سياسي، يطبّق شريعة الإسلام ويحقق مصالح العباد، ويحفظ الأمن والنظام .

---

(1) صحيح البخاري واللفظ له، كتاب الزكاة، باب الصدقة باليمين ، رقم ١٣٥٧،ج٥١٧/٢، صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة، رقم ١٠٣١، ج٧١٥/٢ .

(2) شرح النووي على مسلم، ج١٢١/٧ .

(3) صحيح البخاري واللفظ له، كتاب الأحكام، باب من استرعي رعيه، رقم ٦٧٣٢، ج٢٦١٤/٦، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار، رقم ١٤٢، ج١٢٥/١ .

(4) شرح النووي على صحيح مسلم، ج١٦٦/٢ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

المبحث الرابع

العامل الاقتصادي

يدعو الإسلام إلى العمل والإنتاج، ويوصي بالأخذ بجميع الأسباب المؤدية للبناء الاقتصادي، وذلك لما للاقتصاد من دور بالغ في دفع الحضارة إلى الأمام ومدّها بأسباب الحياة والرفاه، ويظهر ذلك جلياً من خلال سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم، فقد كان يحث أصحابه على العمل وكسب المعاش واستغلال الموارد والثروات، من اجل إقامة مجتمع قوي متماسك يأكل مما ينتج، ولا يكون عالة على غيره، وهذا ما سوف نتعرف عليه من خلال بيان المراد بالعامل الاقتصادي، والوقوف على الهدي النبوي في البناء الاقتصادي، ومعرفة فلسفة تملك المال وإنفاقه في السنة النبوية.

المطلب الأول :- مفهوم العامل الاقتصادي .

الاقتصاد لغة: يطلق الاقتصاد في اللغة على معان عدة منها:

الاستقامة، فنقول طريق قاصد أي سهل مستقيم، وعلى إتيان الشيء، نقول قصدته وقصدت إليه، أي أتيته، ويطلق أيضاً على الاعتدال في الشيء[1]، واقتصد في النفقة لم يسرف ولم يقتر، واقتصد في أمره توسط[2] .

الاقتصاد اصطلاحاً :هو العلم الذي يبحث طرق الكسب والإنفاق، على ضوء الأحكام والآداب التي تضمنها شريعة الإسلام[3] .

ويعرّف **النظام الاقتصادي:** بأنه النظام الذي يعالج توزيع الأموال والمنافع على جميع أفراد الرعية، وتمكينهم من الانتفاع بها، وكيفية السعي لها وحيازتها[4] .

وأقصد **بالعامل الاقتصادي:** أثر الالتزام بتعاليم الإسلام في كسب المال وإنفاقه في بناء الحضارات وتقدم المجتمعات ورقيها .

---

(1) لسان العرب، ابن منظور، مادة قصد، ج٣/٢١٥ .
(2) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية المصري، مادة قصد، ج٢/٧٣٨ .
(3) أصول علم الاقتصاد الإسلامي، أحمد صفي الدين عوض، مكتبة الرشيد، الرياط ط١، ص١ .
(4) الخطوط الكبرى في الاقتصاد الإسلامي، رضا صاحب أبو حمد، دار مجدلاوي، عمان، ط١، ص٢١ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

المطلب الثاني :- الهدي النبوي في البناء الاقتصادي .

للاقتصاد دور بالغ في بناء الحضارة فلا يمكن للحضارة الإسلامية أن تقوم وتزدهر ما لم تلتزم الأمة بتعاليم الإسلام وتوجيهاته في كسب المال وإنفاقه .

والنظرة إلى الاقتصاد كعامل من عوامل قيام الحضارة تنبثق من التصور الاعتقادي الصحيح، فقد ربط القرآن الكريم ما بين الازدهار الاقتصادي والإيمان بالله، فقال تعالى: **﴿*وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾**[1] .

قال الالوسي: لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض أي ليسرنا عليهم الخير من كل جانب[2] .

فالاقتصاد الإسلامي اقتصاد عقائدي، يعتمد على أسس عقائدية تعد ضرورية لتطبيقه ونجاحه ومن هذه الأسس:

١- الإيمان التام بأن الله سبحانه وتعالى هو المالك الحقيقي للأشياء .

٢- الإيمان بأن ممارسة النشاط الاقتصادي لطلب الرزق عبادة .

٣- الإيمان بأن الله عز وجل يحاسب الناس يوم القيامة على ما فعلوه وعملوه في الحياة الدنيا[3] .

"والاقتصاد المنسلخ عن الإيمان يتحول فيه الإنسان إلى وحش مفترس، لا يشبع، ولا يقنع، ويقيم إمبراطورية المال على الهياكل العظمية للفقراء والمحرومين، وهذا ما فعلته الرأسمالية الغربية، فأنتجت حضارة مصاصي الدماء، والتعثر الحضاري، والتخبط في المسيرة الحضارية له صلة كبرى بالمناهج الاقتصادية التي تبني عليها الحضارة صروحها، فإذا تبنت الحضارة الحق، منهجاً اقتصادياً لا يتفق مع عقيدتها، ولا يصدر من تصورها الاعتقادي فإن هذا التخبط يشوه صورة الحضارة وسبب ذلك منهاجها الاقتصادي، وكم قوض الاقتصاد الفاسد صروح حضارات تغني بها الزمان، فنخرتها سوسة الاقتصاد العفن،

---

(١) سورة الأعراف، آية ٩٦ .
(٢) روح المعاني، محمود الألوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج١٠/٩ .
(٣) الخطوط الكبرى في الاقتصاد الإسلامي، رضا صاح، ص٢٩ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

ولهذا أكدّت منذ البداية أن الاقتصاد فرع من التصور الاعتقادي، ومهما جاهد بناة الحضارة في سلخ أي اقتصاد دخيل عن العقيدة التي أنتجته، فلن يتم ذلك، وكأنه من الناحية الفنية يحاول تخليص جسد من روحه، ويرجو أن الجسد سيبقى حياً، وسيقوم بمهماته" [1] .

يقول محمد المبارك: الاقتصاد عصب الحضارة، ومؤشر فعال في قوة تأثيرها ونجاحها، وقد أولاه القرآن الكريم أهمية بارزة، وأنشأ حروفه وكتب أبجديته بخطوط عريضة، ثم فصّل فيها كلما اقتضى الأمر، وقدّم للإنسانية كلها مذهباً جديداً قوامه التعاون الإنساني، لا الربح المادي، والصراع الطبقي[2] .

ويتوهم الكثيرون إن الدين لا يعنى بالاقتصاد، فهما ضدان لا يلتقيان فالاقتصاد يعنى بالجانب المادي في الحياة، والدين يعني بجانبها الروحي، الاقتصاد استغرق في المادة، والدين استعلاء عليها، والواقع غير هذا، فقد اعتبر الإسلام المال قوام الحياة، وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن المال نعمة عظيمة من الله تعالى، فعن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(يا عمرو نعم المال الصالح مع الرجل الصالح)**[3] .

فقد عدّ النبي صلى الله عليه وسلم المال نعمة عظيمة وذلك دليل على أهمية المال في تحقيق التقدم، والاستقرار للمجتمعات الإنسانية، فالمال عصب الحياة وبدونه لا يمكن للبشرية أن تتقدم في مجالات الصناعة والتجارة والقوة العسكرية، وغير ذلك من المجالات.

"والإنسان المسلم إنسان عمل وإنتاج للحياة، وتعدّ عمارة الأرض هدفاً من أهداف خلق الإنسان، وقد جعل الله الأرض للإنسان مهداً وفراشاً، وأودع فيها أسباب المعايش التي تحقق بقاء الإنسان والعبادات في الإسلام لا تعطل المسلم عن العمل لدنياه، فالمسلم مطالب أن يعمل لدنياه، بما يتيسر له من فروع الإنتاج، من زراعة أو صناعة، أو تجارة أو رعياً،

---

(1) المسلم في عالم الاقتصاد، مالك بن نبي، دار الفكر، بيروت، ص٤٢ .
(2) نظام الإسلام الاقتصادي مبادئ وقواعد، محمد المبارك، دار الفكر، بيروت، ط٣، ص٦ .
(3) مسند أحمد، رقم ١٧٧٩٨، ج١٩٧/٤، وقال شعيب الأرنؤوط إسناده صحيح على شرط مسلم، صحيح ابن حبان واللفظ له، كتاب الزكاة، باب جمع المال من حلة، رقم ٣٢١٠، ج٦/٨، الأدب المفرد، للبخاري، رقم ٢٩٩، ج١١٢/١، المستدرك للحاكم، رقم ٢١٣٠، ج٣/٢، وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

أو صيداً أو استخراجاً، لما في الأرض أو غير ذلك مما تحتاج إليه الجماعة" [1]، وجعل للمبتكرين الثواب، وكل إيقاف للحياة على العبادة والزهادة والنسك، مخالف لمفهوم الإسلام، لأنها ابتعاد عن الحياة العملية التي هي المحل الرئيسي الصادق لمعرفة مدى إيمان الإنسان، وقد جمع الإسلام بين الإيمان والعمل[2].

فالعمل في الإسلام دين ما دام في سبيل الله، فهو يكفّر عن المرء ذنوبه، ويقربه من الدرجات العليا عند الله .

وقد مارس النبي صلى الله عليه وسلم العمل بنفسه، **فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم) فقال أصحابُهُ: وأنت؟ فقال: (نعم كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة)**[3].

وتعد السنة النبوية المطهرة المصدر الثاني بعد القرآن الكريم في تنظيم الحياة الاقتصادية وبناءها في المجتمع الإسلامي، وقد وجه النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين إلى الكسب الحلال، وأرشدهم إلى كل السبل التي تصل بهم إلى التقدم والازدهار في المجال الاقتصادي ومن ذلك :

١- الحث على العمل والإنتاج .

حث النبي صلى الله عليه وسلم في أحاديثه على العمل والإنتاج، وحث على المبادرة إلى بناء الاقتصاد، فوّجه الناس إلى الطريق السليم الذي يستطيع الإنسان من خلاله كفاية نفسه، وتوفير حاجاته ونفرّ من الطرق المنحرفة في الحصول على المال من ذلك ما روي، عن الزبير بن العوام رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(لأن يأخذَ أحدُكم حَبْلَهُ، فيأتي بحزمةِ الحطبِ على ظهرِهِ، فيبيعها، فيكُفَّ اللهُ بها وجهَهُ، خيراً له من أن يسأل الناسَ أعطوه أو منعوه)**[4] .

---

(1) مدخل لمعرفة الإسلام، يوسف قرضاوي، ص٢١٠.
(2) معلمة الإسلام، أنور الجندي، ص٣٨ .
(3) صحيح البخاري واللفظ له، كتاب الامارة ،باب رعي الغنم ، رقم ٢١٤٣،ج٧٨٩/٢.
(4) صحيح البخاري واللفظ له، كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة ، رقم ١٤٠٢، ج٥٣٥/٢، صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب كراهة المسألة، رقم ١٠٤٢، ج٧٢١/٢، سنن النسائي، كتاب الزكاة، باب المسألة، رقم ٢٥٨٤، ج٩٣/٥ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

قال النووي: فيه الحث على الصدقة والأكل من عمل يده والاكتساب بالمباحات كالحطب والحشيش النابتين في موات[1] .

فالنبي صلى الله عليه وسلم يحث على الكسب الحلال وعدم المسألة، وفي هذا محاربة للبطالة وإرشاد للمسلمين إلى عدم التكبر على العمل، وهذا لا شك من الأمور التي تدفع بالمجتمع إلى التقدم والازدهار وبناء الحضارة الصحيحة .

فالإسلام لم يفرق بين أنواع العمل، فكلها تتمتع باحترام المجتمع وتقديره، والإنسان الذي يعيش عالة على غيره مع قدرته على العمل، هو الذي يستوجب عدم الاحترام .

وقد حث النبي صلى الله عليه وسلم إلى المبادرة إلى بناء الاقتصاد، وعدَّ خير مأكل يهنأ به الإنسان هو ذلك المأكل الآتي من كدّ اليد وعرق الجبين، فعن المقدام بن معد يكرب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(ما أكل أحدٌ طعاماً قطُّ، خيراً من أن يأكلَ من عمل يده، وإن نبي اللهِ داودَ عليه السلامُ كان يأكلُ من عمل يده)**[2].

يدعو النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث إلى الأكل من عمل اليد وعدم الاعتماد على الغير وهذا مما يدفع المجتمع إلى التقدم والازدهار .

وقد ربى المصطفى صلى الله عليه وسلم الأمة على احترام حقوق العمال، والمبادرة إلى إعطائهم الحقوق اللازمة لهم، وحذر من ظلمهم وأكل اجورهم، **فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (قال الله تعالى: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة، رجلٌ أعطى بي ثم غدر، ورجلٌ باع حرًّا فأكل ثمنه، ورجلٌ استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يعطه أجره)**[3]

يهدف هذا التوجيه النبوي الداعي إلى المحافظة على حقوق العمال، إلى تشجيع النشاط الاقتصادي وحمايته من أسباب التأخر والانهيار، لان العامل يندفع إلى العمل بكل

---

(1) شرح النووي على صحيح مسلم، ج١٣١/٧ .

(2) صحيح البخاري واللفظ له، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده، رقم ١٩٦٦، ج٧٣٠/٢، مسند أحمد، رقم ١٧٢٢٩، ج١٣٢/٤، المعجم الكبير، الطبراني، رقم ٦٣١، ج٢٦٧/٢٠ .

(3) صحيح البخاري واللفظ له ، كتاب الإجارة ، باب أثم من منع أجر الأجير ،رقم ٢١٥٠،ج٧٩٢/٢ ، سنن ابن ماجة، كتاب الرهون ، باب أجر الأجراء، رقم ٢٤٤٢،ج٨١٦/٢ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

طاقاته حين يشعر بان ثمرة جهده تعود عليه بالنفع والخير، وتضعف همته عن العمل والإنتاج إذا شعر بعجزه عن الحصول على ثمرة تعبه.

فالعمل هو الطريق الذي يمكن الفرد من سد حاجاته وحاجات من يعول، وهو العنصر الأساسي في الإنتاج، فالثروات الطبيعية التي سخرها الله عز وجل للإنسان، وجعلها تحت تصرفه، تخدمه وتفيده بمقدار ما يبذله من جهد وعمل في استغلالها، وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يعيشون من كسبهم وعملهم بأيديهم، **فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عمالَ أنفسِهم، وكان يكونُ لهم أرواحٌ، فقيل لهم: (لو اغتسلتم)**[1].

يبين هذا الحديث إن الصحابة مارسوا مختلف الأعمال، من أجل العيش الكريم وتوفير ما يحتاجون إليه، حتى بدت عليهم رائحة العرق، مما عانوه من تعب ومشقة في ممارسة الأعمال.

وقد اتجه المهاجرون عند دخولهم المدينة المنورة إلى العمل، ولم يعيشوا عالة على إخوانهم الأنصار، فاشتغل بعضهم بالتجارة وبعضهم بالزراعة في حقول الأنصار وبساتينهم، **فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قالت الأنصار للنبي صلى الله عليه وسلم:(اقسم بيننا وبين إخواننا النخيلَ، قال "لا" فقالوا تكفوننا المؤونة ونُشرككُم في الثمرةِ، قالوا سمعنا واطعنا)**[2].

فلم يوافق النبي صلى الله عليه وسلم على قسمة الأرض بين المهاجرين والأنصار، ووافق على إعطائهم شطر الثمر مقابل القيام بالعمل، وهذا يدل على أهمية العمل وضرورة القيام به، من اجل العيش بعزة وكرامة.

---

[1] صحيح البخاري ، كتاب البيوع ، باب كسب الرجل وعمله بيده ، رقم ١٩٦٥،ج٢/٧٣٠، سنن أبي داود ، كتاب الطهارة ، باب في الرخصة في ترك الغسل يوم الجمعة ،رقم ٣٥٢،ج١/١٥٠.

[2] صحيح البخاري ،كتاب المزارعة ، باب إذا قال اكفني مؤونة النخل ، رقم ٢٢٠٠،ج٢/٨١٩، سنن النسائي ، كتاب المناقب ،باب لولا الهجرة، رقم ٨٣٢١،ج٥/٨٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

٢- الحث على الزراعة واستغلال الثروة .

تعد الأرض أهم العناصر التي وضعها الله تعالى تحت تصرف الإنسان، بما فيها من ثروات ومياه جوفية وعيون وانهار جارية، وبما فيها من تربة صالحة للزراعة، وقد دعت السنة النبوية إلى العناية بهذه الثروة، واستغلالها بالزراعة والعمل المنتج الذي يعود على الأمة بالخير والنفع، والشواهد التي تدل على ذلك من السنة النبوية كثيرة، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(ما من مسلمٍ يغرسُ غرساً أو يزرعُ زرعاً، فيأكل منه طيرٌ أو إنسانٌ، أو بهيمةٌ، إلا كان له به صدقة)**[١] .

يحث النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث على الزراعة ويرغب فيها، ويبين أنها سبيل إلى نيل رضوان الله تعالى .

وتعد الزراعة من الوسائل الفعالة لتوفير السلع الضرورية للإنسان، ولها أهمية كبيرة في تنمية المال تنمية مشروعة ولهذا حث النبي صلى الله عليه وسلم على الاعتناء بها حتى آخر لحظة فعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة[٢] فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعل)**[٣] .

يبين النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث أهمية الزراعة ووجوب المحافظة عليها حتى آخر لحظة من الحياة، وذلك لما فيها من الخير والنفع الذي يعود على المجتمع، حيث تعد الزراعة مصدر دخل للكثير من أبناء الأمة، وعليها يعتمد توفير ما يحتاجه الإنسان من أصناف الغذاء .

فالمجتمع الذي يستهلك ولا ينتج، ويعتمد على غيره في توفير الحاجيات مجتمع متخلف لا يمكنه التقدم والارتقاء، أما المجتمع المتقدم فهو المجتمع الذي ينتج أكثر مما يستهلك، وهذا هو المجتمع الذي حرصت السنة النبوية على بنائه وإيجاده.

---

(١) صحيح البخاري واللفظ له، كتاب المزارعة، باب فضل الزرع والغرس، رقم ٢١٩٥، ج٨١٧/٢، صحيح مسلم، كتاب المساقاة ،باب فضل الغرس ، رقم ١٥٥٣،ج١١٨٩/٣ .

(٢) الفسيلة: صغار النخل، غريب الحديث، ابن سلام، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ج٢٠٢/٤ .

(٣) مسند أحمد واللفظ له، رقم ١٣٠٠٤، ج١٩١/٣، وقال شعيب الأرنؤوط إسناده صحيح على شرط مسلم، الأدب المفرد، البخاري، كتاب البنيان، باب اصطناع المال، رقم ٤٧٩، ج١٦٨/١، مجمع الزوائد، الهيثمي، رقم ٦٢٣٦، ج١٠٨/٤، وقال رجاله إثبات ثقات .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

وقد استثار النبي صلى الله عليه وسلم الهمم لاستغلال الأرض وعدم تعطيلها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(من كانت له أرضٌ فليزرعها، أو ليمنحها أخاه، فإن أبى فليمسك أرضه)**[1] .

وهذا نص صريح من النبي صلى الله عليه وسلم يأمر فيه بزراعة الأرض ويحث على استغلالها وعدم تعطيلها، فالذي لا يستطيع زراعة الأرض بنفسه يفسح المجال لغيره في استغلالها، وما ذلك إلا من أجل إيجاد مجتمع متحضر، يأكل مما ينتج ولا يكون عالة على غيره من المجتمعات.

وقد دفع النبي صلى الله عليه وسلم الأمة الى إحياء الأرض الموات: وهي التي لم تدخل ميدان الإنتاج الزراعي بعد، وهي غير مملوكة، ولم يجر استصلاحها سابقاً، ولم تستغل، فعن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(من أعمر أرضاً ليست لأحدٍ فهو أحقّ)**[2] .

قال ابن بطال: فالمراد من أعمر أرضاً بالإحياء فهو أحق بها من غيره[3] .

فالنبي صلى الله عليه وسلم يدعو إلى استصلاح الأراضي واستغلالها، وثمن ذلك امتلاك هذه الأرض، ولا شك أن هذا تشجيع من النبي صلى الله عليه وسلم على استغلال الثروة وعدم تعطيلها، وأن لهذا دورا كبيرا في دفع الاقتصاد الإسلامي إلى الأمام، وبالتالي دفع المجتمع الإسلامي إلى التقدم والازدهار في كافة المجالات .

ومما يؤكد اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بزراعة الأرض، ما روي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : **(أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى خيبر اليَهُودَ، على أن يعملُوهَا ويزرعوها، ولهم شطرُ ما خرج منها)**[4].

---

(1) صحيح البخاري واللفظ له، كتاب المزارعة، باب ما كان أصحاب النبي يواسي بعضهم بعضاً، رقم ٢٢١٦، ج٨٢٥/٢، صحيح مسلم، كتاب البيوع، باب كراء الأرض، رقم ١٥٤٤، ج١١٧٨/٣ .

(2) صحيح البخاري واللفظ له، كتاب المزارعة، باب من أحيا أرضاً مواتاً، رقم ٢٢١٠، ج٨٢٣/٢، مسند أحمد، رقم ٢٤٩٢٧، ج١٢٠/٦، سنن البيهقي الكبرى، كتاب إحياء الموات، باب من إحياء أرضاً ميتة، رقم ١١٥٥١، ج١٤١/٦ .

(3) فتح الباري، ابن حجر، ج٢٠/٥ .

(4) صحيح البخاري ، كتاب المزارعة ، باب المزارعة مع اليهود ، رقم ٢٢٠٦،ج٨٢١/٢ ، صحيح مسلم ، كتاب المساقاة ، باب المساقاة ، رقم ١٥٥١،ج١١٨٦/٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

٣- دور التجارة في تنمية الاقتصاد .

اعتنى النبي صلى الله عليه وسلم بالدعوة إلى الاشتغال بالتجارة عنايته بالدعوة إلى الزراعة، وقد عمل هو بنفسه في التجارة، إذ ذهب هو بنفسه قبل البعثة إلى الشام بتجارة للسيدة خديجة بنت خويلد، مع غلامها ميسرة[١]، ومن المعلوم أن الجانب الاقتصادي منظم في القرآن أدق تنظيم قال تعالى مشجعاً ألوان التجارة : ﴿... **وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا**﴾[٢] .

وقد كان تشجيع النشاط التجاري موضع اهتمام السنة النبوية، يدل على ذلك قيامه صلى الله عليه وسلم بإنشاء سوق للمسلمين، يمارسون فيه نشاطاتهم الاقتصادية عند قدومه للمدينة المنورة، وقد نظم أمور البيع والشراء في هذه السوق، لتكون منضبطة بقوانين المعاملات الإسلامية، القائمة على الصدق والأمانة وتحريم الربا والغش والاحتكار وغيرها من المعاملات التجارية غير المشروعة .

ودعا النبي صلى الله عليه وسلم إلى ممارسة النشاط التجاري، والأكل من كسب اليد، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(**إن أطيب ما أكلتم من كسبكم، وإن أولادَكُم من كسبكم**)[٣].

يتضمن الحديث الدعوة إلى الأكل من كسب اليد، ولا شك أن البيع والشراء وممارسة الأعمال التجارية نوع من أنواع الكسب .

وقد شجع النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة على تحقيق الربح عن طريق التجارة، ودعا لهم بالبركة، يشهد لذلك ما روي عن عروة البارقي:(**أن النبي صلى الله عليه وسلم**

---

[١] السيرة النبوية ، ابن هشام ،ج٢/٥، البداية والنهاية ،ابن كثير ،ج٢/٢٩٣.

[٢] سورة البقرة، آية ٢٧٥ .

[٣] سنن الترمذي واللفظ له ،كتاب الأحكام ، باب أن الوالد يأخذ من مال ولده ، رقم ١٣٥٨،ج٣/٣٢، وقال: حديث حسن ،سنن النسائي ، كتاب البيوع باب الحث على الكسب ، رقم ٤٤٤٩،ج٧/٢٤٠، سنن ابن ماجة ، رقم ٢١٣٧ ،مسند أحمد، ج٦/٢٢٠ ،صحيح ابن حبان، رقم ٤٢٦١. قال الدكتور بشار عواد في تعليقه على هذا الحديث: بعد أن ذكر رواية الترمذي، قد رواه من طريق عمارة بن عمير، عن عمته عن عائشة، وعمة عمارة بن عمير مجهولة، وبين أن الطريق الصحيح لهذا الحديث هي طريق الأسود عن عائشة، وهي التي ذكرها الإمام حمد، والنسائي وابن ماجة، وابن حبان، انظر سنن الترمذي بتحقيقه، والمسند الجامع ،حديث رقم ١٦٧٧٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

أعطاه ديناراً يشتري له به شاة، فاشترى له به شاتين، فباع إحداهما بدينار، وجاءه بدينار وشاة، فدعا له بالبركة في بيعه، وكان لو اشترى التراب لربح فيه)[1].

فقد رضي النبي صلى الله عليه وسلم بما فعله عروة البارقي، ليبين أن التجارة طريق من طرق الكسب المشروعة، وشجع الأمة على التجارة، وتحقيق الربح من أجل إيجاد أمة متحضرة، تأكل من كسبها ولا تكون عالة على غيرها.

ودعا النبي صلى الله عليه وسلم البائع والمشتري إلى التحلي بالصدق والأمانة، وعدم تطفيف الكيل والميزان، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(التاجر الصدوق الأمين، مع النبيين والصديقين والشهداء)**[2].

فعدّ النبي صلى الله عليه وسلم التاجر الذي يتصف بالصدق والأمانة في البيع والشراء، ويبتعد عن ظلم الناس وغشهم، بمنزلة النبيين والصديقين والشهداء، وما ذلك إلا من أجل تنمية دوافع الخير لدى التجار، ليسيروا على نهج الإسلام وتعاليمه في جميع عقودهم ومعاملاتهم.

ولا يخفى لما لهذا التوجيه النبوي الرفيع من دور بارز، في إقامة مجتمع متحضر، يسوده المحبة والأمان، وتنتشر فيه القيم الأخلاقية الرفيعة.

ومما يدل على اعتناء النبي صلى الله عليه وسلم بالتجارة وأنها تعد مصدر دخل للناس، ما روي عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(لا يَبِعْ حاضرٌ لبادٍ**[3]**، دعوا الناس يرزق الله بعضُهُم من بعضٍ)**[4].

---

(1) صحيح البخاري ، كتاب المناقب، باب سؤال المشركين أن يريهم النبي صلى الله عليه وسلم آية ، رقم ٣٤٤٣،ج١٣٣٢/٣.

(2) سن الترمذي واللفظ له، كتاب البيوع، باب التجارات، رقم ١٢٠٩، ج٥١٥/٣، وقال الترمذي حديث حسن، المستدرك، الحاكم، رقم ٢١٤٢، ج٧/٢، سنن الدرامي، رقم ٢٥٣٩، ج٣٢٢/٢ . مسند عبد بن حميد ، رقم ٩٩٦،ج٢٩٩/١. وقال الألباني صحيح لغيره ، صحيح الترغيب والترهيب ، ج١٦٢/٢ .

(3) الحاضر ساكن الحضر، والبادي ساكن البادية .

(4) صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب لا يبيع على بيع أخيه، رقم ٢٠٣٣، ج٧٥٢/٢، صحيح مسلم واللفظ له، كتاب البيوع، باب تحريم بيع الحاضر للبادي، رقم ١٥٢٢، ج١١٥٧/٣، سنن أبي داود، كتاب الإجارة، باب في النهي أن يبيع حاضر لباد، رقم ٣٤٤٢، ج٢٩١/٢ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

المراد به: أن يقدم غريب من البادية أو من بلد آخر بمتاع تعمّ الحاجة إليه ليبيعه بسعر يومه، فيقول له البلدي أتركه عندي لأبيعه على التدريج بأغلى[1].

فقد بين النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث أن التجارة وبيع الناس بعضهم لبعض فيه منفعة ورزق للناس، يستفيد بعضهم من بعض فالتجارة سبيل من سبل توفير حاجات الناس، والتوسعة عليهم وتحقق التقدم والازدهار الاقتصادي .

ولاشك أن لهذا الحديث بعدا حضاريا كبيرا، حيث أن النبي صلى الله عليه شجع على تنشيط التجارة، بالسماح لمن يقدم من بلد إلى آخر ببيع سلعته في البلد الذي قدم إليه، وهذا دليل مشروعية ما يسمى بالأسواق الشعبية اليوم، فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يمنع التاجر من تسويق سلعته، ولم يمنع المشتري من الحصول على حاجاته بأقل الأسعار.

وقد دعت السنة النبوية إلى السماحة واليسر في ممارس الأعمال التجارية، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(**رحم الله رجلا سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى**)[2].

فالسنة النبوية لا تدعوا إلى ممارسة الأعمال التجارية، وتحقيق الربح المادي بمعزل عن القيم الدينية والأخلاقية، بل أكدت على ضرورة التحلي بالأخلاق الفاضلة في التعامل مع الآخرين، من أجل إشاعة المحبة وتقوية الروابط بين أبناء الأمة.

---

(1) عون المعبود، العظيم آبادي، ج٢٢٣/٩ .

(2) صحيح البخاري واللفظ له ، كتاب البيوع ،باب السماحة والسهولة في البيع والشراء ، رقم ١٩٧٠ ،ج٧٣٠/٢، سنن ابن ماجة ، كتاب التجارات ،باب السماحة في البيع ، رقم ٢٢٠٣، ج٧٤٢/٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

٤- شرف الصناعة وأهميتها .

دعا القرآن الكريم إلى العمل في آيات كثيرة وأشاد بالعمل اليدوي حتى عده نعمة عظمى لابد للإنسان من حفظها والمداومة عليها قال تعالى: ﴿ **لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلا يَشْكُرُونَ**﴾[١] .

وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم إلى الصناعة، وعدّ إعانة الصانع في مرتبة الأعمال الصالحة، ومما يدل على ذلك ما روي عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال: **سألت النبي صلى الله عليه وسلم: أي العمل أفضل؟ قال:(إيمان بالله، وجهاد في سبيله)، قلت: فأي الرقاب أفضل؟ قال: (أغلاها ثمناً، وأنفسها عند أهلها)، قلت: فإن لم افعل؟ قال:(تعين صانعاً، أو تصنع لأخرق)، قال: فإن لم افعل؟ قال: (تدع الناسَ من الشّر، فإنها صدقة تَصَدَّقُ بها على نفسك)**[٢] .

قال ابن حجر: الأخرق هو الذي ليس بصانع ولا يحسن العمل، وفي الحديث إشارة إلى أن إعانة الصانع أفضل من إعانة غير الصانع، لأن غير الصانع مظنة الإعانة فكل أحد يعينه غالباً بخلاف الصانع فإنه لشهرته بصنعته يغفل الناس عن إعانته[٣] .

وجعل النبي صلى الله عليه وسلم إعانة الصانع والصناعة للأخرق في مرتبة الأعمال الصالحة بعد الإيمان والجهاد وعتق الرقاب، يدل على أهمية الصناعة وأنها مهنة شريفة تشرّف صاحبها، فالحديث يتضمن الحث على الصناعة لما فيها من الخير الذي يدفع إلى التقدم والازدهار، وقد حث النبي صلى الله عليه وسلم على صناعة ما يلبي حاجات الناس، وما تعم الحاجة له .

---

(١) سورة يس، آية ٣٥ .

(٢) صحيح البخاري واللفظ له، كتاب العتق، باب أي الرقاب أفضل، رقم ٢٣٨٢، ج٨٩١/٢، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب كون الإيمان أفضل الأعمال، رقم ٨٤، ج٨٩/١ .

(٣) فتح الباري، ابن حجر، ج١٥٠/٥ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

ومما يدل على ذلك ما روي عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: **بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى فلانة، امرأة قد سماها سهلٌ: (أن مُري غلامكِ النجار، يعملْ لي أعواداً أجلس عليهن إذا كلمتُ الناس) فأمرته يعملُها من طرفاء الغابة، ثم جاء بها، فأرْسلَتْ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بها،فأمر بها فوضِعَتْ فجلس عليه)**[1] .

ففي هذا الحديث بيان أن عمل النجار له أهمية وحاجة في المجتمع لأنه يصنع الأمور اللازمة للناس في حياتهم، فالحاجة قائمة له في المجتمع، وبعمله هذا يلبي حاجات الناس وحاجات نفسه ويكون عضواً فعّالاً في المجتمع وليس عالة على غيره .

ومما يدل على شرف الصناعة وأنها مهنة شريفة ما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(كان زكريا نجاراً)**[2] .

قال النووي: في الحديث جواز الصنائع وأن النجارة لا تسقط المروءة وأنها صنعة فاضلة، وفيه فضيلة لزكريا عليه الصلاة والسلام فإنه كان صانعاً يأكل من كسبه[3] .

ومما عرف في سنته صلى الله عليه وسلم، أنه أرسل نفراً من أصحابه إلى جُرش باليمن ليتعلموا صنع السلاح، فقد ذكر ابن كثير أن عروة بن مسعود وغيلان بن سلمة، لم يشهدا حنيناً ولا حصار الطائف، لأنهم ذهبوا في ذلك الوقت ليتعلموا صنع الدبابات والمجانيق والضبور بجُرش[4].

وهذا يدل على اهتمام المصطفى صلى الله عليه وسلم بالصناعات وتطويرها، فقد وجه أصحابه إلى تعلّم الصناعات العسكرية بجانب دعوته إلى تعلّم الصناعات الأخرى.

---

(1) صحيح البخاري واللفظ له، كتاب البيوع، باب السهولة والسماحة، رقم ١٩٨٨، ج٧٣٨/٢، صحيح مسلم، كتاب المساجد، باب جواز الخطوة والخطوتين في الصلاة، رقم ٥٤٤، ج٣٨٦/١ .

(2) صحيح مسلم واللفظ له، كتاب الفضائل، باب من فضائل زكريا، رقم ٢٣٧٩، ج١٨٤٧/٤، سنن ابن ماجة، كتاب التجارات، باب الصناعات، رقم ٢١٥٠، ج٧٢٧/٢، مسند أحمد، رقم ٧٩٣٤، ج٢٩٦/٢ .

(3) شرح النووي على صحيح مسلم، ج١٣٥/١٥ .

(4) البداية والنهاية ، ابن كثير ،ج٣٤٥/٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

وقد أهتم النبي صلى الله عليه وسلم بالعمل الحرفي والصناعي، وشجع الناس على الإقبال عليه.

والصنائع والحرف كثيرة، منها ما يختص بالضرورات ومنها ما يختص بالكماليات، ولها أهميتها الكبيرة في حياة المجتمعات البشرية، فلا بد من وجود من يعمل بها لأنها ضرورية لفئات المجتمع كافة، ولأنها تحفظ كيان الأمة وتغطي حاجاتها، وتحول دون عجزها واحتياجها.

فالأمة التي لا تصنع ما تحتاج إليه، وتحتاج لغيرها من الأمم في توفير أبسط حاجاتها، تعرض نفسها للذل والهوان، وتعطي عدوها الفرصة الملائمة لقهرها والاستعلاء عليها.

فالنبي صلى الله عليه وسلم يوجه الأمة إلى ضرورة العمل والإنتاج، وممارسة الزراعة والتجارة والصناعة وغير ذلك من الأمور التي تدفع باقتصاد الأمة وتلبي حاجات المجتمع والأفراد، فهو يدعو للأخذ بالأسباب التي توصل إلى الاكتفاء الذاتي في الاقتصاد، ويحث على العمل الجاد لتحقيق مصالح العباد، وفتح أبواب الخير للإنسانية جمعاء، والاقتصاد في الحضارة الإسلامية، مرتبط بالحلال والحرام، وقد وسعت الشريعة أبواب المعاملات المالية، وجعلت الأصل في العقود الإباحة، فللإنسان أن يبتكر من العقود ما شاء خدمة لحاجته، على أن تظل تلك المبتكرات ضمن القواعد العامة في الشريعة الإسلامية، وحرمت الشريعة أنواعاً أخرى من المعاملات كالربا وأكل المال بالباطل والغش والاحتكار وغيرها من أنواع المعاملات المحرمة، وما ذلك إلا من أجل الحفاظ على مصلحة المجتمع وحمايته من سطو الطامعين واستغلال المستغلين.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

لذلك فقد حرم النبي صلى الله عليه وسلم بعض المعاملات التي تلحق الضرر بالمجتمع ،ومن ذلك الاحتكار، فعن معمر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(لا يحتكر إلا خاطئ)**[1] .

قال النووي: الحديث صريح في تحريم الاحتكار، والاحتكار المحرم هو الاحتكار في الأقوات خاصة، وهو أن يشتري الطعام في وقت الغلاء للتجارة، ولا يبيعه في الحال، بل يدخره ليغلو ثمنه.. والحكم في تحريم الاحتكار دفع الضرر عن عامة الناس[2] .

يبين النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث أن المحتكر آثم وذلك لما في هذا العمل من حب النفس وإلحاق الضرر بالآخرين والتضييق عليهم، فالنبي صلى الله عليه وسلم لا يعتبر الاقتصاد المزدهر غنى البعض وجوع البقية، لذالك فقد حرم المعاملات المالية التي تحقق مصلحة الفرد على حساب المصلحة العامة.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

(1) صحيح مسلم واللفظ له كتاب المساقاة، باب تحريم الاحتكار، رقم ١٦٠٥، ج١٢٢٧/٣، سنن أبي داود، باب الإجارة، باب في النهي عن الحكرة، رقم ٣٤٤٧، ج٢٩٢/٢ .

(2) شرح النووي على صحيح مسلم، ج٤٣/١٠ .

www.manaraa.com

المطلب الثالث: فلسفة تملك المال وإنفاقه في السنة النبوية .

وجه النبي صلى الله عليه وسلم الأمة إلى الطرق المشروعة في تملك المال وإنفاقه فحث على الكسب الحلال ومنع من الاعتداء على حقوق الآخرين، ورغب بأنفاق المال في الوجوه المشروعة، فأحدث بذالك دستورا يوفر الحماية لممتلكات الأمة، ويحول دون الاعتداء عليها، وبالوقت نفسه يحقق التعاون والتكافل بين أفراد المجتمع، وذلك من خلال الترغيب في إنفاق المال وسد حاجة المحتاجين، ولا شك أن المجتمع الذي يأمن فيه الناس على أموالهم ويأخذ فيه الفقراء حقوقهم يعدّ مجتمعاً متحضراً، لان الإنسان حين يطمئن على أمواله وممتلكاته فانه يندفع للعمل بجد ونشاط فيوفر لنفسه ومجتمعه ما يلزمه من السلع والخدمات اللازمة للعيش بأمن واستقرار، وكذلك فان كفالة الفقراء والمحتاجين وتوفير ما يلزمهم، سبيل لنشر المحبة والألفة بين أفراد المجتمع وطريق للقضاء على العداوة والبغضاء بينهم .

فقد ربى النبي صلى الله عليه وسلم أمته على احترام حقوق الآخرين، وحذّر من الاعتداء عليها ومما يدل على ذلك ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس يوم النحر فقال: **(يا أيها الناس أيُّ يومٍ هذا) ، قالوا: يوم حرامٌ، قال: (فأيُّ بلدٍ هذا؟) قالوا: بلدٌ حرام، قال: (فأيُّ شهرٍ هذا؟) قالوا: شهرٌ حرامٌ، قال: (فإن دماءَكُم وأموالَكم وأعراضَكُم عليكم حرامٌ، كحرمةِ يومِكم هذا، في بلدِكم هذا، في شهركم هذا..)**[1].

فالنبي صلى الله عليه وسلم يقرر في هذا الحديث الملكية الخاصة ويدعو إلى عدم الاعتداء عليها، وذلك من أجل الحفاظ على أمن المجتمع واستقراره ، وقد قرن صلى الله عليه وسلم تحريم الاعتداء على الأموال بالاعتداء على الدماء والأعراض، للتأكيد على أهمية الملكية الخاصة ووجوب المحافظة عليها، فاحترام حقوق الآخرين وعدم الاعتداء عليها يقضي على أسباب الخلاف والنزاع بين أفراد المجتمع، وينشر المحبة والألفة بين الناس، ويبني مجتمعاً متميزاً يستحق أن يوصف بالتحضر.

---

(1) صحيح البخاري واللفظ له، كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى، رقم ١٦٥٢، ج٦١٩/٢، سنن الترمذي، كتاب التفسير، باب سورة التوبة، رقم ٣٠٨٧، ج٢٧٣/٥، سنن أبن ماجة، كتاب المناسك، باب الخطبة يوم النحر، رقم ٣٠٥٨، ج١٠١٦/٢ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من أخذ أموال الناس بالباطل فعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(من اقتطعَ مالَ امرئٍ مسلمٍ بيمينٍ كاذبةٍ، لقي اللهَ وهو عليهِ غضبانٌ)**[1] .

فالنبي صلى الله عليه وسلم يحذر من أخذ أموال الناس بالباطل ويبين أن من يفعل ذلك يستحق غضب الله عز وجل وهذا يدل على ضرورة المحافظة على أموال الغير وعدم الاعتداء عليها .

فقد أقام الإسلام نظامه الاقتصادي على إقرار الملكية الفردية، لما فيها من إشباع الدافع الفطري في نفس الإنسان، ولما تثمره من الشعور بالسيادة والقدرة، فمن شأن السيد الحر أن يمتلك ويتصرف، أما العبد فلا يملك ولا يتصرف، ولكنه وضع للملكية أسباباً لاكتسابها وقيوداً لتنميتها، وحقوقاً دورية وغير دورية عليها، واعتبر المالك الحقيقي للمال هو الله تعالى[2] .

ويهدف النظام الاقتصادي في الإسلام إلى إقامة الكفاية والعدل في حياة الناس وتحقيق الرفاهية لهم، ويحول دون وجود الطبقات في المجتمع الإسلامي عن طريق توزيع الثروة وإعادة توزيعها باستمرار لما لوجود الطبقات من نتائج اجتماعية واقتصادية خطيرة[3] .

فالمال في الإسلام نعمة من نعم الله عز وجل ويجب على الإنسان أن يستغل هذه النعمة في رضوان الله تعالى، فعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(يقول العبد مالي مالي، إنما له من ماله ثلاثٌ: ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلى، أو أعطى فاقتنى[4]، وما سوى ذلك فهو ذاهبٌ، وتاركُهُ للناس)**[5] .

---

(1) صحيح البخاري واللفظ له، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى وجوه يومئذ ناضرة، رقم ٧٠٠٧، ج٦/٢٧١٠، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب وعيد من اقتطع حق مسلم، رقم ١٣٨، ج١/١٢٢ .

(2) الحل الإسلامي فريضة وضرورة، يوسف قرضاوي، ص٥٦ .

(3) دراسات في الفكر العربي الإسلامي، إبراهيم زيد الكيلاني، ص١٩٤ .

(4) ادخره لآخرته أي ادخر ثوابه، شرح النووي على صحيح مسلم، ج١٨/٩٤ .

(5) صحيح مسلم واللفظ له، كتاب الزهد، رقم ٢٩٥٩، ج٤/٢٢٧٣، مسند أحمد رقم ٨٧٩٩، ج٢/٣٦٨، صحيح ابن حبان، كتاب الزكاة، باب ما جاء في الحرص، رقم ٣٢٤٤، ج٨/٣٥ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

فالنبي صلى الله عليه وسلم يبين أن المال وسيلة يتمتع بها الإنسان في حياته فيأكل ويشرب ويلبس وينفق على غيره، ويحث في هذا الحديث على الإنفاق في سبيل الله ويبين أن هذا هو الذي يدخره الإنسان لنفسه يوم القيامة .

ولقد زخرت النصوص الشرعية من القرآن الكريم والسنة النبوية بمئات النصوص التي تلهب حماس المسلمين وتحثهم على البذل والسخاء في سبيل الله تعالى، لسد جوعة الجائعين وإغناء الفقراء والمساهمة في الازدهار الاقتصادي، وعدَّ هذا العمل المبرور من أهم الأعمال الصالحة التي يدخل الإنسان بها الجنة .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(ما من يومٍ يصبحُ العبادُ فيهِ، إلا ملكانِ ينزلان، فيقولُ أحدُهُما: اللهم أعطِ منفقاً خلفاً، ويقول الآخرُ: اللهم أعطِ ممسكاً تلفا)**[1] .

قال النووي: هذا في الإنفاق في الطاعات ومكارم الأخلاق وعلى العيال والضيفان، والصدقات ونحو ذلك بحيث لا يذم ولا يسمى سرفاً والإمساك المذموم هو الإمساك عن هذا[2] .

فالنبي صلى الله عليه وسلم يستثير النفس البشرية ويحثها على البذل والإنفاق في كافة الوجوه المشروعة، وفي الوقت نفسه يبعد الخوف عن نفس المنفق ويقول له إن هذا الإنفاق لا يذهب المال ويتلفه بل يبارك فيه ويزيده.

فأراد المصطفى صلى الله عليه وسلم أن يبني بهذه التوجيهات النبوية مجتمعا متحضراً يعمه الأمن والرخاء وتختفي منه أسباب الفساد والانحلال.

---

[1] صحيح البخاري واللفظ له، كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى: (فأما من أعطى واتقى)، رقم ١٣٧٤، ج٥٢٢/٢ ، صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب ما في المنفق والممسك، رقم ١٠١٠، ج٧٠٠/٢ .

[2] شرح النووي على صحيح مسلم، ج٩٥/٧ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

يتبين من خلال ما سبق أن العامل الاقتصادي عامل مهم في بناء الحضارة الإسلامية، فالأمة التي تعاني من الفساد الاقتصادي، وعدم القدرة على إنتاج ما يلزمها من السلع والخدمات، لا يمكن لها أن تكون أمة متحضرة، والأمة التي تتمسك بهدي الإسلام في تنمية المال وإنفاقه، أمة متحضرة تسهم في بناء الحضارة الإسلامية وتحقق للإنسانية جمعاء الخير والفلاح في الدنيا والآخرة .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

www.manaraa.com

المبحث الخامس

العامل العسكري

لا يمكن لأمة من الأمم أن تبني حضارة متميزة تستطيع الصمود في وجه أعدائها وتحفظ العزة والكرامة لأبنائها، دون أن تمتلك قوة عسكرية تمكنها من ذلك، وهذا ما سوف نتعرف عليه من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول :- تعريف العامل العسكري .

العسكر في اللغة: الجيش. وعَسكر الرجل فهو معسكِر بكسر الكاف: أي هيأ العسكر، وموضع العسكر: مُعسكر[1] .

والعسكر: مجتمع الجيش، وعسكر الليل: تراكمت ظلمته، وعسكر بالمكان: تجمع[2] .

من خلال النظر في المعنى اللغوي لكلمة عسكر يظهر أن المعنى اللغوي يدل على المعنى الاصطلاحي **فالعسكر اصطلاحاً:** يطلق على الجيش المجهز والمدرّب وأقصد بالعامل العسكري: أثر وجود القوة العسكرية المجهزة والمدرّبة في بناء الحضارة الإسلامية.

المطلب الثاني :- دعوة الإسلام إلى بناء القوة العسكرية .

ورد في القرآن الكريم تشريع واضح بوجوب الإعداد العسكري على مستوى القوة البشرية المدرّبة، والسلاح والخيل وغير ذلك مما تقتضيه القوة العسكرية وهو ما دل عليه قول الله تعالى: ﴿* **وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ...**﴾[3] .

---

(1) مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، مكتبة لبنان، بيروت، ج٤٦٧/١ .
(2) لسان العرب، ابن منظور، ج٥٦٧/٤ .
(3) سورة الأنفال، آية ٦٠ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

قال ابن عاشور: والإعداد التهيئة والإحضار ودخل في قوله تعالى: **﴿مَّا اسْتَطَعْتُم﴾** كل ما يدخل تحت قدرة الناس اتخاذه من العدة، والخطاب لجماعة المسلمين وولاة الأمر منهم.. فقوة الجيش شدة وقعة على العدو، وقوته أيضاً سلاحه وعتاده وهو المراد هنا، وهو مجاز مرسل بواسطتين فاتخاذ السيوف والرماح، والأقواس والنبال من القوة في جيوش العصور الماضية ،واتخاذ المدافع والدبابات والطيارات والصواريخ من القوة في جيوش عصرنا[1].

" والجيوش التي تعد للمعارك نفسياً ومادياً هي التي يمكن أن تحقق الانتصار في المعارك وأن تصمد، ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يحرص على إعداد جيشه للحرب، والقتال إعداداً شاملاً كاملاً مما يؤكد عبقرية الرسول صلى الله عليه وسلم العسكرية" [2] .

ومن يتتبع سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم، يجد أن بناء القوة العسكرية كان من أهم الأمور التي بادر في إيجادها، فما أن استقر النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة، حتى بدت قريش ومن والاها من العرب، بإعداد العدة للقضاء على الدولة الإسلامية الناشئة، فعمل على تهيئة أصحابه وإعدادهم للجهاد، وقام بإرسال السرايا الاستطلاعية التي تزود المسلمين بأخبار المشركين وتحركاتهم، وتساعد على تدريب المسلمين على القتال، وقد كانت هذه السرايا نواة جيش المسلمين الذي خاض الغزوات فيما بعد، وعمل على تقوية الدولة الإسلامية وحفظ لها هيبتها أمام الأعداء.

وكانت أول سرية بعثها النبي صلى الله عليه وسلم هي سرية عبيدة بن الحارث، وضمت ستين مقاتلا كلهم من المهاجرين، وذلك في مطلع السنة الثانية للهجرة، وأمرها الرسول صلى الله عليه وسلم بالتوجه إلى (ثنية المرة) وهي موقع بين مكة والمدينة. وذلك من أجل استطلاع أخبار العدو ورصد تحركاته[3].

ومن السرايا والبعوث التي بعثها النبي صلى الله عليه وسلم لاستطلاع أخبار العدو والقيام ببعض المهمات القتالية، سرية عاصم بن ثابت الأنصاري، فعن أبي هريرة رضي

---

(1) التحرير والتنوير، ابن عاشور ج١٧٨٦/١ .
(2) دروس عسكرية من السيرة النبوية، محمود شيت خطاب، ص٣١ .
(3) البداية والنهاية ، ابن كثير ،ج٢٣٤/٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

الله عنه قال: **بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم، عشرة رهطٍ سرية عيناً، وأمّر عليهم عاصم بن ثابت الأنصاري** [1].

وقد ساهمت هذه البعوث والسرايا التي بعثها النبي صلى الله عليه وسلم في أضعاف قوة العدو، وإحراز بعض الغنائم للمسلمين، فعن عبد الله بن عمر:(**أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية فيها عبد الله بن عمر قِبل نجدٍ، فغنموا إبلاً كثيرةً، فكانت سهامُهُم اثني عشر بعيراً، أو احد عشر بعيراً، ونُفّلوا بعيراً**)[2] .

وقد كانت السرايا الأسلوب العملي لإعداد الأمة للجهاد، وأدت دورا مهما في حماية الدولة الإسلامية، وزعزعة أمن القوى المعادية وإضعافها، والتأثير على أوضاعها الاقتصادية، من خلال الغارات التي كانت تقوم بها تلك السرايا، كما كانت أسلوبا ناجحا في تدريب المسلمين على القتال، ووسيلة ناجحة للتعرف على الأماكن المحيطة بالمدينة المنورة، ولها فائدة كبيرة أيضا في الوقوف على أخبار العدو ورصد تحركاته.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعتبر كل مسلم قادر على حمل السلاح جنديا من جنود الدولة الإسلامية، وكان يغرس في نفوسهم الإيمان بالله والتضحية في سبيله، منذ الأيام الأولى للدعوة الإسلامية.

وقد اهتم النبي صلى الله عليه وسلم بإعداد القوة العسكرية إعداداً مادياً ومعنوياً، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى اللهِ من المؤمن الضعيفِ، وفي كلٍ خيرٌ، احرص على ما ينفعُكَ، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيءٌ فلا تقل: لو أني فعلتُ كان كذا وكذا، ولكن قل قدَرُ اللهِ، وما شاء فعل، فإنَّ لو تفتحُ عملَ الشيطان**)[3] .

---

[1] صحيح البخاري ، كتاب الجهاد والسير ، باب هل يستأسر الرجل، رقم ٢٨٨٠،ج١١٠٨/٣.
[2] صحيح البخاري ، كتاب الخمس ، باب الدليل على أن الخمس لنوائب المسلمين ، رقم ٢٩٦٥، ج١١٤١/٣.
[3] صحيح مسلم واللفظ له، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة، رقم ٢٦٦٤، ج٢٠٥٢/٤، سنن ابن ماجة، كتاب الإيمان، باب في القدر، رقم ٧٩، ج٣١/١، مسند أحمد، رقم ٨٧٧٧، ج٣٦٦/٢ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

قال النووي: والمراد بالقوة هنا عزيمة النفس والقريحة في أمور الآخرة فيكون صاحب هذا الوصف أكثر إقداماً على العدو في الجهاد وأسرع خروجاً إليه وذهاباً في طلبه[1] .

فقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم القوة سبباً في زيادة خيرية الإنسان، وذلك لما للقوة من دور في الإعمار والإنجاز، والقوة جاءت مطلقة وغير مقيدة لنعلم أن المقصود بها كل ما يمكن أن يصل بالمسلم إلى غايته في الإصلاح والإعمار، والقوة لا تستحق المدح إلا إذا اقترنت بالإيمان .

وكما اهتم النبي صلى الله عليه وسلم بالإعداد المعنوي، اهتم كذلك بالإعداد المادي والأخذ بالأسباب التي تؤدي إلى تحقيق النصر ورفع راية التوحيد، وقد كان اهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم بالإعداد المادي يأخذ صوراً متعددة منها :

١- التدريب على الحرب .

حرص النبي صلى الله عليه وسلم منذ قدومه إلى المدينة المنورة على إيجاد جيش إسلامي مدرب، يحمي المسلمين من الأعداء ويضمن نشر الدعوة الإسلامية ،ومن اجل ذلك فقد وجه أصحابه إلى ضرورة التدّرب على فنون القتال المختلفة، فحث على تعلم الرماية وركوب الخيل، وشرع المصارعة واللعب بالحراب والسيوف وغير ذلك من الفنون التي تلزمهم في مواجهة عدوهم .

ومما يدل على ذلك ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: **بينما الحبشةُ يلعبون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بحرابهم، إذ دخلَ عمرُ بنُ الخطابِ، فأهوى إلى الحصباء[2]يحصِبُهُم بها، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: (دعهم يا عمر)[3].**

فقد سمح النبي صلى الله عليه وسلم للأحباش باللعب بالحراب، وهذا اللعب ليس للعبث أو اللهو، بل من أجل تدريبهم على إتقان فنون الحرب والاستعداد للقاء العدو.

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، ج٢١٥/١٦ .

(٢) الحصباء: هي الحصا الصغار، ويحصبهم بها: أي يرميهم بها، شرح النووي على صحيح مسلم، ج١٨٧/٦ .

(٣) صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب اللهو بالحراب، رقم ٢٧٤٥، ج١٠٦٣/٣، صحيح مسلم واللفظ له، كتاب صلاة العيدين، باب الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه، رقم ٨٩٣، ج٦١٠/٢ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

وقد شهد النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين وهم يتدربون على فنون القتال والجهاد، ومما يدل على ذلك ما روي عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: **مر النبي صلى الله عليه وسلم على نفر مِنْ أسلم ينتظلون، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (ارموا بني إسماعيل، فإن أباكم كان رامياً، ارموا وأنا مع بني فلان) قال: فأمسك أحدُ الفريقين بأيديهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما لكم لا ترمون)، قالوا: كيف نرمي وأنت معهم؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (ارموا فأنا مَعَكُم كُلِّكُم)**[1].

فالنبي صلى الله عليه وسلم يشجع في هذا الحديث على تعلّم الرمي والتدرّب عليه، ولا شك أن هذا يدل على أهمية وجود قوة عسكرية تتقن فنون الحرب وتقف في وجه الأعداء وترد كيدهم عن بلاد المسلين .

وقد شجع النبي صلى الله عليه وسلم على تعلم الرمي، وبين أن له أهمية كبيرة، فعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول: **(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوةٍ، ألا إنَّ القوة الرميُ، ألا إنَّ القوة الرميُ، ألا إنَّ القوة الرميُ)**[2] .

قال النووي: فيه فضيلة الرمي والمناضلة والاعتناء بذلك بنية الجهاد في سبيل الله تعالى، وكذلك المشاجعة وسائر أنواع استعمال السلاح وكذا المسابقة بالخيل، والمراد بهذا كله التمرّن على القتال والتدرّب والتحذّق فيه ورياضة الأعضاء بذلك[3] .

ومما يدل على أهمية تعلم الرمي أيضاً ما روي عن عقبة بن عامر قال: **(قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مَنْ عَلِمَ الرَّميُ ثم تركهُ، فليس منّا، أو قد عصى)**[4].

---

(1) صحيح البخاري واللفظ له، كتاب الجهاد والسير، باب التحريض على الرمي، رقم ٢٧٤٣، ج١٠٦٢/٣، سنن ابن ماجة، كتاب الجهاد، باب الرمي في سبيل الله، رقم ٢٨١٥، ج٩٤١/٢، مسند أحمد رقم ٣٤٤٤، ج٣٦٤/١ .

(2) صحيح مسلم واللفظ له، كتاب الجهاد، باب فضل الرمي، رقم ١٩١٧، ج١٥٢٢/٣، سنن الترمذي، كتاب التفسير، سورة الأنفال، رقم ٣٠٨٣، ج٢٧٠/٥، سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب في الرمي، رقم ٢٥١٤، ج١٦/٢ .

(3) شرح النووي على صحيح مسلم، ج٦٤/١٣ .

(4) صحيح مسلم واللفظ له ، كتاب الإمارة، باب فضل الرمي، رقم ١٩١٩، ج١٥٢٢/٣، سنن ابن ماجة، كتاب الجهاد، باب الرمي، رقم ٢٨١٤، ج٩٤٠/٢، مسند أحمد ، رقم ١٧٣٧٤، ج١٤٨/٤ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

قال النووي: هذا تشديد عظيم في نسيان الرمي بعد علمه، وهو مكروه كراهة شديدة لمن تركه بلا عذر[1] .

فالنبي صلى الله عليه وسلم يؤكد على ضرورة إتقان الرمي ويحذّر من نسيانه وذلك لان الرمي من أكثر الأمور فاعلية في مقاومة الأعداء، وقد اتخذ النبي صلى الله عليه وسلم من مسجده النبوي الشريف مقراً للقيادة يعد فيه الخطط العسكرية، ويعقد في رحابه مجالس الجهاد، ويهيئ فيه المجاهدين الصادقين، ويصدر فيه القرارات والأوامر والوصايا، وينصت فيه إلى آراء أصحابه، لأن أمرهم بينهم شورى .

"وكان يحشد أصحابه في المسجد، ليشحنهم بطاقات مادية ومعنوية لا ينضب معينها، ويحرض المؤمنين على القتال، ويأمرهم بالثبات وينهاهم عن الفرار، ويحذرهم الفرقة والتنازع، ويأمرهم بالطاعة والنظام، ويشيع فيهم المحبة والألفة والتآخي، وكانت الغزوات والسرايا تنطلق من المسجد وتعقد الرايات والأعلام للمجاهدين من المسجد، وتوزع فيه الأسلحة والمعدات، ويعود المجاهدون من الغزوات والسرايا إلى المسجد، ويتعلم المسلمون أحكام الجهاد في المسجد" [2] .

يتبين من خلال ما سبق أن النبي صلى الله عليه وسلم أهتم بتدريب المسلمين على فنون الحرب وأساليبه، وما ذلك إلا من أجل رفع كفاءة المقاتل وأعداده لمواجهة الأعداء بكل شجاعة وإقدام.

---

[1] شرح النووي على صحيح مسلم، ج٦٥/١٣ .
[2] جيش الرسول صلى الله عليه وسلم، محمود شيت خطاب، ص١٤ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

٢-إعداد الأسلحة ووسائل الحرب .

اهتم النبي صلى الله عليه وسلم بإعداد الأسلحة ووسائل الحرب، ووجه الأمة إلى ضرورة الاعتناء بذلك، وحث على استخدام كل الطرق والأساليب التي تحقق للأمة عزها وتمكنها من قهر عدوها.

ومما يدل على ذلك ما روي عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **(إن الله عز وجل يدخل ثلاثة نفر الجنّة بالسهم الواحد، صانعه يحتسب في صنعه الخير، والرامي به ومنبّله)**[١] .

فقد وعد النبي صلى الله عليه وسلم من يصنع السلاح احتساباً للأجر والثواب، ومن يقاتل به أو يساعد في ذلك، بالفوز والفلاح ودخول الجنة، ولا شك أن في هذا دعوة للأمة الإسلامية إلى ضرورة إيجاد القوة العسكرية للوقوف في وجه الاعداء وحماية الأمة الإسلامية من كيد الطامعين .

فالحديث يتضمن الدعوة إلى اقتناء السلاح وصنعه والتدرب عليه، وما ذلك إلا من أجل توفير أسباب العزة والمنعة للأمة الإسلامية، فالأمة التي تقتني السلاح وتحسن استخدامه، وتمتلك المصانع العسكرية التي تزودها بالأسلحة اللازمة، أمة حازت أسباب القوة والمنعة وحصّنت نفسها من أطماع الطامعين وكيد الكائدين.

وقد حث الرسول صلى الله عليه وسلم كل مسلم أن يكون مستعداً بعدته وآلته حتى ولو لم يكن قادرا على الحرب، فلعله يعطي السلاح لغيره يجاهد به، فيكون له ثواب الجهاد.

عن زيد بن خالد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(مَنْ جهَّزَ غازياً في سبيل اللهِ فقد غزا، ومن خَلَفَ غازياً في سبيل الله بخير فقد غزا)**[٢] .

---

(١) سنن الترمذي، كتاب فضائل الجهاد، باب فضل الرمي في سبيل الله، رقم ١٦٣٧، ج٢٧٤/٣، وقال حديث حسن ، سنن النسائي واللفظ له، كتاب الجهاد، باب ثواب من رمى بسهم، رقم ٣١٤٦، ج٢٨/٦، سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب في الرمي، رقم ٢٥٠٥، ج١٦/٢، مسند أحمد، رقم ١٧٣٧٣، ج١٤٨/٤، وقال شعيب الارنؤوط حديث حسن بطرقه وشواهده ، سنن الدارمي، رقم ٢٤٠٥،ج٢٦٩/٢، وقال حسين سليم أسد: إسناده جيد ، المستدرك للحاكم ،رقم ٢٤٦٧،ج١٠٤/٢، وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

(٢) صحيح البخاري واللفظ له، كتاب الجهاد والسير، باب فضل من جهز غازياً، رقم ٢٦٨٨، ج١٠٤٥/٣، صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل إعانة الغازي، رقم ١٨٩٥، ج١٥٠٦/٣ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

فالذي يجهز المقاتلين بما يلزمهم من أسلحة ومتاع، أو يتعهد من تركوا خلفهم بالنفقة والإحسان، له أجر الجهاد في سبيل الله، لأن الذي ذهب إلى المعركة جاهد بنفسه وهذا جاهد بماله.

وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في أحاديثه أنواعاً من الأسلحة وبين فضل من يستخدمها في سبيل الله .

فعن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(واعلموا أنَّ الجنَّةَ تحتَ ظلالِ السيوفِ)**[1] .

قال النووي: معناه ثواب الله والسبب الموصل إلى الجنّة الضرب بالسيوف في سبيل الله[2] .

يبين النبي صلى الله عليه وسلم أن إعداد العدة لمقاومة الأعداء وقهرهم، سبيل إلى نيل رضوان الله تعالى والفوز بالجنة .

وقد اعتنى النبي صلى الله عليه وسلم بالخيل وحث على اقتنائها، وذلك لأنها أفضل عدة للحرب في زمانه . عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(الخيلُ في نواصيها الخيرُ إلى يومِ القيامةِ)**[3] .

ومما يدل على ذلك أيضاً ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(من احتبس فرساً في سبيل الله إيماناً بالله وتصديقاً بوعده فإن شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة)**[4] .

قال المهلب: في هذا الحديث جواز وقف الخيل للمدافعة عن المسلمين، ويستنبط منه جواز وقف غير الخيل من المنقولات ومن غير المنقولات من باب أولى[5] .

وقد حرص النبي صلى الله عليه وسلم على استخدام كل الأسلحة التي اتيحت له في زمانه، وحث على التطوير في مجال صناعة الأسلحة، يدل على ذلك ما ورد في بعض

---

(1) صحيح البخاري واللفظ له، كتاب الجهاد والسير، باب الجنة تحت بارقة السيوف، رقم ٢٦٦٣، ج١٠٣٧/٣، صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد، رقم ١٩٠٢، ج١٥١١/٣ .

(2) شرح النووي على صحيح مسلم، ج٤٦/١٢ .

(3) صحيح البخاري واللفظ له، كتاب الجهاد والسير، باب الخيل معقود في نواصيها الخير، رقم ٢٦٩٤، ج١٠٤٧/٣، صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب الخيل معقود في نواصيها الخير، رقم ١٨٧١، ج١٤٩٢/٣ .

(4) صحيح البخاري واللفظ له، كتاب الجهاد والسير، باب من احتبس فرساً، رقم ٢٦٩٨، ج١٠٤٨/٣، سنن النسائي، كتاب الخيل، باب علف الخيل، رقم ٣٥٨٢، ج٢٢٥/٦ .

(5) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ج٥٧/٦ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

كتب السيرة بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان أول من رمى بالمنجنيق في الإسلام، فقد رمى به أهل الطائف حين حاصرهم [1].

وكان الصحابة يتعلمون في عهده صلى الله عليه وسلم صناعة الأسلحة، فقد ذكر ابن كثير أن عروة بن مسعود وغيلان بن سلمة ذهبا إلى جرش يتعلمان صناعة الدبابات والمنجنيقات[2].

فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يأمر الأمة بالوقوف عند حدٍ معين في مجال القوة العسكرية، بل حث على استحداث كل ما يجعل الأمة الإسلامية قوية مهيبة الجانب، فعلى الأمة الإسلامية أن تسعى بكل جد ونشاط لبناء قوة عسكرية مجهزة بأحدث الأسلحة والمعدات لكي تتمكن من الصمود في وجه عدوها.

وقد اهتم النبي صلى الله عليه وسلم بكل الوسائل التي تحفظ للأمة الإسلامية هيبتها وتحول دون الاعتداء عليها، فقد اتخذ النبي صلى الله عليه وسلم حرساً على الجيش الإسلامي حتى لا ينتهز العدو فرصة فيباغتهم على حين غفلة منهم، **فعن ابن عباس قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله)**[3] .

فقد بين النبي صلى الله عليه وسلم، أن السهر على مصلحة الأمة، وحفظها من الاعتداء عليها سبب من أسباب دخول الجنة.

يتبين مما سبق أن النبي صلى الله عليه وسلم أكد على ضرورة إيجاد قوة عسكرية مدّربة ومجهزة بكافة الأسلحة الممكنة، للدفاع عن الإسلام والمسلمين وحماية منجزاتهم وممتلكاتهم، من كيد أعداء الإسلام، فالحضارة الإسلامية لا يمكن لها أن تستمر إلا بوجود قوة عسكرية تدافع عن الإسلام وأهله، وتحطم الحواجز التي تحول دون انتشار الإسلام .

---

(1) السيرة النبوية،محمد بن عبد الملك بن هشام،تحقيق مصطفى السقا، ط٢القاهرة،ج١٥٥/٥.

(2) البداية والنهاية ،ابن كثير ،ج٣٤٥/٤.

(3) سنن الترمذي واللفظ له ، كتاب فضائل الجهاد ، باب فضل الحرس في سبيل الله ،رقم ١٦٣٩، ج١٧٥/٤، وقال: وفي الباب عن عثمان وأبي ريحانة، وحديث أبن عباس حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث شعيب بن زريق، شعب الإيمان ، البيهقي، رقم ٨٠٩ ، ج٣٥٣/٢، مسند الشهاب، رقم ٣٢٠، ج٢١١/١، وقال الألباني: حديث صحيح، السلسلة الصحيحة ، رقم ٢٦٧٣، صحيح سنن الترمذي،ج١٣٩/٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

يقول الميداني: فقد يغدو فريق من مخالفي رسالة الحضارة الإسلامية اعداء معلنين عداوتهم متربصين بالمسلمين، أو شاهري أسلحتهم في وجوههم، وفي مواجهة هؤلاء يجد حملة رسالة الحضارة الإسلامية أنفسهم أمام أمر لازم لا مناص منه، يفرض عليهم أن يكونوا مدافعين، أو مهاجمين بما لديهم من قوة مادية ومعنوية وأمام هذا الأمر الذي لا مفر منه فإن من واجب حملة رسالة الحضارة الإسلامية أن يتخذوا وسائل الدفاع الكافية، والمبادهة في بعض الأحيان قبل المباغتة مع التزام شروط رسالتهم الربانية، التي يضطلعون بمهمتها ويكون ذلك بأمرين :

١- إعداد القوة التي تربوا على قوة العدو، من مال وسلاح ورجال، وخبرات ومعارف، وحصون وغير ذلك ..

٢- القتال لإعلاء كلمة الله، والقتال وسيلة تكون في آخر الأمر، حينما لا تجدي الوسائل الأخرى من دونه، وحينما يصبح حملة رسالة الحضارة الإسلامية تحت الخطر المداهم، أو هدفاً للخطر المتربص من قبل أعدائهم[١] .

فالحرب المشروعة هي التي تكون من أجل إعلاء كلمة الله تعالى ونشر الدين الإسلامي والدفاع عن المسلمين وأوطانهم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: **الرجل يقاتلُ للمغنم، والرجُلُ يقاتلُ للذكر، والرجُلُ يُقاتِلُ لِيُرى مكانُهُ، فمن في سبيل الله؟ قال: (من قاتل لتكونَ كلمةُ اللهِ هي العليا، فهو في سبيل الله)**[٢] .

فالإسلام لا يلجأ للحرب إلا لمقاومة البغي والظلم، ولذلك تراه يرفض معظم الأسباب التي تدفع إلى الحرب، ويستبعد ألواناً منه لا يقر بواعثها وأهدافها، فهو يستبعد الحروب

---

(١) أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها، حبنكة الميداني، ص٣٩٦ .

(٢) صحيح البخاري واللفظ له ، كتاب الجهاد والسير، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، رقم ٢٦٥٥، ج١٠٣٤/٣، صحيح مسلم، كتاب الإمارة باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، رقم ١٩٠٤، ج١٥١٢/٣ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

التي تثيرها العصبية، والحروب التي يثيرها حب الأمجاد الزائفة، أو حب المغانم الشخصية، وغير ذلك .

من خلال ما سبق من توجيهات نبوية ندرك أن للقوة العسكرية دورا مهما وفعالاً في بناء الحضارة الإسلامية، وذلك لان الأمة التي لا يتوافر لديها عنصر القوة والمنعة لا يمكن لها النجاح في نشر مبادئها والصمود في وجه عدوها، لذلك بادر النبي صلى الله عليه وسلم عند قدومه للمدينة المنورة ببناء قوة عسكرية تتولى حماية المسلمين في الداخل، وتعمل على نشر الإسلام في الخارج، فبنى صلى الله عليه سلم بذالك أعظم حضارة عرفتها البشرية.

المطلب الثالث: أخلاق الإسلام في الحرب

لم يجعل للإسلام الهدف من القتال الاعتداء على الناس وقهرهم وإذلالهم، والاستيلاء على خيراتهم وممتلكاتهم كما هو الحال عند بعض الدول المتسلطة اليوم، بل شرع القتال من أجل نشر الإسلام، وحماية أهله من القهر والذل، وحماية مقدرات الأمة وممتلكاتها من الاعتداء عليها. قال تعالى: (* **أوذن للذين يُقاتَلُونَ بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير** *)[1] . فقد أذن الله سبحانه وتعالى للأمة بالقتال، من أجل رفع الظلم الواقع بها لا من أجل التسلط على الشعوب ونهب خيراتهم وإذلالهم.

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن نشر الدين هو الباعث على القتال، فعن أبن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**أمرت أن أقاتل الناس، حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك، عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله**)[2].

فلم يقاتل النبي صلى الله عليه وسلم الناس من أجل التوصل إلى نعيم الدنيا ومتاعها الزائل، بل كان الدافع للقتال أجلُّ وأرفع من ذلك، فكان بهدف إعلاء راية لا إله إلا الله وإقامة شرع الله، وتحطيم الحواجز التي تحول دون رفع هذه الراية.

---

[1] سورة الحج ، آية ٣٩.

[2] صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة ، رقم ٢٥ ،ج١/١٧ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

وتظهر أخلاق الإسلام في الحرب من خلال الوصايا التي كان المصطفى صلى الله عليه وسلم يوصي بها أمراء الجيوش في الغزوات،فعن سليمان بن بريدة عن أبيه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمَّر أميرا على جيش أو سرية، أوصاه في خاصَّتِهِ بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا، ثم قال: **(اغزوا باسم الله وفي سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدا، وإذا لقيت عدوك من المشركين، فادعهم إلى ثلاثِ خصالٍ (أو خلال) فأيَّتُهُنَّ ما أجابوك فاقبل منهم وكفَّ عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا منها، فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين، يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين، ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء، إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فسَلْهُم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم...)**[1].

فلم يجعل النبي صلى الله عليه وسلم القتال هو الخيار الأول عند لقاء المشركين، بل جعله الخيار الأخير، وفي حال فشل كل المحاولات السلمية لتحقيق عزة الإسلام وأهله، وهذا دليل على رحمة الإسلام وأهله، وأنه لم يتخذ القتل والتشريد وإلحاق الأذى بالناس غاية، وتظهر غاية التقدم الحضاري في فكر المصطفى صلى الله عليه وسلم، في نهيه عن التمثيل بالقتلى، وفي نهيه عن قتل غير المحاربين من الأطفال والنساء.

فلم يجعل النبي صلى الله عليه وسلم النساء والأطفال هدفا للحرب، كما هو الحال في إسرائيل اليوم التي جعلت غزة مقبرة جماعية للنساء ولأطفال والشيوخ والأبرياء، بل نهى عن قتل النساء والأطفال، **فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: وُجِدَت امرأةٌ مقتولةً، في بعض مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم، (فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم: عن قتل النساءِ والصبيانِ)**[2] .

---

(1) صحيح مسلم ، كتاب الجهاد ، باب تأمير الإمام الأمراء ، رقم ١٧٣١،ج١٣٥٦/٣.

(2) صحيح البخاري ، كتاب الجهاد والسير ، باب قتل النساء ، رقم ٢٨٥٢، ج١٠٩٨/٣. صحيح مسلم ، كتاب الجهاد، باب تحريم قتل النساء، رقم ١٧٤٤،ج١٣٤٦/٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

وقد دعا الإسلام إلى المحافظة على مقدرات العدو وعدم إتلافها، يشهد لهذا ما أُوصى به أبو بكر الصديق أسامة بن زيد عندما أنفذ بعثته إلى بلاد الشام، فقال: (**أيها الناس قفوا أوصكم بعشر، فاحفظوها عني، لا تخونوا، ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلا صغيرا، ولا شيخا كبيرا، ولا امرأة، ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا إلا لمأكلة...**)[1].

فقتل النساء والأطفال والشيوخ، وإتلاف الأموال والثروات، من الأمور التي لا يقرها الإسلام في الحرب، وذلك لما لها من الأضرار المدمرة التي تعود على البشرية.

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى في حسن التعامل مع الأسرى، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعث النبي صلى الله عليه وسلم خيلا قِبَل نجد، فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أثال، فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (**ما عندك يا ثمامة ؟**) . فقال: عندي خيرٌ يا محمد، إن تقتلني تقتل ذا دم، وإن تُنعم تُنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال فسَلْ منه ما شئت . فتُركَ حتى كان الغد فقال: (**ما عندك يا ثمامة ؟**) . فقال: ما قلت لك، إن تنعم تنعم على شاكر فتركه حتى كان بعد الغد، فقال: (**ما عندك يا ثمامة ؟**) فقال: عندي ما قلت لك فقال: (**أطلقوا ثمامة**) . فانطلق إلى نخل قريب من المسجد، فاغتسل ثم دخل المسجد فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله، يا محمد والله ما كان على الأرض وجه أبغض إلي من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلي، والله ما كان من دين أبغض إلي من دينك، فأصبح دينك أحب دين إلي، والله ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك، فأصبح بلدك أحب البلاد إلي...)[2].

فقد أحسن النبي صلى الله عليه وسلم معاملة هذا الأسير، ودخل في الإسلام لما رأى من كرم أخلاق المصطفى صلى الله عليه وسلم.

---

(1) تاريخ الأمم والملوك ، محمد بن جرير الطبري ،دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ج٢/٢٤٦.

(2) صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب وفد بني حنيفة ، رقم ٤١١٤،ج٤/١٥٨٩ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

المبحث السادس

العامل الأخلاقي

الأخلاق مقوم من مقومات الحضارة وهي الروح التي تسري في عروقها، وتجمل صورتها وتوفر لها الأمن والاستقرار، والإسلام هو مصدر الأخلاق فهو الذي يزكي النفس ويغذيها بالخير ويحبسها عن الشر .

وقد أقام المصطفى صلى الله عليه وسلم الحضارة الإسلامية، على أساس الالتزام بالقيم الإسلامية والأخلاق الرفيعة، وهذا ما سوف نقف عليه من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول :- مفهوم العامل الأخلاقي .

الأخلاق لغة: السجية والطبع، والمروءة والدين .

والخلقة: بمعنى الفطرة، والأخلاق وصف لصورة الإنسان الباطنة[1] .

الأخلاق اصطلاحاً :

الخلق: صفة مستقرة في النفس- فطرية أو مكتسبة- ذات آثار في السلوك محمودة أو مذمومة، والخلق منه ما هو محمود ومنه ما هو مذموم[2] .

وعرف الإمام الغزالي الخلق بأنه: " عبارة عن هيئة في النفس راسخة وعنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر، من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلاً وشرعاً سميت تلك الهيئة خلقاً حسناً، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقاً سيئاً " [3] .

وهذه التعريفات تنطبق على تعريف الأخلاق بشكل عام من غير تقييد بالإسلام، فدخل فيها الأخلاق الحسنة والقبيحة، وهناك من عرّف الأخلاق الإسلامية فقال :

---

(1) لسان العرب، ابن منظور، ج٨٨٩/١ .

(2) الوجيز في الأخلاق الإسلامية، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، مؤسسة الريان، بيروت، ط١، ص١١

(3) إحياء علوم الدين، الغزالي، القاهرة، ص٥٣ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

والأخلاق الإسلامية هي ما يظهر على المسلم من آثار وصفات نتيجة تقيده بالأحكام الشرعية التي جاء بها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة[1] .

فالمراد بالعامل الأخلاقي إذن أثر التقييد بالأخلاق الإسلامية في بناء الحضارة، أو دور الأخلاق الإسلامية في بناء الحضارة .

المطلب الثاني :- أهمية الأخلاق في الإسلام .

دعا النبي صلى الله عليه وسلم الأمة إلى التخلق بالأخلاق الفاضلة وترك الأخلاق الذميمة، من أجل إيجاد مجتمع متماسك له شخصيته المتميزة بين المجتمعات البشرية، فقد وجه الأمة إلى كل خلق من شانه نشر المحبة والألفة بين الناس، وحذر من كل خلق يودي إلى الفرقة والاختلاف، فقد بلغ المجتمع المدني الذي بناه المصطفى صلى الله عليه وسلم الذروة في المحبة والترابط واحترام الحقوق، وما ذلك كله إلا بسبب التحلي بالأخلاق الإسلامية والابتعاد عن الأخلاق السيئة، فالتزام الأخلاق يؤدي إلى التقدم والارتقاء وإهمالها يؤدي إلى فساد الأحوال وهلاك العباد.

يقول الميداني: إن أي مجتمع من المجتمعات الإنسانية لا يستطيع أفراده أن يعيشوا متفاهمين متعاونين سعداء ما لم تربط بينهم روابط متينة من الأخلاق الكريمة، فمكارم الأخلاق ضرورة اجتماعية لا يستغني عنها مجتمع من المجتمعات، ومتى فُقدت الأخلاق التي هي الوسيط الذي لابد منه لانسجام الإنسان مع أخيه الإنسان، تفكك أفراد المجتمع، وتصارعوا وتناهبوا مصالحهم، ثم أدى بهم ذلك إلى الانهيار والدمار، فلا تستطيع أمة إنشاء حضارة مثلى لولا فضائل التآخي والمحبة والتعاون، ولقد دلت التجارب الإنسانية والأحداث التاريخية على أن ارتقاء القوى المعنوية للأمم والشعوب ملازم لارتقائها في سلم الأخلاق الفاضلة، ومتناسب معه، وأن انهيار القوى المعنوية للأمم والشعوب ملازم لانهيار أخلاقها ومتناسب معه[2] .

فالأخلاق الإسلامية طريق للفوز والفلاح في الدنيا والآخرة، ومما يدل على أهميتها أن النبي صلى الله عليه وسلم جعلها دليل على صدق الإيمان وكماله، فعن أبي هريرة

---

(1) دراسات في الفكر العربي الإسلامي، إبراهيم زيد الكيلاني وآخرون، ص١٧٤ .
(2) الوجيز في الأخلاق الإسلامية، الميداني، ص٣٣-٣٤ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(أكملُ المؤمنين إيماناً أحسنُهُم خلقاً، وخيركم خيركم لنسائهم)**[1] .

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم، إن أصحاب الأخلاق الفاضلة هم خير الناس عند الله عز وجل، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(إن من خياركم أحاسِنكُمْ أخلاقاً)**[2] .

فالنبي صلى الله عليه وسلم يحث على التحلي بالأخلاق الفاضلة ويبين أن كمال الإيمان لا يكون إلا بحسن الخلق، فالأخلاق سبيل إلى التميز والسمو والازدهار، وذلك لأنها تدفع الإنسان إلى فعل الخير وتوجه طاقاته وقدراته الوجهة الصحيحة التي تمكنه من بناء حضارة متميزة، تحقق له ولمجتمعه الأمن والاستقرار.

" فالأخلاق جزء من العقيدة الإسلامية، والسلوك الأخلاقي جزء من نظام الكون المستمد من الخالق سبحانه وتعالى، فلا شيء يضمن ديمومة الأخلاق وثباتها إلا كونها مترتبة على الإيمان منبثقة من الاعتقاد" [3].

وحياة النبي صلى الله عليه وسلم ، تمثل النموذج العملي في امتثال الأخلاق الإسلامية في كافة مجالات الحياة.

يقول أكرم ضياء ألعمري: "والمتأمل في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، يشهد الأمثلة الرائعة على حسن ذوقه وجميل طبعه وكرم خلقه، وحسن معاشرته ورفق معاملته، واعتدال مزاجه وعدالة أحكامه، وصدق كلامه...وهذا الكمال الخلقي من أعظم دلائل نبوته عليه الصلاة والسلام. فقد كان الصدق يملأ حياته ويحكم علاقاته، ويطبع أقواله وأفعاله" [4].

فقد جمع النبي صلى الله عليه وسلم محاسن الأخلاق كلها، والأدلة على ذلك كثيرة، ومن المواقف التي تشهد له بكرم خلقه ورفق معاملته، ما روى أنس بن مالك رضي الله

---

[1] سنن الترمذي واللفظ له، كتاب الرضاع، باب حق المرأة على زوجها ، رقم ١١٦٢، ج٤٥٤/٢، وقال: حديث حسن صحيح ، سنن أبي داود ،كتاب السنة ، باب الدليل على زيادة الإيمان، رقم ٢٦٨٢،ج٦٣٢/٢، مسند أحمد، رقم ٧٣٩٦، ج٢٥٠/٢، وقال شعيب الارنؤوط: حديث صحيح، صحيح أبن حبان، رقم ٤٧٩،ج٢٢٧/٢، سنن الدارمي ، رقم ٢٧٩٢،ج٤١٥/٢، مسند أبي يعلى ، رقم ٥٩٢٦، المستدرك ، كتاب الإيمان، رقم ١، ج٤٣/١، وقال الألباني: حديث حسن صحيح ، السلسلة الصحيحة، رقم ٢٨٤،ج٥٧٣/١ .

[2] صحيح البخاري ، كتاب المناقب، باب صفة النبي، رقم ٣٣٦٦، ج١٣٠٥/٣، صحيح مسلم واللفظ له ، كتاب الفضائل، باب كثرة حيائه صلى الله عليه وسلم، رقم ٢٣٢١، ج١٨١٠/٤ .

[3] القرآن الكريم رؤية تربوية، زهير محمد كحالة، دار الفكر، عمان، ط١، ص١٧٨ .

[4] السيرة النبوية الصحيحة ، أكرم ضياء العمري ،ج٦٦٤/٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

عنه قال:(كنت أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم وعليه بُردٌ نجرانيٌّ غليظُ الحاشيةِ، فأدركهُ أعرابيٌ فجذبهُ جذبةً شديدةً، حتى نظرتُ إلى صفحةِ عاتق النبي صلى الله عليه وسلم، قد أثَّرت به حاشيةُ الرداءِ من شدةِ جذبتهِ، ثم قال: مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفتَ إليه فضحك، ثم أمر له بعطاءٍ)[1].

فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يبطش بذلك الإعرابي، وضحك في وجهه وأعطاه حاجته التي يريد، وهذا خير شاهد على كرم أخلاقه وسعة صدره صلى الله عليه وسلم.

وقد كان صلى الله عليه وسلم أرفق الناس وأحسنهم معاملة، مع زوجه وخادمه والناس كافة، فعن أنس رضي الله عنه قال:(خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشرَ سنين، فما قال لي أفٍ، ولا: لِمَ صنعت ؟، ولا ألا صنعت ؟)[2].

وكان صلى الله عليه وسلم كريما سخيا لا يرد السائل والمحتاج، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : (ما سُئِلَ النبي صلى الله عليه وسلم عن شيءٍ قطُّ فقال: لا)[3].

قال النووي: "في هذا بيان عظيم سخائه، وغزارة جوده صلى الله عليه وسلم، ومعناه ما سئل شيئاً من متاع الدنيا" [4].

وكان صلى الله عليه وسلم رحيما عطوفا على الأطفال، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن الأقرع بن حابس أبصر النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقبل الحسن فقال: إن لي عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم، فقال رسول الله صلى الله عليه : (إنَّهُ من لا يَرحم لا يُرحم)[5].

فكان عليه الصلاة والسلام رحيما بالأطفال، يمازحهم ويلاطفهم ويقبلهم، ويدعو إلى الإحسان أليهم، ومما يدل على رحمته بالأطفال وسمو أخلاقه في كافة مجالات الحياة، أنه كان إذا أمّر أميراً على جيش أو سرية، أوصاه بتقوى الله وقال له: (اغزوا باسم الله، في

---

[1] صحيح البخاري ، كتاب الخمس ، باب ما كان النبي يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم ، رقم ٢٩٨٠، ج١١٤٨/٣، صحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب أعطاء من يسأل بفحش وغلظة ، رقم ١٠٥٧ ،ج٧٣٠/٢.

[2] صحيح البخاري واللفظ له ، كتاب الأدب ، باب حسن الخلق ، رقم ٥٦٩١،ج٢٢٤٥/٥، صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب كان رسول الله أحسن الناس خلقا ، رقم ٢٣٠٩ ، ج١٨٠٤/٤.

[3] صحيح البخاري واللفظ له ، كتاب الأدب ،باب حسن الخلق ، رقم ٥٦٨٧، ج٢٢٤٤/٥، صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب ما سئل رسول الله شيئا فقال لا، رقم ٢٣١١ ،ج١٨٠٥/٤.

[4] شرح النووي على صحيح مسلم ،ج٧١/١٥.

[5] صحيح مسلم واللفظ له ، كتاب الفضائل ، باب رحمته صلى الله عليه وسلم ، رقم ٢٣١٨، ج١٨٠٨/٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله ، اغزوا ولا تغلــوا ولا تغــدروا ولا تمثلــوا ولا تقتلــوا وليداً)[1].

تبين هذه الوصية الأخلاق العظيمة والصفات النبيلة التي تحلى بها المصطفى صلى الله عليه وسلم، وهذا ظاهر من خلال وصيته لأصحابه بعدم الغدر والخيانة وقتل الأطفــال الذين لا يستطيعون حمل السلاح.

ومما يؤكد أهمية الأخلاق أيضاً، أن النبي صلى الله عليه وسلم جعلها أمراً لازمــاً للفوز بالجنة والنجاة من النار، فإقامة الفرائض رغم أهميتها لا تنفع سيء الخلــق، الــذي يؤدي الفرائض دون أن يكون لهذه الفرائض أثر على أخلاقه، ويبقى سيء الخلق ولا يكف عن إيذاء المسلمين والاعتداء عليهم، فهذا هو المفلس الذي أخبر عنه النبي صلى الله عليــه وسلم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: **(أتــدرون مــا المفلس؟) قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: (إن المفلس من أمتي، يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وســفك دم هذا، وضرب هذا. فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته، قبــل أن يُقضى ما عليه، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار)**[2].

فالنبي صلى الله عليه وسلم يؤكد في هذا الحديث على أهمية الأخــلاق ويبــين أن العبادات لابد أن تقترن بحسن الخلق لأن العبادة وحدها دون الالتزام بالأخلاق الإســلامية والابتعاد عما حرم الله لا تحقق للإنسان الفوز والفلاح عند الله تعالى .

وكذلك فأن للأخلاق ثقلاً كبيراً في ميزان العبد يوم القيامة، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(ما من شيء أثقلُ في ميزان المــؤمن يــومَ القيامةِ من خُلُقٍ حسنٍ، وإنَّ اللهَ ليبغضُ الفاحشَ البذيءَ)**[3] .

فالنبي صلى الله عليه وسلم يبين أن الأخلاق من أعظم الأمور التي ينــال الإنــسان عليها الأجر من الله تعالى وهي سبيل إلى الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة .

---

(1) صحيح مسلم واللفظ له ، كتاب الجهاد والسير ، باب تأمير الأمام الأمراء على البعوث ، رقم ١٧٣١، ج١٣٥٦/٣.
(2) صحيح مسلم واللفظ له، كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، رقم ٢٥٨١، ج١٩٩٧/٤، مسند أحمد، رقم ٨٠١٦، ج٣٠٣/٢ .
(3) سنن الترمذي واللفظ له، كتاب البر والصلة، حسن الخلق، رقم ٢٠٠٢، ج٣٦٢/٤، وقال حديث حسن صحيح، سنن أبي داود، كتاب الأدب ، باب في حسن الخلق ، رقم ٤٧٩٩، ج٦٦٨/٢، وقال الألباني: حديث صحيح، مسند أحمد، رقم ٢٧٥٧٢، ج٤٤٨/٦، وقال شعيب الأرنؤوط إسناده صحيح ، مسند الطيالسي، رقم ٩٧٨، صحيح ابن حبان ،رقم ٤٨١،ج٢٣٠/٢،مسند الحميدي، رقم ٣٩٣ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

" فالأخلاق الإسلامية تعزز إيمان المسلم وترفع درجته عند الله تعالى فهي ركيـزة من ركائز الحضارة، وهي الروح التي تسري في عروقها فتجمل صورتها، ويعد القـرآن الكريم كنز الأخلاق، ومستودع جواهرها ومبعث فضائلها، ومحاسن خـصالها، والأخـلاق علم موضوعه تنظيم النشاط الإنساني" [١] .

والأخلاق الحسنة تنبثق عن الإيمان، وقد بدد النبي صلى الله عليه وسلم ذلك المفهوم الخاطئ، الذي يرى إمكانية انفصال الخلق عن الإيمان، فعن أنس رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى يحـب لجـاره- أو قـال لأخيه- ما يحبه لنفسه)**[٢].

فقد قرن النبي صلى الله عليه وسلم بين الإيمان والأخلاق الصالحة وبين أن الإيمان الكامل لا يكون إلا بحسن الخلق . فالإيمان القوي يلد الخلق القوي، وإن انهيـار الأخـلاق مرده إلى ضعف الإيمان، أو فقدانه، وذلك بحسب تفاقم الشر[٣] .

---

[١] دستور الأخلاق في الإسلام، محمد عبد الله دراز، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٤، ص٩٦ .

[٢] صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، رقم ١٣، ج١/١٤، صحيح مسلم واللفظ له، كتاب الإيمان، باب الدليل على خصال الإيمان، رقم ٤٥، ج١/٦٧ .

[٣] خلق المسلم، محمد الغزالي، دار القلم، دمشق، ص١٠ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

المطلب الثالث :- دور الأخلاق في بناء الحضارة

إن من ينظر إلى الأخلاق التي دعا إليها المصطفى صلى الله عليه وسلم يجد أنها جميعا تصب في مصلحة الإنسان وتزكيه وتطهره من عوامل الشر والفساد، فالصدق والأمانة والرفق والحلم والصبر والعفة وحسن المعاملة وغيرها من الأخلاق الفاضلة طريق لنشر المحبة بين أفراد المجتمع والعيش بأمن واستقرار، وسبيل لبناء حضارة متميزة بعيدة عن أسباب الفرقة والاختلاف، فلا يمكن لنا أن نصف أمة من الأمم بالتحضر إذا لم تسودها الأخلاق الفاضلة التي تدفع إلى الخير والرشاد وتمنع من الشر والفساد.

يقول محمود زقزوق : للأخلاق الإسلامية دور بارز في بناء الحضارة، فالحضارة الإسلامية التزام أخلاقي وليست حضارة إنتاج واستهلاك فقط، فلا يكفي أن يقتني المرء الحضارة مجرد اقتناء دون أن يكون ملتزماً أخلاقياً بمنظومة القيم الحضارية والسلوك الحضاري، ولهذا يمكن أن نرى فرداً من الأفراد يستخدم كل منتجات الحضارة ولكنه لا يسلك سلوكاً حضارياً، ومثل هذا الفرد لا يمكن أن يقال عنه إنه متحضر، رغم الأكوام الهائلة التي يحيط بها نفسه من منتجات الحضارة، وإذا قلنا إن الحضارة في جوهرها تعد التزاماً أخلاقاً فإننا نعني بذلك أن الحضارة مسؤولية، فهي التزام أخلاقي يجعل المرء على وعي بالمسؤولية الكبيرة التي يتحملها الإنسان[1] .

فالحضارة في نظره لا تنحصر في التقدم المادي واستخدام منتجات الحضارة فقط، بل تشمل إلى جانب ذالك الالتزام الأخلاقي، وهذا كلام سليم، إذ لا فائدة في التقدم المادي والعمراني في حال فساد الأحوال وانتشار المعاصي والمنكرات.

وقد اهتم النبي صلى الله عليه وسلم بكل القيم التي ترتقي بالإنسان وتسمو به، وبين أن بناء القيم الخلقية كان مقصد من مقاصد بعثته، يدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم **(بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)**[2] .

---

(1) الحضارة فريضة إسلامية، محمود حمدي زقزوق، دار الشروق، بيروت، ط١، ص٢٣ .

(2) المستدرك للحاكم واللفظ له، كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء، باب آيات رسول الله، رقم ٤٢٢١، ج٦٧٠/٢، وقال: حديث صحيح على شرط مسلم، مسند أحمد، رقم ٨٩٣٩، ج٣٨١/٢، وقال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح، الأدب المفرد، البخاري ، كتاب حسن الخلق، باب حسن الخلق، رقم ٢٧٣، ج١٠٤/١، السنن الكبرى ، البيهقي، رقم ٢٠٥٧١،ج١٩١/١٠، وقال الألباني: حديث صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم ٤٥،ج١١٢/١ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

يبين النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث إن بعثته كانت من أجل السمو بالبشرية وحملها على الأخلاق الفاضلة.

وقد حث النبي صلى الله عليه وسلم على الأخلاق الفاضلة، وبين أنها مفتاح كل خير، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **(إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم)**[1].

فالنبي صلى الله عليه وسلم يحث على التحلي بالأخلاق الفاضلة ويبين أن الإنسان يبلغ بهذه الأخلاق أعلى المراتب في الأجر والثواب، وهذا توجيه من النبي صلى الله عليه وسلم وتأكيد على ضرورة المحافظة على الأخلاق وذلك لأن الأخلاق هي السبيل إلى تقدم المجتمعات ورقيها .

فإن من يلزم التقييد بالأخلاق الحسنة ابتغاء مرضاة الله تعالى في جميع أحواله وأوقاته يكون في حال عبادة دائمة، لذلك يدرك بحسن خلقه درجة الصائم الذي لا يفطر ودرجة القائم الذي لا يفتر.

وقد أرشد النبي صلى الله عليه وسلم إلى قواعد السلوك الكبرى، التي إذا سلكها الإنسان أخذ سبيله لارتقاء مراتب المجد والكمال .

فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(اتّقِ اللهَ حيثُما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمْحُها، وخالق الناسَ بخلق حسن)**[2] .

قال المباركفوري: اتق الله بالإتيان بجميع الواجبات والانتهاء عن سائر المنكرات، فإن التقوى أساس الدين وبه يرتقي إلى مراتب اليقين، في الخلاء وفي النعماء والبلاء فإن الله عالم بسر أمرك، فعليك بعناية دقائق الأدب في حفظ أوامره والاحتراز عن مساخطة، وعامل الناس بخلق حسن من طلاقة وجه وخفض جانب وتلطف وبذل خير وتحمل أذى، فإن فاعل ذلك يُرجى له في الدنيا النجاح وفي الآخرة الفوز بالنجاة والفلاح[3] .

---

(1) سنن أبو داود في سننه واللفظ له، كتاب الأدب،، باب في حسن الخلق، رقم ٤٧٩٨، ج٦٦٨/٢، مسند أحمد، رقم ٢٥٠٧، ج١٢٣/٦، وقال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح لغيره ، صحيح ابن حبان، كتاب البر والإحسان، باب حسن الخلق، رقم ٤٨٠، ج٢٢٨/٢، وقال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح، المستدرك ، للحاكم ، رقم ١٩٩، ج١٢٨/١ وقال حديث صحيح ،المعجم الكبير ، الطبراني، رقم ٧٧٠٩، مسند الشهاب، رقم ١٠١٧،وقال الألباني: حديث صحيح ، السلسلة الصحيحة ، رقم ٧٩٥،ج٤٢١/٢.

(2) سنن الترمذي واللفظ له، كتاب البر والصلة، باب معاشرة الناس، رقم ١٩٨٧، ج٥٢٧/٣ وقال: حديث حسن صحيح، مسند أحمد، رقم ٢١٤٤١، ج١٥٨/٥، وقال شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره وهذا إسناد رجاله ثقات رجال الشيخين ، غير ميمون بن أبي شبيب، فقد روى له مسلم في المقدمة، سنن الدارمي، رقم ٢٧٩١، شعب الإيمان، رقم ٨٠٢٥، المستدرك، رقم ١٧٨، ج١٢١/١، وقال الألباني حديث صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم ١٣٧٣ .

(3) تحفة الأحوذي، المباركفوري، ج١٠٤/٦ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

فالمسلم الذي يلتزم بالأخلاق الإسلامية عنصر فاعل في المجتمع يوجه كل طاقاته لخدمة مجتمعه ودينه .

" والأخلاق الإسلامية عامل مهم في بناء الفرد والجماعة، لأنها تتضمن كل أوجه الخير وكل معاني القوة، فهي تعمل على تنظيم العلاقات بين الأفراد وتضبطها بشكل ذاتي نابع من أعماق النفس، فحين تسود الأخلاق الإسلامية في مناحي المجتمع فإنها تنتج النخبة الصالحة التي تقوى على قيادته نحو الخير والعزة، إذ أن المجتمع لا يتغير إلا بتغير ما فيه، فتغييره يحتاج إلى تغيير العناصر المكونة له، وهم الأفراد والمشاعر والأنظمة، وهذا لا يتأتي إلا بتغيير مفاهيم الأفراد وشخصياتهم وإصلاحها، فالعقيدة وما ينبثق عنها من أخلاق هما اللذان يميزان الأمة ويجعلانها قادرة على تقديم كل وجوه الخير والعطاء للبشرية، فإذا تصورنا أمة من الأمم تعيش في عزلة عن أخلاقها فلا ريب أن تكون هذه الأمة تائهة على غير هدى، تتخبط في ضلال وضياع، وهو ما يؤدي إلى الهاوية والدمار" [1] .

فالتقدم الحضاري في الجوانب المادية وحدها لا يصنع حضارة، وإنما تقاس الحضارة بمدى انعكاس هذا التقدم على سلوكيات الناس وأخلاقهم، فالمجتمع الذي يمتلك كل مقومات الحضارة المادية ولا يمتلك الأخلاق التي تنظم علاقته بغيره من بني البشر لا يستحق أن يوصف بأنه مجتمع متحضر، لأنه فقد أهم مقوم من مقومات التحضر.

فالأخلاق الإسلامية تطهر الإنسان من الرذائل التي تفسد حياته وحياة الجماعة كالحقد والحسد والجبن والخيانة وغيرها، من الأمور التي تفسد حياة الإنسان وتؤدي إلى تخلفه وانحطاطه وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم إلى الأخلاق الفاضلة وحث عليها، وحذر من الأخلاق التي تفسد المجتمع وتضعفه، فعن النواس بن سمعان الأنصاري قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والإثم ؟ فقال: **(البرُّ حسنُ الخلق، والإثمُ ما حاك[2] في صدرك، وكرهت أن يطّلع عليه الناس)**[3] .

---

(1) دراسات في الفكر العربي الإسلامي، إبراهيم زيد الكيلاني، ١٨٨ .

(2) تحرك فيه وتردد ولم ينشرح له الصدر، شرح النووي على صحيح مسلم، ج١١١/١٦ .

(3) صحيح مسلم واللفظ له، كتاب البر والصلة، باب صلة الرحم، رقم ٢٥٥٣، ج١٩٨٠/٤/ سنن الترمذي، كتاب الزهد، باب البر والأثم، رقم ٢٣٨٩، ج٥٩٧/٤، مسند أحمد، رقم ١٧٦٦٨، ج١٨٢/٤ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

فقد ركز النبي على الأخلاق لما لها من دور بارز في بناء الحضارة، فهي التي توجه الحضارة الوجهة الصحيحة، وتحفظها من الانهيار والدمار بنزع الشر من نفوس أبنائها.

يقول محمد البهي: فالسلوك الخلقي شرط أساسي في التقدم البشري، بالإضافة إلى التفكير الإنساني السليم، ومن هنا كانت الحضارة المادية، وكان العلم بحاجة إلى سلوك خلقي، لكي تكون تلك الحضارة وهذا العلم ذا طابع إنساني وبالتالي ذا تقدم إنساني، فأهم عنصر في حياة الإنسان أن يعيش بإنسانيته لا أن يعيش بماديته وحدها، فالعالم قد لا يصاحب علمه سلوك خلقي، وبذلك يكون علمه ذا خطر على الإنسانية، ولكن صاحب السلوك الخلقي، قلما يأتي منه ضرر لنفسه فضلاً عن أن يضر غيره، والسعادة هي الطمأنينة وعدم القلق والخوف ومن هنا كانت رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هي الإسلام، عنوان تلك الطمأنينة ودفع القلق والخوف من الاعتداء[1] .

فالحضارة في نظره لا تتحقق بمجرد التقدم في مجال العلوم والإنجازات المادية فقط لأن ذلك وحده لا يكفي لتقدم البشرية، بل لا بد من التزام القيم الخلقية والسلوكية إلى جانب ذلك من اجل بناء حضارة متميزة تحترم فيها الحقوق، وتصان فيها النفوس والأعراض.

وخلاصة الأمر أن الأخلاق الإسلامية والتقيد بها يلعب دوراً بارزاً في بناء الحضارة الإسلامية، لأن التقيد بالأخلاق الإسلامية يقضي على الشر والفساد ويقوي العلاقات بين البشر، وينشر المحبة في المجتمع، ويمكن الإنسان من العيش بأمان وسعادة، والأخلاق متى استقرت في النفس الإنسانية، فإنها تكون قوة دافعة للإنسان على فعل الخير ومانعاً له من فعل الشر وذلك في كافة مجالات الحياة .

---

[1] الدين والحضارة الإنسانية، محمد البهي، ص١١٧ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

المبحث السابع

العامل الفكري

من عوامل قيام الحضارات العامل الفكري، فما المراد بالعامل الفكـري ؟ وكيـف يساهم في بناء الحضارة الإسلامية ؟ هذا ما سوف نتعرف عليه من خلال المطالب التالية :

المطلب الأول :- تعريف العامل الفكري .

الفكر في اللغة: جاء في معاجم اللغة العربية: **الفكر:** إعمال الخاطر أو النظر في الـشيء، والتفكر التأمل[1].

فالفكر في اللغة يعني إذن أعمال الذهن في الشيء من أجل الوصول إلى الحقيقة .

الفكر في الاصطلاح:-

الفكر: هو الحكم على واقع الأشياء[2].وهذا تعريف جيد، ولكن كان ينبغي أن يبين أن هذا الحكم صادر عن إعمال العقل، ويمكن تعريف الفكر بأنه: إعمال العقل من أجل الوصول إلى حكم صحيح على واقع الأشياء.

يقول محمد البهي: الفكر هو المحاولات العقلية من علماء المسلمين لشرح الإسـلام فـي مصادره الأصلية- القرآن والسنة الصحيحة- إما تفهماً واستنباطاً لأحكام دينية في صـلة الإنسان بخالقه في العبادة، أو في صلة الإنسان بالإنسان فـي المعـاملات، أو لمعالجـة أحداث جدت لم تعرف بذاتها في تاريخ الجماعة الإسلامية على عهد الرسول صـلى الله عليه وسلم وعهد صحابته، وإما توفيقاً بين مبادئ الدين وتعاليمه من جانب، وفكرة أجنبية دخلت الجماعة الإسلامية من جانب آخر، بعد أن قبلـت هـذه الفكـرة كمـصدر آخـر للتوجيه.أو دفاعاً عن العقائد التي وردت فيه، أو رداً لعقائد أخرى مناوئة لها، حاولت أن تحتل منزلة في الحياة الإسلامية لسبب أو لآخر... إلى غير ذلك من الدوافع والأسـباب

---

(1) لسان العرب، ابن منظور، ج٦٥/٥، القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ج٥٨٨٠/١ .

(2) التفكير، تقي الدين النبهاني، ص٢٧

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

التي تدعو إلى أعمال الفكر في المحافظة على الطابع الإسلامي . كما يراد له أن يكون أو يبقى ذا صبغة إسلامية[1].

وخلاصة الأمر أن الفكر الإسلامي هو إعمال الإنسان لذهنه في فهم توجيهات الإسلام من أجل تسيير حياته وفق منهج الإسلام وتوجيهاته .

وأقصد بالعامل الفكري: أثر التصور الصحيح، الناشئ عن نظرة الإنسان لله والكون والحياة في بناء الحضارة.

المطلب الثاني :- العلم بوجود الخالق .

دعا النبي صلى الله عليه وسلم من بداية بعثته إلى السمو بفكر الإنسان وتحريره من الأوهام والخرافات والعبودية لغير الله تعالى، فكان التوحيد وترك عبادة الأصنام والأوثان التي لا تضر ولا تنفع المطلب الأول الذي طالب الأمة به، فأخرج بذالك الأمة من الضلال والضياع إلى الهدى والرشاد.

فالعلم بوجود الخالق ولإقرار بذالك وترك الشرك والضلال، يعتبر الأساس الأول الذي تقوم عليه الحضارة الإسلامية، وذلك لأنه يمثل القوة الدافعة التي توجه السلوك البشري الوجهة الصحيحة.

فالإنسان الذي يتلقى منهجه عن ربه، ويؤمن بهذا المنهج إيماناً خالصاً، لا تشوبه شائبة فإنه سيسعد في الدنيا والآخرة ويمضي على درب الحضارة ثابتاً واثق القلب مطمئن الفؤاد، لأن الحضارة لا تتحقق للإنسان إلا بالإيمان بالله .

وقد قرر القرآن الكريم أن ازدهار الحضارة متوقف على العلم بوجود الخالق، قال تعالى: ﴿*فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾[2].

وهناك آيات كثيرة في كتاب الله تركز على أن الأصل والأساس الذي تبنى عليه الحضارة الإنسانية هو الإيمان بالله وحده، لذلك نظر الإسلام نظرة شمولية للكون والحياة والإنسان، في طريقته للوصول بالإنسان إلى الإيمان بالله، ليصل بفكرة المستند بنور الله إلى أرقى حضارة، ويصل به إلى النهضة الحقيقية، التي ترفع الإنسان من عالم الحضارة

---

(1) الفكر الإسلامي وتطوره، محمد البهي، ص٦ .
(2) سورة محمد، آية ١٩ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

المادية إلى الحضارة الإيمانية التي تملأ عقله وقلبه بالقناعة والاطمئنان، وتصل بـه إلـى السعادة في الدنيا والآخرة .

وبهذا يستطيع الإنسان أن يعيش ويقود غيره من بني الإنسان ، ومـن هنـا كانـت الحضارة الإسلامية تشكل القيادة والنهضة والحضارة للعالم أجمع، لأن لها فاعليتها الفكرية الصحيحة، المبنية على الإيمان بالله وحده وبما يتطلب هذا الإيمان من عمـل يرضـي الله سبحانه وتعالى[1] .

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن الإيمان بالله تعالى هو السبيل الوحيد للفوز في الدنيا والآخرة، فعن أبي أيوب رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي صـلى الله عليـه وسلم فقال: **(دلني على عمل أعمله يدنيني من الجنة ويباعدني من النار، قال: تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل رحمك، فلما أدبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن تمسك بما أمر به دخل الجنة)**[2] .

فقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث إلى توحيد الله وعدم الإشراك به وبين إن ذلك سبب في دخول الجنة .

" فالمنهج الديني العلمي لا يدعو إلى المعرفة فحسب، ولكنه يدعو إلى الإيمان والثقة بالله واهب الحياة، وإلى إعلاء كلمته من خلال فاعلية الفكر ونشاط النفس كذلك، اسـتدلالاً بالأكوان على المكنون، وبتصاريف الحياة على واهب الحياة، فالدين يستنفر كـل طاقـات الإنسان لبناء الحياة الفاضلة، علماً وعملاً وأخلاقاً، وهو عنصر قيادة عليا، يربط بين أفكار الإنسان وعواطفه وبين علمه وعمله وينسق فاعليته وعلاقاته الفردية والاجتماعية، ويضمن للحياة سيراً طبيعياً في طريق التطور والازدهار والتكامل" [3] .

" ولا شك أن وثنية العرب في الجاهلية كانت أساساً لكل فساد أصاب تفكيرهم، ، بل كانت الوثنية وعقائد الشرك المانع الأساسي والأول لقيام ونـشأة العلـم عنـدهم بـالمعنى المعروف للعلم الآن، كما كانت العقائد الجاهلية أيضاً، عائقاً ومكبلاً لفاعلية الإنسان العربي في الجاهلية، فلم تنطلق فاعليته للعمل الحضاري، وبناء على هذا يمكن القول أن تأسـيس

---

(1) النهضة، حافظ صالح، دار النهضة الإسلامية، ص٦٤ .
(2) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، رقم ١٣٣٢، ج٥٠٥/٢، صحيح مسلم واللفظ له، كتاب الإيمان باب بيان الإيمان الذي يدخل به الجنة، رقم ١٣، ج٤٢/١ .
(3) العقل والإيمان في الإسلام، صابر طعيمة، ص٢٠ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

الحضارة الإسلامية التي ازدهرت وانمحت بجانبها الحضارات الأخرى، وأن وصول المسلمين إلى المناهج العلمية الصحيحة لأول مرة في تاريخ البشرية المكتوب، إنما بدأ في مكة متمثلاً في هدم الشرك والوثنية، وفي الجهد الدءوب للرسول صلى الله عليه وسلم وللسابقين من الصحابة رضوان الله عليهم، لنقل العرب من الكفر إلى الإيمان ومن الشرك إلى التوحيد، ومن ثم يمكن القول إن الانتقال من الشرك إلى التوحيد كان بمثابة العلاج الأساسي والحاسم لأمراض وانحرافات الفكر عند المسلمين الأوائل، بل كان أيضاً بمثابة العلاج الوحيد، ومن ثم يعتبر التوحيد هو أساس البناء الفكري، كما أنه أساس البناء الاجتماعي" [1] .

وخلاصة الأمر أن الإسلام حرر الإنسان من العبودية لغير الله تعالى وغرس في النفوس قناعات أكيدة بأن النافع والضار والمحي والمميت هو الله تعالى وحده، فانتقلت الإنسانية بهذا الفكر من العقيدة السلبية المنحرفة إلى العقيدة الإيجابية الصحيحة عن الإله والكون والحياة، فالفكر الإنساني عن الإله قبل بعثة المصطفى صلى الله عليه وسلم كان لا يعدو تصور الإله حجراً أو شمساً أو قمراً أو غير ذلك من ضروب الشرك والضلال، ولما جاء النبي صلى الله عليه وسلم حرر العقول من الخضوع لغير الله ونقلها من الشرك والضلال إلى الهداية والتوحيد، ووجه الطاقات البشرية الوجهة الصحيحة، وبني بذلك أعظم حضارة عرفتها البشرية .

المطلب الثالث :- تحرير العقل وأثره في بناء الحضارة.

دعا النبي صلى الله عليه وسلم إلى التيقظ الفكري وإعمال الذهن وعدم تعطيله، وحمل حملة مشددة على الأوهام والخرافات والشعوذات التي كانت في الجاهلية، وبين إن سنن الله في الكون لا تتغير ولا تتبدل وان الغيب لا يعلمه إلا الله تعالى، وان الخير كل الخير في احترام السنن الإلهية ورعاية قانون الأسباب والمسببات، فحذّر صلى الله عليه وسلم من تفسير الأحداث بغير أسبابها الحقيقية، لأن ذلك يؤدي بالأمة إلى الانحراف عن المنهج الصحيح الذي يحقق لها التقدم والارتقاء.

---

[1] انظر: الإسلام والعلم التجريبي، فاروق أحمد الدسوقي، المكتب الإسلامي، بيروت، ص١٤٨ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

يدل على ذلك ما روي عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: **كسفت الشمسُ على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم مات إبراهيمُ، فقال الناس: كسفت الشمس لموت إبراهيمَ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنَّ الشَّمسَ والقمرَ لا ينكسفان لموتِ أحدٍ ولا لحياته، فإذا رأيتم فصلوا وادعوا الله)**[1] .

فالنبي صلى الله عليه وسلم طارد الأوهام التي شاعت عند الناس في الجاهلية، بأن كسوف الشمس أو القمر إنما يحدث لموت عظيم أو نحو ذلك، وأثبت أنها آية من آيات الله سبحانه وتعالى، فأراد بهذا أن يطهر عقولهم ويبعدهم عن كل ما يقودهم إلى الانحراف والضلال.

ومما يؤكد محاربة النبي صلى الله عليه وسلم للأوهام والخرافات أيضاً ما روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال: أخبرني رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من الأنصار، أنهم بينما هم جلوس ليلة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، رمي بنجم فاستنار، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(ماذا كنتم تقولون في الجاهلية إذا رمي بمثل هذا؟) قالوا: الله ورسوله أعلم، كنا نقولُ ولدَ الليلةَ رجلٌ عظيم، ومات رجل عظيم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فإنها لا يرمي بها لموت أحد ولا لحياته، ولكن ربنا تبارك وتعالى اسمه، إذا قضى أمراً سبح حملة العرش، ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم، حتى يبلغ التسبيح أهل هذه السماء الدنيا، ثم قال الذين يلون حملة العرش لحملة العرش: ماذا قال ربكم؟ فيخبرونهم ماذا قال. قال: فيستخبر بعض أهلِ السماواتِ بعضاً، حتى يبلغ الخبرُ هذه السماء الدنيا، فتخطف الجنُّ السمعَ فيقذفون إلى أوليائهم، ويرمون به، فما جاءوا به على وجهه فهو حقٌ، ولكنهم يقرفون**[2] **فيه ويزيدون)**[3] .

فقد أبطل النبي صلى الله عليه وسلم الأوهام التي شاعت عند العرب في الجاهلية بأن حدوث الشهب يكون لموت عظيم أو لميلاد عظيم، وبين أن ذلك نجم يرمى به الشياطين عندما يحاولون استراق السمع من أهل السماء الدنيا .

ففي هذا الحديث والذي قبله، دليل على أن النبي صلى الله عليه وسلم حرص على تحرير فكر الإنسان مما علق به من الأوهام والخرافات، وذلك لأن الفكر الإنساني هو

---

(1) صحيح البخاري واللفظ له، كتاب الكسوف، باب الصلاة في كسوف الشمس، رقم ٩٩٦، ج١/٣٥٤، صحيح مسلم، كتاب الكسوف، باب ذكر النداء بصلاة الكسوف، رقم ٩١٥، ج٢/٦٣٠ .

(2) يقرفون: أي يخلطون فيه الكذب، وهو بمعنى يقذفون، شرح السيوطي على صحيح مسلم، ج٥/٢٤٨ .

(3) صحيح مسلم واللفظ له، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة، رقم ٢٢٢٩، ج٤/١٧٥٠، سنن الترمذي، كتاب التفسير، باب سورة سبأ، رقم ٣٢٢٤، ج٥/٣٦٢، سنن النسائي، كتاب التفسير، سورة الحجر، رقم ١١٢٧٢، ج٦/٣٧٤ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

الباعث على النهضة وبدونه لا يمكن تصور قيام الإنتاج وانبعاث الحضارة، وليس أمام الأمم المتخلية عن فكرها والمنسلخة عن عقيدتها إلا الموت .

" فليس في المنهج الإسلامي أوهام وأسرار وخرافات تصطدم مع العقل السليم والمنطق الصحيح، بل لقد جعل هذا المنهج الرباني العقل الإنساني هادياً إلى الحق، وأمر بالاحتكام إليه في حقائق الوجود، وجعله مناط الفصل في حسم الجدال بين الملحدين والمؤمنين، حول أي قضية يثور النزاع فيها بين الشك واليقين، بهذا المنهج الذي يهدم الخرافة والوهم والتقليد، وينبه العقل للتأمل والتفكير، تسقط كل ضروب الأساطير وأنواع الخرافات مهما اختلفت في مظاهرها وصورها، وتعددت أشكالها بتعدد الأمم والأجناس التي تضمها فترة زمنية معينة، ثم لا يسمح لها بعد ذلك أن تحيا في المجتمع الإسلامي الذي يحرر العقل ويحترمه ويدعو إلى البحث الدقيق ويحث على التفكير العميق، ويدفع إلى تقصي الحقائق، ويصون الكيان الفكري من آفات الجهل والخرافة، والوهم والانحراف" [1] .

قال تعالى في الحث على التفكير والثناء عليه: ﴿* إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2]

وقال سبحانه وتعالى: ﴿*كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[3] .

وقد كانت المعرفة الإنسانية قبل الإسلام تُستمد من الحواس والعقل، وتسيطر عليها الخرافات والأساطير وأقوال الكهان والعرافين والضرب بالرمل، والنظر في النجوم وغير ذلك، فجاء الإسلام وقرر أن للمعرفة الإنسانية قنوات ثلاث: أولها وأشرفها وأصدقها الوحي، وثانيها العقل، وثالثهما الحس وجعل الوحي مهيمناً على الوسائل الأخرى، لأنه لا يضل كما تضل ولا يخطئ كما تخطئ، وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم في جملة من أحاديثه من تعطيل الإنسان لعقله والانجراف خلف الأوهام والخرافات واعتبارها مصدراً للمعرفة ومما يدل على ذلك :

ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(اجتنبوا الموبقات: الشركُ باللهِ والسِّحرُ)**[4] .

---

(1) لمحات في الثقافة الإسلامية، عمر عودة الخطيب، ص٢١٦ .
(2) سورة الرعد، آية ٣ .
(3) سورة البقرة، آية ٢٤٢ .
(4) صحيح البخاري واللفظ له، كتاب الطب، باب الشرك والسحر، رقم ٥٤٣١، ج٢١٧٥/٥، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر، رقم ٨٩، ج٩٢/١ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

فالنبي صلى الله عليه وسلم يدعو في هذا الحديث إلى تحرير فكر الإنسان من الإشراك بالله والتصديق بالسحر، وذلك لأن هذه الأمور تعطل فكر الإنسان وتبعده عن التفكير السليم الذي ينهض بالأمة ويبني حضارتها .

" فالتفكير هو أساس نهضة الأمم، ولا تقاس حضارة المجتمعات إلا بما لديها من أفكار تبدع في صياغة نهجها نحو المستقبل" [١] .

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم في أحاديثه أن الغيب لا يعلمه إلا الله تعالى، وحذر من إتيان العرافين والسحرة والمشعوذين، واعتبر إتيانهم جريمة منكرة عقوبتها عدم قبول الصلاة أربعين يوماً فعن صفية رضي الله عنها عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة)**[٢] .

ومما يدل كذلك على محاربة النبي صلى الله عليه وسلم للخرافات والأوهام، ما روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **(إن الرقى والتمائم [٣]والتولة[٤] شرك)**[٥] .

قال الخطابي: وأما الرقى فالمنهي عنه هو ما كان بغير لسان العرب، فلا يدرى ما هو، ولعله قد يدخله سحر، أو كفر، أما إذا كان مفهوم المعنى، وفيه ذكر الله سبحانه وتعالى فإنه مستحب ومتبرك به [٦].

---

(١) التفكير بداية الطريق إلى نهضة الأمة الإسلامية، محمود الخالدي، مكتبة الرسالة، عمان، ط١، ص٢٧ .
(٢) صحيح مسلم واللفظ له، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة، رقم ٢٢٣٠، ج١٧٥١/٤، مسند الإمام أحمد، حديث رقم ١٦٦٨٩، ج٦٨/٤ .
(٣) التميمة هي خرزات كانت العرب تعلقها على أولادهم يتقون بها العين في زعمهم فأبطلها الإسلام، كأنهم يعتقدون أنها تمام الدواء والشفاء، النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير، ج٥٣٦/١ .
(٤) ما يحبب المرأة إلى زوجها من السحر، وجعله من الشرك لاعتقادهم أن ذلك يؤثر ويفعل خلاف ما قدر الله ، النهاية في غريب الحديث ، ج٥٥٢/١.
(٥) سنن أبي داود ، كتاب الطب ، باب في تعليق التمائم ، رقم ٣٨٨٣،ج٤٠٢/٢، السنن الكبرى ، البيهقي، رقم ١٩٣٨٧،ج٣٥٠/٩، صحيح ابن حبان ، رقم ٦٠٩٠،ج٤٥٦/١٣، وقال شعيب الأرنؤوط رجاله ثقات رجال الصحيح ،المعجم الأوسط ، رقم ١٤٤٢،ج١١٩/٢، وقال الشيخ الألباني: حديث صحيح ، الجامع الصغير وزياداته ،رقم ٢٥١٢،ج٢٥٢/٢، السلسلة الصحيحة، رقم ٣٣١، ج٦٤٨/١.
(٦) عون المعبود ، العظيم آبادي ، ج٢٦٢/١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

وقد امتنع النبي صلى الله عليه وسلم، عن مبايعة من علق تميمة حتى نزعها، فعن عقبة بن عامر الجهني: **أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أقبل إليه رهطٌ، فبايع تسعة وأمسك عن واحدٍ، فقالوا: يا رسول الله بايعت تسعة وتركت هذا، قال: إن عليه تميمة، فأدخل يده فقطعها فبايعه، وقال: (من علق تميمة فقد أشرك)**[1].

فأراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يبنى فكر الإنسان، ويبين له أن النافع والضار هو الله وحده، وأن الاعتقاد بأن التمائم تنفع أو تضر اعتقاد باطل لا أساس له من الصحة، وهناك الكثير من الأحاديث التي تبين حرص النبي صلى الله عليه وسلم على السمو بعقل الإنسان وتوجيهيه إلى التفكير السليم، وهذه التوجيهات جديرة بأن تهيئ أفضل مناخ نفسي وعقلي واجتماعي، لقيام فكر علمي، وحياة علمية .

---

[1] مسند أحمد واللفظ له ، رقم ١٧٤٥٨،ج١٥٦/٤، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده قوي ، المستدرك ، الحاكم ، رقم ٧٥١٣،ج٢٤٣/٤، المعجم الكبير ، الطبراني، رقم ٨٨٥،ج٣١٩/١٧، مجمع الزوائد، الهيثمي، رقم ٨٣٩٩،ج١٧٥/٥، وقال: رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد ثقات . وقال الألباني: حديث صحيح ، السلسلة الصحيحة، رقم ٤٩٢،ج٨٨٩/١ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

المبحث الثامن

العامل العلمي

يعدّ العلم أحد المقومات الهامة التي تقوم على أساسها الحضارة الإسلامية، وذلك لما له من دور بارز في تعريف الإنسان بخالقه، وتوجيه طاقاته الوجهة الصحيحة التي تحقق له التقدم والازدهار، فالعلم هو أساس قيام الحضارة، ولا يمكن لأمة من الأمم أن تبني حضارة تحقق السعادة لأبنائها إذا لم تعتمد العلم كأساس تقيم عليه حضارتها، وقد بنى المصطفى صلى الله عليه وسلم الحضارة الإسلامية على أساس العلم والمعرفة، فحث على التعلم والتعليم ومجد العلماء ورفع منزلتهم بين الناس، ووعد طالبي العلم بالأجر العظيم وحث على التفكر والتدبر ومتابعة البحث العلمي في كافة مجالات الحياة، للوصول بالأمة الإسلامية للتقدم والازدهار في الدنيا والفوز والفلاح في الآخرة.

فالعلم أساس بناء الحضارة الإسلامية وهذا ما سوف ندركه من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول : مفهوم العامل العلمي .

لابد لبيان معنى العامل العلمي من الوقوف على تعريف العلم لغة واصطلاحاً .

العلم لغة: نقيض الجهل، وعلم الشيء عرفه[1] .

العلم اصطلاحاً :-

يقول تقي الدين النبهاني: **العلم** هو المعرفة التي تؤخذ عن طريق الملاحظة والتجربة والاستنتاج، مثل علم الطبيعة وعلم الكيمياء، وسائر العلوم التجريبية[2] .

وعرفه الدكتور عمر الأشقر فقال: **العلم** هو مجموعة الحقائق التي توصّل إليها العقل الإنساني في مراحل تفكيره وتجاربه وملاحظاته المتسلسلة بتسلسل الزمن، والمحررة بالامتحانات المتكررة، فلا تختلف بتفاوت الأذواق ولا تتغير بتغير المصالح[3].

---

(1) لسان العرب، ابن منظور، مادة علم، ج١٢/٤١٨ .
(2) الشخصية الإسلامية، تقي الدين النبهاني، ج١/ص٢٠٩ .
(3) نحو ثقافة إسلامية أصيلة، عمر سليمان الأشقر، ص٢٤ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

يقول سيد قطب: إن **العلم** ليس مقصوراً على علم العقيدة، والفرائض الدينية والشرائع بل العلم يشمل كل شيء، ويتعلق بالقوانين الطبيعية من مثل علم الفلك، وعلم الأحياء، وعلم الطبيعة، وعلم الكيمياء، وعلم طبقات الأرض وسائر العلوم الأخرى[1].

وبعد هذه التعريفات نستطيع القول إن العلم هو المعرفة اليقينية، التي يدركها الإنسان عن طريق الملاحظة والتجربة والاستنتاج، والخبر الصحيح اليقيني .

وأقصد **بالعامل العلمي:** أثر الالتزام بمنهج الإسلام في تلقي العلم وأخذه، ودور ذلك في بناء الحضارة الإسلامية .

فالعلم أساس الحضارة، سواء كان هذا العلم دينياً أو دنيوياً، ولا يمكن لأي حضارة أن ترتقي إلا بوجود العلم .

يقول الميداني: يمثل العلم قوة حضارية مادية تظهر صورها في شتى ميادين الحياة، سواء كانت في علوم الرياضيات أو الفيزياء أو الهندسة أو الكيمياء أو غيرها من العلوم، إلا أن هذه الميادين تقف عاجزة عن إعطاء الإنسانية سعادة حقيقية إلا إذا امتزجت بالروح الإيمانية، القائمة على أسس وثوابت عقائدية قائمة على البرهان واليقين، وعلى الرغم مما حققته الحضارة المادية من مظاهر متقدمة في جميع العلوم إلا أنها لم تعط الإنسان الطمأنينة والسعادة التي ينشدها، لأنها خاوية من العقيدة الصحيحة القائمة على البرهان والدليل الذي يوصل إلى اليقين بصحة وصدق العقيدة التي يؤمن بها ويتبع ما جاء فيها، ولا يجد ذلك إطلاقاً إلا في العقيدة الإسلامية التي تنهض بالفرد والأمة وتحقق لهم السعادة والطمأنينة[2] .

فالعلم الذي يرتقي بالإنسان ويحقق له السعادة في الدنيا والآخرة، هو العلم الذي يسير وفق منهج الإسلام وتعاليمه .

المطلب الثاني :- دعوة الإسلام إلى العلم النافع .

العلم هو الوسيلة الأولى لبناء الحضارة الإسلامية بناءً واقعياً في كل مجال من مجالاتها، لذلك وجدنا الإسلام يهيئ كل ما يلزم لدفع المسلمين صغارهم وكبارهم، رجالهم ونسائهم إلى العلم، عن طريق التعلم والتعليم، فالعلم مفتاح الحضارة، وباب كنوزها، ووسيلة بنائها ودليل ذلك أن أول آيات أنزلها الله من كتابه على رسوله صلى الله عليه وسلم أشادت بالعلم والتعليم، وأداة التعليم "القلم" لأنها أمرت بالقراءة والقراءة مفتاح العلم، قال تعالى:

---

(1) معالم في الطريق، سيد قطب، ص١٣٤ .

(2) الوسطية في الإسلام، عبد الرحمن حبنكة الميداني، مؤسسة الريان، بيروت، ط١، ص١١٥ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

﴿*اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ *خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ *اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ *الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ *عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[1].

هكذا كان أول أمر في الإسلام "اقرأ" وقد تكرر مرتين في الآيات تأكيداً لأهميته، ولكنها ليست مجرد قراءة ولكن قراءة باسم الرب الخالق، ومعنى أنها باسمه: أنها بإذنه وأمره ومباركته، فهي قراءة إيمانية، وهي تشير إلى أن العلم في الإسلام لابد أن يكون في حضانة الإيمان بالله، وبهذا يكون العلم أداة خير لا معول هدم، يكون أداة للتعمير لا للتدمير[2] .

" ومع نزول آية "اقرأ" كان بدء الإعلان الإلهي لبناء حضارة جديدة على أسس متينة، واستعد الكون لفتح صفحة من صفحات الحضارة المتميزة، والتي انتظرتها البشرية منذ عهود طوال، انقطع فيها الوحي الإلهي، وكان الناس يلوبون عطشاً من الظمأ والساقية بعيدة في السماء، فقربها الوحي الأمين حتى إذا ما تجلّت الروح بغار حراء كما تجلّت من قبل في الوادي المقدس... نشأت حضارة فكأنما ولدتها كلمة "اقرأ" التي أدهشت النبي الأمي وأثارت معه وعليه العالم، فمن تلك اللحظة وثبت القبائل العربية على مسرح التاريخ، وقادت العالم إلى التقدم والرقي" [3] .

والقيمة العلمية التي نادت بها الحضارة الإسلامية، لا تنفصل عن العقيدة وإنما ترتبط بها وتصدر عنها، وذلك أن هذه العقيدة تقوم على أساس علمي وأحكام شريعتها إنما تزدهر في الأجواء المثقفة، وهذه العقيدة أيضاً تؤكد دور العلم في الحياة، وتهتف بالعقل البشري أن يتأمل في خلق الله وأن يتدبر في ملكوته وأن يتخذ من هذه المشاهد غذاء لعقيدته وقوة ليقينه وإعانته[4]، قال تعالى: ﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ﴾[5].

---

(1) سورة العلق، الآيات ١- ٥ .
(2) انظر: الحياة الربانية والعلم، يوسف قرضاوي، دار الفرقان، الأردن، ط١، ص٨٣ .
(3) شروط النهضة، مالك بن نبي، ص٧٦ .
(4) قيم حضارية في القرآن الكريم، توفيق محمد سبع، ج١٥٥/٢ .
(5) سورة يونس، آية ١٠١ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

فالكون كله مسرح تتجول العقيدة في جنباته وتطير في آفاقه عابدة مسبحة، مستلهمة من بدائع صنع الله وروائع خلقه معنى العبودية والإجلال والخضوع، والقرآن لا يشجع على العلم الديني فحسب.. ولكنه يشجع على كل علم يؤدي إلى نفع البشرية ويفضي إلى تقدم الحياة ورقيها.. وزيادة ارتباطها بالله قال تعالى: **﴿*أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ *وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾**[1] .

أنظر كيف جمعت الآية أشتاتاً من المعارف الحيوية، وأنماطاً من المشاهد الطبيعية، ثم طلبت إلى المسلم أن يتأمل في كل ذلك بعقل الباحث المفكر وليس بالنظرة العجلى، ثم ختمت الآية بما يفيد أن العلماء هم أخشى الناس لله، فالآية تشتمل على علوم شتى منها ما يتعلق بعلم النبات، ومنها ما يرتبط بأنواع التربة، وعلم طبقات الأرض ومنها ما يرتبط بعلم الإنسان، ومنها ما يرتبط بعلم الحيوان، فالآية تشير إلى موضوعات علمية.. وتترك للعقل البشري أن يتجوّل في رحابها مكتشفاً وملاحظاً ومجرّباً، وهذا العلم باسم الله، وبذلك يطّرد نفعه للحياة كلها وللإنسانية جمعاء، ولا يسخّر للغواية والشهوات وتدمير الحياة واستعباد الناس..[2] .

وقد اعتنى المصطفى صلى الله عليه وسلم بالعلم عناية فائقة، فكانت حياتة مدرسة تعلّم وتعليم كبرى، منذ أول ما بدء به من الوحي، وحتى آخر نفس لفظه من رحلة الحياة الدنيا، فأول ما بدئ به من الوحي "اقرأ" ولما اشتد به وجعه قبل وفاته قال: **(ائتوني بكتاب اكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً)**[3] .

وهذا يدل على أهمية العلم وعلو منزلته، وقد حث النبي صلى الله عليه وسلم على التعلم والتعليم، لما لذلك من دور بارز في بناء الحضارة الإسلامية وتحقيق التقدم والازدهار.

---

(1) سورة فاطر، الآيات ٢٧- ٢٨ .
(2) أنظر: قيم حضارية في القرآن الكريم، توفيق محمد سبع، ج٢/١٥٦-١٥٧ .
(3) صحيح البخاري واللفظ له، كتاب الجهاد والسير، باب جوائز الوفد، رقم ٢٨٨٨، ج٣/١١١١، صحيح مسلم، كتاب الوصية، باب ترك الوصية، رقم ١٦٣٧، ج٣/١٢٥٧ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(من نفَّسَ عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفَّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسَّر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علما، سهل الله له به طريقاً إلى الجنة، وما اجتمع قومٌ في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطَّأ به عملهُ لم يسرع به نَسَبُهُ)**[1] .

قال النووي: وهو حديث عظيم جامع لأنواع من العلوم والقواعد والآداب، وفيه فضل قضاء حوائج المسلمين ونفعهم بما تيسر من علم أو مال، وفيه فضل المشي في طلب العلم والاشتغال به[2].

فالنبي صلى الله عليه وسلم حث في هذا الحديث على طلب العلم وبين أنه سبيل لتحقيق رضوان الله تعالى والفوز في الدنيا والآخرة .

وقد حث النبي صلى الله عليه وسلم على نشر العلم وتبليغه، فعن عبد الله بن عمرو أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب عليَّ متعمداً، فليتبوأ مقعدَهُ من النار)**[3].

يحث النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث على نشر العلم وتبليغه للناس ومما يدل على ذلك أيضاً ما روي عن عبد الله بن مسعود أنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: **(نضّر الله امرَأً سمع منا شيئاً فبلَّغهُ كما سمع، فربَّ مبلَّغ أوعى من سامع)**[4].

قال الخطابي: معناه الدعاء له بالنضارة وهي النعمة والبهجة[5].

---

(1) صحيح مسلم واللفظ له، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع، رقم ٢٦٩٩، ج٤/٢٠٧٤، سنن أبي داود، كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم، رقم ٣٦٤١، ج٢/٣٤١ .

(2) شرح النووي على صحيح مسلم، ج١٧/٢٢ .

(3) صحيح البخاري واللفظ له، كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم ٣٢٧٤، ج٣/١٢٧٥، سنن الترمذي، كتاب العلم، باب الحديث عن بني إسرائيل، رقم ٢٦٦٩، ج٥/٤، مسند أحمد، رقم ٦٤٤٨٦، ج٢/١٥٩ .

(4) سنن الترمذي واللفظ له، كتاب العلم، باب الحث على تبليغ السماع، رقم ٢٦٥٧، ج٤/٣٩٤، وقال: حديث حسن صحيح، سنن أبي داود، كتاب العلم، باب فضل نشر العلم، رقم ٣٦٦٠، ج٢/٣٤٦، وقال الألباني حديث صحيح ، صحيح سنن الترمذي، رقم ٢١٤٠. مسند أحمد ، رقم ٤١٥٧،ج١/٤٦٣. صحيح ابن حبان ، رقم ٦٦،ج١/٢٦٨. وقال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح.

(5) عون المعبود، شرح سنن أبي داود، العظيم آبادي، ج١٠/٦٨ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library- Yarmouk University
www.manaraa.com

فالنبي صلى الله عليه وسلم يحث على تبليغ العلم ونشره حتى يعم النفع بـــه، وقـــد وضع القرآن الكريم للمسلمين في توجيهاته أسس وحوافز المتابعة الدائمة للمعرفـــة، قـــال تعالى : ﴿... وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[1] .

وقال تعالى لرسوله في سورة طه: ﴿... وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[2].

فالنصوص الشرعية من الكتاب والسنة تدفع بالأمة إلى التعلم والتعليم بشكل لا نظير له في حضارة من الحضارات الأخرى، والعلم الذي يدعو إليه الإسلام هو العلم النافع الذي يعود على الأمة الإسلامية بالخير والنفع في الدنيا والآخرة.

وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من العلم الذي لا ينفع، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **(اللهم إني أعوذ بك من الأربـــع: من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعاء لا يسمع)**[3] .

قوله صلى الله عيه وسلم من علم لا ينفع: أي علم لا أعمل به، ولا أعلّم الناس ولا يهذب الأخلاق والأقوال والأفعال، أو علم لا يحتاج إليه أو لم يرد في تعلمه إذن شرعي[4] .

" فالعلم والإيمان هما أساس الحضارة الإسلامية، والعلم لا يكون كاملاً إلا إذا كـــان صالحاً للدنيا والآخرة على أساس من الإيمان باليوم الآخر، والعلم الذي ترقى به الحضارة هو العلم بأوسع معانيه، لا فرق بين علم ديني وعلم دنيوي، ما دمنا نصل بهذا العلـــم إلـــى الحقيقة، ففي كل يوم يكشف لنا العلم الحديث جديداً كان القرآن الكريم قد قرره يوم نزولـــه قبل أربعة عشر قرناً من الزمان، ولا تزال العلوم تُظهر لنا معجزات القرآن الكريم، الـــذي لا يحتوي على أية مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم في العصر الحديث، فالقرآن الكريم يحتوي على تأملات عديدة خاصة بالظواهر الطبيعية وبتفاصيل توضيحية تتفق تماماً مـــع معطيات العلم الحديث" [5] .

---

(1) سورة الإسراء، آية ٨٥ .
(2) سورة طه، آية ١١٤ .
(3) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب التعوذ من شر ما عمل، رقم ٢٧٢٢، ج٢٠٨٨/٤، سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب جامع الدعوات، رقم ٣٤٨٢، ج٥١٩/٥، سنن أبي داود واللفظ له، كتاب سجود القرآن، باب في الاستعاذة، رقم ١٥٤٨، ج٤٨٣/١.
(4) تحفة الأحوذي، المباركفوري، ج٣١٩/٩ .
(5) الإسلام يدعو إلى العلم واستخدام العقل والحواس، محمد عباس أحمد، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم لدول الخليج، ص٩ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

ومما يدل على اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بالعلم، دعوته إلى تعلم لغات الأمم الأخرى، **فعن زيد بن ثابت قال: (أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن أتعلم السريانية)**[1].

فتعلم لغات الأمم الأخرى، يجعل الأمة الإسلامية في مأمن من شرورها، ويمكن أبناء المسلمين من الانتفاع بما توصلت إليه تلك الأمم، من مخترعات وإنجازات علميه تعود على البشرية بالخير.

" وقد علّمت أسس الإسلام الحضارية المسلين أن يفتحوا عقولهم للناس جميعاً بالأخذ والعطاء، وذلك لأن الحقيقة جوهرة عالميته، وهي ملك مشاع للناس جميعاً، وكم حرمت أمم نفسها من التقدم والارتقاء بدافع الأنانية الذاتية والعصبية القومية، وبسبب عزوفها عن اقتباس معارف الآخرين وعلومهم الصحيحة" [2].

وقد احتفل أسلافنا العظام بالعلم في جميع مجالاته وشجعوا على تحصيله بكل السبل، وأوقف الكثيرون من أهل الخير أوقافاً لا حصر لها لدعم كل جهد يبذل في طلب العلم وتعليمه ونشره على أوسع نطاق، وقد أثمرت هذه الجهود ثمارها الرائعة وأدت إلى قيام حضارة إسلامية عريقة، قدمت عطاءها الثري للإنسانية كلها، ولا تزال مئات الآلاف من المخطوطات العربية منتشرة في مكتبات أوروبا لا تزال شاهد صدق على مدى اهتمام المسلمين بالعلم الذي بدونه لا تقوم حضارة ولا يتحقق تقدم[3].

---

(١) سنن الترمذي ، كتاب الاستئذان ، باب تعليم السريانية، رقم ٢٧١٥،ج٦٧/٥، وقال: حسن صحيح . مسند أحمد ، رقم ٢١٦٢٧، ج١٨٢/٥، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح .

(٢) أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها، حبنكة الميداني، ص١٢٢ .

(٣) الحضارة فريضة إسلامية، محمود حمدي زقزوق، ص٥٢ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

المطلب الثالث :- فضل العلم والعلماء في بناء الحضارة.

القرآن الكريم أعظم كتاب أشاد بالعلم وأهله، ونوه بمكانة الذين أوتوا العلم قال تعالى: ﴿ ...قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ...﴾[1] . فقد رفع الإسلام شأن العلماء وجعلهم فوق غيرهم في المنزلة، وذلك لأنهم أكثر الناس التزاما بأوامر الله، وأكثرهم عملا على تحقيق رفعة الأمة.

وجاءت الأحاديث النبوية فأكدت ما جاء في القرآن الكريم من فضل العلم ومنزلة العلماء من ذلك :

عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **(من يرد الله به خيراً يفقّهُ في الدين، وإنما أنا قاسم والله يعطي)**[2] .

قال النووي: فيه فضيلة العلم والتفقه في الدين والحث عليه، وسببه أنه قائد إلى تقوى الله تعالى[3] . فالعلم بالدين يحقق للأمة السمو الخلقي، الذي يقود إلى الالتزام وعدم الاعتداء على الآخرين.

وعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً ، فكان منها نقيةٌ قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب، أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصابت منها طائفةً أخرى، إنما هي قيعانٌ لا تمسكُ ماءً ولا تنبت كلأ، فذلك مثلُ من فقِهَ في دين الله، ونفعه ما بعثني اللهُ به فعَلِمَ وعلَّمَ، ومثلُ من لم يرفع بذلك رأساً، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به)**[4] .

قال النووي: يتضمن الحديث فضل العلم والتعليم والحث عليهما وذم الإعراض عن العلم[5] .

---

(1) سورة الزمر، آية ٩ .

(2) صحيح البخاري واللفظ له، كتاب العلم، باب من يرد الله به خيرا، رقم ٧١، ج٣٩/١، صحيح مسلم ، كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة، رقم ١٠٣٧، ج٧١٨/٢ .

(3) شرح النووي على صحيح مسلم، ج١٢٨/٧ .

(4) صحيح البخاري واللفظ له، كتاب العلم، باب فضل من علم وعلّم، رقم ٧٩، ج٤٢/١، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب مثل ما بعث النبي من الهدى والعلم، رقم ٢٢٨٢، ج١٧٨٧/٤ .

(5) شرح النووي على صحيح مسلم، ج٤٨/١٥ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

ومما يدل على فضل العلم والعلماء أيضاً ما روي عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **(من سلك طريقاً يبتغي فيه علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنة، وإنَّ الملائكة لتضعُ أجنحتها رضىً لطالب العلم، وإنَّ العالمَ ليستغفرُ له من في السماوات ومن في الأرض، حتى الحيتانُ في الماء، وفضلُ العالم على العابدِ، كفضلِ القمر على سائر الكواكب، إنَّ العلماء ورثةُ الأنبياء، إن الأنبياءَ لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، إنما ورثوا العلم، فمن أخذ به أخذ بحظ وافر)**[1] .

" فضّل النبي صلى الله عليه وسلم العالم على العابد، لأن نفع العلم متعدّ، ونفع العبادة قاصر، فالعبادة إنما تنفع صاحبها، والعلم ينفع الكافة، ولأن العلم هو الذي يكشف الغوامض من المسائل، ويبين الحق من الباطل في الاعتقاد والصواب من الخطأ في المقولات، والمسنون من المبتدع في العبادات، والحلال من الحرام في التصرفات، والصحيح من الفاسد في المعاملات، والفضيلة من الرذيلة في السلوكيات، وبدون العلم يمكن أن يعتقد المرء الباطل وهو يحسبه حقاً ويرتكب البدعة وهو يظنها سنة، ويتورط في الحرام وهو يظنه حلالاً، ويسقط في الرذيلة وهو يظنها فضيلة" [2] .

فالعلم مفتاح الحضارة ولا يمكن لأي حضارة أن تقوم ما لم تعتمد العلم كأساس لقيامها .

والعلم في حضارتنا علم متكامل يبني الحياة، ويعتمد على التطبيق لأنه ليس علماً نظرياً وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أنه من الأمور التي يغبط عليها الإنسان، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: **(لا حسد إلا في اثنتين: رجلٌ آتاه الله مالاً فسلط على هلكته في الحق، ورجلٌ آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويُعلّمُهَا)**[3] .

قال النووي: المراد بالحديث لا غبطة محبوبة إلا في هاتين الخصلتين وما في معناهما.. والحكمة كل ما منع من الجهل وزجر عن القبح[4] .

---

(1) سنن الترمذي واللفظ له، كتاب العلم، باب فضل الفقه، رقم ٢٦٨٢، ج٤/٤١٤، وقال: لا نعرف هذا الحديث إلا من حديث عاصم بن رجاء بن حيوة ، وليس هو عندي بمتصل ، هكذا حدثنا محمود بن خداش بهذا للإسناد، وإنما يروى هذا الحديث عن عاصم بن رجاء بن حيوة عن الوليد بن جميل عن كثير بن قيس ،عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا أصح من حديث محمود بن خداش ، ورأي محمد بن إسماعيل هذا أصح . سنن أبي داود، كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم، رقم ٣٦٤١، ج٢/٣٤١، وقال الألباني: حديث صحيح، صحيح سنن الترمذي، رقم ٢١٥٩. سنن ابن ماجة، كتاب العلم، باب فضل العلماء، رقم ٢٢٣، ج١/٨١، صحيح ابن حبان، رقم ٨٨، ج١/٢٨٩، وقال شعيب الارنؤوط حديث حسن .

(2) الحياة الربانية والعلم، يوسف قرضاوي، ص٨٨-٨٩ .

(3) صحيح البخاري واللفظ له، كتاب العلم، باب الاغتباط في العلم، رقم ٧٣، ج١/٣٩، صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه، رقم ٨١٦، ج١/٥٥٩ .

(4) شرح النووي على صحيح مسلم، ج٦/٩٨ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

فالنبي صلى الله عليه وسلم يبين أن العلم من الأمور التي يغبط عليها الإنسان في حياته، وذلك لما للعلم من دور بارز في تحقيق السعادة للإنسان في الدارين، فالعلم سبيل إلى نيل رضوان الله تعالى في الآخرة، وسبيل إلى تحقيق التقدم والازدهار في الحياة الدنيا.

وقد عد النبي صلى الله عليه وسلم العلم من الأمور التي يجرى ثوابها للإنسان بعد موته فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(إذا مات الإنسانُ انقطع عنه عملهُ إلا من ثلاثةٍ: إلا من صدقة جاريةٍ، أو علمٍ ينتفع به، أو ولدٍ صالح يدعو له)**[1] .

فالنبي صلى الله عليه وسلم يستثير الهمم إلى نشر الفضيلة، واستحداث العلوم النافعة التي تعود على البشرية بالنفع، فتعليم الناس العلوم الشرعية، والمكتشفات والإنجازات العلمية النافعة التي يقوم بها العلماء، كل ذلك يساهم في بناء الحضارة ويحقق للبشرية الخير والسعادة.

" فالعلم الذي يعد أحد أهم مقومات الإعمار الحضاري ينفرد عن غيره من المقومات الحضارية كالعقائد ونظام القيم الاجتماعية والأخلاقية ينفرد عنها بأنه عالمي، لا يمكن أن تقوم حضارة في العالم إلا على أساس التعامل مع حقائقه، وما ينتج عنها من منافع إنسانية، وهذا بخلاف غيره من المقومات الحضارية، التي يشكل تبادلها العشوائي خطراً على الأمم في هويتها الحضارية، فالعلم ملك لجميع الأمم، وحقائقه كذلك واحدة، لا يؤثر فيها اختلاف الألسنة والألوان، وسائر ما هو من خصائص الشعوب والأقوام، فالنظرية أو السنة التي يقف عليها عالم من العلماء في حضارة من الحضارات ملك أو سوف تبقى ملكاً لجميع القادرين في المستقبل من أي قوم كانوا ينطلقون منها، ويبنون عليها" [2] .

---

(1) صحيح مسلم واللفظ له، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، رقم ١٦٣١، ج١٢٥٥/٣، سنن الترمذي، كتاب الأحكام، باب في الوقف، رقم ١٣٧٦، ج٦٦٠/٣، سنن النسائي، كتاب الوصايا، باب فضل الصدقة عن الميت، رقم ٣٦٥١، ج٢٥١/٦.

(2) التوجيه الإسلامي للعلوم والمعارف، عدنان زرزور، ص١١- ١٢

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

الفصل الثالث :- عوامل استمرار الحضارات في السنة النبوية

المبحث الأول : قيادة الأمة (الإمامة)

المبحث الثاني : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

المبحث الثالث : التناصح والمحاسبة

المبحث الرابع : المحافظة على القدرة الجهادية وتطويرها

المبحث الخامس : تطوير التعليم واكتساب المعرفة

المبحث السادس : تنمية الاقتصاد وازدهاره

المبحث السابع : إشاعة الأمن والاستقرار السياسي

المبحث الثامن : نشر الفضيلة والمحافظة على الأخلاق الرفيعة

المبحث التاسع : التعاون والتكافل الاجتماعي

المبحث العاشر : استثمار الزمان والمكان

المبحث الحادي عشر : الشورى والمشاركة في صنع القرار

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

www.manaraa.com

الفصل الثالث

عوامل استمرار الحضارات في السنّة النبوية

تمهيد :

لا يمكن لأي حضارة من الحضارات أن يكتب لها البقاء والاستمرار، إلاّ إذا تقيد أبناؤها بكل القيم والأخلاق الرفيعة التي تبني عزتها وكرامتها، واتخذوا كل السبل والوسائل المتاحة، للمحافظة على أمنها واستقرارها والحيلولة دون أفولها وانهيارها.

وقد حرص النبي صلى الله عليه وسلم على توجيه الأمة الإسلامية الوجهة الصحيحة، التي تضمن لها العيش بأمن واستقرار، وتحول دون وقوعها في أسباب الهلاك والدمار، فحث على إيجاد سلطة سياسية، تتولى شؤون الناس، وتحفظ الأمن والنظام، وأوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، للحفاظ على الدين وحماية المجتمع من انتشار المعاصي والمنكرات التي تفسد على الناس حياتهم، ودعا إلى التناصح ومحاسبة الحكام إذا حادوا عن منهج الله في الحكم لضمان تطبيق أحكام الإسلام، وحث على الجهاد للحفاظ على هيبة الإسلام وأهله، ودعا صلى الله عليه وسلم الأمة إلى العمل الجاد والتقدم في كافة المجالات، العلمية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية وغير ذلك من مجالات الحياة، وما ذلك كله إلا من أجل الوصول بالأمة الإسلامية إلى أرقى درجات التقدم والتحضر، وحمايتها من أسباب الضعف والانحلال التي هلكت بها الأمم السابقة.

فالهدف من هذا التوجيه النبوي هو الوصول بالأمة الإسلامية إلى أفضل المستويات في كافة مجالات الحياة، وحمايتها من أسباب الهلاك والدمار التي هلكت بها الأمم السابقة.

لذلك رأيت أن أتناول في هذا الفصل بعض التوجيهات النبوية من هدي المصطفى صلى الله عليه وسلم والتي تدفع بالأمة إلى البقاء والاستمرار، وتحول دون وقوعها في مزالق الهلاك والدمار، وهذا ما سوف أتناوله في المباحث التالية:

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

المبحث الأول

قيادة الأمة "الإمامة"

يعد تنصيب الإمام من الأمور اللازمة لضمان استمرار الحضارة الإسلامية والحيلولة دون انهيارها، وذلك لما للإمام من دور بارز في تطبيق أحكام الإسلام، وحفظ الأمن والنظام، والقضاء على أسباب الفرقة والخلاف .

وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين بمبايعة أحدهم، لتولي قيادتهم وتنظيم شؤونهم، والمحافظة على استمرار حضارتهم، والأحاديث في ذلك كثيرة، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **(من خلع يداً من طاعة، لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة، مات ميتة جاهلية)**[1] .

فالنبي صلى الله عليه وسلم يؤكد في هذا الحديث على ضرورة تنصيب إمام للمسلمين، ويبين أن الأمة إذا تخلت عن واجبها في مبايعة الإمام، فإن حالها سيكون كحال أهل الجاهلية، في انتشار الفوضى والفساد .

فالأمة التي تخلو من سلطة سياسية تطبق أحكام الإسلام، وتحفظ الأمن والنظام، تضيع فيها الحقوق، وتنتهك فيها الحرمات، وتنتشر فيها المعاصي والمنكرات، وتعيش عيشة أهل الجاهلية بلا دين يحكمها ولا نظام يضبطها.

ومما يدل على أهمية الإمام أيضا ما روي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه في حديث جاء فيه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(من بايع إماماً فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبهِ فليطعه إن استطاع، فإن جاء آخرُ ينازعهُ فاضربوا عُنُقَ الآخر)**[2]. فقد حرم الإسلام الخروج على الإمام، لأنه رمز اجتماع الأمة، وسلطان الدولة التي يتحقق بوجودها صالح المسلمين، وفي سقوطها ضياع المصالح وتفرق الكلمة، وذهاب القوة.

---

(1) صحيح مسلم واللفظ له، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين، رقم ١٨٥١، ج١٤٧٨/٣، مسند أحمد، رقم ٥٥٥١، ج٨٣/٢ .

(2) صحيح مسلم واللفظ له، كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء، رقم ١٨٤٤، ج١٤٧٢/٣، سنن النسائي، كتاب البيعة، باب ذكر ما على من بايع الإمام، رقم ٤١٩١، ج١٥٢/٧، سنن أبي داود، كتاب الفتن والملاحم، رقم ٤٢٤٨، ج٤٩٨/٢ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

" ولذا فقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بطاعة الخلفاء، وبقتال من ينازعهم في خلافتهم، وهذا يعني الأمر بإقامة الدولة، ووجوب استمرارها، والمحافظة عليها، فالأمر بطاعة ولي الأمر أمرٌ بإقامته، والأمر بقتال من ينازعه قرينة على الجزم في دوام إيجاد الدولة" [1]. فتنصيب الإمام يعد من الأمور الهامة والضرورية، لضمان استمرار الحضارة الإسلامية .

يقول عبد الوهاب خلاف: فإن تطبيق أنظمة الإسلام وتشريعاته وقوانينه، وإقامة الحدود وسد الثغور وتصريف شؤون الناس واجب لرعاية مصلحة الأمة، وإلا استبد القوي بالضعيف، وطغى الظالم على المظلوم، وأكلت الحقوق وضاعت المصالح، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب شرعاً، فمن الواجب إقامة الدولة وتنصيب رئيس لها ليقوم بذلك[2].

فلا يمكن للحضارة الإسلامية أن تستمر ويتحقق العدل الكامل ، وسعادة الناس في الدنيا والآخرة، إلا بوجود إمام للمسلمين يطبق أحكام الإسلام، ويحفظ الأمن والنظام، ويمنع الظلم والفساد .

يقول الماوردي:" ثم لما في السلطان من حراسة الدين والدنيا، والذود عنهما، ودفع الأهواء عنه، وحراسته من التبديل فيه، وزجر من شذ عنه بارتداد، أو بغى فيه بعناد، أو سعى فيه بفساد، وهذه الأمور إن لم تنحسم عن الدين بسلطان قوي ورعاية وافية، أسرع فيه تبديل ذوي الأهواء، وتحريف ذوي الآراء، فليس دين زال سلطانه إلا بدلت أحكامه وطمست أعلامه، وكان لكل زعيم فيه بدعة.. لذلك وجب إقامة إمام يكون سلطان الوقت وزعيم الأمة ليكون الدين محروساً بسلطانه، والسلطان جارياً على سنن الدين وأحكامه" [3].

فالماوردي يؤكد على ضرورة تنصيب إمام للمسلمين، يطبق أحكام الإسلام ويحقق مصالح العباد.

ويقول الغزالي: إن الدين والأمر على الأنفس والأموال، لا ينتظم إلا بسلطان مطاع[4] .

ومن هنا فقد وضع الرسول صلى الله عليه وسلم أسس نظام الحكم في الإسلام، وأوجب الانقياد لأمر القائد (الإمام) ما دام مطبقاً لشرع الله عز وجل، فعن عبد الله بن عمر

---

(1) الدولة الإسلامية، كامل الدقس، مكتبة دار الأرقم، عمان، ط١، ص٦٩ .
(2) السياسة الشرعية، عبد الوهاب خلاف، نشر محب الدين الخطيب، القاهرة، ط١، ص٥٢ .
(3) منهاج اليقين شرح أدب الدين والدنيا، علي بن حبيب الماوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٠م، ط١، ص١٣٠ .
(4) الاقتصاد في الاعتقاد، أبو حامد الغزالي، مكتبة النهضة، القاهرة، ص١٣٥ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(السمعُ والطاعة على المرء المسلم فيما أحبَّ وكرهَ، ما لم يؤمر بمعصيةٍ، فإذا أمِرَ بمعصيةٍ فلا سمعَ ولا طاعة)**[1] .

فالنبي صلى الله عليه وسلم يبين في هذا الحديث أن طاعة الإمام واجبة ما دام ملتزماً بتطبيق شرع الله عز وجل .

فالحضارة الإسلامية لا يمكن لها أن تستمر إلا بوجود سلطان مطاع، يطبق شريعة الإسلام، ويحمي الأمة من الانحراف والضلال، والأمة الإسلامية هي صاحبة الحق في اختيار من يتولى الإمامة العظمى، فتعقد له الخلافة، وتبايعه عليها إذا شغر منصب الخلافة ممن يشغله، ويجب أن تكون البيعة خالصة لوجه الله تعالى، نقية من كل شائبة أو غرض من أغراض الدنيا، أو مصلحة من المصالح السياسية أو الاقتصادية أو العصبية.

وقد حذر الرسول صلى الله عليه وسلم من جعل الهدف من مبايعة الإمام تحقيق أغراض دنيوية، وربط الطاعة له بتحقيق تلك الأغراض، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(ثلاثةٌ لا يكلِّمُهُمُ اللهُ ولا ينظر إليهم، ولا يزكِّيهم ولهم عذابٌ أليمٌ: رجلٌ على فضل ماءٍ بطريقٍ يمنعُ منه ابنَ السبيل، ورجلٌ بايع رجلاً لا يبايعهُ إلا للدنيا، فإن أعطاه ما يريد وَفَى له، وإلا لم يَفِ له، ورجلٌ ساوم رجلاً بسلعةٍ بعد العصر، فحلف بالله لقد أعطي بها كذا وكذا فأخذها)**[2].

فيجب أن تعقد البيعة لمن هو أهل لها، وأن تكون طاعته طاعة مطلقة، غير مقيدة برغبات النفس وأهوائها، فطاعة الإمام واجبة ما دام مطبقاً لشرع الله عز وجل.

قال ابن حجر: "وفي الحديث وعيد شديد في نكث البيعة والخروج على الإمام لما في ذلك من تفرق الكلمة، ولما في الوفاء من تحصين الفروج والأموال وحقن الدماء، والأصل في مبايعة الإمام أن يبايعه على أن يعمل بالحق، ويقيم الحدود، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فمن جعل مبايعته لمال يعطاه دون ملاحظة المقصود في الأصل، فقد خسر خسراناً مبينا ودخل في الوعيد المذكور وحاق به إن لم يتجاوز الله عنه، وفيه أن كل عمل لا يقصد فيه وجه الله، وأريد به عرض الدنيا فهو فاسد وصاحبه آثم" [3].

---

(1) صحيح البخاري واللفظ له، كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة، رقم ٦٧٢٥، ج٢٦١٢/٦، صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء، رقم ١٨٣٩، ج١٤٦٩/٣ .

(2) صحيح البخاري واللفظ له، كتاب الشهادات، باب اليمين بعد العصر، رقم ٢٥٢٧، ج٩٥٠/٢، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم إسبال الازار والمن بالعطية، وتنفيق السلعة، رقم ١٠٨، ج١٠٣/١ .

(3) فتح الباري ، ابن حجر ، ، ج١٣، ص٢٠٣ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

ولعظم أمانة الحكم في الإسلام، فقد حفلت السنة النبوية بطائفة من الأحاديث الشريفة، يصور فيها الرسول صلى الله عليه وسلم مسؤولية رئيس الدولة ومن حوله من ذوي السلطة والحكم، فعن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **(ما من عبد يسترعِيهِ اللهُ رعية، يموت يوم يموت وهو غاشٌ لرعيته، إلا حرَّمَ الله عليه الجنَّة)**[1] .

قال ابن بطال: "هذا وعيد شديد على أئمة الجور، فمن ضيع من استرعاه الله، أو خانهم أو ظلمهم، فقد توجه إليه الطلب بمظالم العباد يوم القيامة، فكيف يقدر على التحلل من ظلم أمة عظيمة ؟ " [2] .

وقال القاضي عياض: "معناه بين في التحذير من غش المسلمين لمن قلده الله تعالى شيئاً من أمرهم، واسترعاه عليهم، ونصبه لمصلحتهم في دينهم أو دنياهم، فإذا خان فيما أؤتمن عليه، فلم ينصح فيما قلده، إما بتضيعة تعريفهم ما يلزمهم من دينهم وأخذهم به، وإما بالقيام بما يتعين عليه من حفظ شرائعهم والذب عنها لكل متصد لإدخال داخله فيها، أو تحريف لمعانيها، أو إهمال حدودهم، أو تضييع حقوقهم، أو ترك حماية حوزتهم، ومجاهدة عدوهم، أو ترك سيرة العدل فيهم فقد غشهم، وقد نبه صلى الله عليه وسلم على أن ذلك من الكبائر الموبقة المبعدة عن الجنة والله أعلم " [3] .

فالنبي صلى الله عليه وسلم يحدد في هذا الحديث دور الإمام، ويبين واجبه في رعاية شؤون المسلمين، وحفظ مصالحهم وحقوقهم، ولا يخفى ما للإمام من دور بارز في تطبيق شرع الله عز وجل، وتحقيق الأمن والاستقرار للمجتمع المسلم، فالحضارة الإسلامية لا يمكن لها أن تزدهر وتستمر إلا بوجود إمام للمسلمين يحقق العدل ويحفظ النظام .

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب من استرعي رعية فلم ينصح، رقم ٦٧٣١، ج٢٦١٤/٦، صحيح مسلم واللفظ له، كتاب الإيمان، باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار، رقم ١٤٢، ج١٢٥/١ .

(2) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ج١٢٨/١٣ .

(3) شرح النووي على صحيح مسلم، ج١٦٦/٢ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

وللإمام في الإسلام واجبات كثيرة منها :

١- حفظ الدين على الأصول المستقرة، فإن ظهر مبتدع أو زاغ ذو شبهة عنه، بين له الحجة، وأوضح له الصواب، وأخذه بما يلزمه من الحقوق والحدود، ليكون الدين محروساً من الخلل، والأمة محجوبة عن الوقوع في الزلل[١] .

وهذا يقتضي الحفاظ على العقيدة الإسلامية، صافية بعيدة عن الانحراف والبدع، ولا يخفى ما لهذا من أثر بالغ في المحافظة على استمرار الحضارة الإسلامية وازدهارها .

وهذا ما جاء به القرآن الكريم، قال تعالى: **(*فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم*)**[٢].

فلا يمكن للحضارة الإسلامية البقاء والاستمرار، إلا بتطبيق ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم والاحتكام إليه في كل الأحوال.

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يتولى النظر في الخصومات بنفسه، فعن عروة رضي الله عنه قال: **خاصم الزبيرَ رجلٌ من الأنصار، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (يا زُبيرُ أسق ثم أرسل) فقال الأنصاريُّ: إنه ابن عمتك، فقال عليه السلام: (اسق يا زبيرُ ثم يبلغُ الماءُ الجدر ثم أمسك) فقال الزبيرُ: أحسبُ هذه الآية نزلت في ذلك: (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم)**[٣].

اتهم الأنصاري النبي صلى الله عليه وسلم بعدم العدل، وأنه قضى للزبير بأن يسقي قبله بسبب قربه منه، فانزل الله عز وجل هذه الآية، ليبين للأمة وجوب التسليم لحكم النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا دليل على أنه كان مثال للحاكم العادل.

٢- تنظيم أمور التقاضي بين الناس، يقول الماوردي: من واجبات الإمام قطع الخصام بين المتنازعين، حتى لا يتعدى ظالم، ولا يضعف مظلوم، وإقامة الحدود لتصان محارم الله تعالى من الانتهاك، وتحفظ حقوق العباد من الإتلاف والاستهلاك،

---

(١) الأحكام السلطانية، علي بن حبيب الماوردي، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ط١، ص١٥ .

(٢) سورة النساء ، آية ٦٥.

(٣) صحيح البخاري واللفظ له ، كتاب المساقاة ، باب شرب الأعلى قبل الأسفل ،رقم ٢٢٣٢،ج٨٣٢/٢،صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، وجوب إتباع النبي ، رقم ٢٣٥٧،ج١٨٢٩/٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

وحماية البيضة، والذب عن الحريم، ليتصرف الناس في المعاش، وينتشروا في الأسفار آمنين[1].

وقد أرسى النبي صلى الله عليه وسلم أسس ذلك، وكان يتولى القضاء في الخصومات والمنازعات، فعن أم سلمة رضي الله عنها قالت:(**قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنكم تختصمون إليَّ، ولعلَّ بعضكُم أن يكونَ ألحنَ بِحُجَّتِهِ من بعضٍ، فاقضي له على نحو مما أسمعُ منه، فمن قطعتُ له من حقِّ أخيه شيئا، فلا يأخذه، فإنما اقطعُ له به قطعة من النار**)[2].

فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقضي بين الناس، ويرشدهم إلى التزام الصدق والأمانة في أمور التقاضي، وعدم الاعتداء على حقوق الآخرين، وأكل أموالهم بالباطل، ويبين لهم أن الذي يحصل على حق ليس له، لن يفلت من عذاب الله عز وجل.

وهذا يضمن تحقيق مصالح العباد وحفظ حقوقهم، وتحقيق الأمن والاستقرار للمجتمع المسلم، ولا شك أن لهذا أثراً عظيماً في استمرار الحضارة الإسلامية .

٣- تحصين الثغور بالعدة المانعة والقوة الدافعة، حتى لا يظفر الأعداء بغرة ينتهكون بها محرماً أو يسفكون فيها دماً لمسلم أو معاهد، وجهاد من عاند الإسلام بعد الدعوة حتى يسلم، أو يدخل في الذمة .

٤- تأمين موارد الدولة المالية، يقول الماوردي: إن من واجبات الإمام، جباية الفيء والصدقات [3].

فواجب أولي الأمر في نظر الإسلام، بدءاً من الخليفة وانتهاء بالعامل، حراسة الدين والدنيا، وتطبيق أحكام الشريعة، وإقامة العدل وتحقيق المساواة في المعاملة والقضاء، ونشر الدعوة الإسلامية وحضارة الإسلام والمحافظة على استمرارها، وهداية الناس إلى الخير

---

(١) الأحكام السلطانية، الماوردي، ص١٦ .
(٢) صحيح البخاري ، كتاب الأحكام ، باب موعظة الإمام للخصوم ، رقم ٦٧٤٨، ج٢٦٢٢/٦، صحيح مسلم واللفظ له ، كتاب الأقضية ، باب الحكم بالظاهر ، رقم ١٧١٣،ج١٣٣٧/٣.
(٣) الأحكام السلطانية ، الماوردي ، ص١٦ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

والرشاد في الدنيا الآخرة، وتوفير الأمن والاستقرار للناس كافة، وتنظيم موارد الدولة ونفقاتها، وتحقيق التقدم في كافة مجالات الحياة، السياسية والاجتماعية والاقتصادية السياسي والاقتصادي والعلمي، وترقية الأمة ورعايتها في جميع مناحي الحياة .

وقد بينت السنة النبوية أن من واجب الإمام أن يقوم على الرعية بما يصلحها، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(ألا كلكم راع وكُلُّكم مسؤولٌ عن رعيته، فالإمام الذي على الناس راع، وهو مسؤولٌ عن رعيته، والرجلُ راع على أهل بيتهِ، وهو مسؤولٌ عن رعيته، والمرأةُ راعيةٌ على أهل بيت زوجها وولدهِ، وهي مسؤولةٌ عنهم، وعبدُ الرجل راع على مال سيدهِ، وهو مسؤولٌ عنه، ألا فكلكم راع وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيته)**[1] .

قال الخطابي: فرعاية الإمام الأعظم حياطة الشريعة بإقامة الحدود، والعدل في الحكم[2] .

فقيام الإمام بواجبه نحو الرعية يحقق للأمة الأمن والاستقرار ويحفظ للحضارة الإسلامية ازدهارها واستمرارها، وقد اعتبر علماء الشريعة الولاية العامة من الضروريات، لأن المقصود منها إقامة العدل، وإحقاق الحق، ورفع الظلم الواقع أو المتوقع[3].

فإن تحقيق العدل يؤدي إلى بقاء الحضارة الإنسانية، فلذلك كان المقصد العام للشريعة الإسلامية هو العدل بجميع صوره وأشكاله .

قال الماوردي: "العدل يدعو للألفة، ويبعث على الطاعة، وذلك لأنه يبعث على المحبة، والمحب مطيع لمن يحب، والعالم بستان سياجه الشريعة والعدل سَلك به نظام

---

(1) صحيح البخاري واللفظ له، كتاب الأحكام، باب قوله تعالى: أطيعوا الله، رقم ٦٧١٩، ج٢٦١١/٦، صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل، رقم ١٨٢٩، ج١٤٥٩/٣ .

(2) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ج١٣، ص١١٣ .

(3) المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، يوسف حامد العالم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، ط١، ١٩٩١، ص٤٦ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

العالم، وتتعمر به البلاد، وتنمى به الأموال، ويكثر معه النسل، ويأمن به السلطان بحصول الأمن العام، وانبساط الآمال " [1] .

بهذا النص نرى بوضوح أهمية العدل في المجتمع، وكيف يحصل به استمرار الحياة الحضارية بجميع أشكالها، من كثرة في الأموال والنسل والأمن، فالأمة التي تطبق فيها أحكام الإسلام يسودها النظام والالتزام، وتحفظ فيها الحقوق وتختفي منها المفاسد والمنكرات، وتسير على طريق التقدم والازدهار.

فالحكم بما أنزل الله والعدل بين الناس هو الركن الأساسي في بقاء واستمرار الحضارة الإسلامية، والحياد عن ذلك يعرض الأمة لأسباب الهلاك والدمار التي هلكت بها الأمم السابقة.

[1] منهاج اليقين شرح أدب الدين والدنيا، الماوردي، ص٢٤٠ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

المبحث الثاني

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

يعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أبرز السمات التي يتسم بها المجتمع المؤمن، وهو عامل من عوامل استمرار الحضارة الإسلامية، والقيام به أمر ضروري للأمة الإسلامية، لمنع العبث وارتكاب الفواحش، وضمان استمرار الحضارة الإسلامية واستقرارها، ويمكن التعرف على هذا العامل من خلال النقاط التالية :

أولاً:- تعريف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

قال الجرجاني: الأمر بالمعروف: الإرشاد إلى المراشد المنجية، والنهي عن المنكر: الزجر عما لا يلائم في الشريعة، وقيل الأمر بالمعروف: الدلالة على الخير، والنهي عن المنكر: المنع عن الشر، وقيل الأمر بالمعروف: أمر بما يوافق الكتاب والسنة، والنهي عن المنكر: نهي عما تميل إليه النفس والشهوة[1] .

وقال المناوي: المنكر ما ليس فيه رضا الله تعالى من قول أو فعل، والمعروف ضده[2] .

فالمعروف: هو ما أمر به الشارع ورغب فيه وحض عليه، والمنكر: هو كل أمر حضره الشرع ونهى عن ارتكابه .

ثانياً:- وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

يعتبر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب شرعي عظيم، يحمي امتنا الإسلامية من أن يغشاها الفساد، وأن يتسلط عليها الظالمون، فواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هو شعاع النور في أمتنا الذي يطل بوجهه المشرق ونوره المتلألئ

---

(1) التعريفات، الجرجاني، ص٤٥ .
(2) التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، دار الفكر، بيروت، ط١، ص٦٨ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

فتنقشع ظلمات المنكر بظهوره، ويعم الخير أرجاء المعمورة، وعلى عكس ذلك تغرق الأمة الإسلامية والعالم كله في ظلمات الفساد والإفساد بفتوره، فهو باب عظيم من الخير به قوام الأمر وملاكه[1] .

فلابد أن يكون المجتمع المسلم مجتمع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأن صلاح البلاد والعباد، والحفاظ على استمرار الحضارة الإسلامية لا يتم إلاّ به .

فالأمة الحضارية التي تستحق شرف المديح الرباني، هي الأمة التي نهضت بمسؤوليتها كاملة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال تعالى: ﴿* كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ...﴾[2].

وقد أمر الله تعالى الأمة الإسلامية بألاّ تنسى مهمتها الكبرى في هذه الحياة، أو تتوانى عن القيام بها، وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

قال تعالى: ﴿*وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[3] .

ومن هنا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حقاً للناس في المجتمع المسلم وواجباً عليهم، ومبدأ من المبادئ السياسية والاجتماعية، نطقت بذلك نصوص الكتاب والسنة، وكلفت الناس بتوجيه النصيحة أو النقد لأولي الشأن في المجتمع، وطلب تحقيق أمور تتطلبها مصلحة الجماعة، أو استنكار أمور ليست في مصلحتها.

---

(1) أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، محمود محمد كمال، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، العدد ١١٠، سنة ١٩٩١، ص٨ .
(2) سورة آل عمران، آية ١١٠ .
(3) سورة آل عمران، آية ١٠٤ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

قال الجصاص بعد أن سرد آيات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: فهـذه الآي ونظائرها مقتضية لإيجاب الأمر بالمعروف والنهي عن النكر[1].

وقد ربط الرسول صلى الله عليه وسلم استمرار الحضارة الإسلامية بالقيام بواجب الآمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فعن حذيفة بن اليمان، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(والذي نفسي بيده، لتأمُرُنَّ بالمعروفِ ولتنْهَوُنَّ عن المنكر، أو ليوشِكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم)**[2].

فقد بين النبي صلى الله عليه وسلم، أن استمرار الحضارة الإسلامية لا يكون إلا بقيام الأمة بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن تعطيل ذلك نذير بالهلاك والدمار وإنزال العقوبة.

فالأمة التي ترى محارم الله عز وجل تنتهك وتسكت عن ذلك، يتفاقم فيها الشر والفساد، وتزداد فيها المعاصي والمنكرات، وتضيع فيها الحقوق والواجبات، حتى تنسلخ عن كل القيم الدينية والأخلاقية، ولا يمكنها أن تضمن استمرار حياة حضارية لابنائها.

وقد أكد النبي صلى الله عليه وسلم على أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحث أصحابه على ذلك، واعتبره واجبا من واجبات الأمة الإسلامية، لما له من أثر بالغ في المحافظة على استمرار الحضارة الإسلامية، ونشر الخير والصلاح والقضاء على اشر والفساد، .

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **(من رأى منكم منكراً فليغيِّرْهُ بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعَفُ الإيمان)**[3] .

قال النووي: واعلم أن هذا الباب أعني باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قد ضيع أكثره من أزمان متطاولة، ولم يبق منه في هذه الأزمان إلا رسوم قليلة جداً، وهو باب

---

(1) أحكام القرآن، أحمد بن علي الرازي الجصاص، المطبعة البهية، مصر، ١٣٤٧هـ ج٢/٢٩ .

(2) سنن الترمذي واللفظ له ، كتاب الفتن ، باب الأمر بالمعروف ، رقم ٢١٦٩، ج٤/٤٢، وقال : حديث حسن ، سنن أبي داود، كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي ، رقم ٤٣٣٦،ج٢/٥٢٤. مسند أحمد، رقم ٢٣٣٤٩، ج٥/٣٨٨، وقال شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره. سنن البيهقي الكبرى ،ج١٠/٩٣. وقال الألباني: حديث حسن ، الجامع الصغير وزيادته،ج١/١٣٠٣.

(3) صحيح مسلم واللفظ له، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، رقم ٤٩، ج١/٦٩، سنن النسائي، كتاب الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان، رقم ٥٠٠٨، ج٨/١١١، سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب الخطبة يوم العيد، رقم ١١٤٠، ج١/٣٦٦ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

عظيم به قوام الأمر وملاكه، وإذا كثر الخبث عمّ العقاب الصالح والطالح، وإذا لم يأخذوا على يد الظالم أوشك أن يعمهم الله بعقابه، فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم، فينبغي لطالب الآخرة والساعي في تحصيل رضا الله عز وجل أن يعني بهذا الباب، فإن نفعه عظيم لاسيما وقد ذهب معظمه[1] .

فالنووي يؤكد على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويبين أنه سبيل لحماية المجتمع من أسباب الهلاك والدمار.

ويقول القاضي عياض: هذا الحديث أصل في صفة التغيير، فحق المغير أن يغير بكل وجه أمكنه زواله به، قولاً كان أو فعلاً، فيكسر آلات الباطل ويريق المسكر بنفسه أو يأمر من يفعله... وإذا عجز عن ذلك غير بقلبه[2] .

فالتغير باليد واللسان له قوة ايجابية في دفع المنكر وتصويب الأوضاع الفاسدة، وكذلك فأن الإنكار بالقلب ذو أهمية كبيرة في تنمية دوافع الخير ودفع الشر والفساد، لأنه يمثل الخطوة الأولى التي تمهد لهدم المنكر.

فالنبي صلى الله عليه وسلم أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على كل إنسان بحسب قدرته، ووجه الأمة إلى ضرورة تغيير المنكر، وذلك لما له من دور بارز في الحفاظ على الحضارة الإسلامية واستمرارها .

ومما يؤكد وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ما روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي، إلا كان له من أمتهِ حواريُّون وأصحابٌ يأخذون بسنَّته، ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلفُ من بعدهم خُلوفٌ، يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمنٌ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمنٌ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حَبَّةُ خردلٍ)**[3] .

---

(1) شرح النووي على صحيح مسلم، ج٢/٢٥ .

(2) المرجع السابق، ج٢/٢٥ .

(3) صحيح مسلم واللفظ له، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، رقم ٥٠، ج١/٦٩، مسند أحمد، رقم ٤٣٧٩، ج١/٤٨٥، صحيح ابن حبان، كتاب التاريخ، باب بدء الخلق، رقم ٦١٩٣، ج١٤/٧٢ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

فبين النبي صلى الله عليه وسلم، أن من لم يأمر بالمعروف وينه عن المنكر بيده أو لسانه فقد خف إيمانه ونقص، وأنه إن لم ينكر بقلبه فقد ضاع إيمانه وانمحى، فدل ذلك على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يشمل كل فئات المجتمع، حكاماً ومحكومين فعن أم سلمة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عنه وسلم أنه قال: **(إنه يستعمل عليكم أمراءُ، فتعرفون وتُنكرون، فمن كره فقد برئَ، ومن أنكر فقد سَلِمَ، ولكن من رضي وتابع)، قالوا يا رسول الله ألا نقاتلهم؟ قال: (لا ما صلوا)**[1] .

قال النووي: ومعناه من كره ذلك المنكر فقد برئ من إثمه وعقوبته، وهذا في حق من لا يستطيع إنكاره بيده ولا لسانه فليكرهه بقلبه وليبرأ... وقوله صلى الله عليه وسلم ولكن من رضي وتابع فيه دليل على أن من عجز عن إزالة المنكر لا يأثم بمجرد السكوت، بل إنما يأثم بالرضى به أو بأن لا يكرهه بقلبه أو بالمتابعة عليه[2] .

فالنبي صلى الله عليه وسلم دعا المسلمين في هذا الحديث إلى ضرورة الإنكار على الحكام، إذا تجاوزوا حدود الشرع في حكمهم، وحذر من متابعتهم، وذلك لما للحكام من دور بارز في ضمان استمرار الحضارة الإسلامية واستقرارها .

ومما يؤكد وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أيضاً ما جاء عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(إياكم والجلوسَ في الطرقات) ، قالوا: يا رسول الله! مالنا بدٌّ من مجالسنا، نتحدث فيها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فإذا أبيتُم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقّهُ)، قالوا: وما حقُّهُ؟ قال: (غضُّ البصر، وكفُّ الأذى، وردّ السلام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر)**[3] .

---

(1) صحيح مسلم واللفظ له، كتاب الإمارة، باب وجوب الإنكار على الأمراء، رقم ١٨٥٤، ج٣/١٤٨٠، سنن الترمذي، كتاب الفتن، رقم ٢٢٦٥، ج٤/٥٢٩، سنن أبي داود، كتاب السنة، باب الخوارج، رقم ٤٧٦٠، ج٢/٦٥٥ .

(2) شرح النووي على صحيح مسلم، ج١٢/٢٤٣ .

(3) صحيح البخاري، كتاب المظالم، باب أفنية الدور، رقم ٢٣٣٣، ج٢/٨٧٠، صحيح مسلم واللفظ له، كتاب اللباس، باب النهي عن الجلوس في الطرقات، رقم ٢١٢١، ج٣/١٦٧٥ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

فقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين أن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر كافة أفراد المجتمع الإسلامي حكاماً ومحكومين، وحثهم على اغتنام كل فرصة للقيام بهذا الواجب، فدعاهم إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الطرقات وذلك لما يقع فيها من أمور تستدعي الإنكار، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل إلى تطهير المجتمع من المفاسد والمنكرات، وقوة دافعة تدفع بالأمة الإسلامية للتقدم والازدهار في كافة المجالات، وهو السبيل لضمان استمرار الحضارة الإسلامية والحيلولة دون انهيارها ودمارها .

ثالثاً:- دور الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في استمرار الحضارة .

للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دور بارز في الحفاظ على استمرار الحضارة الإسلامية وصونها من الانهيار، فالمجتمع الصالح هو الذي يسهر على صون الحضارة من الانحراف والزلل، ويصوّب خطأها قبل أن يتحول إلى خطيئة يستعصي حلها، وهو المجتمع الذي قامت روابطه، وولايته وحبه لبعضه بعضاً، على أساس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، اللذين يمثلان يقظة وحرصاً على سلامة منارة الحضارة مضيئة، لا يعكر صفوها معكر .

قال تعالى: **﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾**[1] .

فهاتان الصفتان هما سياج حفظ الفضائل، ومنع فشو الرذائل[2]، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مسؤولية جماعية، فيعد الإسلام المجتمع مسئولاً عن صيانة الأخلاق العامة، لأن بها حفظه من الفوضى والفساد والانحلال، وبذلك وجب أن ينكر المجتمع على مرتكبي المنكرات الخلقية وغيرها[3] .

وقد بين المصطفى صلى الله عليه وسلم أن القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يقود الأمة إلى النجاة والفلاح، ويدفع عنها أسباب الهلاك والدمار.

---

(1) سورة التوبة، آية ٧١ .
(2) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٣، ط٢، ج١٠، ص٥٤٢ .
(3) التكافل الاجتماعي في الإسلام، مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨م، ط١، ص١٨٤ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما، فعرفت في وجهه أن قد حضره شيء، فتوضأ وخرج وما يكلم أحد، فلصقت بالحجرات أسمع ما يقول، فقعد على المنبر ثم قال: **(أيها الناس إن الله عز وجل يقول: مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر، من قبل أن تدعوني فلا أجيبكم، وتسألوني فلا أعطيكم، وتستنصروني فلا أنصركم)**[1].

يبين النبي صلى الله عليه وسلم، أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عامل مهم وفعال في المحافظة على استمرار الحضارة الإسلامية، وذلك لأنه السبيل لاستحقاق العون الرباني، والنصرة على الأعداء .

والأمة التي تهمل هذا الواجب تحرم استجابة الدعاء، وتحرم الرزق والخيرات، وتحرم كذلك النصر من عند الله، فكيف لها بعد هذا كله أن تعيش بأمن واستقرار.

فالقيام بهذا الواجب العظيم، سبيل لضمان استمرار الحضارة الإسلامية، لأنه الطريق لحماية الأمة من انتشار المعاصي والمنكرات، التي تدمر الحضارة وتهدم كيانها.

فعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(مثلُ القائمِ على حدود اللهِ والواقع فيها، كمثلِ قومٍ استَهَمُوا على سفينةٍ، فأصاب بعضهم أعلاها، وبعضُهُم أسفلَها، فكان الذين في أسفلِها، إذا استقوا من الماء، مروا على مَنْ فوقَهُم، فقالوا: لو أنَّا خرقنا في نصيبنا خرقاً، ولم نؤذِ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا، هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً)**[2] .

يتحدث النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث عن أثر القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويبين أن للقيام به نتائج عظيمة تعود بالخير على الأفراد والجماعات، فهو سبيل لإنقاذهم من الوقوع في أسباب الهلاك والدمار واستحقاق عقاب الله عز وجل،

---

(1) سنن ابن ماجة ، كتاب الفتن ، باب الأمر بالمعروف ، رقم ٤٠٠٤ ، ج١٣٢٧/٢ ، ، سنن البيهقي واللفظ له ، كتاب آداب القاضي ، باب ما يستدل به على أن القضاء وسائر أعمال الولاة مما يكون أمرا بالمعروف ، ١٩٩٨٧،ج٩٣/١٠. مسند أحمد ، رقم ٢٥٢٩٤،ج١٥٩/٦، وقال شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره. صحيح ابن حبان، رقم ٢٩٠،ج٥٢٦/١. وقال الألباني: حديث حسن لغيره ، صحيح الترغيب والترهيب، رقم ٢٣٢٥،ج٢٨٨/٢، صحيح سنن ابن ماجة، ج٣٦٧/٢.

(2) صحيح البخاري واللفظ له، كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة، رقم ٢٣٦١، ج٨٨٢/٢، سنن الترمذي، كتاب الفتن، باب تغيير المنكر، رقم ٢١٧٣، ج٤٧٠/٤، مسند أحمد، رقم ١٨٣٨٧، ج٢٦٨/٤ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

فالذين يقومون بهذا الواجب على أكمل وجه ينقذون أنفسهم وينقذون غيرهم، والذين يقصرون بالقيام به يجلبون لأنفسهم ولغيرهم الهلاك والدمار، فلا يقتصر أثر ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على المذنبين وحدهم بل يتعدى ضرره إلى الناس جميعا تقيهم وفاجرهم.

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر طريق لضمان استمرار الحضارة الإسلامية وحمايتها من الزوال والانهيار .

ويوضح الإمام الغزلي أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيقول: فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين، وهو الأمر المهم الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين، ولو طوى بساطة وأهمل عمله لتعطلت النبوة، واضمحلت الديانة، وعمَّت الفترة وفشت الضلالة، وشاعت الجهالة، واستشرى الفساد، واتسع الخرق وخربت البلاد وهلك العباد[1] .

فالأمة التي تعطل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يضعف الدين في حياتها، وتنتشر فيها المعاصي والمنكرات، ولا يمكنها السير في طريق التقدم والازدهار.

وقد عدَّ النبي صلى الله عليه وسلم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، نجاة للمجتمع من طغيان الطغاة، وجور الظالمين، فإن لم يقم المجتمع بواجبه اتجاه الظلمة، والأخذ على أيديهم، فإن العذاب سينزل على الظلمة والساكتين على ظلمهم، وتهدد أركان الحضارة بالانهيار .

فعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **(إن الناس إذا رأوا الظالم، فلم يأخذوا على يديه، أوشك أن يعُمَّهُم الله بعقاب منه)**[2].

فالأخذ على يد الظالم وحبسه عن الشر والفساد، سبيل من السبل الفعالة التي تحفظ للأمة هيبتها وكرامتها، وتحول دون انتشار المعاصي والمنكرات بين أبناء الأمة.

---

(1) إحياء علوم الدين، الغزالي، ج٢/١٩٢ .

(2) سنن الترمذي واللفظ له، كتاب الفتن، باب نزول العذاب إذا لم يغير المنكر، رقم ٢١٦٨، ج٤/٤١، وقال الترمذي: حديث صحيح، سنن أبي داود، كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، رقم ٤٣٣٨، ج٢/٥٢٥، مسند أحمد، رقم ٣٠، ج١/٧، وقال شعيب الارنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

وقد رغب المصطفى صلى الله عليه وسلم بالدعوة إلى الخير والأعمال الصالحة التي تعود على الأمة بالخير في الدنيا والآخرة، وحذر من إيقاع الناس في طرق الضلال والضياع التي تدمر حضارة الأمة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(من دعا إلى هدى، كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا، ومن دعا إلى ضلالة، كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا)**[1].

فإنكار المنكر وعدم الرضا به، سبيل لمنع انتشار المعاصي والمنكرات التي تحطم كيان الأمة وتدمر حضارتها.

" ولأهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، في المحافظة على رونق الحضارة، وتصحيح الاعوجاج فيها، وصيانتها من الانزلاق فيما يرديها، فقد استحدث نظام الحسبة الذي دعت الحاجة إليه، لتصويب أي خلل قد يطرأ ومهمة هذا النظام حفظ أمور الدين والدنيا معا " [2].

وبدا هذا النظام في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقد أوكل مهمة مراقبة السوق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى بعض أصحابه، حتى أن النساء شاركن في ذلك، فقد **استعمل الشفاء بنت عبد الله على السوق**[3]، **واستعمل كذلك عبد الله بن عتبة**[4]، ثم تطور نظام الحسبة بعد ذلك، وأوكلت هذه المهمة لجهاز متكامل يسهر على المصلحة العامة، وتناط به صلاحيات محددة، تهدف إلى تصويب الأخطاء في الرعية، وللمحتسب صلاحيات ذات تأثير في الحياة العامة.

---

(1) صحيح مسلم ، كتاب العلم ، باب من سن سنة حسنة ، رقم ٢٦٧٤، ج٤/٢٠٦٠ .
(2) النظام الرقابي في الإسلام وأثره في الدعوة إلى الله، عماد محمد عمارة، دار اليقين، مصر، ط١، ص٣٧٢ .
(3) الإصابة في تمييز الصحابة ، ابن حجر العسقلاني ، دار الجيل ، بيروت ، ط١، ج٧/٧٢٧، الآحاد والمثاني ، ابن عمرو الشيباني ، دار الراية ، الرياض ، تحقيق باسم الجوابرة ، ج٦/٤ .
(4) الطبقات الكبرى ، ابن سعد ، ج٥/٥٨ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

وللحسبة فوائد كثيرة منها:

١- تنقية المجتمع المسلم من المنكرات والمعاصي التي تحطم كيانه .

٢- تمنع من استقرار المفاهيم الخاطئة بين الناس، فإن المعروف إذا ترك فلم يؤمر به ساعة تركه اعتاد الناس تركه، حتى يصبح فعل المعروف منكراً، وكذلك المنكر إذا ترك فلم ينه عنه ساعة ارتكابه، اعتاد الناس فعله حتى يصبح المنكر معروفاً .

٣- إن الحسبة تدفع المصائب، وتوحد الصفوف، وتزيل الفرقة بين المسلمين .

٤- بالحسبة تقام الفرائض، وتأمن المذاهب، وتَحِل المكاسب، وَتُرَدُّ المظالم، وَتُعَمَّر الأرض، ويُنْتَصَف من الأعداء، ويستقيم الأمر[١] .

نتبين مما سبق أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، سبيل لنشر الخير والفلاح في الأمة الإسلامية، وسياج يحمي الحضارة ويبعد عنها شبح الانهيار ومعاول الهدم، ولا يمكن للحضارة الاستمرار والاستقرار، إلا إذا قام أبناؤها بهذا الواجب على أكمل وجه.

---

[١] انظر: أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، محمود محمد كمال، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، ص١٦٤- ١٦٦ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

المبحث الثالث

التناصح والمحاسبة

من العوامل التي تضمن استمرار الحضارة الإسلامية واستقرارها التناصح والمحاسبة، وقد حث الإسلام على ذلك وعده مهمة رسالية في الحياة، ترفع لواءها قوافل الرسل والأنبياء صلوات الله عليهم جميعاً فنبي الله هود عليه السلام أوجز بيان رسالته، كما خلدها القرآن: (***أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين***)[١].

فلا بد من التناصح والمحاسبة لكي تستمر الحضارة في عطائها، فهي أحوج ما تكون للمحافظة على البقاء في القمة، وعدم التدحرج إلى الهاوية، أو التقهقر للوراء.

ويعد التواصي والتناصح من التكافل الأدبي، الذي يجعل كل مسلم مسؤولا عمن حوله من أبناء المجتمع، ينصح لهم وينصحون له، ويوصيهم بالحق والصبر، ويتقبل الوصية منهم كذالك، وهذا من أساسيات الدين، وموجبات الإيمان وشروط النجاة من الخسران[٢].

قال تعالى: (*والعصر*إن الإنسان لفي خسر*إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر*)[٣].

فقد كان الصحابة أكثر الناس حرصاً على النصيحة، والتناصح والتواصي بالحق والصبر، فكان الرجلان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إذا التقيا لم يتفرقا حتى يقرأ أحدهما على الآخر سورة العصر إلى آخرها ثم يسلم أحدهما على الآخر، وقال الشافعي رحمه الله: لو تدبر الناس هذه السورة لوسعتهم[٤] .

والنصح إخلاص العمل عن شوائب الفساد، والنصيحة هي الدعاء إلى ما فيه الصلاح، والنهي عما فيه الفساد[٥] .

---

(١) سورة الأعراف، آيه ٦٨.
(٢) الإسلام حضارة الغد،يوسف القرضاوي،ص١٨٩.
(٣) سورة العصر،الآيات ١-٣.
(٤) تفسير ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير، ج٤/٧٠٨ .
(٥) التعريفات، الجرجاني، ص٣٠٩ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

والنصيحة كلمة جامعة يعبر بها عن جملة هي إرادة الخير للمنصوح وليس يمكن أن يعبر هذا المعنى بكلمة واحدة تجمع معناها غيرها[1] .

وقد أوجب النبي صلى الله عليه وسلم التناصح بين أبناء الأمة الإسلامية، وذلك لما له من أثر في نشر الفضيلة بين أفراد الأمة الإسلامية، والقضاء على الفساد والانحلال الذي يعكر صفو الحضارة الإسلامية، ويحول دون استمرارها واستقرارها .

عن تميم الداري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(الدِّينُ النصيحَةُ)، قلنا: لمن؟ قال: (لله ولكتابه ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامَّتِهم)**[2] .

يؤكد النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث على ضرورة التناصح بين أفراد الأمة، ويبين أن ذلك لا ينحصر في فئة محددة، وإنما يشمل الأمة كلها حكاما ومحكومين، ولا يخفى ما للنصح لائمة المسلمين من دور في حفظ حياة الأمة، والسير بها نحو التقدم والازدهار.

"ومعنى النصيحة لله عز وجل الاعتقاد في وحدانيته، وإخلاص النية في عبادته، والنصيحة لكتابه الإيمان به والعمل بما فيه" [3] .

يقول فرج محمود: ومن النصيحة لكتاب الله تعالى، بذل الجهد في تحفيظه للناشئة، حتى يشبوا على هداه، وتستقيم نفوسهم على صراط مستقيم، والعمل على إذاعته في أرجاء الدنيا، ودعوة الناس إلى أن يعيشوا في ظلاله، ويقيموا أوامره ويجتنبوا نواهيه، وينفذوا أحكامه ويراعوا حدوده، والنصيحة لرسول الله عليه الصلاة والسلام التصديق بنبوته وبذل الطاعة له فيما أمر به ونهى عنه، وحبّ من أحبه، وموالاة من والاه، ومعاداة من عاداه، وشدة الغضب والإعراض عمن أعرض عن سنته، ورد الشبهات الضالة الواردة على سيرته وأحاديثه، والكشف عما صح منها ولم يصح، ليكون المسلمون على بينة من أمرهم[4].

---

(1) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ج٥/٦٣ .

(2) صحيح مسلم واللفظ له، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، رقم ٥٥، ج١/٧٤، سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب النصيحة، رقم ١٩٢٦، ج٤/٣٢٤، سنن النسائي، كتاب البيعة، باب النصيحة للإمام، رقم ٤١٩٧، ج٧/١٥٦ .

(3) عون المعبود، العظيم آبادي، ج١٣/١٩٦ .

(4) الإسلام وبناء المجتمع، فرج محمود حسن، المكتبة الوطنية، بدون بلد نشر، ط١، ١٩٩٩م، ص١٢٥ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

والنصيحة لأئمة المسلمين تكون بطاعتهم والتزام أمرهم ومعاونتهم على الحق، وتنبيههم وتذكيرهم برفق ولطف، وإعلامهم بما غفلوا عنه، ولم يبلغهم من حقوق المسلمين، وترك الخروج عليهم، وتأليف قلوب الناس لطاعتهم .

قال الخطابي: ومن النصيحة لهم الصلاة خلفهم، والجهاد معهم، وأداء الصدقات إليهم، وترك الخروج عليهم، إذا ظهر منهم حيف أو سوء عشرة، وأن لا يُغروا بالثناء الكاذب عليهم... وأما نصيحة عامة المسلمين وهم من عدا ولاة الأمر، فإرشادهم لمصالحهم في آخرتهم ودنياهم، وكف الأذى عنهم، فيعلمهم ما يجهلونه من دينهم ويعينهم عليه بالقول والفعل، وستر عوراتهم، وسد خلاتهم، ودفع المضار عنهم، وجلب المنافع لهم، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، برفق وإخلاص، والشفقة عليهم، وتوقير كبيرهم ورحمة صغيرهم، وتخولهم بالموعظة الحسنة، وترك غشهم وحسدهم، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه من الخير، والذب عن أموالهم وأعراضهم، وغير ذلك من أحوالهم بالقول والفعل، وحثهم على التخلق بجميع ما ذكرناه من أنواع النصيحة، وتنشيط هممهم إلى الطاعات[1] .

فتناصح أبناء الأمة فيما بينهم حكاما ومحكومين، يصوب فعلهم الحضاري، ويقودهم إلى سبيل النجاة والسلامة.

ولم يقف أمر النصيحة عند هذا المقام الرفيع، ففي ساحة التطبيق والعمل، وبناء اللبنات الحضارية، كان النبي صلى الله عليه وسلم يأخذ العهد والبيعة من الصحابة على النصح، فدخلت النصيحة في باب البيعة، وصفقة اليد وثمرة الفؤاد مع النبي صلى الله عليه وسلم، فعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: **(بايعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنُّصح لكلِّ مسلم)**[2] .

فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يبايع الصحابة على النصح للمسلمين، وذلك لما للنصح من دور بارز في إصلاح أحوال الأمة، ونشر الإسلام وتثبيت دعائمه والقضاء على أسباب الفساد والانحلال .

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، ج٢/٣٩ .

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب كيف يبايع الإمام الناس، رقم ٦٧٧٨، ج٦/٢٦٣٤، صحيح مسلم واللفظ له، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، رقم ٥٦، ج١/٧٥ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library- Yarmouk University
www.manaraa.com

وقد حث النبي صلى الله عليه وسلم ولاة الأمور على النصح للرعية وتوعد لمن يقصر في ذلك بالعذاب الأليم يوم القيامة، فعن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **(ما من عبد يَسْتَرْعِيه الله رعيَّة، فلم يحطها بِنُصحِهِ، إلا لم يجد رائحة الجنَّة)**[1].

يستثير النبي صلى الله عليه وسلم همم الولاة والحكام، ويحفزهم على النصح للرعية، للوصول بها إلى الأمن والاستقرار، وإبعادها عن أسباب الهلاك والدمار.

فتنصيب الإمام العادل الذي يقوم على الرعية بما يصلحها، وينصح لها ويبذل جهده من أجل تحقيق مصالحها، يضمن للحضارة الإسلامية أسباب البقاء والاستمرار.

" وللأمة الإسلامية الحق في محاسبة الحكام، فتناقشهم في أعمالهم وتحاسبهم على تصرفاتهم، وتقومهم عند الاعوجاج، وتخضعهم لأحكام الشريعة الإسلامية عند التمرد، والحكام لا يتمتعون بأيّ حصانة من دون المسلمين" [2] .

فالسلطة الحاكمة في الدولة الإسلامية وعلى رأسها الخليفة أو الإمام مسؤولة عن تقصيرها وتصرفاتها، سواء ما يتعلق بالأمور الخاصة والعلاقات الشخصية، أم ما يتصل بأمر الدين وتنفيذ الشرع، وكما أن السلطة الحاكمة مسؤولة عن تصرفاتها، فهي أيضاً مسؤولة عمن ولتهم مسؤوليات خاصة إذا ما وقع منهم إهمال أو اعتداء أو تقصير في تنفيذ ما أوكل إليهم .

وهذه المسؤولية التي تقع على عاتق الحاكم أو الخليفة في الدولة الإسلامية مسؤولية مزدوجة، فهو مسؤول أمام الله سبحانه وتعالى يوم الحساب والجزاء، وإلى جانب هذه المسؤولية الأخروية فهناك مسؤولية دنيوية أمام الرعية التي منحته السلطة، ووكلته نيابة عنها بإقامة الدين وسياسة الدنيا[3] .

---

(1) صحيح البخاري واللفظ له، كتاب الأحكام، باب من استرعى رعية فلم ينصح، رقم ٦٧٣١، ج٢٦١٤/٦، صحيح مسلم، كتاب الإيمان باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار، رقم ١٤٢، ج١٢٥/١ .

(2) انظر: نظام الحكم في الإسلام، عارف خليل أبو عيد، ص١٦٩ .

(3) انظر: المرجع السابق ، ص١٦١ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

ولا شك أن إسداء النصح للحكام من أفراد الشعب، ولاسيما العلماء وأهل الرأي والخبرة، كل في ميدانه، أمر حسن جداً، وذلك لما له من دور بارز في المحافظة على استمرار الحضارة الإسلامية، وقد جرى عليه المسلمون في عهودهم الزاهرة، ومما يدل على ذلك، ما فعله أبو بكر الصديق رضي الله عنه عندما تولى منصب الخلافة، فقد صعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه، وقال: **(أيها الناس إني قد وليت عليكم، ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة...)**[1].

فقد أعطى أبو بكر الصديق رضي الله عنه الرعية الحق بمحاسبته، في حال صدور أي خلل في سياسته. وما ذلك إلا من أجل الوصول بالأمة إلى أرقى درجات التقدم والازدهار.

وفي السنة النبوية طائفة من الأحاديث الكريمة، تقرر حق المجتمع الإسلامي في مساءلة الحكام، ومراقبتهم في تنفيذ ما أوكل إليهم .

عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **(ما من رجلٍ يكون في قوم، يعملُ فيهم بالمعاصي، يقدرُونَ على أن يُغيِّروا عليه، فلا يُغيِّرُوا، إلا أصابهم الله بعذابٍ قبل أن يموتوا)**[2] .

فالحديث فيه تشديد على أفراد المسلمين، وعلى الأمة الإسلامية أن لا تسكت عن المنكر، سواء ظهر من الأفراد أو من الحكام، لأن النجاة والسلامة والحفاظ على استمرار الحضارة الإسلامية، لا يكون إلا بتغيير المنكر وعدم السكوت عليه .

" فمن حق الرعية المستظلة برغد الحضارة أن تكون حارسة أمينة على ديمومتها، ومستقبلها، والمحاسبة وسيلتها المشروعة، لتقويم الاعوجاج وتسديد المنهج، وهي محاسبة في شتى الصُعد، وطرائق الحياة، تشمل المحاسبة في سياسة الحكم، وتوزيع الثروة وطرق كسبها، ويخضع رأس الدولة وهيئة الحكم لتلك المحاسبة والمساءلة، لا فرق بين شريف

---

(1) انظر: السيرة النبوية ، ابن هشام ، ج٦/٨٢ .

(2) سنن أبي داود واللفظ له، كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، رقم ٤٣٣٩، ج٢/٥٢٦، سنن ابن ماجة، كتاب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، رقم ٤٠٠٩، ج٢/١٣٢٩، مسند أحمد، رقم ٩٢٣٦، ج٤/٣٦٣، وقال شعيب الأرنؤوط: حديث حسن، صحيح ابن حبان، كتاب البر والصلة، باب الصدق والأمر بالمعروف، رقم ٣٠٠، ج١/٥٣٦ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

ووضيع، وكبير وصغير، ولا حصانة لأحد ناهض الأمة في منهاجها، أو اقترف ما يبدد حضارتها، فإن لم يتعظ من قلبه ونفسه، فيجب على الأمة أن ترده إلى جادة الصواب، فتحاسبه قبل فوات الأوان، فالأمة الفاقدة لإمكانات رقابة الدولة، ومحاسبتها تعجز عن التحكم فيها، فتفلت من إرادتها... وحينئذ تعجز عن تغيير رؤساء الدولة وإن جاروا " [1] .

وقد اعتبر النبي صلى الله عليه وسلم قول الحق في وجه السلطان الجائر من أعظم الجهاد .

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(إن من أعظم الجهاد، كلمة عدل عند سلطان جائر)**[2] .

اعتبر النبي صلى الله عليه وسلم النصح للإمام، وقول الحق في وجهه وعدم مسايرته على ظلمه من أعظم الجهاد، وذلك لما له من أثر في تحقيق مصالح العباد وحبسه عن الشر والفساد، ولا يخفى ما لذلك من اثر في الحفاظ على استمرار الحضارة الإسلامية.

قال الخطابي: وإنما صار ذلك أفضل الجهاد، لأن من جاهد العدو كان متردداً بين الرجاء والخوف، لا يدري هل يغلب أو يغلب، وصاحب السلطان مقهور في يده، فهو إذا قال الحق، وأمر بالمعروف، فقد تعرض للتلف وأهدف نفسه للهلاك، فصار ذلك أفضل أنواع الجهاد من أجل غلبة الخوف[3] .

فالنبي صلى الله عليه وسلم يحث الأمة الإسلامية على عدم الخوف، وقول الحق في كل الأحوال، لما لذلك من دور في حماية المجتمع الإسلامي وصونه من أسباب الفساد والانحلال، وبالتالي ضمان استمرار الحضارة الإسلامية واستقرارها .

---

(1) أزمة الفكر الحديث ومبررات الحل الإسلامي، عباسي مدني، مكتبة المنارة، مكة المكرمة، ط١، ص٨٤ .

(2) سنن الترمذي واللفظ له، كتاب الفتن، باب أفضل الجهاد كلمة عدل، رقم ٢١٧٤، ج٤/٤٥، وقال: حديث حسن غريب من هذا الوجه، سنن أبي داود، كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، رقم ٤٣٤٤، ج٢/٥٢٧، مسند أحمد، رقم ١٨٨٥٠، ج٤/٣١٥، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح . صحيح سنن الترمذي، الألباني، رقم ١٧٦٦. وقال الدكتور بشار عواد، في تعليقه على هذا الحديث: لعله إنما حسنه لأحاديث الباب، والا فإن إسناد هذا الحديث ضعيف لضعف عطية العوفي

(3) تحفة الحوذي، المباركفوري، ج٦/٣٣٠ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

والحضارة العريقة هي تلك الحضارة التي يصدع بنوها بالحق مدوياً، وتأخذ العهد منهم على قول الحق، في كل أحوالهم، ولا تخشى في الله لومة لائم .

فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: **(بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة، في المنشط والمكره، وأن لا ننازع الأمرَ أهلَهُ، وأن نقومَ، أو: نقول بالحق حيثما كنا، لا نخافُ في الله لومة لائم)**[1] .

ولا شك أن إظهار الحق، ومحاربة الشر والفساد، ومحاسبة الحكام ومنعهم من ظلم العباد، سبيل للحفاظ على بقاء الحضارة الإسلامية واستمرارها، والحيلولة دون اضمحلالها وانهيارها .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

(1) صحيح البخاري واللفظ له، كتاب الأحكام، باب كيف يبايع الإمام الناس، رقم ٦٧٧٤، ج٢٦٣٣/٢، صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب طاعة الأمراء، رقم ١٨٣٦، ج١٤٦٧/٣ .

www.manaraa.com

المبحث الرابع

المحافظة على القدرة الجهادية وتطويرها

يعد الجهاد من عوامل استمرار الحضارة الإسلامية، وذلك لأن الحضارة الإسلامية لا يمكن لها أن تزدهر وتستقر إلا إذا أمِنت عدوها .

والجهاد في التفكير الإسلامي: هو بذل الجهد في مدافعة الشر واستجلاب الخير، وعندما يطلق يتجه إلى الجهاد في المعركة بالنفس والمال[1] .

فالمعركة بين الحق والباطل قائمة منذ أن خلق الله الإنسان، ولابد للحق من قوة تحميه، فشرع الله تعالى الجهاد دفاعاً عن الحق الذي أنزله للبشر وتأييداً له، وجاءت النصوص الغزيرة من كتاب الله وسنة رسوله تحض على الجهاد، وترغب فيه، وتبين فضل المجاهدين وما أعد الله لهم من ثواب عظيم .

قال تعالى: **﴿*انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾**[2] .

وقال تعالى: **﴿*يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ* تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾**[3] .

وقال تعالى: **﴿* وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ...﴾**[4] .

---

(1) الجهاد والنظم العسكرية في التفكير الإسلامي، أحمد شلبي، ص٢٣ .
(2) سورة التوبة آية ٤١ .
(3) سورة الصف، آية ١٠- ١١ .
(4) سورة الأنفال، آية ٦٠ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

فهذه الآيات تدل على وجوب الجهاد في سبيل الله تعالى، حتى تستطيع الأمة الإسلامية الصمود في وجه أعدائها، وتضمن للحضارة البقاء والاستمرار.

ولقد كان الجهاد مفتاح العزة والكرامة في المجتمع المسلم، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **(إذا تبايعتم بالعِيَنَةِ**[1]، **وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزَّرع، وتركتم الجهاد، سلّط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجِعوا إلى دينكم)**[2] .

يحمل هذا على الاشتغال بالزرع في زمن يتعين فيه الجهاد، وقوله: **(سلط عليكم ذلاً)** أي صغار ومسكنه.. وسبب هذا الذل والله أعلم أنهم لما تركوا الجهاد في سبيل الله، الذي فيه عز الإسلام وإظهاره على كل دين، عاملهم الله بنقيضه وهو إنزال الذلة بهم، فصاروا يمشون خلف أذناب البقر، بعد أن كانوا يركبون على ظهور الخيل التي هي أعز مكان[3] .

فقد بين النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث، أن الأمة إذا تخلت عن واجب الجهاد وانشغلت عنه، فسوف يلحقها الذل والصغار، ويقهرها عدوها ويستعلي عليها، فالجهاد يعد من أهم السبل التي تحفظ للأمة كرامتها وعزتها، وتحقق للحضارة الإسلامية الاستمرار والاستقرار .

فالجهاد سبيل للحفاظ على استمرار الحضارة الإسلامية، وبه تذهب هموم الأمة وغمومها، وتأمن من استعلاء عدوها عليها، فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(عليكم بالجهاد في سبيل الله، فانه باب من أبواب الجنة، يذهب الله به الهم والغم)**[4].

---

(1) العينة: أن يبيع شيئاً من غيره بثمن مؤجل، ويسلمه إلى المشتري، ثم يشتريه قبل قبض الثمن بثمن نقد أقل من ذلك القدر، عون المعبود، العظيم آبادي، ج٩، ص٢٤٢ .

(2) سنن أبي داود واللفظ له، كتاب البيوع والإجارات، باب في النهي عن العينة، رقم ٣٤٦٢، ج٢/٢٩٦، مسند أحمد، رقم ٥٠٠٧، ج٢/٤٢، سنن البيهقي الكبرى ، رقم ١٠٤٨٤،ج٥/٣١٦، وهذا حديث صحيح، نصب الراية، الزيلعي، ج٤/٢٤ ، السلسلة الصحيحة، الألباني، رقم ١١،ج١/٤٢، صحيح الجامع الصغير، الألباني، رقم ٤٢٤،ج١٤٣.

(3) عون المعبود، العظيم آبادي، ج٩، ص٢٤٢ .

(4) مسند احمد ، رقم ٢٢٧٧١،ج٥/٣١٩، وقال شعيب الارنؤوط : حديث حسن ، المستدرك ، الحاكم ، رقم ٢٤٠٤ ،ج٢/٨٤، وقال: حديث صحيح . سنن البيهقي الكبرى، رقم ١٧٥٧٧،ج٩/٢٠، وقال الألباني: حديث صحيح، السلسلة الصحيحة ، رقم ١٩٤١ ،ج٤/٥٨٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

فالأمة التي يتسلط عليها عدوها، ولا تجد سبيلا لمقاومته والخلاص من قهره، لا يمكنها أن تستمر طويلا، وسرعان ما تنهار حضارتها ويستولي عليها عدوها.

وقد حث النبي صلى الله عليه وسلم على الجهاد لما له من أثر في حماية الأمة الإسلامية وصونها والدفاع عن عقيدتها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: **(سُئِلَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم: أي الأعمال أفضلُ؟ قال: (إيمان بالله ورسوله)، قيل: ثم ماذا؟ قال: (جهاد في سبيل الله)، قيل: ثم ماذا؟ قال: (حج مبرور)**[1] .

فقد عدَّ النبي صلى الله عليه وسلم الجهاد في سبيل الله من أفضل العمل، وذلك لما له من دور بارز في الحفاظ على استمرار الحضارة الإسلامية، وحفظ كرامة الأمة وعزتها.

فالجهاد هو السبيل لعيش الأمة بسعادة وأمان، فعن أبي أمامة رضي الله عنه أن **رجلا قال: يا رسول الله إئذن لي في السياحة، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله تعالى)**[2].

فقد شبه النبي صلى الله عليه وسلم الجهاد بالسياحة، وذلك لما بينهما من تشابه في الأثر المترتب على كل منهما، فالسياحة تريح النفس من أعباء التعب، والجهاد يريح الأمة من تسلط الأعداء ويضمن للأمة البقاء والاستمرار.

ومما يؤكد أهمية الجهاد أن النبي صلى الله عليه وسلم، عدَّ المجاهد في سبيل الله من أفضل الناس، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: **قيل يا رسول الله أي الناس أفضل؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله)، قالوا: ثم من؟ قال: (مؤمن في شِعْبٍ من الشعاب، يتقي الله، ويدعُ الناس من شره)**[3].

---

(1) صحيح البخاري واللفظ له، كتاب الحج، باب فضل الحج، رقم ١٤٤٧، ج٥٥٣/٢، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب كون الإيمان بالله أفضل الأعمال، رقم ٨٣، ج٨٨/١ .

(2) سنن أبي داود واللفظ له ،كتاب الجهاد ،باب النهي عن السياحة ، رقم ٢٤٨٦ ، ج٧/٢ ، سنن البيهقي الكبرى ، رقم ١٨٢٨٧ ،ج١٦١/٩. المستدرك للحاكم، رقم ٢٣٩٨، ج٨٣/٢، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. المعجم الكبير، رقم ٧٧٠٨،ج١٦٨/٨.وقال الألباني: حديث صحيح ، صحيح سنن أبي داود ، رقم ٢١٧٢،ج٤٢/٢.

(3) صحيح البخاري واللفظ له، كتاب الجهاد، باب أفضل الناس مؤمن يجاهد بنفسه، رقم ٢٦٣٤، ج١٠٢٦/٣، صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد، رقم ١٨٨٨، ج١٥٠٣/٣ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

فقد اعتبر النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن الذي يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله من أفضل الناس، وذلك لما لعمله من أهمية في الدفاع عن الإسلام وأهله، ورد كيد الطامعين الذين يكيدون للإسلام والمسلمين، وبالتالي حماية الحضارة الإسلامية من الانهيار.

ومما يؤكد فريضة الجهاد أيضاً، أن النبي صلى الله عليه وسلم حذر من تركه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(من مات ولم يغزُ، ولم يحدث به نفسَهُ، مات على شعبةٍ من نفاق)**[1] .

فقد شرع الجهاد ليحمي العقيدة من كيد المتربصين، وهجمات الجاهلية، لتأخذ هذه العقيدة مجراها العتيد في هداية البشر، من غير تعويق، ولا صد على مر الزمن .

فالجهاد درع تحتمي به العقيدة في مواجهة أعدائها والصادين عنها، وليس وسيلة إرغام ولا سبيل قهر، ولم يحدث يوماً أن تحولت حروبنا للقهر والإرغام أو الطغيان والبغي، وإنما كانت دائماً حروب تحرير وتطهير ودفاع عن المثل والكيان والكرامة، ووسيلة لدفع الظلم والعدوان[2].

قال تعالى: **﴿*أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾**[3] . فهو أذن للأمة التي يقع عليها ظلم، وهو كذلك أذن للأمة التي يغتصب حقها في الحياة والنعم، وأجاز لها أن تدافع عن نفسها وعن كيانها عبر الوسائل الممكنة والمعلومة[4] .

" فالله عز وجل قد أذن لمن وقع أو يقع عليه ظلم بأن يتعامل مع الظلمة بطريقة مناسبة وهكذا يأخذ الجهاد في الإسلام دور الدفاع وإقرار العقيدة ونصرة المستضعفين من الرجال والنساء والولدان.. وذلك لأن العقيدة الإسلامية، درع يحمي كل المستعفين في أرض الله، لأننا لا نحتكر القوة بل نسخرها لخدمة الحق، وحفظ كرامة الحياة وإرهاب أعداء الله .. ويكفي أن ننقل ما يقوله رينان عن حروب الإسلام، لنرد على بقية المستشرقين

---

(1) صحيح مسلم واللفظ له، كتاب الإمارة، باب ذم من مات ولم يغز، رقم ١٩١٠، ج١٥١٧/٣، سنن النسائي، كتاب الجهاد، باب التشديد في ترك الجهاد، رقم ٣٠٩٧، ج٨/٦، سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب كراهية ترك الغزو، رقم ٢٥٠٢، ج١٣/٢، مسند أحمد، رقم ٨٨٥٢، ج٣٧٤/٢ .

(2) قيم حضارية في القرآن الكريم، توفيق محمد سبع، ج١٦٧/٢ .

(3) سورة الحج، آية ٣٩ .

(4) الجهاد في الإسلام، الشيخ الركابي، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٧م، ط١، ص٢٣٦ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

بكلام واحد منهم يقول: " لم ينصف المؤرخون الغربيون الإسلام باتهامهم إياه بالقسوة في الجهاد والفتوحات، مع أن هذا الجهاد كان ضرورياً لنشر العدالة التي تزدان بها التعاليم الإسلامية المشرقة " [١] .

فالحرب في الإسلام لا يلجأ إليها إلا للضرورة وقد بينت نصوص الكتاب والسنة النبوية الهدف والغاية من الجهاد، قال تعالى: ﴿ **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾[٢] .

فغاية القتال في سبيل الله واحدة، وهي بالنسبة إلى حملة رسالة الحضارة الإسلامية المجيدة، ابتغاء مرضاة الله، بالعمل لنشر دينه، وإعلاء كلمته، وبناء الحضارة المجيدة .

قال ابن تيمية: إذا كان أصل القتال المشروع- وهو الجهاد- بقصد أن يكون الدين كله لله، وأن تكون كلمة الله هي العليا، فمن منع ذلك قوتل باتفاق المسلمين[٣] .

" فالحروب التي خاضها المسلمون لم تكن لحمل الناس على الإسلام، وإنما لوقف الاعتداء عليهم، ولوقف إكراههم على عدم الدخول فيه، ويلاحظ أن مبررات الجهاد هي تقرير إلوهية الله في الأرض، وإقامة منهجه العادل بين الناس، ومطاردة الشياطين ومناهجهم، وتحطيم سلطانهم الظالم، إنها مبررات التحرير العام للإنسان في الأرض بإخراج الناس من عبودية العباد إلى عبودية الله " [٤] .

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن الغاية من الجهاد إخراج الناس من الظلمات إلى النور، وتحطيم كل العوائق التي تحول دون نشر الدعوة الإسلامية .

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(أمِرتُ أن أقاتل النَّاس، حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا، عصموا منِّي دماءَهُم وأموالهُم إلا بحقِّها، وحسابُهُم على الله)**[٥].

فليست الغاية من الجهاد تحقيق المكاسب المادية والأطماع الشخصية، بل الغاية منه إيجاد مجتمع إسلامي، تطبق فيه شريعة الإسلام الصالحة لكل زمان ومكان، لأنها الشريعة الوحيدة القادرة على السمو بالإنسان مادياً وروحياً، فلا يمكن لأي حضارة من الحضارات

---

(١) قيم حضارية في القرآن الكريم، توفيق محمد سبع، ج٢، ص١٦٩ .
(٢) سورة الأنفال، آية ٣٩ .
(٣) السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، أحمد بن تيمية، ص٨١ .
(٤) دراسات في الثقافة الإسلامية، صالح ذياب هندي، ص١٢٢ .
(٥) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ، فخلوا سبيلهم ، رقم ٢٥،ج١/١٧، صحيح مسلم واللفظ له، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، رقم ٢٢، ج١/٥٣ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

ومهما بلغت من التقدم والرقي، أن تحقق للإنسان السعادة والاستقرار إلا إذا التزمت بشريعة الإسلام .

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن الغاية من الجهاد أعلاء كلمة الله تعالى، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: **(الرجلُ يقاتلُ للمغْنَم، والرجل يقاتل للذّكر، والرجل يقاتل ليرُى مكانُهُ، فمن في سبيل الله؟ قال: من قاتل لتكون كلمةُ الله هي العليا فهو في سبيل الله)**[1] .

قال ابن حجر: المراد بكلمة الله دعوة الله إلى الإسلام[2]. فالقتال من أجل تحقيق المكاسب المادية، وإرضاء رغبات النفس، قتال لا يقره الإسلام ولا يثيب عليه، والقتال الذي يقره الإسلام ويثيب عليه، هو ما كان بهدف إرضاء الله تعالى ونشر دينه، وحمايته من كيد الأعداء والطامعين .

والجهاد في سبيل الله، طريق لحماية الإسلام وأهله وضمان استمرار الحضارة الإسلامية، وذلك لما له من أهمية في صد المعتدين الذين يتربصون بالإسلام وأهله.

فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فقال لي: **(إن شئت أنبأتك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟) قال: قلت: أجل يا رسول الله، قال: (أما رأس الأمر فالإسلام، وأما عموده فالصلاة، وأما ذروة سنامه فالجهاد)**[3] .

قال المباركفوري: وفيه إشعار بصعوبة الجهاد، وعلو أمره وتفوقه على سائر الأعمال، والجهاد من الجَهد بالفتح: وهو المشقة، أو بالضم وهو الطاقة لأنه يبذل الطاقة في قتال العدو[4].

---

(1) صحيح البخاري واللفظ له، كتاب الجهاد والسير، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، رقم ٢٦٥٥، ج١٠٣٤/٣، صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، رقم ١٩٠٤، ج١٥١٢/٣ .

(2) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ج٢٨/٦ .

(3) سنن الترمذي، كتاب الإيمان، باب حرمة الصلاة، رقم ٢٦١٦، ج٣٦٢/٣ ، وقال: حديث حسن صحيح، سنن ابن ماجة، كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة، رقم ٣٩٧٣، ج١٣١٤/٢، مسند أحمد، رقم ٢٢٠٦٩، ج٢٣١/٥، وقال شعيب الأرنؤوط : صحيح بطرقه وشواهده ، مستدرك الحاكم واللفظ له، رقم ٢٤٠٨، ج٨٦/٢، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، المعجم الكبير للطبراني ، ج١٤٢/٢. سنن البيهقي الكبرى، ج٢٠/٩. وقال الألباني: حديث صحيح ، السلسلة الصحيحة، رقم ١١٢٢،ج١١٤/٣، صحيح سنن ابن ماجة ، رقم ٣٢٠٩،ج٣٥٩/٢.

(4) تحفة الأحوذي، المباركفوري، ج٣٠٥/٧ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

وذروة سنامه السنام ما ارتفع من ظهر الجمل، وذروته أعلاه، أي هو للدين بمنزلة ذروة السنام للجمل في العلو والارتفاع[1] .

فقد شبه النبي صلى الله عليه وسلم منزلة الجهاد من الإسلام، بمنزلة السنام من الجمل، فكما أن سنام الجمل يمنحه الحياة والاستمرار لما يدخر فيه من مخزون، فكذلك الجهاد يمنح الحضارة الإسلامية الاستقرار والاستمرار بما يوفره للأمة من حماية ودفاع عن الإسلام وأهله .

فالجهاد في سبيل الله تعالى من أهم السبل التي تمنح الحضارة الإسلامية الاستمرار والصمود في وجه الأعداء والطامعين .

" فالجهاد يجب أن يستمر وترتقي أساليبه، وأن يتطور تبعاً لروح العصر، وان تمتلك الأمة باستمرار ما يرهب عدونا ليظل لواؤنا مرفوعاً، وصوتنا مسموعاً، ويوم تغفو هذه الأمة عن أمجادها، وتجبن عن مواجهة أعدائها، يوم يبتليها الله بالذل والخسف والصغار فما ترك قوم الجهاد إلا ذلوا.. ولقد كان قعود المسلمين عن الجهاد، وذهاب روح الجندية منهم في عهود التخلف والضعف سبباً في تفتيت وحدتهم، وتفريق كلمتهم، وإسقاط كرامتهم، لأنهم فقدوا الحصانة التي يكفلها لهم الجهاد المقدس. وإذا كانت كلمة التوحيد هي أساس حضارتنا، فإن توحيد الكلمة هو سرّ بقائها.. فحضارة القرآن لا يمكن لها أن تزدهر إلا إذا أمنت عدوها" [2] .

فالأمة الإسلامية أمة مستهدفة ويحيط بها الأعداء من كل جانب، ولا يمكنها الصمود في وجه عدوها وقهره، والحفاظ على استمرار حضارتها، إلا بإعداد قوة عسكرية مؤمنة بالله عز وجل، ومدربة على أحدث فنون الجهاد، ومزودة بأحدث الأسلحة والمعدات، وليس الهدف من ذلك التسلط والسطو ونهب خيرات الأمم كما يفعل الغرب، ولكن الهدف من ذلك هو حماية الدين من العبث به، وحماية ممتلكات الأمة ومنجزاتها، وحفظ الأنفس من القتل والتشريد والأعراض من الاستباحة والانتهاك، وبالتالي المحافظة على استمرار الحضارة الإسلامية وحمايتها من عوامل الهلاك والدمار.

---

(1) سن ابن ماجة، تعليق محمد فؤاد عبد الباقي، ج٢/ ١٣١٤ .
(2) قيم حضارية في القرآن الكريم، توفيق محمد سبع، ج١٧١/٢ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

المبحث الخامس

تطوير التعليم واكتساب المعرفة

تحدثت في الفصل السابق عن العامل العلمي ودوره في بناء الحضارة الإسلامية، وبينت أن الحضارة لا يمكن لها أن تقوم وتزدهر، ما لم تعتمد العلم كأساس في بناء الحضارة، وذكرت جملة من الأحاديث التي دعت إلى العلم، وبينت فضل العلم والعلماء .

وسوف أتناول في هذا المبحث إن شاء الله تعالى بعض التوجيهات النبوية من هدي المصطفى صلى الله عليه وسلم والتي تبين أن الدعوة للعلم جاءت عامة، وتشمل كل علم ينتفع فيه الإنسان في الدنيا والآخرة، وأن العلم لا يقف عند حد معين، وأن على الإنسان أن يتعلم ويفتش عن كل علم، يوفر للبشرية السعادة والاستقرار، وللحضارة البقاء والاستمرار .

فقد حث صلى الله عليه وسلم على طلب العلم والبحث والتفكير في كل ميدان من ميادين المعرفة، وفي كل مجال من مجالات الحياة، لأن العلم أساس النهضات، وعماد الحضارات، ووسيلة التقدم للأفراد والجماعات.

" ويشتمل العلم في الإسلام مجالات عدة منها: علم ما وراء الطبيعة مما جاء فيه الوحي، فكشف به عن حقائق الوجود الكبرى، وأجاب عن الأسئلة الخالدة التي حيرت الإنسان... ويشمل العلم أيضاً مجال الإنسان، وما يتعلق به من دراسات، تبحث عن جوانب حياته، وعلاقاته المكانية والزمانية، والنفسية والاجتماعية، والاقتصادية والسياسية وغير ذلك مما تهتم به العلوم الإنسانية والاجتماعية، ويشمل العلم أيضاً مجال الماديات المبثوثة في الكون، وهي تتضمن علوم الطبيعة، والكيمياء، والأحياء، والفلك، والطب والهندسة وغيرها، مما يقوم على الملاحظة والتجربة، وهذا المجال هو الذي يقف عنده الغربيون اليوم، لا يجاوزونه إذا تحدثوا عن العلم، لأنه وحده الذي يخضع للاختبار والقياس، والإسلام لا يحارب هذا النوع من العلم، ولا يعده مقابلاً للإيمان، أو معادياً له " [1] .

---

[1] الرسول صلى الله عليه وسلم والعلم، يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٤، ص٣٧ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

فالإسلام يحث على اكتساب العلوم النافعة التي تنفع الإنسان في الدنيا والآخرة، ولا تتعارض مع عقيدة الإسلام، فدعوة الإسلام للعلم تشمل العلوم الدينية والدنيوية معـاً، وقـد حث النبي صلى الله عليه وسلم على الابتكار والتجديد في العلم والعمل واختراع كـل مـا يعود بالخير والصلاح على الأمة جمعاء.

فعن جرير بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(مـن سـنَّ فـي الإسلام سنَّة حسنة، فله أجرُها وأجر من عمل بها من بعده، من غيـر أن يـنقص مـن أجورهم شيءٌ، ومن سنَّ في الإسلام سنَّة سيِّئة، كان عليه وزرُهَا ووزرُ من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء)**[1] .

قال المباركفوري: من سن في الإسلام سنة حسنة أي أتى بطريقة مرضية يشهد لها أصل من أصول الدين[2] .

ولا شك أن من الأمور التي يرضاها الإسلام، الابتكار والاختراع في مجال العلـم واكتساب العلوم النافعة التي تنفع البشرية وتحقق لها السعادة والاستقرار .

" وهذا ما مضى عليه الصحابة والمسلون في القرون الأولى: فقد فعـل الـصحابة أشياء لم يفعلها النبي صلى الله عليه وسلم، اقتضاها تطور الحياة في زمنهم، ووجدوا فيهـا الخير والمصلحة للأمة، ولم يتقدم بها أمر ولا نظير، مثل كتابة المصاحف، وجعل الخلافة شورى، وضرب النقود، واتخاذ السجن، وغير ذلك مما أستدل به الأصوليون على حجيـة المصلحة المرسلة... وعلى هذا النهج مضى خير قرون الأمة فابتكروا علوماً لخدمة الدين، وترجموا علوم الأمم الأخرى، ونبغ عدد منهم في علوم الطب والفلك والفيزياء والكيميـاء والبصريات والرياضيات وغيرها " [3] .

---

(1) صحيح مسلم واللفظ له، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة، رقم ١٠١٧، ج٧٠٤/٢، سنن الترمذي، كتاب العلم، باب فيمن دعا إلى هدى، رقم ٢٦٧٥، ج٤٣/٥، سنن النسائي، كتاب الزكاة، باب التحريض على الصدقة، رقم ٢٥٥٤، ج٧٥/٥، سنن ابن ماجة، تاب الإيمان ، باب من سن سنة حسنة، رقم ٢٠٣، ج٧٤/١ .

(2) تحفة الأحوذي المباركفوري، ج٣٦٥/٧ .

(3) السنة مصدراً للمعرفة والحضارة، يوسف القرضاوي، ص٢٤٧، نقلاً عن شرح تنقيح الفصول، للقرافي، ص١٩٩ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

فالدعوة إلى الجمود والخمول، ومحاربة كل جديد بحجة أن ذلك لم يكن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، دعوة لا أصل لها في الإسلام، لأن ذلك يتنافى مع صلاحية الشريعة لكل زمان ومكان، فقد دعت النصوص الشرعية في الكتاب والسنة المطهرة، إلى استحداث وابتكار كل ما من شأنه، تحقيق السعادة للبشرية في الدنيا والآخرة، ودعت إلى التقدم في كافة المجالات، واستخدام كل الوسائل الممكنة للحفاظ على استمرار الحضارة الإسلامية، والحيلولة دون انهيارها .

فالحديث السابق يؤكد بكل وضوح أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا إلى التطور في كافة مجالات الحياة، سياسياً واقتصادياً، واجتماعياً وعلمياً، وعسكرياً وغير ذلك من مجالات التقدم والازدهار، على أن يكون هذا التطور والابتكار ضمن شريعة الإسلام وتعاليمه .

وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم في أحاديثه إلى ضرورة متابعة البحث العلمي والحرص على ذلك وعدم الوقوف عند حدٍ معين، ففي مجال الطب مثلاً دعا إلى ضرورة متابعة البحث عن الدواء، ونبذ فكرة وجود الأمراض المستعصية على الشفاء، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(ما أنزل اللهُ داءً إلا أنزل لهُ شفاءً)**[1] .

فالنبي صلى الله عليه وسلم يوجه الأمة إلى ضرورة التطوير في مجال الطب، ويحث على طلب الدواء والتفتيش عنه ويؤكد بأن الدواء موجود فيما خلق الله تعالى، وعلى أهل الاختصاص أن يجدّوا ويجتهدوا في معرفته، من أجل تحقيق سعادة البشرية والمحافظة عليها من شيوع الأمراض المستعصية التي تفتك بها، ويفهم من هذا التوجيه النبوي أن الأمة مكلفة بمواصلة البحث العلمي في كافة مجالات الحياة، من أجل تحقيق سعادة البشرية ودفعهم نحو التقدم والازدهار.

---

(1) صحيح البخاري واللفظ له، كتاب الطب، باب ما أنزل الله داء، رقم ٥٣٥٤، ج٢١٥١/٥، سنن النسائي، كتاب الطب، باب الأمر بالدواء، رقم ٧٥٥٥، ج٣٦٩/٤، سنن ابن ماجة، كتاب الطب، باب ما أنزل الله داء، رقم ٣٤٣٩، ج١١٣٨/٢ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

وقد حث النبي صلى الله عليه وسلم التداوي وطلب الشفاء، **فعن أسامة بن شريك قال: قالت الأعراب يا رسول الله ألا نتداوى ؟ قال: (نعم يا عباد الله تداووا، فإن الله لم يضع داء، إلا وضع له شفاء، أو قال دواء، إلا داء واحد) قالوا: يا رسول الله وما هو ؟ قال: (الهرم)**[1].

ففي الحديث الحث على الاستشفاء وعدم اليأس من الشفاء، فمن لم ينفع معه دواء قد يصلح له آخر.

وقد دعا المصطفى صلى الله عليه وسلم: إلى مواصلة البحث لاكتشاف الدواء، **فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما أنزل الله عز وجل داء، إلا أنزل له دواء، علمه من علمه، وجهله من جهله)**[2].

يبين النبي صلى الله عليه وسلم: أن الدواء موجود فيما خلق الله عز وجل، ولكن الناس يتفاوتون في معرفته، فمنهم من يعرفه ومنهم من يجهله، ولا شك أن في هذا تحريض للأمة على التقدم في مجال الطب واكتشاف الأدوية النافعة. ويؤكد هذا ما روا جابر بن عبد الله عن النبي **صلى الله عليه أنه قال: (لكل داء دواء، فإذا أصيب دواء الداء، برأ بإذن الله عز وجل)**[3].

وقد جعل الإسلام متابعة البحوث العلمية وطلبها واجباً دينياً يؤجر عليه الإنسان المسلم، وكلمة العلم كلمة مطلقة لم تخصص بمادة معينة من مواد العلم .

قال تعالى: **﴿... قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ...﴾**[4]. " فالعلم في نظر الإسلام ليس خاصاً بعلم الفقه والأصول والأحكام، وإنما يشمل كل إدراك يفيد الإنسان بمهمته في الحياة، فإدراك الصناعة وآلاتها وما يصلح به النبات، وما تستنبت به الأرض، وإدراك ما يصلح الحيوان، ويزيد في الثروة الحيوانية، وإدراك الموارد الزراعية والصناعية والثروات المعدنية، وإدراك الأمراض وعللها وكيفية الوقاية منها وعلاجها،

---

(1) سنن الترمذي واللفظ له ، كتاب الطب ، باب الدواء والحث عليه ، رقم ٢٠٣٨، ج٣٨٣/٤ ، وقال: حسن صحيح ، سنن أبي داود ، كتاب الطب ، باب الرجل يتداوى ، رقم ٣٨٥٥، ج٣٩٦/٢ ، مسند أحمد ، رقم ١٨٤٧٧، ج٢٧٨/٤، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن .

(2) مسند أحمد واللفظ له ، رقم ٣٩٢٢، ج٤١٣/١، وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره وهذا إسناد حسن . المستدرك ، رقم ٧٤٢٤، ج٢١٨/٤ ، المعجم الكبير ، رقم ١٠٣٣١، ج١٦٣/١٠.

(3) صحيح مسلم ، كتاب السلام ، باب لكل داء دواء ، رقم ٢٢٠٤، ج١٧٢٩/٤.

(4) سورة الزمر، آية ٩ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

وإدراك وسائل القوة والدفاع كل ذلك علم، فالعلم يشمل كل أنواع المعرفة التي تتصل بكل ما ينفع الناس في دينهم ودنياهم، وفي معاشهم ومعادهم، وفي أجسادهم وأرواحهم " [1] .

فلم يطلب الإسلام من الأمة إتقان نوع معين من العلوم وإهمال بقية العلوم الأخرى، بل وجه الأمة إلى طلب كل علم نافع يعود عليها بالخير والصلاح في الدنيا والآخرة .

وقد أقرَّ النبي صلى الله عليه وسلم مبدأ التجربة في الأمور الدنيوية، مثل أمور الزراعة والصناعة والطب وما شاكلها، فما أثبتت التجربة نفعه في هذا فهو مطلوب شرعاً، وما أثبتت ضرره فهو مرفوض شرعاً، وأوضح مثال لهذا المبدأ موقفه عليه الصلاة والسلام من قضية تأبير النخل ، فعن موسى بن طلحة رضي الله عنه يحدث عن أبيه قال: **مَرَرْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْمٍ عَلَى رُؤُوسِ النَّخْلِ، فَقَالَ: (مَا يَصْنَعُ هَؤُلاءِ)، فَقَالُوا: يُلَقِّحُونَهُ، يَجْعَلُونَ الذَّكَرَ فِي الأُنْثَى فَيَلْقَحُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَا أَظُنُّ يُغْنِي ذَلِكَ شَيْئًا) قَالَ: فَأَخْبِرُوا بِذَلِكَ فَتَرَكُوهُ، فَأُخْبِرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ، فَقَالَ: (إِنْ كَانَ يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ فَلْيَصْنَعُوهُ، فَإِنِّي إِنَّمَا ظَنَنْتُ ظَنًّا، فَلا تُؤَاخِذُونِي بِالظَّنِّ، وَلَكِنْ إِذَا حَدَّثْتُكُمْ عَنْ اللَّهِ شَيْئًا، فَخُذُوا بِهِ فَإِنِّي لَنْ أَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ)** [2].

فقول النبي صلى الله عليه وسلم إن كان يغني شيئاً فاصنعوا بعد أن أرشدهم إلى تركه، يدل على رضا النبي صلى الله عليه وسلم بمبدأ التجربة في الأمور الدنيوية، ويبين أيضاً إن الإسلام يحث على استحداث كل ما يوفر للبشرية الخير وسعة العيش.

فقد وجه النبي صلى الله عليه وسلم الأمة إلى استخدام المنهج التجريبي، للوصول إلى أفضل الوسائل والأساليب التي تحقق تقدم المجتمع وتوفر له سبل النجاح والاستمرار في العطاء، ولا شك أن المنهج التجريبي يعدُّ من أهم السبل التي يمكن من خلالها تطوير الإنتاج وتحسينه .

---

(1) أضواء على الحضارة الإسلامية، أحمد عبد الرحيم السايح، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، ط٢، ٢٠٠١، ص٢٨ .

(2) صحيح مسلم واللفظ له، كتاب الفضائل، باب وجوب امتثال ما قاله شرعاً، رقم ٢٣٦١، ج١٨٣٥/٤، مسند أحمد ، رقم ١٣٩٥، ج١٦٢/١، صحيح ابن حبان، رقم ٢٣، ج٢٠٢/١ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

يقول محمد سفر: فإن المسلمين يملكون عقيدة سماوية كاملة، بمجموعة قيمها الحية ومبادئها الفعالة، وأسسها الصحيحة، ومعانيها السامية، التي كانت وستظل إلى يوم الدين نبراساً لهم وللإنسانية عامة، تحثهم على الخير وتدفعهم إلى النهوض والسمو، وكانت وستظل سياجاً واقياً لهم من الهبوط والتدني، وجسراً متيناً يصلهم بعصرهم ويربطهم بحضارته[1].

[1] كتاب الأمة، دراسة في البناء الحضاري (٢١)، محمود محمد سفر، مركز البحوث والمعلومات، برئاسة المحاكم الشرعية في دولة قطر، ط١، ص١١٣ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

المبحث السادس

الازدهار الاقتصادي

يعد الازدهار الاقتصادي من أهم العوامل التي تحفظ للحضارة الإسلامية استمرارها وبقائها، وذلك لما للاقتصاد المزدهر من دور بارز في تلبية حاجات الأمة، وتحقيق سعادتها واستقرارها، فالاقتصاد المزدهر يوفر للأمة الإسلامية استقلالها، وحمايتها من أطماع الطامعين، وكيد الكائدين، وقد دعا الإسلام إلى العمل والإنتاج، وحث المنتجين على استمرارية الإنتاج والاستثمار، ووجههم إلى إتباع أرقى الأساليب والوسائل التي تؤدي إلى الازدهار الاقتصادي في كافة المجالات .

ويستهدف الإسلام من تشجيع المسلمين على النشاط التجاري والاقتصادي، خدمة المجتمع ونفع الناس وتوفير ما يحتاجون إليه ومحاربة الفقر الذي يؤدي بالأمة إلى الضعف والانحلال وقد نهى الإسلام عن كنز المال وتعطيله.

قال تعالى: **﴿... وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)** [1].

فقد أوجب الإسلام على مالك المال أن يستثمر أمواله في الوجوه المشروعة للاستثمار، ليحقق الخير له ولمجتمعه من حوله، ودعا إلى النشاط الاقتصادي في كل صوره وأشكاله.

قال تعالى:(هو الذي جعل لكم الأرْضَ ذَلُولا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾[2] .

---

[1] سورة التوبة، آيه٣٤.
[2] سورة الملك، آية ١٥ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

وليس أدل على اهتمام الإسلام بتنمية المال، من تلك الدعوة التي وجهها النبي صلى الله عليه وسلم إلى القائمين على أمر اليتامى بأن يتاجروا في أموالهم حتى لا تنفذ بالزكاة

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس فقال: (**ألا مَنْ وُلِّي يتيما له مال، فليتجر فيه، ولا يتركه حتى تأكله الصدقة**)[1].

فالحديث يتضمن الدعوة إلى استثمار المال وعدم تعطيله وكنزه، ولاشك أن استثمار المال يعود على المجتمع بالخير والنفع ويوفر للأمة ما تحتاجه من السلع والخدمات، ويغنيها عن التطلع إلى ما عند غيرها من الأمم، وبالتالي يعطي الحضارة القدرة على الاستمرار والبقاء وعدم الوقوع فريسة للأعداء .

وقد وجه النبي صلى الله عليه وسلم الأمة الإسلامية إلى ضرورة الاعتماد على النفس في توفير ما تحتاجه من السلع والخدمات وعدم الاعتماد على الغير، فعن حكيم بن حزام رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**اليد العليا خيرٌ من اليد السُّفلى، وابدأ بمن تعول، وخير الصَّدقة عن ظهر غنىً، ومن يستعفف يُعِفَّهُ الله، ومن يستغن يُغْنِهِ الله**)[2] .

فالنبي صلى الله عليه وسلم فضل اليد المعطية الباذلة الغنية على اليد السائلة المحتاجة، وذلك لأن اليد المعطية يد عاملة منتجة بخلاف اليد السائلة، فالحديث يتضمن الدعوة إلى العمل والإنتاج وعدم الاعتماد على الغير، فالأمة التي تنتج ما تريد وتلبي حاجاتها بنفسها أمة قوية لا تعرض نفسها للذل والهوان للحصول على ما يلزمها من السلع والخدمات من غيرها من الأمم، فالاقتصاد المزدهر يعطي الحضارة قوة واستمراراً ويحميها من الزوال والانهيار .

---

(1) سنن الترمذي واللفظ له، كتاب الزكاة، باب زكاة مال اليتيم، رقم ٦٤١، ج٢/٢٥، وقال: في إسناده مقال لأن المثنى بن الصباح يضعف في الحديث، وروى بعضهم هذا الحديثعن عمرو بن شعيب، أن عمر بن الخطاب فذكر هذا الحديث ، الموطأ، كتاب الزكاة، باب زكاة الحلي، رقم ٣٢٩، ج١/١٢٩، سنن البيهقي الكبرى، كتاب الزكاة، باب من تجب عليه الصدقة، رقم ٧١٣١، ج٤/١٠٧، سنن الدارقطني، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة في مال الصبي واليتيم، ج٢/١٠٩، نصب الراية، الزيلعي، ج٢/٢٣٢، وقال: قال الدارقطني، الصحيح أنه من كلام عمر .

(2) صحيح البخاري واللفظ له، كتاب الزكاة، باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى، رقم ١٣٦١، ج٢/٥١٨، صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى، رقم ١٠٣٤، ج٢/٧١٧ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

" فيجب تحقيق الاكتفاء الذاتي للمجتمع المسلم والأمة المسلمة، بأن يكون لدى الأمة المسلمة من الخبرات والكفاءات العلمية والوسائل والأدوات والمعامل والمؤسسات الفنية، ما يجعلها قادرة على إنتاج ما تحتاجه مادياً ومعنوياً وعسكرياً، وهذا ما يسميه الفقهاء (فرض كفاية) وهو يشمل كل علم أو خبرة أو عمل أو صناعة أو مهارة أو اختراع يلزم المسلمين في أمر دينهم أو دنياهم، فهذا كله واجب على المسلمين، أن يتعلموه ويتقنوه، ليستغنوا عن مساعدة غيرهم، ولا يكونون عالة عليهم، وبهذا الاستغناء والاكتفاء يكون المسلون على طريق العزة التي أرادها الله لهم " [1] .

فالأمة الإسلامية تبني حياتها الاقتصادية لا لتطغى وتجور وتتحكم في رقاب العباد، بل لتحقق العزة والسيادة والقوة التي تمكنها من أداء رسالتها التي شرفها الله بحملها للعالمين. ولا يمكن أن تصل إلى هذا المستوى، إلاّ إذا كانت قادرة على صنع السلاح متفوقة فيه، ولا تحتاج إلى شراء شيء منه، ولديها الخبراء المبدعون والعلماء المتفوقون في أخص الأمور، وأدق الشؤون، وأخطر الأسرار، وأرقى الصناعات والمخترعات[2] .

وقد حث النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين ووجههم إلى ضرورة التقدم والتطور في كافة المجالات، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(المؤمن القويُّ خير وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خير، أحرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيءٌ فلا تقل لو أني فعلتُ كان كذا وكذا، ولكن قل قدَرُ الله، وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان)**[3] .

فالنبي صلى الله عليه وسلم يريد من المؤمن أن يكون قوياً وحريصاً على القيام بما ينفعه وينفع الأمة الإسلامية في الدنيا والآخرة، سواء كان ذلك في مجال العبادة، أو الزراعة، أو الصناعة، أو التجارة، أو غير ذلك من الأمور التي تمنح الحضارة الإسلامية البقاء والاستمرار .

---

(١) المجتمع المسلم كما يبنيه الإسلام في الكتاب والسنة، علي الهاشمي، ص٢٨٥ .

(٢) أنظر: المرجع السابق، ص٢٨٦- ٢٨٧ .

(٣) صحيح مسلم واللفظ له، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة، رقم ٢٦٦٤، ج٢٠٥٢/٤، سنن النسائي، كتاب عمل اليوم والليلة، باب ما يقول إذا غلبه أمر، رقم ١٠٤٥٨، ج١٥٩/٦، سنن ابن ماجة، كتاب الزهد، باب التوكل واليقين، رقم ٤١٦٨، ج١٣٩٥/٢، مسند أحمد، رقم ٨٧٧٧، ج٣٦٦/٢ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وما يؤكد اهتمامه صلى الله عليه وسلم بتنمية الاقتصاد وتطويره، دعوته إلى الغرس والزراعة حتى آخر لحظة من العمر، فعن أنس بن مالك قال: **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة، فان استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعل)**[1] .

يبين النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث أن تطوير الإنتاج وتحسينه، والعمل على تنمية الاقتصاد، يجب أن تستمر حتى آخر لحظة من العمر، وما ذلك إلا من أجل الحفاظ على هيبة الأمة الإسلامية وكرامتها، ومنحها القدرة على البقاء والاستمرار قوية مهيبة الجانب.

وقد طالب النبي صلى الله عليه وسلم بتحسين مستوى الإنتاج وإتقانه فعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(إن الله عز وجل يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه)**[2] .

فالنبي صلى الله عليه وسلم يدعو في هذا الحديث إلى إتقان العمل، وذلك لما للإتقان من أثر في النتائج المترتبة عليه، والإتقان الذي يطلبه النبي صلى الله عليه وسلم لا ينحصر في أمر العبادة فقط، بل يشمل كل عمل يؤدي إلى سعادة البشرية، كإتقان الصناعة والزراعة، والتجارة وغيرها من الأمور التي تُؤمِّن للحضارة الإسلامية سبيل البقاء والاستمرار .

" فليس المهم أن ننتج كل شيء، بل أن ننتج إنتاجاً جيداً، يستطيع أن يثبت في سوق المنافسة. وليس المهم أن ننتج كل شيء يباع، وإن كان ضاراً بالناس، في دينهم أو دنياهم، بل الواجب هو إنتاج ما ينفع الناس لا ما يضرهم، ولهذا لا يجوز في المجتمع المسلم إنتاج المسكرات أو المخدِّرات، أو الأشياء الملوثة للبيئة، أو الضارة بحياة الإنسان أو بصحته "[3].

---

(1) مسند أحمد ،رقم ١٣٠٠٤، ج٣/ ١٩١ ، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم ، الأدب المفرد، البخاري ، رقم ٤٧٩، ج١/١٦٨. مسند عبد بن حميد ، رقم ١٢١٦،ج١/٣٦٦، مسند الطيالسي، ج١/٢٧٥، وقال الألباني: حديث صحيح ، السلسلة الصحيحة، رقم ٩ ،ج١/٣٨ .

(2) المعجم الأوسط واللفظ له، الطبراني، رقم ٨٩٧،ج١/٢٧٥ ، شعب الإيمان، البيهقي، رقم ٥٣١٢، ج٤/٣٣٤، مسند أبي يعلى، رقم ٤٣٨٦، ج٧/٣٤٩، مجمع الزوائد، الهيثمي، رقم ٦٤٦٠، ج٤/١٧٥، وقال الألباني: حديث حسن ، الجامع الصغير وزيادته ، رقم ٢٧٦١،ج١/٢٧٧، السلسلة الصحيحة ، رقم ١١١٣،ج٣/١٠٦.

(3) السنة مصدرا للمعرفة والحضارة ، يوسف قرضاوي، ص١٧٥ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

فالنبي صلى الله عليه وسلم يوجه المؤمنين، إلى إنتاج كل ما هو نافع، ويحذر مما يلحق الضرر بالناس جميعا، فعن أبن عباس: **عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا ضرر ولا ضرار)**[1].

فتعاليم الإسلام أوجبت على كل من يباشر عملاً أن يتقنه ويحسنه، لأن عملية تطوير الإنتاج تعتبر أهم مراحل النشاط الاقتصادي، وبدون تطوير عملية الإنتاج زراعياً، وصناعياً، وتجارياً لا يمكن تحقيق الازدهار الاقتصادي في المجتمع .

وقد اهتم صلى الله عليه وسلم بتنمية الاقتصاد وشجع على استثمار الثروات وعدم تعطيلها، فعن عائشة رضي الله عنها، **عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من أعمر أرضا، ليست لأحد، فهو أحق)**[2].

فقد وعد النبي صلى الله عليه وسلم من يقوم على استصلاح الأرض وزراعتها بملكية هذه الأرض، ولا شك أن في هذا قمة الدعوة إلى تنمية الاقتصاد .

والسنة النبوية مليئة بالأحاديث التي تدعو إلى ضرورة المحافظة على الاقتصاد وتحسينه، وقد تناولت في الفصل السابق في مبحث العامل الاقتصادي كثيراً من الأحاديث التي تشهد لذلك، وبينت أن الحضارة لا يمكن لها أن تقوم وتزدهر إلا إذا توفر للأمة ما يلبي حاجاتها من السلع والخدمات، وبينت دور العامل الاقتصادي في صناعة التقدم الحضاري، وقد جاء هذا المبحث للتأكيد على ما سبق، وبيان أن الحضارة الإسلامية لا يمكن لها البقاء والاستمرار، إلا بمواصلة الإنتاج والحرص على الازدهار الاقتصادي في كافة المجالات .

وذلك لأن الأمة التي تنعم بالازدهار الاقتصادي، أمة قوية مهيبة الجانب، لا تسمح لغيرها من الأمم أن تحكمها وتقهرها، مقابل الحصول على ما يلزمها من السلع والخدمات التي تنقصها .

---

(1) سنن أبن ماجة، كتاب الأحكام ، باب من بنى في حقه ما يضر بجاره ، رقم ٢٣٤١، ج٧٨٤/٢. مسند أحمد ، رقم٢٨٦٧،ج٣١٣/١، وقال شعيب الأرنؤوط: حديث حسن ، وقال الألباني: حديث صحيح ، إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي بيروت، ط٢،ح٤٤/٧.

(2) صحيح البخاري ، كتاب المزارعة ، باب من أحيا أرضا ، رقم ٢٢١٠، ج٨٢٣/٢، سنن أبي داود ، كتاب الخراج ، باب في إحياء الموات ، رقم ٣٠٧٣، ج١٩٤/٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

المبحث السابع

إشاعة الأمن والاستقرار السياسي

تحدثت في الفصل السابق عن العامل السياسي ودوره في بناء الحضارة الإسلامية، وبينت أن الحضارة لا يمكن لها أن تقوم وتزدهر إلا بوجود سلطة سياسية تطبق شريعة الإسلام، وتحقق العدل والنظام، وتحمي الأمة من كيد الكائدين وتربص المتربصين، ولا شك أن لوجود تلك السلطة الكثير من الثمار التي تعود على الأمة بالخير والصلاح، وأول هذه الثمار تحقيق الأمن والاستقرار السياسي، الذي يعدُّ من أهم العوامل التي تؤدي إلى بقاء الحضارة الإسلامية واستمرارها .

فإن الحضارة التي لا تنعم بنعمة الأمن والاستقرار لا يمكن لها البقاء طويلاً، لأن الأمة لا يمكن لها أن تتقدم في مجال من مجالات الحياة ما لم تشعر بالأمن والاستقرار .

فالمجتمع الذي يطبق كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وتكون الحاكمية فيه لله تعالى، يسوده الأمن والعدل والمساواة ويحس أبناؤه بكرامتهم الإنسانية وبحقهم في الحياة الكريمة، ويأمنون على أرواحهم وأعراضهم وممتلكاتهم، فيندفعون بكل طاقاتهم وقدراتهم للعمل بجد ونشاط لتحقيق التقدم الحضاري في كافة المجالات.

وقد عدّ النبي صلى الله عليه وسلم نعمة الأمن، من النعم العظيمة التي تتوقف عليها سعادة المجتمع واستقراره، فعن عبيد الله بن محصن الأنصاري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(من أصبح منكم آمناً في سربه، معافىً في جسده، عنده قوت يومهِ، فكأنَّمَا حِيزَت له الدنيا)**[1] .

---

(1) سنن الترمذي واللفظ له، كتاب الزهد، باب في التوكل على الله، رقم ٢٣٤٦، ج١٦٦/٤، وقال: حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث مروان بن معاوية، سنن ابن ماجة، كتاب الزهد، باب القناعة، رقم ٤١٤١، ج١٣٨٧/٢ ، صحيح ابن حبان، رقم ٦٧١، ج٤٤٥/٢، الأدب المفرد، البخاري، رقم ٣٠٠، ج١١٢/١، المعجم الأوسط، الطبراني، رقم ١٨٢٨، ج٢٣٠/٢، مجمع الزوائد، الهيثمي، رقم ١٨٠٨٣، ج٥١٦/١٠، وقال رجاله: وثقوا على ضعف في بعضهم . ، وقال الشيخ الألباني: حديث حسن ، صحيح سنن الترمذي ، رقم ١٩١٣، السلسلة الصحيحة ، رقم ٢٣١٨،ج٤٠٨/٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

قال المباركفوري: من أصبح منكم أي أيها المؤمنون "آمنا" أي غير خائف من عدو "في سربه" أي في أهله وعياله وقيل في بيته، "معافى في جسده" أي صحيحاً من العلل والأسقام في بدنه "عنده قوت يومه" أي كفاية قوته من وجه الحلال "فكأنما حيزت له الدنيا" أي جمعت له[1].

فالمجتمع الذي ينعم بنعمة الأمن والاستقرار، تسوده المحبة والألفة وتتجه فيه القدرات للعمل والإنتاج في كافة المجالات التي تدفع بالأمة إلى التقدم والازدهار، وتختفي منه أسباب الفساد والانحلال التي تهدد استمرار الحضارة الإسلامية وبقائها، فلا يمكن لأمة من الأمم أن تعيش بسعة ورفاه، إلا إذا أحسّت بالأمن وأمنت عدوها .

" فإذا انعدم النظام، وسادت الفوضى في مجتمع من المجتمعات اختل كل شيء فيه، ولم تعد هناك حدود واضحة بين الحقوق والواجبات، ولا بين ما يجوز وما لا يجوز . ولا يمكن أن يتصور المرء حضارة من الحضارات بدون نظام يحدد الإطار العام الذي يجوز لكل فرد في المجتمع أن يمارس فيه حياته وحريته دون إضرار بالآخرين، فالإنسان كائن اجتماعي يعيش مع الآخرين وبالآخرين ومن أجل ذلك شرعت القوانين المنظمة للحقوق والواجبات في المجتمعات البشرية، لتشكل مع القواعد الأخلاقية الفطرية والقيم الدينية صمام الأمان والاستقرار في المجتمع، والهدف من ذلك كله هو مصلحة الناس ومساعدتهم على التعاون فيما بينهم من أجل خير مجتمعهم وتقدمه وازدهاره " [2].

وقد عنى الإسلام عناية فائقة بهذا الجانب المهم المنظم للحياة الإنسانية من منطلق أنه دين للحياة بأبعادها المختلفة، ومن هنا جاء بأحكام وتشريعات منظمة لحياة الإنسان في صلته بالله أولاً ثم في صلته بسائر أفراد البشر في مختلف شئونهم، وذلك حتى لا يترك الناس للأهواء والمصالح الذاتية تتحكم فيه وتسيطر على تصرفاتهم وسلوكهم، مما يهدد كيان المجتمع وأمنه واستقراره[3].

---

(1) تحفة الأحوذي، المباركفوري، ج١٠/٧ .
(2) الحضارة فريضة إسلامية، محمود حمدي زقزوق، ص٧٢ .
(3) المرجع السابق ، محمود حمدي زقزوق،، ص٧٣ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library- Yarmouk University
www.manaraa.com

فسلامةُ الأمةُ وبقائها بخير مرهون بإقامةُ العدل بين الناس، لأن الناس إذا شعروا بإقامة العدالة في مجتمعهم، وساد العدل في حياتهم، على المسلمين وغير المسلمين، تستقر نفوسهم، وتطمئن قلوبهم وتهدأ أحوالهم، ويزدهر مجتمعهم، ويعمهم الخير والأمان والسلامة.

فعن زيد بن أسلم عن أبيه قال: قال عمر رضي الله عنه عند موته : (اعلموا أن الناس لن يزالوا بخير، ما استقامت لهم ولاتهم وهداتهم)[1]. يبين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن بقاء الأمة بخير مرهون بإقامة الحكم العادل.

وقد سألت امرأة أبا بكر الصديق رضي الله عنه فقالت: ما بقاؤنا على هذا الأمر الصالح، الذي جاء الله به بعد الجاهلية ؟ قال: (بقاؤكم عليه، ما استقامت بكم أئمتكم)[2].فقد بين الصديق رضي الله عنه، أن استقامة أمر الأمة وبقائها بخير، لا يكون إلا باستقامة أمر الحكام وعدلهم.

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن تطبيق شرع الله عز وجل، والحكم بما أنزل من أعظم الأمور التي تحقق الخير والصلاح للبشرية كافة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(حدٌ يعملُ به في الأرض، خيرٌ لأهل الأرض، من أن يمطروا أربعينَ صباحاً)**[3] .

قال الطيبي: وذلك لأن في إقامتها زجر للخلق عن المعاصي والذنوب، وسبب لفتح أبواب السماء بالمطر، وفي القعود عنها والتهاون بها انهماكهم في المعاصي، وذلك سبب لأخذهم بالسنين والجدب وإهلاك الخلق[4] .

فقد عدَّ النبي صلى الله عليه وسلم تطبيق الحدود وإقامتها من أعظم أبواب الخير، وذلك لأن في إقامتها حفظ للمجتمع من أسباب الانحلال، وإضعاف للفساد وانتشار الجريمة،

---

(1) سنن البيهقي ، رقم ١٦٤٢٨،ج١٦٢/٨ .
(2) صحيح البخاري ، كتاب مناقب الأنصار ، باب أيام الجاهلية ، رقم ٣٦٢٢، ج١٣٩٣/٣.
(3) سنن النسائي، كتاب قطع السارق، باب الترغيب في إقامة الحد، رقم ٤٩٠٤، ج٧٥/٨، سنن ابن ماجة واللفظ له كتاب الحدود، باب إقامة الحدود، رقم ٢٥٣٨، ج٨٤٨/٢، ، مسند أحمد، رقم ٩٢١٥، ج٤٠٢/٢، صحيح ابن حبان، رقم ٤٣٩٨، ج٢٤٤/١٠ وقال الألباني: حديث حسن ، صحيح سنن ابن ماجة، رقم ٢٠٥٦،ج٧٨/٢ ، السلسلة الصحيحة، رقم ٢٣١،ج٤٦١/١ .
(4) شرح سنن ابن ماجة، السيوطي، ج١٨٢/١ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

فلابد من تطبيق الحدود وحفظ النظام للمحافظة على استمرار الحضارة الإسلامية وبقائها، والحيلولة دون انهيارها وأفولها، فالأمن من القواعد الأساسية التي تقوم عليها الحضارة وتستقر، لأن به تطمئن النفوس وتأنس وتندفع للعمل المنتج الفعال،ولا شك أن حرمان الأمن سبب في حرمان التقدم.

والحضارة التي تنعم بنعمة الأمن كمقوم أساسي، هي تلك الحضارة التي تنجح في تربية أبنائها على أن الأمان للآخرين ينبعث من عقيدة غرست في النفوس .

وقد عدّ الإسلام الأمن نعمة عظيمة من نعم الله تعالى، وحذر أشد التحذير من الإخلال بها، قال تعالى: (*الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خوف*) [1].

وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من الإخلال بالأمن أشد التحذير، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم: **(من أشارَ إلى أخيهِ بحديدةٍ، فإنَّ الملائكةَ تلعنهُ، حتى وإن كان أخاهُ لأبيهِ وأمِّه)**[2] .

قال النووي: فيه تأكيد حرمة المسلم، والنهي الشديد عن ترويعه وتخويفه والتعرض له بما قد يؤذيه، وقوله صلى الله عليه وسلم "وإن كان أخاه لأبيه وأمه" مبالغة في إيضاح عموم النهي في كل أحد، سواء من يُتَّهم فيه ومن لا يُتَّهم، وسواء كان هذا هزلاً ولعباً أم لا، لأن ترويع المسلم حرام بكل حال[3].

فالنبي صلى الله عليه وسلم يحذر من الإخلال بأمن الناس بأي شكل من الأشكال حتى يبقى المجتمع آمناً مستقراً، قادراً على العطاء في كافة المجالات والمجتمعات البشرية تتفاوت في المستوى الذي وصلت إليه من الرقي والتقدم، بحسب توافر المقومات الإنسانية فيها، من حماية للأرواح والأعراض والأجسام والعقول والأموال، وسيادة المثل العليا، وتحقيق الحياة الكريمة العزيزة الراقية للإنسان .

---

(1) سورة قريش ، آية ٤.
(2) صحيح مسلم واللفظ له، كتاب البر والصلة، باب النهي عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم، رقم ٢٦١٦، ج٤/٢٠٢٠، مسند أحمد، رقم ١٠٥٦٥، ج٢/٥٠٥، سنن البيهقي الكبرى، رقم ١٥٦٤٩، ج٨/٢٣ .
(3) شرح النووي على صحيح مسلم، ج١٦/١٧٠ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

وهذه المقومات هي حقوق للناس، ومن واجب السلطة الحاكمة الراشدة حماية هـذه الحقوق وتعزيزها، ومنع المساس بها، أو الاعتداء عليها .

وهذا كله لا يتم إلا بالتصدي لعوامل الشر والإفساد والانحطاط الخلقي والاجتماعي في المجتمع، كجرائم القتل والإيذاء الجسدي، والسرقة والغصب، ونشر الكفـر والإلحـاد، وشيوع التحلل والزنا، والقذف والذم، والسب والشتم، والاعتداء على كرامة الإنسان .

والنظرة الشاملة لمنهج الحياة الذي اختطه الله لعباده في المجتمع المسلم تقودنا إلـى اليقين بأن هذا المنهج قد كفل هذه المقومات الإنسانية، وضمن تلك الحقوق على أتم وجـه وأقوم صورة، وتصدى لمحاربة الفساد[1] .

وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من إثارة الفتن التي تفسد على النـاس حيـاتهم وتهدد أمن الأمة واستقرارها، فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:**(من كره من أميره شيئا فليصبر، فإنه من خرج من السلطان شبرا، مات ميتة جاهلية)**[2].

فقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من الخروج على الحكام، لما فـي ذلـك مـن الأضرار التي تهدد كيان الأمة وتخل بأمنها واستقرارها.

وقد كان الأمن مطلبا من المطالب التي دعا إليها النبي صلى الله عليه وسـلم فـي حجة الوداع، فعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه: **(أن النبي صلى الله عليه وسلم قـال له في حجة الوداع: (استنصت الناس) فقال: (لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض)**[3].

يدعو النبي صلى الله عليه وسلم الأمة الإسلامية إلى التعاون والترابط، ويحذرهم من التقاتل والتنازع الذي يفسد حياة الأمة، ويهدد حضارتها بالانهيار.

---

(1) المجتمع المسلم كما يبنيه الإسلام في الكتاب والسنة، ص٣٣٤ .

(2) صحيح البخاري واللفظ له ، كتاب الفتن ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم، سترون بعدي أمورا تنكرونها ، رقم ،٦٦٤٥، ج٢٥٨٨/٦ ، صحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين ، رقم ١٨٤٩،ج١٤٧٧/٣ .

(3) صحيح البخاري واللفظ له ، كتاب العلم ، باب الإنصات للعلماء ، رقم ١٢١،ج٥٦/١ ، صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ،باب بيان معنى قول النبي لا ترجعوا بعدي كفارا ، رقم ٦٥،ج٨٥/١ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

ومما يؤكد اهتمام الإسلام بإشاعة الأمن والاستقرار، التحذير الشديد من الاعتداء على أرواح الناس بالقتل، فعن عبد الله بن عمرو: **أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم)**[1].

يبين هذا الحديث، أن قتل المسلم أعظم عند الله عز وجل من زوال الدنيا، ولا شك أن في هذا تعظيم لحرمة دم المسلم، ليتجنب الناس الاعتداء عليه من قريب أو بعيد، ويشيع الأمن والنظام بين أفراد الأمة الإسلامية.

وخلاصة الأمر أن الأمة التي لا تخضع إلى دستور يحكمها، ولا إلى نظام يحدد علاقتها، أمة متخلفة سرعان ما تنهار حضارتها بفعل الفوضى والفساد والانحلال الخلقي والسلوكي، ولابد من تحقيق الأمن والاستقرار السياسي، للمحافظة على الحضارة الإسلامية واستمرارها والحيلولة دون زوالها وانهيارها .

[1] سنن الترمذي واللفظ له ، كتاب الديات ، باب تشديد قتل المسلم ، رقم ١٣٩٥، ج٦٩/٣ ، وقد رواه الترمذي من طريقين: الأولى من طريق ابن أبي عدي عن شعبة، عن يعلى بن عطاء عن أبيه ، عن عبد الله بن عمرو مرفوعا ، والثانية من طريق محمد بن جعفر وغيره، عن يعلى بن عطاء عن أبيه عن عبد الله بن عمرو موقوفا، وقال بعد أن ذكر الطريق الموقوف : وهذا أصح من حديث ابن عدي . سنن النسائي ، كتاب تحريم الدم ، باب تعظيم الدم ، رقم ٣٩٨٧،ج٨٢/٧ ، وقال الألباني حديث صحيح ، صحيح الجامع الصغير، رقم ٢٠٨،ج٩٢١/١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

المبحث الثامن

نشر الفضيلة والمحافظة على الأخلاق الرفيعة

تعدّ الأخلاق الفاضلة من أهم عوامل استمرار الحضارة الإسلامية وبقائها، وذلك لما لها من أثر في هداية الناس إلى طريق الحق والرشاد، وحبسهم عن الشر والإفساد، الذي يهدد استمرار الحضارة الإسلامية، فلا يمكن لحضارة من الحضارات أن تدوم طويلاً ما لم تعتمد الأخلاق الفاضلة كأساس للتعامل بين أفرادها .

" وقد دعا الإسلام إلى التخلق بالأخلاق الفاضلة في كافة مجالات الحياة، فأمر بالتعاون، والمودة، والرحمة، والإحسان، والصدق، والإخلاص، والاستقامة، والنظافة، والعفو والصبر، والثبات والشجاعة، وحسن الضيافة، والتضامن والتكافل، والطهر والعفو، والحب والتسامح، وغير ذلك من الأخلاق الفاضلة، وحذر من الأخلاق الفاسدة، وذلك لما للأخلاق من دور في حفظ أمن الأمة واستقرارها، فالأخلاق الفاضلة جاءت لإعلاء كلمة الحق وإقامة ميزان العدل في الخلق، ولا يمكن لأمة أن تحيا بدون أخلاق، ولا قيمة للعلم ولا حضارة بلا أخلاق، فالحضارة العلمية بدون أخلاق قد تتدهور وتنتهي، وكم من الحضارات سادت ثم بادت بسبب الانتهاك العملي لحدود ما شرع الله، ومن هنا كان علينا أن نحافظ على الأخلاق الإسلامية، لنصل بالحضارة الإسلامية في يقظتها الواعية إلى خير الإنسانية " [1] .

يقول الميداني: ولا ريب في أن الكمال الخلقي خير مطلق، وأن الترقي في مراتب هذا الكمال ترقٍ في مراتب الخير، فكل سلوك يمارسه الإنسان فيثمر له ترقياً في مراتب الكمال الخلقي عمل من أعمال الخير التي يأمر بها الإسلام، لذلك فهو أساس من أسس الحضارة الإسلامية[2] .

---

(1) انظر: أضواء على الحضارة الإسلامية، أحمد عبد الرحيم السايح، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، ط١، ٢٠٠١م، ص١٤٨- ١٤٩ .
(2) الحضارة الإسلامية، عبد الرحمن حبنكة الميداني، ص٧٠ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

وقد عدَّ النبي صلى الله عليه وسلم توخي مكارم الأخلاق والابتعاد عن سيئها من الأمور التي يحبها الله عز وجل، وذلك لما للأخلاق الحسنة من دور في إشاعة المحبة بين الناس، وحفظ المجتمع من أسباب الفساد والانحلال، فعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(إن الله كريمٌ يحبُ الكرَمْ، ومعّالي الأخلاقَ، ويبغضُ سَفْسَافَهَا[1])**[2] .

فالحديث يتضمن الحث على التحلي بالأخلاق الفاضلة والابتعاد عن الأخلاق الذميمة، وذلك لأن صلاح المجتمع واستقراره مرتبط بصلاح الأخلاق، فالمجتمع الذي تسوده الأخلاق الذميمة سرعان ما تنهار العلاقات بين أفراده، وتعمه الفوضى والفساد في كافة مجالات الحياة .

والأخلاق التي حث عليها الإسلام ورغب بها كثيرة جداً لا يتسع المجال لذكرها جميعاً، وسوف اكتفي بالإشارة إلى بعضها ليتضح دور الأخلاق في استمرار الحضارة الإسلامية .

ومن الأخلاق التي رغَّب بها الإسلام وحث عليها الصدق، فقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم الصدق سبباً للوصول إلى الجنة والنجاة من النار، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البرِّ، وإن البرَّ يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجلُ يصدقُ ويتحرى الصدقَ، حتى يكتبَ عند الله صديقاً، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب، حتى يكتب عند الله كذاباً)**[3] .

قال النووي: الصدق يهدي إلى العمل الصالح الخالص من كل مذموم، والبر اسم جامع للخير كله... وأما الكذب فيوصل إلى الفجور، وهو الميل عن الاستقامة، وقيل الانبعاث في المعاصي[4] .

---

(1) السفساف: الأمر الحقير والرديء من كل شيء وهو ضد المعالي والمكارم، وأصله ما يطير من غبار الدقيق إذا نخل والتراب إذا أثير، النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير، ج٢/٩٤٢ .

(2) المستدرك، الحاكم، كتاب الإيمان، رقم ١٥٢، ج١/١١٢، وقال حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، المعجم الكبير، رقم ٥٩٢٨، ج٦/١٨١، مصنف عبد الرزاق، رقم ٢٠١٥٠، ج١١/١٤٣، سنن البيهقي الكبرى، رقم ٢٠٥٦٩، ج١٠/١٩١، مجمع الزوائد، رقم ١٣٦٨٧، ج٨/٣٤٤، وقال: رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجال الكبير ثقات ، وقال الألباني: حديث صحيح ، السلسلة الصحيحة، رقم ١٣٧٨،ج٣/٣٦٦ .

(3) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب قول الله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين"، رقم ٥٧٤٣، ج٥/١٢٦٦١، صحيح مسلم واللفظ له، كتاب البر والصلة، باب قبح الكذب، رقم ٢٦٠٧، ج٤/٢٠١٢ .

(4) شرح النووي على صحيح مسلم، ج١٦/١٦٠ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

فإذا التزم المسلم الصدق في حياته، كان بعيداً عن السب والطعن والغيبة والنميمة، وقول الزور، والحلف الكاذب في معاملاته وغيرها من الأمور التي تخل باستمرار الحضارة الإسلامية، فالصدق يعد من أهم عوامل استمرار الحضارة الإسلامية، وذلك لما له من دور في غرس الثقة في النفوس، وإبعاد الناس عن المعاصي والذنوب التي تحول دون سعادة البشرية واستقرارها .

وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم إلى العفو والتواضع لما لهما من الخير الذي يعود على الأمة الإسلامية، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: **(ما نقصت صدقةٌ من مالٍ، وما زادَ اللهُ عبداً بعفوٍ إلاّ عزّاً، وما تواضعَ أحدٌ للهِ إلاّ رفعهُ الله)**[1] .

يبين النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث أن التحلي بالأخلاق الفاضلة سبب للعزة والرفعة في الدنيا والآخرة، فالمجتمع الذي يتصف بالعفو والتسامح والتواضع بين أفراده، تختفي منه الأحقاد وتسوده المحبة والألفة ويعمه الأمن والرخاء الذي يدفع بالأمة إلى التقدم والازدهار، ويدفع عنها أسباب التفكك والانهيار .

وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم إلى الرفق وحسن المعاملة، فعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(يا عائشة! إن الله رفيقٌ يحبُّ الرفق**[2]**، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه)**[3] .

قال النووي: في الحديث فضل الرفق والحث على التخلق به وذم العنف، والرفق سبب كل خير[4] .

---

(1) صحيح مسلم واللفظ له، كتاب البر والصلة، باب استحباب العفو، رقم ٢٥٨٨، ج٢٠٠١/٤، سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب التواضع، رقم ٢٠٢٩، ج٣٧٦/٤، مسند أحمد، رقم ٨٩٩٦، ج٣٨٦/٢، الموطأ، للإمام مالك، رقم ١٨١٧، ج١٠٠٠/٢ .

(2) الرفق: هو لين الجانب، غريب الحديث، إبراهيم بن إسحاق الحربي، الناشر جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١، ج٣٥٤/٢ .

(3) صحيح مسلم واللفظ له، كتاب البر والصلة، باب فضل الرفق رقم ٢٥٩٣، ج٢٠٠٣/٤، سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في الرفق، رقم ٤٨٠٧، ج٦٧٠/٢، سنن ابن ماجة، كتاب الأدب، باب الرفق، رقم ٣٦٨٨، ج١٢١٦/٢ .

(4) شرح النووي على صحيح مسلم، ج١٤٥/١٦ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

فالرفق من الأخلاق الفاضلة التي لها أكبر الأثر في نشر المحبة بين الناس وتحقيق الخير والفلاح للأمة، ومما يؤكد ذلك ما روى جرير بن عبد الله رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(من يُحرم الرِّفقَ، يُحرم الخير)**[1] .

فللرفق آثار إيجابية كثيرة تعود على المجتمع بالخير والصلاح، فهو سبيل لإشاعة المحبة بين الناس، والقضاء على أسباب الخلاف وحل المشكلات، ولا يخفي ما لهذا من دور في الحفاظ على استمرار الحضارة الإسلامية .

وقد حث النبي صلى الله عليه وسلم على أداء الأمانة وحذَّر من الخيانة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: **(أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك)**[2] .

فالأمانة من أعظم الأخلاق التي تدفع الإنسان إلى التورع عن أخذ حقوق الآخرين وعدم التعرض لها، وبذلك يتم حماية المجتمع من أسباب الخلاف والنزاع التي قد يتعرض لها المجتمع بسبب التنازع على الحقوق .

فالمجتمع الذي يفتقر إلى خلق الأمانة، وتنتشر فيه الخيانة لا يمكن له الاستقرار والعيش بأمان، لذلك يعتبر أداء الأمانة من الأمور اللازمة للحفاظ على استمرار الحضارة .

وقد أكد النبي صلى الله عليه وسلم على خلق التواضع، وبين أنه من الأخلاق التي تحول دون البغي على الناس، فعن عياض بن حمار رضي الله عنه قال: قال الرسول صلى الله عليه وسلم: **(إنَّ اللهَ أوحى إليَّ أن تواضعوا حتى لا يبغيَ أحدٌ على أحدٍ، ولا يفخرَ أحدٌ على أحدٍ)**[3] .

---

(1) صحيح مسلم واللفظ له، كتاب البر والصلة، باب فضل الرفق، رقم ٢٥٩٢، ج٢٠٠٣/٤، سنن أبي داود ، كتاب الأدب، باب في الرفق، رقم ٤٨٠٩، ج٦٧٠/٢، سنن ابن ماجة، كتاب الأدب، باب الرفق، رقم ٣٦٨٧، ج١٢١٦/٢ .

(2) سنن الترميذي واللفظ له، كتاب البيوع، باب النهي للمسلم أن يدفع إلى الذمي الخمر، رقم ١٢٦٤، ج٥٤٣/٢ ، وقال هذا حديث حسن غريب، سنن أبي داود، كتاب البيوع والإجارات، باب في الرجل يأخذ حقه من تحت يده، رقم ٣٥٣٥، ج٣١٤/٢، المستدرك، رقم ٢٢٩٦، ج٥٣/٢، وقال حديث صحيح على شرط مسلم ، وقال الألباني: حديث صحيح ، السلسلة الصحيحة، رقم ٤٢٣،ج٧٨٣/١ .

(3) صحيح مسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة، رقم ٢٨٦٥، ج٢١٩٧/٤، سنن أبي داود واللفظ له، كتاب الأدب، باب في التواضع، رقم ٤٨٩٠، ج٦٩٠/٢، سنن ابن ماجة، كتاب الزهد، باب البراءة من الكبر، رقم ٤١٧٩، ج١٣٩٩/٢ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library- Yarmouk University
www.manaraa.com

فالتواضع هو الاستسلام للحق، وخفض الجناح للخلق ولين الجانب حتى لا يقع الظلم[1].

فقد بين النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث أن التواضع من الأخلاق التي تمنع الإنسان من الاعتداء على غيره وظلمه، ولا يخفى ما لهذا الخلق من دور في المحافظة على أمن المجتمع واستقراره، فهو أمر لابد منه لسلامة المجتمع من الأحقاد وضمان استمرار الحضارة .

ومن الأخلاق التي دعا النبي صلى الله عليه وسلم إلى التحلي بها: بشاشة الوجه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإرشاد الضال، والرحمة بذوي العاهات، والمحافظة على النظافة، وبذل المال في وجوه الخير، وغير ذلك من الأخلاق الإسلامية الرفيعة، **فعن أبي ذر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (تبسُّمُك في وجه أخيك لك صدقة، وأمرُكَ بالمعروف ونهيُك عن المنكر صدقة، وإرشادُكَ الرجلَ في أرض الضلالة لك صدقة، وبصرك للرجُلِ الرديءِ البصر لك صدقة، وإماطتُكَ الحجر والشوكة والعظم عن الطريق لك صدقة، وإفراغُكَ من دلوك في دلو أخيك لك صدقة)**[2] .

دعا النبي صلى الله عليه وسلم إلى بشاشة الوجه، والرفق بالناس والإحسان أليهم وذلك من أجل نشر بذور المحبة وتقوية العلاقات بينهم، ولا يخفى ما لذلك من دور في المحافظة على استمرار الحضارة.

وأكد النبي صلى الله عليه وسلم كذلك على وجوب التحلي بخلق الرحمة، وضرورة التراحم بين أبناء الأمة الإسلامية ، **فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض، يرحمكم من في السماء، الرحِمُ شُجنةٌ من الرحمن، فمن وصلها وصله الله، ومن قطعها قطعه الله)**[3] .

---

(1) عون المعبود، العظيم آبادي، ج١٦٣/١٣ .

(2) سنن الترمذي واللفظ له ، كتاب البر والصلة ، باب صنائع المعروف ، رقم ١٩٥٦، ج٥٠٦/٣ ، وقال : حديث حسن غريب ، صحيح ابن حبان ، كتاب البر والإحسان ، باب حسن الخلق ، رقم ٤٧٤ ، ج٢٢١/٢، الطبراني في الأوسط رقم ٨٣٤٢، السلسلة الصحيحة، رقم ٥٧٢،ج١١٦/٢، وقال الدكتور بشار عواد، في تعليقه على قول الترمذي حسن غريب: هكذا قال ومرثد والد مالك ، وهو أبن عبد الله الزماني مجهول ... ، وإنما حسنه لأحاديث الباب .

(3) سنن الترمذي واللفظ له ، كتاب البر والصلة ، باب رحمة المسلمين ، رقم١٩٢٤، ج٤٨٣/٣، وقال حسن صحيح ، سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب في الرحمة ، رقم ٤٩٤١، ج٧٠٣/٢، مسند أحمد ، رقم ٦٤٩٤،ج١٦٠/٢،وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره. المعجم الأوسط ، الطبراني، ج٢٣/٩، سنن البيهقي الكبرى، رقم ١٧٦٨٣،ج٤١/٩. وقال الألباني: حديث صحيح ، السلسلة الصحيحة، رقم ٩٢٥،ج٥٩٤/٢ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

ومن الأخلاق الرفيعة التي دعا إليها الإسلام واعتبرها دليل على الإيمان، إكرام الضيف، والإحسان إلى الجار، والصمت عن الكلام الذي لا فائدة فيه، **فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت)**[1].

يدعو النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث إلى الإحسان إلى الجار، وإكرام الضيف، وعدم التكلم إلا بما هو خير، وما ذلك إلا من أجل تقوية عرى المحبة بين أبناء الأمة، والقضاء على أسباب التشتت والضياع، التي تدمر الأمة وتهدم حضارتها.

فلا يمكن للحضارة الإسلامية أن تستمر وتواصل عطائها، إلا إذا تخلق أبناؤها بأخلاق الإسلام وتمثلوها في معاملاتهم ومعاشراتهم.

ومن الأخلاق التي تلعب دورا بارزا في الحفاظ على استمرار الحضارة الإسلامية، الحلم والأناة، **عن أبن عباس رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأشجِّ عبد القيس: (إنَّ فيك خصلتين يحبهما الله: الحِلمُ والأناة)**[2].

يعد خلق الحلم والأناة، من الأخلاق الرفيعة التي تمنح الحضارة الإسلامية البقاء والاستمرار، فالإنسان الذي يتصف بالحلم، يكون أبعد الناس عن الوقوع في أسباب الفرقة والاختلاف، وكذلك فان الحلم يحول دون الوقوع في المفاسد والمنكرات.

---

(1) صحيح البخاري واللفظ له ، كتاب الأدب ، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ، رقم ٥٦٧٢،ج٥/٢٢٤٠، صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الحث على إكرام الجار ، رقم ٤٧،ج١/٦٨ .

(2) صحيح مسلم واللفظ له، كتاب الإيمان ، باب الأمر بالإيمان بالله ، رقم ١٧،ج١/٤٦، سنن الترمذي ، كتاب البر والصلة ، باب في التأني ، رقم ٢٠١١،ج٣/٥٤٠ ، سنن النسائي ، كتاب المناقب ، باب في الاشج رضي الله عنه ، رقم ٨٣٠٦،ج٥/٨٣ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

المبحث التاسع

التعاون والتكافل الاجتماعي

يعدّ التعاون والتكافل بين أفراد المجتمع من الأمور اللازمة للمحافظة على استمرار الحضارة الإسلامية وبقائها، فلا يمكن لأي مجتمع من المجتمعات أن يعيش بأمن واستقرار ما لم تنتشر المحبة بين أفراده، ويسوده التعاون، ويعطف فيه الغني على الفقير والقوي على الضعيف .

وقد بنى الإسلام الأمة على أساس التعاون والتكافل بين أفراد المجتمع ليبقى المجتمع قوياً، بعيداً عن أسباب النزاع والاختلاف والضعف والانهيار قال تعالى: ﴿... **وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ...**﴾[1]، يأمر الله تعالى عباده المؤمنين بالمعاونة على فعل الخيرات وترك المنكرات، وينهاهم عن التناصر على الباطل، والتعاون على المآثم والمحارم[2] .

فإن حفظ الإسلام وأمن أرض الإسلام وحماية حياة الإنسان وماله، لا يحصل إلا بالتربية الإيمانية وتعاون المؤمنين على البر والتقوى، وعدم تعاونهم على الإثم والعدوان.

" فالأمة الإسلامية مدعوة للتعاون في فعل الخير وهو اسم جامع لما يقرب إلى الله تعالى من الإيمان والأخلاق والآداب والأعمال، والتعاون على البر والتقوى هو من أركان الهداية الاجتماعية في القرآن، لأنه يوجب على الناس إيجاباً دينياً أن يعين بعضهم بعضاً على كل عمل من أعمال البر التي تنفع الناس أفراداً وأقواماً في دينهم ودنياهم، وكل عمل من أعمال التقوى التي يدفعون بها المفاسد والمضار عن أنفسهم، وأكد هذا الأمر بالنهي عن ضده وهو التعاون على الإثم والمعاصي وكل ما يعوّق عن البر والخير، والأمة الإسلامية مدعوة لمواجهة الفاسدين والمفسدين الذين يعملون لإقامة مشاريع الفساد الأخلاقية

---

(1) سورة المائدة، آية ٢ .
(2) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج٢/٥ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

والاقتصادية والسياسية والإعلامية وأن يكونوا كالبنيان المرصوص في مواجهة الفساد والمفسدين " [1].

وقد أقام النبي صلى الله عليه وسلم المجتمع الإسلامي الأول على أساس التعاون والتكافل، وخير دليل على ذلك قيامه صلى الله عليه وسلم بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار حين قدومه للمدينة المنورة مهاجرا من مكة المكرمة.

فعن أنس رضي الله عنه قال: (حالف النبي صلى الله عليه وسلم بين قريش والأنصار في داري)[2].

" وقد ترتب على تشريع نظام المؤاخاة حقوق خاصة بين المتآخين، كالمواساة بين الاثنين، والمواساة ليست محددة بأمور معينة بل مطلقة لتعني كل أوجه العون على مواجهة أعباء الحياة سواء كان عوناً مادياً، أو معنوياً كالنصيحة والمحبة والتزاور " [3] .

فأراد صلى الله عليه وسلم من عقد المؤاخاة زيادة التلاحم بين المهجرين والأنصار، وحل المشكلات الاجتماعية والاقتصادية التي أخذت تواجه المهجرين بعد وصولهم إلى المدينة المنورة، فأقام صلى الله عليه وسلم مجتمع المدينة على أساس المحبة والتعاون والتكافل، ليتمكن هذا المجتمع من العيش بأمن واستقرار، ويؤدي دوره في البناء الحضاري على أكمل وجه.

وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم إلى التعاون والتكافل بين أفراد الأمة كافة فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(المؤمنُ للمؤمن كالبنيان، يَشُدُّ بعضُهُ بعضاً). وشبك بين أصابعه**[4].

قال النووي: يتضمن الحديث تعظيم حقوق المسلمين بعضهم على بعض، وحثهم على التراحم والتعاضد في غير إثم ولا مكروه[5] .

---

(1) خصائص الأمة الإسلامية الحضارية كما تبينها سورة المائدة، إبراهيم زيد الكيلاني، ص٢٦ .

(2) صحيح البخاري ،كتاب الكفالة، باب قوله تعالى : والذين عاقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم رقم ٢١٧٢،ج٢/٨٠٢،صحيح مسلم ،كتاب فضائل الصحابة،باب مؤاخاة النبي بين أصحابه ،رقم٢٥٢٩،ج٤/١٩٦٠.

(3) السيرة النبوية الصحيحة ،أكرم ضياء العمري،مكتبة العبيكان ، الرياض،ط٢٠٠٣،٥م،ج١/٢٤١.

(4) صحيح البخاري واللفظ له، كتاب المظالم، باب نصر المظلوم، رقم ٢٣١٤، ج٢/٨٦٣، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب تراحم المؤمنين، رقم ٢٥٨٥، ج٤/١٩٩٩ .

(5) شرح النووي على صحيح مسلم، ج١٦/١٣٩ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

فالنبي صلى الله عليه وسلم يدعو الأمة في هذا الحديث إلى التعاون والتراحم فيما بينهم لتكون الأمة عزيزة مهيبة الجانب، وللحفاظ على المجتمع من أسباب الفوضى والفساد التي تخل بأمن المجتمع واستقراره، لأن المجتمع الذي يخلو من التعاون والتكافل بين أفراده، مجتمع ضعيف لا يقوى على مواجهة عدوه والعيش بأمن واستقرار.

" والمجتمع الإسلامي لا يسعى إلى الخير أفراداً، وإنما تتوافر فيه الجهود، وتتجمع فيه العزائم، ويتعاون على البر والتقوى، لاتقاء المحارم، ومحاربة المنكرات والمفاسد، ونبذ الإثم والعدوان، وصيانة بناء المجتمع الإسلامي من كل الأمراض الاجتماعية، التي تؤدي بالجماعات إلى التحلل والفناء " [1] .

وقد أكد النبي صلى الله عليه وسلم على ضرورة التكافل والتضامن بحيث ينهض القوي بالضعيف، ويعود الغني على الفقير، ولا يضيع عاجز ولا مسكين في هذا المجتمع، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بينما نحن في سفر مع النبي صلى الله عليه وسلم، إذ جاء رجل على راحلة له، قال: فجعل يصرف بصره يميناً وشمالاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(من كانَ معَهُ فَضلُ ظهرٍ[2] فليعُد به على من لا ظهرَ لهُ، ومنْ كانَ لهُ فضلٌ من زادٍ، فليعُد بهِ على منْ لا زادَ له)**. قال: فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا انه لا حق لأحد منا في فضل[3] .

قال النووي: يتضمن الحديث الحث على الصدقة والجود، والمواساة والإحسان إلى الرفقة والأصحاب والاعتناء بمصالحهم[4] .

فالنبي صلى الله عليه وسلم يوجه الأمة إلى ضرورة البذل والإنفاق، وسد حاجة المحتاج لما لذلك من فضل في إشاعة المحبة بين أفراد المجتمع، وحمايته من أسباب

---

(1) الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، توفيق يوسف الواعي، ص٢٣٩ .
(2) فضل ظهر أي زيادة ما يركب على ظهره، صحيح مسلم، تعليق محمد فؤاد عبد الباقي، ج١٣٥٤/٣ .
(3) صحيح مسلم واللفظ له، كتاب اللقطة، باب استحباب المؤاساة، رقم ١٧٢٨، ج١٣٥٤/٣، سنن أبي دواد، كتاب الزكاة، باب في حقوق المال، رقم ١٦٦٣، ج٥٢٢/١، مسند أحمد، رقم ١١٣١١، ج٣٤/٣، صحيح ابن حبان، رقم ٥٤١٩، ج٢٣٨/١٢ .
(4) شرح النووي على صحيح مسلم، ج٣٣/١٢ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

الضعف والانحلال، وذلك لأن سد حاجة الفقراء والمحتاجين تطهر قلوبهم من الحقد والحسد والأخلاق الذميمة، التي تؤدي إلى الفرقة والاختلاف وفساد المجتمع .

وقد أكد النبي صلى الله عليه وسلم على ضرورة التكافل بين أفراد المجتمع جميعاً، فحث على التكافل بين الأقارب، وبين الجيران، وبين عامة الناس، وفي كافة المجالات المادية والمعنوية، ففي مجال القرابة حث صلى الله عليه وسلم على صلة الرحم، فعن أبي هريرة رضي الله قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **(من سرَّهُ أن يُبسط له في رزقه، وأن يُنسأ[1] له في أثره فليصل رحمه)**[2].

فصلة الرحم تكون بالإحسان إلى الأقربين من ذوي الأنساب والأصهار، والرفق بهم والرعاية لأحوالهم وإن بعدت ديارهم أو أساءوا في تصرفاتهم، فكأنه بالإحسان إليهم قد وصل ما بينه وبينهم، وصلة الأرحام ومودتهم، والبر بهم والإنفاق عليهم لا تنقص الرزق، ولا تضيع المال، بل إن الصلة بهم محبة في الأهل، ومثراة في المال، وتمد في العمر، وتحوّل الشقاء سعادة، وتقي مصارع السوء[3].

ومن الأحاديث التي دعا فيها النبي صلى الله عليه وسلم إلى التكافل بين الجيران، ما روي عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(يا أبا ذرْ إذا طبختَ مرقةً فأكثر ماءَها، وتعاهد جيرانكَ)**[4] .

فقد حث النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث على الإحسان إلى الجار، وذلك لما له من أهمية في توثيق الروابط وإشاعة المحبة والألفة بين الناس .

وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من عدم القيام بحق الجار، وعد ذلك من الأمور المخلة بالإيمان، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(ما آمنَ بي منْ باتَ شبعاناً، وجارهُ جائعٌ إلى جنبهِ، وهوَ يعلمُ بهِ)**[5].

---

(1) ينسأ له في أثره: أي في أجله، والنسأ التأخير، غريب الحديث، ابن الجوزي، ج٤٠٤/٢ .

(2) صحيح البخاري واللفظ له، كتاب الأدب، باب من بسط له في الرزق، رقم ٥٦٣٩، ج٢٢٣٢/٥، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب صلة الرحم، رقم ٢٥٥٧، ج١٩٨٢/٤.

(3) انظر: الإسلام وبناء المجتمع، فرج محمود حسن، المكتبة الوطنية، ط١، ١٩٩٩، ص٢٨-٢٩ .

(4) صحيح مسلم واللفظ له، كتاب البر والصلة، باب الوصية بالجار، رقم ٢٦٢٥، ج٢٠٢٥/٤، مسند أحمد، رقم ٢١٣٦٤، ج١٤٩/٥، صحيح ابن حبان، رقم ٥١٣، ج٦٨/٢ .

(5) ، المعجم الكبير واللفظ له ، الطبراني، رقم ٧٥١، ج٢٥٩/١، مجمع الزوائد ، الهيثمي، رقم ١٣٥٥٤،ج٣٠٥/٨، وقال: رواه الطبراني والبزار وإسناد البزار حسن .وقال الألباني : صحيح لغيره، صحيح الجامع الصغير، رقم ١٠٤٤٢،ج١٠٤٥/١، صحيح الترغيب والترهيب، رقم ٢٥٦١،ج٢٥٦١/٢ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

والإحسان للجار لا ينحصر بالنواحي المادية فقط، بل يشمل النواحي المادية والمعنوية جميعاً، من إعانة، وتهنئة، وتعزية، وإرشاد، وصفح عن الزلات، وكف للأذى، وغير ذلك من الأمور التي تعزز الروابط الاجتماعية، وتقوي الصلات بين أفراد المجتمع، وتحمي المجتمع من أسباب الفساد والانحلال .

" فمن هنا كان الفرد في المجتمع المسلم رافداً لجاره مسعفاً مواسياً، لا يحتمل أن يرى جاره في ضيق وعسر وفاقة، وهو في سعة من العيش منعَّم مرفه وكيف يتحمل وجدانه الذي أرهفه الإسلام هذه المفارقة بينه وبين جاره، وهو يسمع قول النبي صلى الله عليه وسلم: **(ما آمنَ بي منْ باتَ شبعانٌ وجارهُ جائع)** " [1].

وهكذا يترابط المجتمع بترابط الجيران، ورعاية حقوقهم، فيرتقي إلى الكمال، ويحقق السعادة الاجتماعية

وتعدُّ مبادئ التعاون والتعاضد والتآزر والتآخي والتحاب بين المسلمين، بمثابة حزام متين يرص صفوف المسلمين في كتلة واحدة كأنها جسد واحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمَّى .

فعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول اله صلى الله عليه وسلم: **(ترى المؤمنينَ في تراحُمِهِم، وتوادِّهِم، وتعاطفِهِم، كمثلُ الجسدِ، إذا اشتكى عضوا، تداعىَ لهُ سائرُ جسدِه بالسهر والحُمَّىَ)**[2] .

فقد عدّ النبي صلى الله عليه وسلم التواد والتعاطف والتراحم بين المؤمنين من أسباب وحده الأمة وترابطها، لذلك شبهها بالجسد الواحد، في حال الترابط، وفي هذا دليل على أن استمرار الحضارة واستقرارها مرتبط بتحقيق التعاون والتكافل بين أفراد المجتمع .

ومما يؤكد على ضرورة التكافل بين أفراد المجتمع المسلم أيضاً، ما وصل إلينا من هدي المصطفى صلى الله عليه وسلم من الترغيب بكفالة اليتيم، والأرامل والمساكين، وإجابة الداعي وغير ذلك، فعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله

---

(1) المجتمع المسلم كما يبنيه الإسلام، علي الهاشمي، ص١٥٤، والحديث سبق تخريجه .

(2) صحيح البخاري واللفظ له، كتاب الأدب، باب رحمة الناس، رقم ٥٦٦٥، ج٥/٢٢٣٨،صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب تراحم المؤمنين، رقم ٢٥٨٦، ج٤/١٩٩٩ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

عليه وسلم: **(أنا وكافلُ اليتيمِ في الجنةِ هكذا)**. وأشارَ بالسبابةِ والوسطى، وفـرَّج بينهُمـا شيئا[1].

فقد حث النبي صلى الله عليه وسلم على كفالة اليتيم، وبين منزلة من يفعل ذلك، وأنه بأعلى المنازل، وذلك لما لهذا الفعل من أثر في إشاعة المحبة بين أفراد المجتمع، وحمايته من أسباب الفساد والانحلال، فإن وجود الأيتام الذين لا كافل لهم، يعرض المجتمع لكثير من الأمراض الاجتماعية التي تهدد استمرار الحضارة واستقرارها .

وقد عدَّ النبي صلى الله عليه وسلم السعي على الأرامل والمساكين كالجهاد في سبيل الله، لما لذلك من النفع الذي يعود على الأمة بالخير والصلاح، فعن أبي هريرة رضـي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: **(الساعي على الأرملةِ والمسكين، كالمجاهدِ فـي سبيلِ الله، أو القائمِ الليلَ، والصائمِ النهارَ)**[2].

فالنبي صلى الله عليه وسلم يرغب بالإحسان إلى الأرامل والأيتام، ليعيش المجتمـع بأمن واستقرار خالياً من أسباب الفساد والانحلال .

ومن الأحاديث التي تتضمن الدعوة إلى التكافل والتعاون أيضاً ما روى أبو موسـى الأشعري، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(أطعموا الجائعَ، وعودوا المريضَ، وفكـوا العانيَ [3])**[4].

يدعو النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث إلى سد جوعة الجائعين، وعيـادة المرضى والتعاون في فكاك أسر المأسورين، ولا يخفى ما لهذا من دور في نشر المحبـة والألفة التي تكفل استمرار الحضارة .

---

(1) صحيح البخاري واللفظ له، كتاب الطلاق، باب اللعان، رقم ٤٩٩٨، ج٥/٢٠٣٢، صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب الإحسان، رقم ٢٩٨٣، ج٤/٢٢٨٧ .

(2) صحيح البخاري واللفظ له، كتاب النفقات، باب النفقة على الأهل، رقم ٥٠٣٨، ج٥/٢٠٤٧، صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب الإحسان إلى الأرملة والمسكين، رقم ٢٩٨٢، ج٤/٢٢٨٦ .

(3) العاني: يعني الأسير، غريب الحديث، القاسم بن سلام الهروي، ج٢/١٨٦ .

(4) صحيح البخاري واللفظ له، كتاب المرضى، باب وجوب عيادة المريض، رقم ٥٣٢٥، ج٥/٢١٣٩، سنن النسائي، كتاب الطب، باب الأمر بعيادة المريض، رقم ٧٤٩٢، ج٤/٣٥٤، سنن أبي داود، كتاب الجنائز، باب الدعاء للمريض، رقم ٣١٠٥، ج٢/٢٠٤ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

وقد رغّب النبي صلى الله عليه وسلم في التراحم بين الناس، وحث على تنفيس كرباتهم، فعن أبي قتادة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **(من سرّه أن يُنْجِيَهُ اللهُ من كرب يوم القيامة، فلينفس عن معسر، أو يَضَعْ عنه)**[1] .

فالنبي صلى الله عليه وسلم يدعو الأمة إلى التعاون والتسامح، ويبين أن ذلك من أسباب النجاة يوم القيامة، وذلك لما لهذا الخلق من دور بارز في تقوية الروابط الاجتماعية، والقضاء على أسباب التفكك والانحلال.

وقد عدّ النبي صلى الله عليه وسلم التراحم بين الناس من أسباب رحمة الله تعالى لعباده، فعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(لا يرحمُ اللهُ مَنْ لا يرحمُ الناسَ)**[2] .

قال ابن بطال: فيه الحض على استعمال الرحمة لجميع الخلق، فيدخل المؤمن والكافر والبهائم، والمملوك وغير المملوك، ويدخل في الرحمة التعاهد بالإطعام والسقي، والتخفيف في الحمل، وترك التعدي بالضرب[3].

ومن صور التكافل الاجتماعي في الوقت الحاضر، إنشاء بعض الجمعيات الخيرية، التي تساهم في سد حاجة المحتاجين، وإقامة بعض المؤسسات التي تقوم بتنمية أموال الأيتام، ومن صوره أيضاً وقف بعض الأموال لصالح جهة من الجهات، والقيام بتعليم المسلمين ما ينفعهم من أمر دينهم ودنياهم .

وخلاصة الأمر: أن التعاون والتكافل بين أفراد المجتمع، يعدُّ من الأمور اللازمة للحفاظ على استقرار الحضارة واستمرارها، لذلك حث عليه الإسلام ورغب به، وبكل خلق ينمي الفضيلة ويقضي على أسباب التفكك والانحلال، فبرُّ الوالدين، وصلة الأرحام، والعطف على الأرامل والأيتام والمساكين، وإكرام الجار، والتعاون والتراحم، كل ذلك يوثق الروابط وينشر المحبة بين الناس، ويطهر المجتمع من أسباب الفساد والانحلال، ويحفظ للحضارة استمرارها .

---

(1) صحيح مسلم واللفظ له، كتاب المساقاة، باب فضل انظار المعسر،رقم ١٥٦٣، ج١١٩٦/٣، سنن البيهقي الكبرى، رقم ١٠٧٥٦، ٣٥٦/٥.

(2) صحيح البخاري واللفظ له ، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى (قل أدعوا الله)، رقم ٦٩٤١، ج٢٦٨٦/٦ ، صحيح مسلم ، كتاب الفضائل، باب رحمته صلى الله عليه وسلم الصبيان، رقم ٢٣١٩، ج١٨٠٩/٤ .

(3) تحفة الأحوذي، المباركفوري، ج٤٢/٦ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

المبحث العاشر

استثمار الزمان والمكان

يعدُّ استثمار الزمان والمكان من العوامل التي يتوقف عليها ازدهار الحضارة واستمرارها، لذلك فقد حث الإسلام على استغلال القدرات والإمكانات المتاحة للإنسان استغلالاً كاملاً، وذلك لإسعاد الإنسان والارتقاء به إلى المستوى الرفيع الذي يعمر الحياة ويصلحها .

قال تعالى: **﴿*أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً *﴾**[1].

فالإسلام يدعو الأمة إلى الانتفاع بموجودات هذا الكون، ويحثهم على الاستفادة من كل شيء خلقه الله عز وجل، من أجل الوصول بالأمة إلى أرقى درجات التقدم الحضاري التي تكفل لها العيش بأمن واستقرار، وتحميها من أسباب الهلاك والدمار.

وقد تعددت نعم الله وخيراته على الإنسان في البر والبحر والسماء ، قال تعالى:**(ألم ترَ أنَّ الله سخَّر لكم ما في الأرض والفلك تجري في البحر بأمره ويمسك السماء إن تقع على الأرض إلا بإذنه إن الله بالناس لرؤوف رحيم*﴾**[2]

فخلافة الإنسان على هذه الأرض، لا تكون إلا إذا رسَّخ أقدامه فيها، وتمكن من ظاهرها وباطنها، ومائها وسمائها، تمكن العالم المنتفع، لا تمكن المدعي اللاهي[3]، وإعمار الكون والطبيعة، يكون بالحفاظ عليها من كل ما يمكن أن يخل بتوازنها البيئي، الذي خلقها الله تعالى عليه، وبالبقاء على غنى مواردها، وتسليمها إلى الأجيال اللاحقة كاملة المنفعة غير منقوصة، وهذا لا يتحقق إلا بمن يتعاملون مع الطبيعة تعاملاً فيه من الأخلاقيات الإنسانية والإيمانية ما فيه، فيقدمون المنفعة العامة على المنفعة الخاصة المنقطعة وإن عظمت[4] .

---

(1) سورة لقمان ،آية ٢٠.
(2) سورة الحج ،آية ٦٥.
(3) رسالة ماجستير بعنوان إحياء الأمم واضمحلالها دراسة قرآنية تحليلية، نداء محمد حامد قاسم، إشراف الدكتور فضل حسن عباس، الجامعة الأردنية، ٢٠٠١م، ص٨٥ .
(4) المرجع السابق ، ص٩٥ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

وقد دعت السنة النبوية إلى حسن استغلال الموارد والمحافظة عليها، ووضعها موضع العناية والصيانة والحفظ، بحيث لا يُهدر منها شيء ولا يُهمل، ونبهت على وجوب الانتفاع بأي مادة وإن كانت زهيدة، بوصفها نعمة يجب المحافظة عليها، فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: وجد النبي صلى الله عليه وسلم شاة ميتة أُعْطِيتها مولاة لميمونة من الصدقة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: **(هلاّ انتفعتُم بجلدها)، قالوا: إنها مَيْتَةٌ ؟ قال: (إنما حَرُمَ أكلُها)**[1] .

فالنبي صلى الله عليه وسلم يوجه الأمة إلى المحافظة على موجودات الكون وعدم هدرها، لذلك حث على الانتفاع بجلد الشاة ولو كانت ميتة، لينبه الأمة إلى ضرورة استثمار كل ما يحقق مصالح العباد في الدنيا والآخرة، ونبه على الشيء الزهيد وهو جلد الشاة لإفادة الشمول والعموم في كل شيء يؤدي إلى تحقيق السعادة للأمة، ويحول دون ضعفها وانهيارها بسبب عدم امتلاكها لما يكفيها ويسد حاجتها ويُغنيها عن غيرها من الأمم .

" فالمعطيات القرآنية والنبوية، تؤكد على رفضها لهدر الطاقة التي تعمل أحياناً في غير مجالاتها المرسومة، وتريدنا أن نتعامل مع الكتلة الكونية، وأن نكشف عن قوانينها لتنمية الحياة "[2].

فقد حث النبي صلى الله عليه وسلم على استثمار كل ما يحقق مصالح العباد، فدعا إلى زراعة الأرض وعدم تعطيلها عن الزراعة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(من كانت له أرضٌ فليزرعْهَا، أو ليمنحها أخاه، فإن أبى فليمسك أرضه)**[3] .

فالنبي صلى الله عليه وسلم أنكر تعطيل الأرض عن الزراعة، فإما أن يزرعها مالكها بنفسه، أو يعيرها لأخيه ليزرعها إن كانت فائضة عن حاجته. فالحديث يدعو إلى استثمار المكان وموجودات الكون وعدم تعطيلها، لتوفير ما يلزم الأمة للعيش بأمن

---

(1) صحيح البخاري واللفظ له، كتاب الزكاة، باب الصدقة على موالي أزواج النبي، رقم ١٤٢١، ج٢/٥٤٣، صحيح مسلم، كتاب الحيض باب طهارة جلود الميتة بالدباغ، رقم ٣٦٣، ج١/٢٧٦ .

(2) أنظر: مدخل إلى الحضارة الإسلامية، عماد الدين خليل، ص٣٧ .

(3) صحيح البخاري واللفظ له، كتاب المزارعة، باب ما كان أصحاب النبي يواسي بعضهم بعضاً، رقم ٢٢١٦، ج٢/٨٢٥، صحيح مسلم ، كتاب البيوع، باب كراء الأرض، رقم ١٥٣٦، ج٣/١١٧٢ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

واستقرار، لأن الأمة التي تعتمد على غيرها فيما تأكل وفيما تحتاج، لا يمكن لها العيش بأمان والصمود في وجه عدوها .

ومما يؤكد ضرورة استثمار الطاقات الكونية، أن النبي صلى الله عليه وسلم جعل إحياء الأرض وزراعتها سببا لملكيتها ، **فعن سعيد بن زيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من أحيا أرضا ميتة فهي له، وليس لعرق ظالم حق)**[1]. فقد استثار النبي صلى الله عليه وسلم الهمم لاستصلاح الأرض وزراعتها، من أجل توفير ما تحتاجه الأمة للعيش بأمن واستقرار.

" ويعد الوقت قيمة من القيم الحضارية الأساسية التي نبه إليها الإسلام، وحض على الالتزام بها، وحسن التصرف فيها، وقد أقسم الله بالوقت في العديد من آيات القرآن الكريم، ليبين لنا مدى الأهمية البالغة لهذه القيمة في حياة الإنسان، وقد جاء القسم في هذه الآيات بالفجر وبالضحى وبالعصر وبالليل وبالنهار... وهذا يعني ضرورة شغل أوقاتنا بالعمل المفيد المنتج، حتى نسهم في دفع عجلة الحياة والارتقاء بها " [2] .

فالشعور بقيمة الوقت وضرورة استثماره، مسألة حضارية في عصرنا الحاضر، والأمة التي لا تحسن استثمار أوقاتها في العمل المنتج، الذي يعود عليها بالنفع في الدنيا والآخرة، لا يمكن لها أن تتقدم في أي مجال من المجالات التي تحقق السعادة لأبنائها، وقد نبه الإسلام إلى أهمية الوقت هذه، حينما أوحى بأول فريضة من فرائضه وهي الصلاة، فجعلها مرتبطة بأوقات محددة، قال تعالى: **(إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا)**[3].

وقد نبه القرآن الكريم الغافلين الذين لا يحسنون استغلال الوقت بأساليب مختلفة، وبين للإنسان أنه لم يترك هملاً، ولم يخلق سدى، وأنه يجب عليه أن يحاسب نفسه، قال تعالى:(***أيحسب الإنسانُ أن يُترك سدىً**)[4].

---

(1) سبق تخريجه .
(2) الحضارة فريضة إسلامية، محمود حمدي زقزوق، ص٥٢ .
(3) سورة النساء ، آية ١٠٣ .
(4) سورة القيامة ،آية ٣٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

وقد حثت السنة النبوية على استثمار الوقت والانتفاع به، لتتمكن الأمة من إنجاز كل ما ينفعها ويحقق لها الخير والصلاح في الدنيا والآخرة، فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: **(نعمتان مغبونٌ فيهما كثيرٌ من الناس: الصحةُ والفراغُ)**[1] .

قال المباركفوري: لا يعرف قدر هاتين النعمتين كثر من الناس، حيث لا يكسبون فيهما من الأعمال كفاية ما يحتاجون إليه في معادهم، فيندمون على تضييع أعمارهم عند زوالها ولا ينفعهم الندم[2] .

فالحديث يتضمن الحث على الانتفاع بالصحة والوقت، في القيام بالأعمال التي تعود على الإنسان بالنفع في الدنيا والآخرة، فالوقت نعمة يجب على الإنسان استثمارها، لأن الأمة التي لا تحسن استغلال الوقت في إنتاج كل ما يعود عليها بالنفع في الدنيا والآخرة، أمة متخلفة لا يمكنها الاستغناء عن غيرها من الأمم، بل تبقى تبعاً لغيرها ولا يمكنها العيش بأمن واستقرار .

والسنة النبوية لم توجه الأمة لاستغلال الأوقات في القيام بالعبادات فقط بل، دعت كذلك إلى استثمار الوقت في كل ما يعود على الأمة بالخير والنفع من زراعة وصناعة وتجارة، وغير ذلك من الأعمال التي توفر لها أسباب القوة والكفاية.

يقول مالك بن نبي: الزمن نهر قديم يعبر العالم منذ الأزل، فهو يمر خلال المدن، يغذي نشاطها بطاقته الأبدية، أو يذلل نومها بأنشودة الساعات التي تذهب هباء، وهو يتدفق على السواء في أرض كل شعب، ومجال كل فرد، بفيض من الساعات اليومية التي لا تغيض، ولكنه في مجال ما يصير ثروة، وفي مجال آخر يتحول عدماً... ولكنه نهر صامت، حتى إننا ننساه أحياناً، وتنسى الحضارات في ساعات الغفلة أو نشوة الحظ قيمته التي لا تعوض[3].

---

(1) صحيح البخاري واللفظ له، كتاب الرقاق، باب ما جاء في الصحة، رقم ٦٠٤٩، ج٥/٢٣٥٧، سنن الترمذي، كتاب الزهد، باب الصحة والفراغ، رقم ٢٣٠٤، ج٤/٥٥٠، سنن ابن ماجة، كتاب الزهد، باب الحكمة، رقم ٤١٧٠، ج٢/١٣٩٦ .

(2) تحفة الأحوذي، المباركفوري، ج٦/٤٨٥ .

(3) شروط النهضة، مالك بن نبي، دار الفكر، بيروت، ط٣، ص٢١ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

فالأمة التي تستثمر أوقاتها بالعلم والعمل، تدفع بأبنائها إلى التقدم والازدهار، وتحوّل الأوقات إلى ثروة تعود بالخير على البشرية كافة، ويخلّد التاريخ ذكرها بما حققت من إنجازات، بخلاف الأمة التي تضيّع أوقاتها باللهو واللعب، فإنها لا تترك خلفها أنجاز يذكر أو أثر يُحمد.

ومن أجل التأكيد على أهمية الوقت يخبرنا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم بأن الوقت يدخل ضمن المسؤوليات الكبيرة التي سوف يسأل عنها الإنسان يوم القيامة، فعن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(لا تزولُ قدما عبدٍ يومَ القيامة، حتى يُسئلَ عن عمره فيما أفناهُ، وعن علمهِ فيمَ فعل، وعن مالهِ من أين اكتسبهُ وفيمَ أنفقهُ، وعن جسمهِ فيمَ أبلاه)**[1] .

فالنبي صلى الله عليه وسلم يعمق في نفس المؤمن الوعي بالزمن، ويبين أنه سيحاسب عليه يوم القيامة، ليكون ذلك قوة دافعة، تدفع المؤمن للعمل النافع الذي يحقق للأمة الخير والفلاح في الدنيا والآخرة .

فعمر الإنسان الذي سوف يسأل عنه هو مجموع أوقاته، وهو حياته كلها في هذه الدنيا، فكل لحظة تمر على الإنسان من عمره القصير دون أن يستفيد منها أو يفيد غيره تعد لحظة ضائعة، والزمن الذي يمضى لن يعود مرة ثانية، ولن ينفع ندم المرء على عدم استغلال أوقاته.

"وهكذا ترهف عقيدة الحساب والجزاء في الآخرة إحساس المؤمن بالزمن من جهة، كما تكفل استمرار الجدّ في السعي لآخر لحظة من العمر، ما دام الإنسان يعمل لدار الخلود لا للدنيا التي يحس باستحالة دوامها إذ في كل لحظة فناء للمادة والحياة " [2] .

---

(1) سنن الترمذي واللفظ له، كتاب صفة القيامة، باب في القيامة، رقم ٢٤١٧، ج٢١٧/٤ ، وقال: حديث حسن صحيح، سنن الدارمي، رقم ٥٣٧، ج١٤٤/١، مسند أبي يعلى ، رقم ٧٤٣٤، ج٣٥١/١٣، مسند البزار، رقم ١٤٣٥، ج٢٦٦/٤ ،وقال الألباني: حديث صحيح، السلسلة الصحيحة ، رقم ٩٤٦،ج٦٢٩/٢ .

(2) القيم الحضارية في رسالة الإسلام، محمد فتحي عثمان، ص٩٤ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

وقد كان من هدي المصطفى صلى الله عليه وسلم أنه أمر الأمة باستغلال كل ما يحقق لها الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة، فقد دعا إلى استثمار الزمان والشباب والقوة والصحة والغنى، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(اغتنم خمساً قبلَ خمسٍ: شبابكَ قبلَ هرمكَ، وصحتُكَ قبلَ سقمُكَ، وغناكَ قبلَ فقركَ، وفراغكَ قبلَ شغلك، وحياتكَ قبلَ موتكَ)**[1] .

قال المناوي: اغتنم خمساً قبل خمس أي افعل خمسة أشياء قبل حصول خمس أشياء فاغتنم ما تلقى نفعه بعد موتك فإن من مات انقطع عمله، واغتنم العمل حال الصحة فقد يمنع مانع، واغتنم فراغك في هذه الدار قبل شغلك بأهوال القيامة، واغتنم الطاعة حال قدرتك قبل هجوم عجز الكبر عليك، فتندم على ما فرطت في جنب الله، واغتنم التصدق بفضول مالك قبل عروض جائحة تفقرك فتصير فقيراً في الدنيا والآخرة[2] .

فالنبي صلى الله عليه وسلم يدعو الإنسان إلى اغتنام كل الطاقات المتاحة له، لتحقيق السعادة والرفاه في الدنيا، والفوز والفلاح في الآخرة .

ولا شك أن استغلال الإنسان لصحته وشبابه ووقته في إنتاج ما يلزم الأمة من منتوجات صناعية وزراعية وعلمية وغير ذلك، يحفظ للأمة كرامتها وعزتها، ويلبي حاجات أفرادها، ويحول دون ضعفها وانهيارها، فالحضارة لا يمكن لها أن تستمر إذا لم تستغل الطاقات وتستثمر الأوقات .

من خلال ما تقدم نجد أن عنصر استغلال الوقت من عناصر البناء الحضاري التي دعت إليها نصوص الكتاب والسنة ، وأن إحساس المؤمن بقيمة الوقت يجعله يحافظ على دقائقه وساعاته، فلا تذهب منه سدىً، ولا تضيع هدراً لأنه رأس ماله الذي لا يعوض، لذلك فهو يسعى إلى القيام بالأعمال النافعة التي تقوم مقامه بعد موته.

---

(1) المستدرك واللفظ له، الحاكم، كتاب الرقاق، رقم ٧٨٤٦، ج٣٤١/٤، وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ، مسند الشهاب، القضاعي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، رقم ٧٢٩، ج٤٢٥/١، شعب الإيمان، البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، رقم ١٠٢٤٨، ج٢٦٣/٧، صحيح الجامع الصغير، الألباني، المكتب الإسلامي، رقم ١٩٥٧، ج١٩٦/١، وقال الشيخ الألباني: حديث صحيح .

(2) فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية، مصر، ط١، حديث رقم ١٢١٠، ج١٦/٢ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

وقد وجه النبي صلى الله عليه وسلم الأمة، إلى ضرورة استثمار الزمان والمكان حتى آخر لحظة من العمر، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(إن قامت الساعة، وبيد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها، فليفعل)**[1] .

يتضمن هذا الحديث الأمر باستثمار الزمان والمكان حتى آخر لحظة من العمر، فالنبي صلى الله عليه وسلم يؤكد على ضرورة العمل والإبداع، واستغلال الطاقات الكونية بالإعمار، واغتنام الوقت في أفعال الخير التي تحقق للأمة الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة، حتى آخر لحظة من العمر .

" فالوقت هو حجر الزاوية، وهو الكلمة السحرية، التي إذ أحسن استعمالها وغلا ثمنها، وحسبت بالثواني والدقائق، أنتج الفرد وتقدمت الأمم، وبنيت الحضارات، وإذا أسيء استعمالها، واستوت فيها الدقائق والأيام مع السنين والأعمار، وصارت بسعر التراب، تعطلت الأفراد واضمحلت الأمم، وخربت البلاد " [2] .

وخلاصة الأمر إن الإحساس بقيمة الزمان والمكان له أهمية كبيرة في الحفاظ على استمرار الحضارة وبقائها، فالأمة التي لا تحسن استغلال مواردها وطاقاتها، ولا تحسن استثمار وقتها في العمل من أجل التقدم والازدهار ونيل رضوان الله، لا يمكن لها العيش بأمن واستقرار .

---

(1) مسند أحمد واللفظ له، رقم ١٣٠٠٤، ج٣/١٩١، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم، الأدب المفرد، رقم ٤٧٩، ج١/١٦٨، مسند الطيالسي، دار المعرفة، بيروت، رقم ٢٠٦٨، ج١/٢٧٥، والحديث سبق تخريجه .

(2) أساسيات الثقافة الإسلامية، الصادق عبد الرحمن الغرياني، ص٤٣ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

المبحث الحادي عشر

الشورى والمشاركة في صنع القرار

لقد رغّب الإسلام بالشورى وحث عليها وذلك لما لها من دور بارز في تحقيق مصالح العباد، والحفاظ على استمرار الحضارة الإسلامية واستقرارها .

فالشورى هي تقليب الآراء المختلفة ووجهات النظر المطروحة -في قضية من القضايا- واختبارها من أصحاب العقول والإفهام حتى يتوصل إلى الصواب منها، أو إلى أصوبها وأحسنها ليعمل به حتى تتحقق أحسن النتائج[1] .

ومجالات الشورى متعددة ومتنوعة، وشاملة لجميع مجالات الحياة الإنسانية، في الحكم والقضاء والإدارة والبيت والشؤون الخاصة، وبين جميع الناس .

وقد ثبتت مشروعية الشورى في الكتاب والسنة النبوية، قال تعالى: ﴿*وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾[2].

في الآية الكريمة دلالة لطيفة في الجمع بين فريضة الصلاة والشورى، وهي كما أن الصلاة عمود الدين وفريضة من فرائضه، فالشورى عمود النظام السياسي وفرض من فرائضه أيضاً، وهذا يدل على أننا مأمورون بها[3] .

قال ابن عاشور: والمشاورة تكون في مراتب المصالح كلها، وهي مصالح العائلة، ومصالح القبيلة أو البلد ومصالح الأمة[4] .

فالناس شركاء في بناء الحضارة، شركاء في صنع القرار، ولأهمية الشورى في النظام السياسي، سميت سورة كاملة في القرآن الكريم بسورة الشورى، ولتعزيز الشورى في نظام الحكم جاء أمر من الله، قال تعالى: ﴿ ...وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ...﴾[5] .

---

(1) النظام السياسي في الإسلام، محمد أبو فارس، دار الفرقان، عمان، ١٩٨٩م، ص٧٩ .
(2) سورة الشورى، آية ٣٨ .
(3) أحكام القرآن، أحمد بن علي الرازي الجصاص، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج٢٦٣/٥ .
(4) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج٨٤٩/١ .
(5) سورة آل عمران، آية ١٥٩ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

وشاورهم في الأمر: أي في أمر الحرب إذ هو المعهود، أو فيه وفي أمثاله مما تجري فيه المشاورة عادة، استظهاراً بآرائهم وتطيباً لقلوبهم وتمهيداً لسنة المشاورة للأمة[1].

قال ابن العربي: والشورى ألفة للجماعة، ومسبار[2] للعقول، وسبب للصواب، وما تشاور قوم إلا هدوا[3] .

فالقرآن الكريم جاء ناطقاً وآمراً بالشورى، كأساس من أسس نظام الحكم في الإسلام، والمسلمون مطالبون شرعاً بالتقيد بما جاء به الشرع، وليس الأمر وقفاً على رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل هو أمر من الله تعالى لجميع المسلمين، ليتشاوروا فيما بينهم في جميع الأمور التي تسهم في إنهاض الأمة الإسلامية فكرياً وعملياً، وحثها على استعمال طاقاتها الفكرية للوصول إلى الصواب وتجنب الخطأ ومزالقه .

فللشورى دور بارز في الحفاظ على استقرار الحضارة واستمرارها، وذلك لما لها من الأهمية في توجيه الطاقات البشرية نحو الصواب، وإبعادها عن مسببات الهلاك والدمار.

وقد كانت الشورى موضع اهتمام المصطفى صلى الله عليه وسلم، يظهر هذا من خلال أقواله التي أكد فيها على أهمية الشورى، ومن خلال حرصه على مشاورة أصحابه في كثير من الشؤون التي تهم الأمة.

فقد حث النبي صلى الله عليه وسلم على الشورى ورَغّب بها، وهناك الكثير من النصوص التي عرضت كيف كان صلى الله عليه وسلم يمارس المشاورة مع أصحابه تشريعاً للأمة في معظم شؤون المسلمين، وهناك الكثير من المواقف التي طالب فيها عليه الصلاة والسلام المسلمين بتقديم الرأي ومن ذلك :

---

(1) تفسير أبي السعود، أبو السعود، ج١٠٥/٢ .
(2) المسبار: ما يعرف به غور الأشياء وعمقها، غريب الحديث، الحربي، ج٧٥٥/٢، المعجم الوسيط، ج٤١٥/١ .
(3) أحكام القرآن، أبو بكر محمد بن العربي، دار المعرفة، بيروت، ط١، ص١١٦٨ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

مشاورة النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه يوم أحد في المقام والخروج، فرأوا لـه الخروج، فلما لبس لأمته وعزم قالوا أقم، فلم يَمِل إليهم بعد العزم وقال: **(لا ينبغي لنبيٍّ يلبسُ لأمَتَهُ[1] فيضعُهَا حتى يحكُمَ الله)**[2] .

فهذا نص صريح في ممارسة النبي صلى الله عليه وسلم للشورى، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يستشير أصحابه في كل شيء، حتى في أخص أموره، ولعل من أبرز الأمثلة على ذلك استشارته صلى الله عليه وسلم للصحابة في حادثة الإفك، فعن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال: **(ما تشيرون عليَّ في قوم يسبون أهلي، ما علمت عليهم من سوء قط)**[3].

قال ابن حجر: والحاصل أنه استشارهم فيما يفعل بمن قذف عائشة رضي الله عنها[4] .

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أكثر الناس استشارة لأصحابه، فكان يشاورهم عند إبرام المعاهدات، وعند اتخاذ قرارات الحرب ووضع الخطط الحربية وغير ذلك من الأمور التي تهم الجماعة المسلمة، ففي معركة الخندق فكر الرسول صلى الله عليه وسلم في عقد معاهدة مع قبيلة غطفان من أجل إضعاف صفوف المشركين، إلا أنه عدل عن رأيه هذا حينما استشار في ذلك سعد بن معاذ وسعد بن عبادة زعيما الأوس والخزرج [5].

فصرف النبي صلى الله عليه وسلم نظره عن إبرام هذه المعاهدة تقديرا لرأييهما.

وقد اعتاد النبي صلى الله عليه وسلم أن يشاور المسلمين حينما يعزم على وضع خطة الحرب، ففي معركة الخندق مثلاً تبنى رأي سلمان الفارسي حينما أشار عليه بحفر خندق حول المدينة لحمايتها من هجوم المشركين[6].

---

(١) لأمته: السلاح، ولأمة الحرب أداته، النهاية في غريب الحديث، ج٤/٤١٤

(٢) صحيح البخاري واللفظ له، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول الله تعالى: وأمرهم شورى بينهم، ج٦/٢٦٨٣، مسند أحمد، رقم ١٤٨٢٩، ج٣/٣٥١ .

(٣) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول الله تعالى: وأمرهم شورى بينهم، رقم ٦٩٣٦، ج٦/٢٦٨٣، صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب في حديث الإفك، رقم ٢٧٧٠، ج٤/٢١٢٩ .

(٤) فتح الباري، ابن حجر، ج١٣/٣٤٣ .

(٥) السيرة النبوية،ابن هشام ،ج٢/١٩٠،الطبقات الكبرى ،ابن سعد،ج٢/٦٩.

(٦) المرجع السابق ،ج٢/٢٢٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

وفي معركة بدر تبنى النبي صلى الله عليه وسلم رأي الحباب بن المنذر حينما أشار عليه بتغير الموقع الذي اختاره لأرض المعركة[1].

نستنتج مما تقدم أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يلجأ للشورى عندما تستدعي مصلحة المسلمين ذلك وفي المسائل كافة، وما ذلك إلا من أجل الوصول إلى أفضل الآراء وأصوبها، للحفاظ على هيبة الأمة وحمايتها من الأخطار التي تهددها.

" فقد أصّل الرسول صلى الله عليه وسلم الشورى في المجتمع المسلم، بأقواله وأفعاله، وسار على هديه الصحابة والتابعون ومن تبعهم من سلف الأمة، حتى أصبحت الشورى سمة أصلية من سمات المجتمع المسلم.

وإذا رجعنا لسيرة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نجد أن مجلس الشورى كان موجوداً في نظام الحكم وإن لم تطلق عليه هذه التسمية بلفظها " [2].

فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم أكثر العاملين بالشورى، يلجأ إليها في مختلف المسائل التي لم ينزل فيها وحي، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: **(ما رأيتُ أحداً أكثرَ مشورةً لأصحابهِ، من رسول الله صلى الله عليه وسلم)**[3] .

فهذا الحديث يدل على أهمية الشورى، وأنها موضع اهتمام المصطفى صلى الله عليه وسلم، وذلك لما لها من الآثار الإيجابية التي تعود على الأمة بالخير والعطاء، ولا شك أن كثرة ممارسة النبي صلى الله عليه وسلم الشورى تدل على أهميتها في البناء الحضاري للدولة والأمة معاً، ويدل أيضاً على ضرورة هذا النشاط السياسي لسير الحياة الإسلامية سيراً شرعياً، وحتى تستمر النهضة في طريق الصعود لما فيه مصلحة البلاد والعباد، وذلك ضمن المنهج الذي رسمه الإسلام للأمة الإسلامية .

وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم إلى الصدق والأمانة في تقديم المشورة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (المستشار مؤتمن)**[4].

---

(1) السيرة النبوية ،ابن هشام ، ج٦٢٠/١.

(2) الشورى، محمود الخالدي، دار الجيل، بيروت، ط١، ص١٥ .

(3) سنن الترمذي واللفظ له، كتاب الجهاد، باب المشورة، رقم ١٧١٤، ج٣٣٠/٣، وقال: حديث حسن، سنن البيهقي الكبرى، رقم ١٨٥٨٧، ج٢١٨/٩، مصنف عبد الرزاق الصنعاني، رقم ٩٧٢٠، ج٢٢٠/٥ .

(4) سنن الترمذي ، كتاب الأدب ، باب المستشار مؤتمن ، رقم ٢٨٢٢،ج١٢٥/٥ ، وقال حديث حسن ، سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب في المشورة ، رقم ٥١٢٨،ج٧٥٥/٢، سنن ابن ماجة ، كتاب الأدب ، باب المستشار مؤتمن ، رقم ٣٧٤٥،ج١٢٣٣/٢، وقال الألباني: حديث صحيح ، السلسلة الصحيحة ، رقم ٣٠١٩، ج٣٠٨/٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

قال الطيبي: معناه أنه أمين فيما يُسأل من الأمور، فلا ينبغي أن يخون المستشير بكتمان مصلحته. [1].

أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يربي الأمة على الصدق والأمانة في تقديم المشورة، من أجل الوصول بهم إلى أفضل النتائج، التي تحقق لهم الخير والفلاح، وتبعدهم عن مزالق الانحراف والضلال، ولا شك أن اعتماد الشورى في حياة الإنسان ومعاملاته، يصوّب جهده في العمل المنتج، ويحفظ للأمة استمرارها واستقرارها، ويبعدها عن كل ما يسبب هلاكها ودمارها.

" فالشورى هي الطريق السليم التي يتوصل بها إلى أصوب الآراء والحلول، لتحقيق مصالح الأفراد والجماعات والدول، وهي الطريق الصحيح لمعرفة الحقيقة، وجلاء الأمر وتوضيح السبيل، وهي أثر طبيعي لاحترام، الإسلام للعقل، وهي مظهر من مظاهر المساواة بين المسلمين، وحرية الرأي والنقد، وفي الشورى عصمة لولي أمر المسلمين من الإقدام على أمور تضر بالأمة، ولا يشعر هو بضررها، كما أن في الشورى تذكير للأمة بأنها صاحبة سلطة، وتذكيراً للحاكم بأنه وكيل عنها في مباشرة السلطة، وأخيراً فإن رأي الجماعة أقرب إلى الصواب من رأي الفرد، وإن من أهم أسباب تخلف الأمة الإسلامية هو ابتعادها عن حكم الشورى، وعدم مشاركتها في تحمل التبعات " [2] .

وقد سار الخلفاء من بعد النبي صلى الله عليه وسلم على نهجه في الشورى، يقول البخاري: (وكانت الأئمة بعد النبي صلى الله عليه وسلم، يستشيرون الأمناء من أهل العلم في الأمور المباحة، ليأخذوا بأسهلها، فإذا وضح الكتاب أو السنة، لم يتعدوه إلى غيره، إقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم، ورأى أبو بكر قتال مانعي الزكاة، فقال عمر: كيف تقاتل وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمرت أن أقاتل الناس، حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوا لا إله إلا الله، عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها)[3]. فقد استشار أبو بكر الصديق عمر بن الخطاب في قتال أهل الردة، واستقر الرأي في نهاية المطاف على قتالهم، فكان هذا القتال طريقا لعزة الإسلام وأهله، فعلى الأمة لكي تسير في طريق الخير والرشاد، أن تعتمد الشورى في كافة مجالات الحياة، حتى يتحقق لها التقدم والازدهار والعيش بأمن واستقرار.

---

[1] عون المعبود ، ج١٤/٢٥ .
[2] انظر: نظام الحكم في الإسلام، عارف خليل أبو عيد، ص٢٣٨ .
[3] صحيح البخاري ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب قول الله تعالى: وأمرهم شورى بينهم ، ج٦/٢٦٨١ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

الفصل الرابع :- عوامل انهيار الحضارات في السنة النبوية

المبحث الأول : غياب الوازع الديني وضعفه

المطلب الأول: الشرك والضلال وتعطيل العبادات

المطلب الثاني: انحسار الإعداد العسكري

المطلب الثالث: تضاؤل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

المطلب الرابع: التحلل الخلقي والسلوكي

المطلب الخامس: إسناد الأمر إلى غير أهله

المبحث الثاني : ضعف الوعي الديني

المطلب الأول: غياب العلم وانتشار الجهل والتقليد

المطلب الثاني: الغلو والتشدد والجدل

المطلب الثالث: طغيان القبلية والإقليمية على مفهوم الأمة

المطلب الرابع: الظلم الاجتماعي

المطلب الخامس: الاختلاف

المبحث الثالث : الفساد

المطلب الأول: الفساد السياسي

المطلب الثاني: الفساد الاقتصادي

المطلب الثالث: الفساد الإداري

المبحث الرابع : الترف والنزعة المادية الصرفة

المطلب الأول: الترف

المطلب الثاني: النزعة المادية الصرفة

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library Yarmouk University
www.manaraa.com

الفصل الرابع

عوامل انهيار الحضارات في السنّة النبوية

تمهيد :

من قوانين الله السارية في خلقه أن لكل مخلوق أجلاً، وان لكل حادث نهاية، وهذه الآجال محدودة ومقدرة، سواء كانت أجلاً للأفراد أو للشعوب والجماعات، وإذا كانت هذه الآجال ترى بوضوح بالنسبة للأفراد، فأن للأمم والحضارات آجالاً مؤقتة كذلك، ولكنها قد تطول أكثر من آجال الأفراد، حيث يمتد أجل الأمة عدة أجيال، وإذا كانت العلل الصحية والأمراض الجسمانية علامات تنذر بقرب آجال الأفراد، فأن ظلمات المعاصي وعلل الانحراف عن منهج الله عز وجل هي من أكثر الأسباب تعجيلا لحياة الأمم والشعوب، فهي مقدمات تستتبعها نتائجها حتما.

وقد نبه القرآن الكريم على كثير من العوامل التي تؤدي إلى هلاك الأمم والشعوب، قال تعالى:(***وتلك القرى أهلكناهم لمّا ظلموا وجعلنا لمهلِكِهم موعِداً***)[1].

ونبه المصطفى صلى الله عليه وسلم أيضاً على العوامل التي تؤدي إلى ضعف الأمة وانهيارها، ودعا إلى الاعتبار بأحوال الأمم السابقة التي حلّ بها الهلاك والدمار بسبب انحرافها عن منهج الله عز وجل، وحذر الأمة من السير في طريقهم حتى لا يصيبها ما أصابهم من ألوان البلاء وأنواع الهلاك والدمار، فأشتمل الإسلام على منهج واضح يضمن لمن يلتزم به السير في طريق المجد والعزة.

والواقع أن العالم اليوم يعيش حالات من الهبوط الحضاري في شتى نواحي الحياة، حتى إنه لم يسلم منه مجتمع من المجتمعات، وما ذالك كله إلا بسبب الابتعاد عن هدي الإسلام وتعاليمه، والجهل بالسنن التي تؤدي إلى هلاك الأمم والأفراد وتدمير حضارتهم.

---

[1] سورة الكهف ،آية ٥٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

لذلك أردت أن ابرز في هذا الفصل بعض التوجيهات النبوية التي تكسب المرء المعرفة والإلمام بكثير من الجوانب التي تؤدي بالأمة إلى الضعف والانهيار.

وقبل الحديث عن عوامل تدهور الحضارات، لا بد من الوقوف على الملاحظات التالية التي نبه إليها الدكتور عماد الدين خليل عند حديثه عن تدهور الحضارة الإسلامية:

وأولى هذه الملاحظات: هي أن الانهيار لا يعني بالضرورة السقوط النهائي، والانسحاب من الميدان، على الأقل بالنسبة لحضارة كالحضارة الإسلامية، لأن الذي يتعرض للانهيار بالنسبة للحضارة الإسلامية هو الفعل الحضاري نفسه، وليس أصوله العقدية بطبيعة الحال .

والملاحظة الأخرى: هي أن الانهيار لا يحدث فجأة أو عبر فترات زمنية قصيرة، وإنما تتجمع روافده من هنا وهناك، خلال أزمان متطاولة في أغلب الأحيان قد تستغرق القرون الطوال، فظاهرة التدهور الحضاري تتشكل ببطء وعلى مكث، وتسهم في صنعها عوامل ومؤثرات شتى: عقدية وسياسية وإدارية واقتصادية واجتماعية وجغرافية وأخلاقية وغير ذلك من العوامل .

أما الملاحظة الثالثة: فهي أن الحضارات كافة، بما فيها الإسلامية، عرضة لتحديات التدهور والانهيار بمجرد غياب شروط الفعل الحضاري، وليس ثمة حصانة إلهية مسبقة لهذه الحضارة أو تلك بسبب نزوعها الديني أو الإيماني، فإن استمرارية الحضارة رهن بما يصنعه أبناؤها أنفسهم في ضوء جملة من الضوابط والمعايير والعوامل التي إذا سيء التعامل معها سيقت الحضارة إلى مصيرها المحتوم[1] .

فسنة الهلاك لها أسبابها الخاصة، والتي هي بمثابة مقدمات متى وجدت في الأمم البشرية تبعتها نتائجها حتماً، وهذه الأسباب ترجع إلى الشرك والضلال، وانحسار الجهاد، وتضاؤل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإسناد الأمر إلى غير أهله، وإلى غياب العلم، والظلم الاجتماعي، والفساد السياسي والإداري، وغير ذلك من عوامل انهيار الحضارة، وهذا ما سوف أتناوله في المباحث التالية من هذه الرسالة . إن شاء الله تعالى .

---

[1] انظر: مدخل إلى الحضارة الإسلامية، عماد الدين خليل، ص١٤٩- ١٥٠ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library- Yarmouk University
www.manaraa.com

المبحث الأول

غياب الوازع الديني وضعفه

بينت في مبحث سابق، أثر العامل الديني في قيام الحضارة وأنه هو الأساس في إعمار الأرض، وأن من سلك طريق الله واتبع دينه فاز ونجا، وأن من ترك هداية الله وسلك طريق الشيطان هلك وظل ظلالاً بعيداً .

وسوف أتناول في هذا المبحث إن شاء الله تعالى أثر الانحراف عن منهج الإسلام وشريعته في انهيار الحضارة وذلك من خلال المطالب التالية :

المطلب الأول :- الشرك والضلال وتعطيل العبادات .

إن سلسلة تفكك عرى الحضارة الذي قد يصل إلى انهيارها، يكمن أساساً في لب العقيدة الفاسدة المحركة لعجلة الحضارة، وما يتفرع عن هذه العقيدة من تصورات ومفاهيم منحرفة .

فالإيمان أساس الصلاح، والكفر أساس الفساد قال تعالى: **﴿*أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىَ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾**[1] .

فالانحراف في العقيدة يعتبر القاعدة الأساسية التي انطلقت منها جميع الانحرافات والتصورات الخاطئة والفساد المتعدد، ابتداءً من الأمم السحيقة التي تحدث عنها القرآن الكريم وانتهاء بجاهلية الحضارة المادية المعاصرة، فالإنسان في هذه الجاهليات كلها شاذ ومنحرف في فكره وفي فهمه للحياة، وتفسيره للوجود التفسير المادي[2] .

---

(1) سورة التوبة، آية ١٠٩ .

(2) رسالة ماجستير بعنوان: عوامل فساد الأمم كما يصورها القرآن الكريم، فايز صالح الخطيب، جامعة الأزهر، ١٩٩٨، ص٨٠ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

والكفر يعد المعول الأول في هدم الحضارة، وأيما حضارة قامت على الكفر هي في الحقيقة تحمل سبب انهيارها، وعامل أفولها وهي حضارة معاندة لسنن الله في الخلق والتكوين، ومصادمة للفطرة الإنسانية التي فطرت على الإيمان بالله تعالى .

والكفر مدمر للحضارة وإن لمعت بين ثناياها زخارف الدنيا أو ظهرت زينتها الخلابة، قال تعالى: ﴿...وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[1] .

" فالأمة التي تأخذ بأسباب المجد والعزة، وتمشي في طريق النجاة والسلامة مستهدية بهدي الله عز وجل وشرعه، تسعد وتنصر، ويعمّها الأمن والرخاء ويزيدها الله قوة إلى قوتها وعزة إلى عزها .

أما إذا استدبرت طريق الله وجانبت شرع الله وسارت في طريق الهلاك والضلال هلكت وضلّت وأصابها الذل والهوان، والخزي والخسران وعمتها الكروب وهي حصيلة الذنوب وعصيان علام الغيوب " [2] .

" ومن الطبيعي أن أي خلل يصيب مفهوم التوحيد، أو غبار قد يعلق به، يقود بالضرورة إلى حالة السلب المقابلة التي تملأ الفراغ والفجوات بأوهامها وظنونها، وهي في هذه الحالة استدعاء لمختلف صنوف الشرك والصنمية والطاغوتية، التي تبتز الإنسان المسلم وتستلب روحه وقدرته الفعالة، وتهدر حريته وكرامته، وتفقده القدرة على الفعل والإبداع والعطاء، كما أنها تفقده الأداء الحضاري وحدته وتماسكه وتميزه، وتدفعه إلى المزيد من الترهل والتفكك والسكون " [3] .

ويعد الشرك من أعظم الأسباب التي تؤدي إلى هلاك الأمم، فبسببه ورد كثير من الأمم موارد الهلاك، واستحقوا العقوبة في العاجلة قبل الآخرة، وصاروا عبرة وعظة لمن

---

(1) البقرة، آية ١٢٦ .
(2) أثر الذنوب في هدم الأمم والشعوب، محمد محمود الصواف، دار الاعتصام، ط١، ص٨ .
(3) مدخل إلى الحضارة الإسلامية، عماد الدين خليل، ص١٥٦- ١٥٧ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

بعدهم[1]، قال تعالى: ﴿*قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ﴾[2].

ففي هذه الآية يأمر الله نبيه أن يخاطب هؤلاء المشركين من أمته ليسيروا في الأرض وينظروا إلى مساكن من قبلهم ممن كان عاقبته الهلاك، والبوار، ليعتبروا بذلك ويتعظوا وينتهوا عما هم عليه من الشرك، وقد ختمت الآية بقوله تعالى:(*كان أكثرُهم مشركين *) لبيان السبب الذي أورد أولئك الأمم هذه العاقبة السيئة، وذلك السبب هو شركهم بالله تعالى[3].

وقد بين القرآن الكريم أيضاً أن الذنوب من أكثر الأسباب التي تؤدي إلى حلول المصائب بالأمة.

قال تعالى:(*وما أصابكُم من مصيبةٍ فبما كسبت أيدِكُم ويعفو عن كثير *)[4]،أي أن ما أصابكم أيها الناس من مصائب الدنيا كالمرض وسائر النكبات والأحوال المكروهة نحو الآلام والأسقام والقحط والغرق وأشباهها فهو بسبب معاصيكم التي اكتسبتموها[5].

وقد بين المصطفى صلى الله عليه وسلم أن الشرك والضلال من أسباب هلاك الأمة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**اجتنبوا السَّبعَ الموبقاتِ)، قالوا: يا رسول الله وما هنَّ ؟ قال: (الشّرك بالله، والسِّحر، وقتلُ النَّفس التي حرَّم الله إلا بالحقِّ، وأكل الرِّبا، وأكل مال اليتيم، والتَّولي يَومَ الزَّحفِ، وقذفُ المُحصنات المُؤمنات الغافِلات)**[6] .

---

(1) أسباب هلاك الأمم السالفة كما وردت في القرآن الكريم، سعيد محمد باباسيلا، دار ابن الجوزي، الرياض، ط١، ٢٠٠٠م، ص١٠٧، وهي في الأصل رسالة ماجستير .

(2) سورة الروم، آية ٤٢ .

(3) أسباب هلاك الأمم السالفة ،سعيد محمد باباسيلا ،ص١٠٨.

(4) سورة الشورى ،آية ٣٠.

(5) روح المعاني ،الألوسي،ج٢٥/٤٠.

(6) صحيح البخاري واللفظ له، كتاب الوصايا، باب قول الله تعالى: (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما)، رقم ٢٦١٥، ج١٠١٧/٣، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر، رقم ٨٩، ج٩٢/١ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

فقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن الشرك والضلال، والانحراف عن طريق الحق يؤدي إلى هلاك الأمة في الدنيا والآخرة .

" فالشرك بالله يؤدي إلى فساد الإيمان الذي يؤدي إلى فساد العمل، وبالتالي فمهما كان العمل صالحاً فإن الشرك يفسده، كما يفسد السم الطعام، ويفسد كذلك على صاحبه الاطمئنان القلبي، والأمن النفسي، فتتحول حياة صاحبه إلى شقاء ونكد، وإن كان في رغد من العيش المادي وسعة من الرزق " [1] .

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن الله عز وجل لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالص لوجهه تعالى، فعن أبي **هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاءِ عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري، تركته وشركَهُ)**[2].

يبين النبي صلى الله عليه وسلم أن الشرك بالله سبب في عدم قبول الأعمال، فالذي يعمل الأعمال الصالحة ولا تكون نيته خالصة لله تعالى، فانه يحرم الأجر والثواب من عند الله تعالى، ويحرم العون والتوفيق في الدنيا والآخرة.

وللشرك أيضا آثاره السلبية على المجتمع حيث إنه يجرُّ إلى النزاع الفكري ثم إلى الصراع العقائدي، الذي ينتهي بهم إلى الصراع العسكري مع ما يخلفه ذلك من الفساد والدمار في المجتمع .

ولهذا فإن الله تعالى أوجب تفريده في الطاعة، وحرم الشرك به، ليحفظ المجتمع البشري من الدخول في مواجهات وصراعات تحقق هدف الشيطان في هذه الحياة الدنيا [3].

وكذلك فان الأعراض عن منهج الإسلام وشريعته، وعدم التزام أوامر الشريعة، يعرض الإنسان لعقوبة الله عز وجل في الدنيا ولآخرة.

---

(1) أهمية التوحيد وخطر الشرك، زكريا عبد الرزاق المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٩٤م، ص١٠٩ .
(2) صحيح مسلم واللفظ له ، كتاب الزهد ،باب من أشرك في عمله ، رقم ٢٩٨٥، ج٤/ ، ٢٢٨٩سنن ابن ماجة ،كتاب الزهد، باب الرياء والسمعة ، رقم ٤٢٠٢، ج٢/١٤٠٥ .
(3) أهمية التوحيد وخطر الشرك ، زكريا عبد الرزاق المصري ، ص١١١ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

قال تعالى: (*ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى* قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا* قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى* وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى*)[1].

فالمُعرض عن ذكر الله له المعيشة الضنك أي الضيقة في الدنيا، لأن الضنك أصله الضيق والشدة، فلا طمأنينة له ولا انشراح لصدره، بل صدره ضيق حرج لضلاله، وإن تنعم ظاهره ولبس ما شاء وأكل ما شاء وسكن حيث شاء، فإن قلبه ما لم يعمره هدى الله لا يحس بسعادة ولا بطيب العيش[2].

فالشرك من أعظم الذنوب التي تدمر الإنسان وتقضي على حضارته، عن أنس رضي الله عنه قال: سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الكبائر قال: (الإشراكُ باللهِ، وعقوقُ الوالدين، وقتلُ النفس، وشهادةُ الزور)[3].

فللشرك والضلال أثر عظيم في القضاء على الحضارات الإنسانية، وذلك لأن الإنسان المشرك لا يفرق بين الحلال والحرام، وأكبر همه التمتع بملذات الدنيا وشهواتها، ولا شك أن ذلك يدفعه إلى ارتكاب المعاصي والمنكرات والإفساد في الأرض، فيترتب على ذلك سقوط الحضارات وانهيارها.

" فالشرك فيه الهلاك والضياع، فرفض الدين والتمرد على الفطرة، يوقع الناس حتماً شاءوا أم أبوا في عبادة الفرد وإتباع الهوى، فالدين إذاً هو صمام الأمان للإنسان، بدوياً كان أم حضرياً، وسواء كانت حضارته في مستوياتها الدنيا أم في مستوياتها العليا، أما إذا لم يرتبط الناس بدين سماوي، فإن حضارتهم صائرة حتماً إلى زوال مهما ارتقت، ووقائع التاريخ خير شاهد على ذلك في القديم والحديث " [4] .

---

(1) سورة طه ،آية ١٢٤-١٢٧ .
(2) روح المعاني، الألوسي، ج٢٧٧/١٦ .
(3) صحيح البخاري واللفظ له ، كتاب الشهادات ، باب ما قيل في شهادة الزور ، رقم ٢٥٢٠،ج٩٣٩/٢ ، صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان الكبائر ، رقم ٨٧ ، ج٩١/١ .
(4) حضارات ورد ذكرها في القرآن الكريم والسنة النبوية، عبد الحكم عبد اللطيف الصعيدي، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط١، ١٩٩٦م ، ص٣٦ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن من أسباب هلاك الأمم، الإسراف في الذنوب وتعطيل العبادات وعدم تحكيم شرع الله عز وجل .

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: أقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: **(يا معشرَ المهاجرينَ، خَمسٌ إذا ابتُليتُم بهنَّ، وأعوذُ باللهِ أن تدرِكوهُنَّ: لم تظهَرَ الفاحِشَةُ في قومٍ قطُّ، حتَّى يُعلنوا بها، إلا فَشَا فيهم الطَّاعُون والأوجاعُ التي لم تكن مَضَتْ في أسلافِهِم الذين مَضَوا، ولم ينقُصُوا المِكيال والمِيزانَ إلا أُخِذُوا بالسِّنينَ وشدة المَئُونَةِ وجورِ السُّلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاةَ أموالِهِم، إلا مُنِعُوا القَطْرَ من السماء، ولولا البهائم لم يمطرُوا، ولم ينقُضُوا عهد الله وعهد رسوله، إلا سلَّط اللهُ عليهم عدواً من غيرهم، فأخذوا بعضَ ما في أيديهِم، وما لم تحكم أئمتُهُم بكتابِ اللهِ، ويَتخيَّروا مما أنزَلَ اللهُ، إلا جعل اللهُ باسَهُم بينَهُم)**[1] .

فالنبي صلى الله عليه وسلم يحذر الأمة في هذا الحديث من التعرض لأسباب الهلاك، ويبين أن هلاك الأمة لا يكون إلا بسبب ذنوبها وابتعادها عن منهج الله عز وجل في كافة المجالات، ويحذر من تعطيل العبادات، ويبين أنها من أسباب حرمان الخير ومنع وصول النعمة إلى الأمة، فالحرمان من نعمة المطر لا يكون إلا بسبب ذنوب الأمة وتعطيلها لفريضة الزكاة، وكذلك فإن عدم العمل بهدي الإسلام والاحتكام إليه، سبب في تفكك الأمة وتسلط أعدائها عليها .

[1] سنن ابن ماجة واللفظ له، كتاب الفتن، باب العقوبات، رقم ٤٠١٩، ج٢/١٣٣٢ ، شعب الإيمان ، البيهقي ، رقم ١٠٥٥٠،ج٣٥١/٧، وقال الألباني: حديث حسن ، السلسلة الصحيحة، رقم ١٠٦،ج٢١٦/١، صحيح سنن أبن ماجة ، رقم٣٢٤٦، ج٣٧٠/٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

المطلب الثاني: انحسار الإعداد العسكري.

يعد انحسار الإعداد العسكري، من الأسباب التي تؤدي إلى انهيار الحضارة الإسلامية، فالأمة التي لا تتوافر لها السبل والوسائل التي تحول دون تسلط عدوها عليها، لا يمكن لها أن تعيش بأمن واستقرار، وتحفظ عزتها وكرامتها.

فالجهاد بالمال والنفس من فرائض الإسلام، ولكنه فريضة منسية من قبل أكثر المسلمين إن لم نقل عامتهم في الوقت الحاضر، مع أن الجهاد هو طريق النصر، ووسيلة لعزة الإسلام وأهله، ومحق الباطل وأنصاره، وتركه يفضي إلى غلبة الباطل وإذلال المؤمنين وذهاب قوتهم وزوال دولتهم .

وضعف الإيمان هو السبب المباشر في تعطيل الجهاد، فعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(يُوشِكُ أن تَدَاعَى عليكُم الأُمَمُ من كُلِّ أفق، كما تداعى الأكلةُ على قصعتها)، قال: قلنا: يا رَسولَ الله أمِنْ قِلّةٍ بنا يومئذٍ؟ قالَ: (أنتم يومئذٍ كثيرٌ، ولكن تكونون غُثاءً كَغُثاءِ السَّيْلِ[1]، ينتزع المهابة من قُلوبِ عدوِّكُم، ويَجعلُ في قلُوبِكُم الوَهْنَ)، قال قلنا: وما الوَهْنُ؟ قالَ: (حبُّ الحياةِ وكراهيةُ الموتِ)[2]** .

" فالحديث يشير إلى مؤامرة دولية، تتداعى فيها الأمم على المسلمين الذين أصبحوا لقمة سائغة لكل جائع أو طامع، وهذا ما صدقه الواقع الذي عايشناه، فقد اجتمع علينا الغرب والشرق، واليمين واليسار، وأهل الكتاب وأهل الإلحاد، ولم يكن هذا التداعي لقلة عدد المسلمين، بل هم كثرة وافرة، ولكنها كثرة غير مانعة ولا نافعة، أصدق وصف لها أنها (كغثاء السيل) والغثاء ما يحمل السيل من حطب وورق وأعواد وقش ونحو ذلك من الأشياء التي تتميز بخفتها وسطحيتها، وعدم تجانسها واندفاعها إلى غير هدف، وهذا يجعلها كثرة غير مهيبة ولا مرهوبة، بل أرشد الحديث إلى مكمن الخطر، وأصل العلة لدى الأمة، وهي علة نفسية وخليقة، قبل كل شيء وليست مادية ولا اقتصادية، إنها علة العلل، إنه الوهن الذي دخل على الأنفس فغيّرها وحطمها " [3].

فضعف الإيمان هو السبب المباشر في ضعف هيبة الأمة وتسلط عدوها عليها .

---

(1) الغثاء: هو ما يجيء فوق السيل مما يحمله من الزبد والوسخ وغيره، النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير، ج٦٤٣/٣ .

(2) سنن أبي داود، كتاب الملاحم، باب في تداعي الأمم على الإسلام، رقم ٤٢٩٧، ج٥١٤/٢، مسند أحمد واللفظ له، رقم ٢٢٤٥٠، ج٢٧٨/٥، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن، المعجم الكبير، رقم ١٤٥٢، ج١٠٢/٢، مسند الطيالسي، رقم ٩٩٢،ج١٣٣/١، شعب الإيمان ، رقم ١٠٣٧٢،ج٢٩٧/٧، وقال الألباني : حديث صحيح ، السلسلة الصحيحة، رقم ٩٥٨،ج٦٤٧/٢.

(3) السنة مصدرا للمعرفة والحضارة، يوسف قرضاوي، ص١٢١ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

وقد حذَّر الإسلام من ترك الجهاد والتقاعس عنه، لأن تركه يؤدي إلى إذلال المسلمين وذهاب عزهم وسقوط حضارتهم، قال تعالى: ﴿*إِلاَّ تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1] .

قال سيد قطب: والعذاب الذي يهددهم ليس عذاب الآخرة وحده فهو كذلك عذاب الدنيا: عذاب الذلة التي تصيب القاعدين عن الجهاد، والغلبة عليهم للأعداء والحرمان من الخيرات واستغلالها للعادين، وما من أمة تركت الجهاد إلا ضرب الله عليها الذل، فدفعت مرغمة صاغرة لأعدائها أضعاف ما كان يتطلبه منها كفاح الأعداء[2] .

وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم الأمة من ترك الجهاد والتقاعس عنه حتى لا تقع الأمة فريسة لأعدائها، وتبقى عزيزة قوية تخفق راية الحق فوق روابيها .

فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **(إذا تبايَعتُم بالعِينَةِ وأخذتُم أذنابَ البَقر، ورضِيتُم بالزَّرع، وتركتُم الجِهادَ، سلَّط اللهُ عليكم ذُلاً لا يَنزَعُهُ حتى تَرجِعُوا إلى دِينِكُم)**[3] .

فالنبي صلى الله عليه وسلم يبين في هذا الحديث أن ترك الجهاد يؤدي إلى انهيار حضارة المسلمين وإذلالهم وقهرهم من قبل عدوهم .

وهذا الحال تعانيه امتنا الآن فقد اشتغلت بالدنيا عن الجهاد، فضيعت العباد وضيعت البلاد، وأصبح الناس يعيشون ضيقاً وكرباً لا يدفع عنهم إلا بالعودة الفعلية إلى منهج الحق، وليس بالتمني يكون ذلك، بل بالعزم والتوكل والشجاعة .

ومن الأحاديث التي تؤكد ذلك أيضاً ما روي عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(مَنْ لَمْ يغزُ أو يُجَهِّز غازيا، أو يَخْلُف غازياً في أهلِهِ بخيرٍ، أصابهُ اللهُ سبحانه بقارعةٍ قبلَ يومِ القيامةِ)**[4] .

---

(1) سورة التوبة، آية ٣٩ .
(2) في ظلال القرآن، سيد قطب، ج١، ص٢٢٤ .
(3) سبق تخريجه .
(4) سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب كراهية ترك الغزو ، رقم ٢٥٠٣، ج١٣/٢، سنن ابن ماجة واللفظ له ، كتاب الجهاد، باب التغليظ في ترك الجهاد ، رقم ٢٧٦٢، ج٩٢٣/٢، وقال الدكتور بشار عواد: إسناده صحيح ، فالوليد بن مسلم قد صرح بالسماع ، فانتفت شبهة تدليسه . سنن الدارمي، رقم ٢٤١٨، ج٢٧٥/٢، وقال الألباني: حديث حسن ، صحيح سنن أبي داود، رقم ٢١٨٥،ج٤٧٥/٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
Arabic Digital Library- Yarmouk University
www.manaraa.com

أصابه الله بقارعة: أي بداهية مهلكة، قرعة أمر إذا أتاه فجاة[1] .

فالنبي صلى الله عليه وسلم يبين في هذا الحديث أن ترك الجهاد من أسباب نـزول العذاب بالأمة، وذلك لأن الأمة التي لا تقوى على صد عدوها، أمة رضيت بالذل والهـوان وأعطت عدوها الحق في أن يقهرها ويستولي على خيراتها، ولا شك أن هذا من اشد ألوان العذاب التي تعانيه الأمة في وقتنا الحاضر .

وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من ترك الجهاد، وعده سببا من أسباب نـزول العذاب بالأمة، **فعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم: (ما ترك قوم الجهاد إلا عمهم الله بالعذاب)**[2].

يبين النبي صلى الله عليه وسلم أن ترك الجهاد، من الأسباب التي تؤدي إلى تدمير حضارة الأمة، وذلك لان تعطيل الجهاد، يعني أن تصبح الأمة مقهورة من قبـل أعـدائها، يستغل خيراتها، ويستبيح أعراضها، ويقتل أبنائها.

وقد سار أبو بكر الصديق بعد توليه الخلافة، على نهج المصطفى صلى الله عليـه وسلم في الدعوة إلى الجهاد، والتحذير من تركه، فقد قال في أول خطبة له: **(لا يدع قـوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل)**[3].

فترك الجهاد سبب من الأسباب التي تقود الأمة إلى الذل والهوان، وهذا ما تعانيـه أمتنا الإسلامية اليوم، فقد تسلط علينا الأعداء من كل جانب، واستولوا على خيرات بلادنا، واستباحوا أعراض المسلمين ودمائهم ، في فلسطين والعراق وباكستان، وفي كل بقعة مـن بقاع الأرض، وما ذلك كله إلا بسبب تعطيل الأمة لفريضة الجهاد.

---

(1) عون المعبود، العظيم آبادي، ج١٣٠/٧ .

(2) المعجم الأوسط ، الطبراني ، رقم ٣٨٣١، ج١٤٨/٤. مجمع الزوائد ، الهيثمي ،رقم ٩٤٦٨، ج٥١٧/٥ ، وقال الألباني: حديث حسن، السلسلة الصحيحة ، رقم ٢٦٦٣، ج١٦٥/٦، صحيح الترغيب والترهيب ، ج٧١/٢ .

(3) السيرة النبوية ، أبن هشام ، ج٨٢/٦ ، البداية والنهاية ، أبن كثير ، ج٢٤٨/٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

المطلب الثالث :- تضاؤل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

إن التقاعس عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر معصية كبيرة وذنب عظـيم، ولا يمكن للأمة أن تقوم لها قائمة إلا إذا قامت بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فبه يحفظ أمر المجتمع من الانحلال والتردي والسقوط، ويأمن الناس من حلول الهلاك العام والعقاب الشامل الذي يعم الصالحين وغيرهم .

وقد بين القرآن الكريم والسنة النبوية، أن من أسباب هلاك الأمم وسقوط الحضارات ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى مبيناً أثر ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المستوجب الطرد من رحمة الله تعالى: **﴿*لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْـرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ(٧٨) *كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴾**[1] .

ويدخل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إقامة الحدود والتعزيرات في الأمـة فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر علاج طبي وأحياناً عملية جراحيـة لإعـادة الجـسم الإسلامي إلى صحته وسلامته[2].

ومن سنن الله تعالى: أن المنكر إذا ظهر ولم يغير، وسكت الناس عليه، نزلت نقمة الله بهم جميعاً الفاعلين لفعلهم، والساكتين لسكوتهم وتهاونهم في حق الله عز وجل، وهو ما نبه عليه القرآن بقوله: **﴿*وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾**[3] .

---

(١) سورة المائدة، الآيات ٧٨- ٧٩ .
(٢) أهمية التوحيد وخطر الشرك، زكريا عبد الرزاق المصري، ص٧٩ .
(٣) سورة الأنفال، آية ٢٥ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
©Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

وفسر العلماء (واتقوا فتنة) أي ذنباً، وفسر هذه الذنوب بإقرار المنكر في المجتمع، والمداهنة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وظهور البدع والتكاسل عن الجهاد[١].

وقد أكد القرطبي هذا المعنى فقال: جاء عن أبن عباس رضي الله عنهما، أنه قال في هذه الآية: " أمر الله المؤمنين أن لا يقروا المنكر بين أظهرهم فيعمهم العذاب" [٢].

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن من أسباب هلاك الأمم وانهيارها، ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه:**عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (والذي نفسي بيده، لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم)**[٣].

فالأمة التي تتهاون في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تعرض نفسها لغضب الله عز وجل واستحقاق عقابه، وتحرم نفسها الخير الكثير فلا يستجيب الله لها دعاء .

وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، في أي أمة من الأمم نذير لها بالهلاك والدمار، وذلك لأنه لن يستقيم أمرها، ولن تقوم لها قائمة، ولن تأخذ مكانها وعزتها بين الأمم، ما لم تقم بهذه الوظيفة، **فعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الناس إذا رأوا المنكر لا يغيرونه، أوشك أن يعمهم الله بعقابه)**[٤].

يدعو النبي صلى الله عليه وسلم الأمة إلى تغير المنكر وعدم إقراره، لأن التهاون في القيام به يؤدي إلى تطاول أهل الباطل، والتجرؤ على اقتراف المعاصي والمنكرات، فالعاصي حين يعلم أن فعله الشائن لن يؤآخذ عليه، فإنه يقترف المعصية بكل جرأة أمام أعين الناس دون أي اعتبار، أما إذا علم أن المجتمع سيؤاخذه ويأخذ على يديه، فإنه بلا شك سيرتدع .

---

(١) الكشاف ، الزمخشري ، ج٢/٢١١ .
(٢) الجامع لاحكام القرآن ، القرطبي ، ج٧/٣٩١ .
(٣) سنن الترمذي واللفظ له ، كتاب الفتن ، باب الأمر بالمعروف ، رقم ٢١٦٩، ج٤/٤٦٨، وقال : حديث حسن ، السنن الكبرى ، البيهقي، رقم١٩٩٨٦،ج١٠/٩٣، مسند أحمد ، رقم ٣٢٣٤٩،ج٥/٣٨٨، وقال شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره. وقال الألباني: حديث حسن ، صحيح الجامع الصغير ، رقم ١٣٠٢٦،ج١/١٣٠٣.
(٤) سنن أبن ماجة ، كتاب الفتن ، باب الأمر بالمعروف، رقم ٤٠٠٥،ج٢/١٣٢٧، مسند أحمد ، رقم ١٦،ج١/٥، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين ، مسند أبي يعلى ، رقم ١٢٨،ج١/١١٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن عدم الأخذ على يد الظالم يعرض الأمة للعذاب والهلاك، فعن أبي بكر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **(إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه، أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه)**[1].

فالسكوت عن المعاصي مع انتشارها، والإعلان بها من موجبات العقاب والهلاك، لأن السكوت عليها يغري أصحابها على التمادي فيها واستفحال أمرها، وانتشارها بكثرة، ويتأثر كثير من أفراد المجتمع بها حتى تصبح عندهم عادة، فيصبح معظم الناس منحلين أخلاقياً .

ومما يدل أيضاً على أن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أسباب هلاك الأمم وانهيارها ما روي عن زينب بنت جحش رضي الله عنها، أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها فزعاً يقول: **(لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه). وحلق بإصبعه الإبهام والتي تليها، قالت زينب بنت جحش: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: (نعم إذا كَثُر الخبث)**[2] .

قال النووي في شرحه لهذا الحديث: (الخبث) فسره الجمهور بالفسوق والفجور، وقيل المراد الزنا خاصة، وقيل أولاد الزنا، والأظهر أنه المعاصي مطلقاً، ومعنى الحديث أن الخبث إذا كثر فقد يحصل الهلاك العام وإن كان هناك صالحون[3] .

فالنبي صلى الله عليه وسلم يريد من الفرد أن يكون صالحاً في نفسه ومصلحاً لغيره، فالمسلم الحق لا يسمح لنفسه بأن ينظر بعينه للفساد الذي يعيش فيه مجتمعه، ويرى الفسق والفجور وارتكاب المحرمات في مجتمعه دون أن يعمل الصالحات ويأمر بها، ويتجنب السيئات وينهى عنها .

---

(1) سنن الترمذي واللفظ له، كتاب الفتن، باب نزول العذاب، رقم ٢١٦٨، ج٤/٤٦٧، سنن أبي داود، كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، رقم ٤٣٣٨، ج٢/٥٢٥، سنن ابن ماجة، كتاب الفتن، باب الأمر بالمعروف، رقم ٤٠٠٥، ج٥/٤٨١، وقال الدكتور بشار عواد: إسناده صحيح ، صحيح ابن حبان ، رقم ٣٠٤ ، ج١/٥٣٩، وقال الألباني: حديث صحيح ، صحيح سنن الترمذي، رقم ١٧٦١.

(2) صحيح البخاري واللفظ له، كتاب الأنبياء، باب قصة يأجوج ومأجوج، رقم ٣١٦٨، ج٣/١٢٢١، صحيح مسلم، كتاب الفتن، باب اقتران الفتن، رقم ٢٨٨٠، ج٤/٢٢٠٧ .

(3) شرح النووي على صحيح مسلم، ج١٨/٤ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library- Yarmouk University
www.manaraa.com

وإن من أعظم المنكرات وأقبحها، استبعاد شرع الله عز وجل عن واقع الحياة وعدم تحكيمه في حياة الناس، فإذا حصل هذا وسكت عنه الناس ولم ينكروه ولم يقاوموه، فإن الله سبحانه وتعال يجعل بأسهم بينهم، حيث يدب الخلاف والشقاق وفساد ذات البين حتى يقتلوا أو يسفكوا دماء بعضهم بعضاً، والأصل أن يكون بأسهم على عدوهم[1] .

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن الرضا بالمنكر وعدم مقاومته كان من أسباب هلاك بني إسرائيل، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه **قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي، نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا، فجالسوهم في مجالسهم وواكلوهم وشاربوهم، فضرب الله قلوب بعضهم على بعض. ولعنهم (على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون). قال: فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان متكئا فقال: لا والذي نفسي بيده حتى تأطروهم على الحق أطرا)**[2].

فعلماء بني إسرائيل انكروا المنكر بالسنتهم فقط، ولم يحاولوا تغيره بأي وجه من الوجوه، ودليل ذلك أنهم كانوا يجالسون أصحاب المعاصي والمنكرات بعد ما رأوا من فعلهم في اليوم السابق، فكان عاقبة ذلك هلاكهم وطردهم من رحمة الله تعالى، ويفهم من هذا أن الهلاك والدمار سيحل بالأمة، إذا قصرت في القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ورضيت بفعل أصحاب المعاصي والمنكرات.

فلا بد للأمة الإسلامية من السعي لتغير المنكر بكل الطرق المتاحة لها، لتحفظ حضارتها من الانهيار، عن **جرير رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:(ما من رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي، يقدرون على أن يُغيِّروا عليه فلا يغيروا، إلا أصابهم الله بعذاب من قبل أن يموتوا)**[3].

---

(1) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، محمد أبو فارس، دار الفرقان الأردن، ط٤، ١٩٨٧، ص٥٤ .

(2) سنن الترمذي واللفظ له ، كتاب التفسير ، باب سورة المائدة ، رقم ٣٠٤٧ ، ج٥/٢٥٢، وقال : حديث حسن غريب ، مسند أحمد، رقم ، ٣٧١٣، ج١/٣٩١ ، الطبراني في المعجم الكبير، رقم ١٠٢٦٥،ج١٠/١٤٦.

(3) سنن ابي داود واللفظ له ، كتاب الملاحم ، باب الأمر والنهي ، رقم ٤٣٣٩، ج٢/٥٢٦ ، سنن أبن ماجة ، كتاب الفتن ، باب الأمر بالمعروف ، رقم ٤٠٠٩ ، ج٢/١٣٢٩،وقال الدكتور بشار عواد: إسناده حسن، عبيد الله بن جرير مقبول حيث يتابع، وقد تابعه أخوه المنذر بن جرير بإسناد حسن إليه. مسند أحمد، رقم ١٩٢١٥،ج٤/٣٦١. صحيح أبن حبان، رقم ٣٠٠،ج١/٥٣٦. وقال الألباني: حديث حسن ، صحيح سنن أبن ماجة، رقم ٣٢٣٨،ج٢/٣٦٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

يبين النبي صلى الله عليه وسلم أن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبب في نزول العذاب بالأمة، وذلك لأن تركه يؤدي إلى انتشار المعاصي والمنكرات التي تهديد أمن المجتمع واستقراره.

فالسكوت على الزنا والفجور وشرب الخمر، والسرقة وغير ذلك من أنواع المعاصي والمنكرات، يؤدي إلى ضياع الأمة وتدمير حضارتها.

وكذلك فان الأمة التي ترضى بالاحتكام لغير شرع الله دون إنكار منها لذلك، تكون قد حكمت على نفسها بالهلاك والضياع، لان التشريعات التي مصدرها البشر ومهما بلغت من الدقة والإحكام فلن تكون صالحة لحفظ النظام على أكمل وجه، فيؤدي الاحتكام أليها إلى التقاتل والتنازع الذي يدمر الحضارة.

يقول الشيخ سعيد حوى: ومن عقوبات ترك الحسبة أن تفترق قلوب الأمة وتصطدم نفوسها، ولا يكون بينها تلاق على شيء أبداً، إذ بعد أن فقدت الحق الذي يجمع فإن الباطل طرقه كثيرة متفرقة... وعاقبة هذا كله الهلاك والموت، إذ عندما تفقد أمة الإسلام حياتها التي هي استجابتها لأمر الله ماذا يبقى لها[1] .

وخلاصة الأمر أن تعطيل واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعدم القيام به، يؤدي إلى انتشار المعاصي والمنكرات، واستفحال أسباب الفرقة والخلاف بين أبناء الأمة، ويمكّن أهل الباطل من ممارسة كل ما من شأنه إضعاف هيبة الأمة وتدمير حضارتها.

[1] أهمية الأمر المعروف والنهي عن المنكر، محمود محمد كمال، ص١٧٢ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

المطلب الرابع :- التحلل الخلقي والسلوكي .

يعتبر الفساد الأخلاقي من أعظم الأخطار لتي تهدد استمرار الحضارة، وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن التحلل الخلقي والسلوكي كان من أبرز الأسباب التي أدت إلى هلاك الأمم السابقة، وحذر من التعرض لهذه الأسباب حتى لا يحلُّ بالأمة الإسلامية ما حلَّ بغيرها من الأمم السابقة.

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(إنَّ الدُّنيا حُلوةٌ خَضِرةٌ، وإنَّ اللهَ مُستخلفُكُم فيها، فينظرُ كيفَ تعملونَ، فاتَّقوا الدُّنيا واتَّقوا النِّساءَ، فإن أوَّلَ فِتنَةِ بَني إسرائيلَ كانت في النِّساءِ)**[1] .

قال السيوطي: "إن الدنيا حلوة خضرة": يحتمل أن المراد لذتها ونضارتها كالفاكهة الحلوة الخضراء، أو سرعة فنائها، فإن الفاكهة الخضراء سريعة الذهاب، "مستخلفكم فيها": أي يجعلكم خلفاً من القرن الذي قبلكم، "فينظر كيف تعملون": أي بطاعته أم معصيته وشهواتكم، "فاتقوا الدنيا": أي اجتنبوا الافتتان بها وبالنساء[2] .

فالنبي صلى الله عليه وسلم يحذر في هذا الحديث من فساد الأخلاق والانجراف وراء ملذات الدنيا من مال ونساء وغير ذلك ويبين أن فتنة النساء من أول الفتن التي جعلت بني إسرائيل يستحقون غضب الله ولعنته .

ولا شك أن شيوع التبرج والزنا والفجور من أعظم الأخطار التي تهدد استمرار الحضارة واستقرارها .

فالانحلال الأخلاقي إنما هو نتيجة لضعف الوازع الديني لدى الفرد والجماعة، ولا شك أن شيوع الانحلال وانتشار المعاصي والمنكرات، واختلال الأوضاع في الأمة، يقرب ساعة هلاكها، وتدمير كيانها، وفساد أمرها كله، قال تعالى: **﴿*ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾** [3].

---

(1) صحيح مسلم واللفظ له، كتاب الذكر، باب أكثر أهل الجنة الفقراء، رقم ٢٧٤٢، ج٢٠٩٨/٤، سنن الترمذي، كتاب الفتن، باب أخبر النبي أصحابه بما هو كائن، رقم ٢١٩١، ج٤٨٣/٤، سنن النسائي الكبرى، كتاب عشرة النساء، باب ذكر الاختلاف على أبي رجاء، رقم ٩٢٦٩، ج٤٠٠/٥ .

(2) شرح السيوطي على صحيح مسلم، ج٨٤/٦ .

(3) سورة الروم، آية ٤١ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

فترتبط الحالة الأخلاقية ومفردات السلوك أشد الارتباط بالوضع الحضاري، فهي تعينه على التماسك والنمو في بعدها الإيجابي وتقوده إلى التفكك والانهيار في بعدها السلبي.

وتبدو المسألة في ظاهرها أمراً فردياً ولكنها في حقيقة الأمر تمس العلاقات العامة والبنية الاجتماعية في الصميم ووفق مستويات شتى تؤول في مجملها إلى إلحاق الدمار بالنشاط الحضاري[١] .

فالممارسات المنحرفة التي تمس السلوك كالجنس والفجور، والانغماس في الملذات، وتفشي الخمر والميسر والرقص والفحش، وانتشار ظاهرة القيان... وانتهاء بمنظومة القيم التي تمس العمل والسلوك كالغش والكذب والأثرة والكبر والرياء والغدر والنفاق والخيانة وشهادة الزور، وتضاؤل الإحساس بالمسؤولية، وغياب رقابة الضمير، والتدليس، وعدم الالتزام بالعهود وانعدام الأمانة وغير ذلك من الأخلاق الذميمة عوامل هدم تقود الحركة الحضارية إلى التباطؤ والانهيار[٢] .

والفساد الخلقي يقضي على كل تقدم وكل طموح، حيث عند فساد الأخلاق يصبح كل شيء مشروعاً، وكل أمر مباحاً، فالسرقة والرشوة والظلم والنهب، والنفاق وهتك الأعراض، وفضح البيوت، وتقطيع الأوصال، والتخنث، والفسق، تكون بضاعة العصر الرائجة، وتجارته النافقة وسلعته المقبولة، وحينما تبلغ الأمم أو الحضارات هذا الدرك، تكون قد تودع منها[٣] .

يقول داربر الأمريكي: إن ضياع الحضارة الرومانية كان بسبب فساد الأخلاق والانحطاط الديني[٤] .

ويقول أبو الحسن الندوي: احتل الأجانب الشرق الإسلامي وقد أصاب المجتمع الشرقي الإسلامي انحطاط في الأخلاق والاجتماع، وسبقت إليه أدواء خلقية واجتماعية، كانت أهم أسباب انهيار الدول الإسلامية، وانهزام الأمم الشرقية[٥] .

---

(١) مدخل إلى الحضارة الإسلامية، عماد الدين خليل، ص١٦٩ .
(٢) المرجع السابق، عماد الدين خليل، ص١٧٠ .
(٣) الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، توفيق يوسف الواعي، ص٧٦٣ .
(٤) المرجع السابق، ص٧٦٤ .
(٥) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟ ، ابو الحسن الندوي، ص٢٥٤ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library- Yarmouk University
www.manaraa.com

فالتحلل الخلقي يهز صرح المجتمع ويزلزله، ويهدده بالانهيار، وذلك لما له من دور في إشاعة الفاحشة بين أفراد المجتمع .

وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم الأمة من الحسد والبغضاء والأخلاق الفاسدة لما لذلك من دور في انحلال المجتمع وتهديد حضارته، فعن الزبير بن العوام رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(دبَّ إليكم داء الأمم قبلكم: الحسدُ والبغضاءُ، هي الحالقةُ، لا أقول تحلقُ الشَّعرَ ولكن تحلقُ الدِّين، والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أفلا أنبئكم بما يُثبِّتُ ذلك لكم، افشوا السلام بينكم)**[1] .

فالنبي صلى الله عليه وسلم يبين في هذا الحديث أن من أسباب هلاك الأمم السابقة انتشار الحسد والبغضاء، ويحذر الأمة من هذا الداء الذي يذهب بالدين كما يذهب الموس بالشعر[2].

فالحسد والبغضاء من الأخلاق الذميمة التي تفرق المسلمين، وتحطم وحدتهم وتقضي على حضارتهم .

وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من فساد ذات البين، فعن **أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة ؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: (إصلاح ذات البين، وفساد ذات البين الحالقة)**[3].

ومن الأحاديث التي تدل على أن الأخلاق الذميمة سبب في نزول العذاب والهلاك ما جاء عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(خرج رجل ممن كان قبلكم في حلة له يختال فيها، فأمر الله الأرض فأخذته، فهو يتجلجل فيها أو قال يتلجلج فيها إلى يوم القيامة)**[4] .

---

(1) سنن الترمذي، كتاب الشهادات ، باب ما جاء في صفة أواني الحوض ، رقم ٢٥١٠،ج٢٨٠/٤، وقال: هذا حديث صحيح، مسند أحمد واللفظ له، رقم ١٤٣٠، ج١٦٧/١، سنن البيهقي الكبرى ، رقم ٢٠٨٤٥،ج٣٣٢/١٠، مسند أبي يعلى، رقم ٦٦٩،ج٣٢/٢. مجمع الزوائد، رقم ١٢٧٣٢، ج٦٤/٨، وقال الهيثمي: إسناده جيد ، وقال الألباني: حديث حسن ، صحيح الجامع الصغير ، رقم ٥٦٧٣،ج٥٦٨/١.

(2) تحفة الأحوذي، المباركفوري، ج١٨٠/٧ .

(3) سنن أبي داود واللفظ له، كتاب الأدب ، باب في إصلاح ذات البين، رقم ٤٩١٩،ج٦٩٧/٢. صحيح ابن حبان ، رقم ٥٠٩٢،ج٤٨٩/١١. مسند أحمد ، رقم ٢٧٥٤٨،ج٤٤٤/٦، وقال شعيب الأرنؤوط إسناده صحيح.

(4) صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب من جرّ ثوبه، رقم ٥٤٥٢، ج٢١٨٢/٥، صحيح مسلم، كتاب اللباس، باب تحريم التبختر في المشي، رقم ٢٠٨٨، ج١٦٥٣/٣، سنن الترمذي واللفظ له، كتاب صفة القيامة، باب صفة أواني الحوض، رقم ٢٤٩١، ج٦٥٥/٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

قال النووي: يتجلجل أي يتحرك وينزل مضطرباً... والصحيح أن الرجل من الأمم السابقة لذلك أدخل البخاري الحديث في باب ذكر بني إسرائيل[١] .

فالنبي صلى الله عليه وسلم يبين في هذا الحديث أن التكبر والخيلاء من أسباب نزول العذاب والهلاك .

وقد حذَّر النبي صلى الله عليه وسلم أيضاً من الشح والبخل وعدَّه من أسباب هلاك الأمم السالفة، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشُّح،[٢] فإن الشُّح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم)**[٣].

قال النووي: يحتمل أن هذا الهلاك هو الذي أخبر عنهم به في الدنيا بأنهم سفكوا دماءهم، ويحتمل أنه هلاك الآخرة، ويحتمل أنه أهلكم في الدنيا والآخرة[٤] .

فالنبي صلى الله عليه وسلم يحذر في هذا الحديث من الظلم والشح، وذلك لما لهذه الأخلاق الذميمة من اثر في نشر العداوة والبغضاء بين أفراد المجتمع، ويبين أن هذه الأخلاق كانت من الأسباب التي هلكت بها الأمم السابقة لتتجنب الأمة الإسلامية هذا المرض الخطير الذي يهدد الحضارة بالانهيار والزوال .

ويعد الفساد الخلقي بأنواعه المختلفة من أعظم الأسباب التي تؤدي إلى انهيار الحضارة، فعن عمران بن حصين: **أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (يكون في هذه الأمة خسف ومسخ وقذف)، فقال رجل من المسلمين: يا رسول الله ومتى ذاك ؟ قال: (إذا ظهرت القينات والمعازف، وشربت الخمور)** [٥].

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ،ج٦٤/١٤.
(٢) الشُّح: أشد البخل، وهو أبلغ في المنع من البخل، وقيل هو البخل مع الحرص، النهاية في غريب الحديث، ابن الاثير، ج١١٠٦/٢ .
(٣) صحيح البخاري، كتاب المظالم، باب الظلم ظلمات، رقم ٢٣١٥، ج٨٦٤/٢، صحيح مسلم واللفظ له، كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، رقم ٢٥٧٨، ج١٩٩٦/٤ .
(٤) شرح النووي على صحيح مسلم، ج١٣٤/١٦ .
(٥) سنن الترمذي واللفظ له ، كتاب الفتن ، باب علامة حلول المسخ ، رقم ٢٢١٢، ج٧٢/٤، وقال الألباني: حديث حسن لغيره ، صحيح الترغيب والترهيب ، رقم ٢٣٧٩،ج٣٠٢/٢، المعجم الأوسط ، الطبراني ، رقم ٤٦٩، ج١٥٠/١ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

يبين النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث، أن فساد الأخلاق واتخاذ المغنيات والراقصات، وشرب الخمور وغير ذلك من أنواع الانحلال الخلقي والسلوكي، تعد من أسباب هلاك الأمة، فالأمة التي يمارس أبناؤها شتى أنواع المعاصي والمنكرات، لا يمكن لها أن تحافظ على عزتها وكرامتها وسرعان ما تنهار حضارتها.

ومما يؤكد هذا ما روا ابن **عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا ظهر الزنا والربا في قرية، فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله)**[1].

وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من التخلق بالأخلاق الذميمة، وعدها من أسباب دخول النار، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قال الله عز وجل: الكبرياء ردائي والعظمة إزاري، فمن نازعني واحدة منهما قذفته في النار)** [2].

فالتكبر على الناس والاستعلاء عليهم، يزرع العداوة والبغضاء بين أفراد المجتمع، ويضعف الروابط بينهم، ولاشك أن لهذا أثر كبير في أضعاف الدور الحضاري للأمة، لأن أبناء الأمة لا يستطيعون القيام بدورهم الحضاري المطلوب، إلا إذا جمعت بينهم روابط الأخوة والمحبة.

وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الإفساد بين الناس، وعده من الأسباب التي تمنع دخول الجنة، **فعن حذيفة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (لا يدخل الجنة نمام)**[3].

فالإفساد بين الناس ودفعهم إلى التقاتل والتنازع، يشتت الأمة ويفرق جمعها ويقضي على حضارتها.

---

(1) المستدرك ، الحاكم ،رقم ٢٢٦١، ج٤٣/٢ ، وقال:حديث صحيح ولم يخرجاه ، البيهقي في شعب الإيمان ، رقم ٥٥٣١،ج٣٩٧/٤.، المعجم الكبير ، الطبراني ، رقم ٤٦٠، ج١٧٨/١، وقال الألباني حديث صحيح ، صحيح الجامع الصغير ، رقم٦٨١،ج٦٩/١ .

(2) سنن أبي داود واللفظ له ، كتاب اللباس ، باب ما جاء في الكبر ، رقم ٤٠٩٠ ، ج٤٥٦/٢ ، سنن أبن ماجة ، كتاب الزهد ، باب البراءة من الكبر ،رقم ٤١٧٤، ج١٣٩٧/٢، وقال الدكتور بشار عواد: إسناده صحيح، عطاء بن السائب وإن اختلط بأخرة، لكن رواه عنه غير واحد ممن سمع منه قبل الاختلاط . مسند أحمد ، رقم ٧٣٧٦،ج٢٤٨/٢.

(3) صحيح مسلم واللفظ له ،كتاب الإيمان ، باب غلظ تحريم النميمة، رقم ١٠٥، ج١٠١/١، مسند أحمد ، رقم ٢٣٣٧٣، ج٣٩١/٥ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

وقد ذم النبي صلى الله عليه وسلم صاحب الوجهين، وعده من أعظم الناس ذنبا يوم القيامة، **فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (تجد من شرار الناس يومَ القيامةِ عند الله، ذا الوجهين، الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه)**[1].

فالإنسان الذي لا يهتم إلا بتحقيق مصالحه، وينافق بين الناس ولا يعرف مع أي الفريقين هو، من أعظم الناس شرا يوم القيامة، وذلك لما لعمله هذا من أثر في إفساد حياة الناس، ونشر العداوة والبغضاء بينهم.

ولاشك أن الإفساد بين الناس، وإضعاف الروابط بينهم، من أبرز العوامل التي تقضي على كيان الأمة وتدمر حضارتها.

يتبين من خلال ما سبق أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يدع خلقاً من الأخلاق الذميمة التي تهدد بناء الحضارة إلا وحذر الأمة منه، لتبقى الأمة الإسلامية متماسكة متعاونة بعيدة عن أسباب الفساد والانحلال التي تهدد استقرارها، والأحاديث في هذا كثيرة ولا يتسع المجال لذكرها جميعا.

والمتأمل في الحضارة الغربية اليوم يجد أن سوسة الفساد الأخلاقي قد نخرتها وهزت كيانها بالرغم من المنجزات المادية الهائلة التي حققتها، فهي الآن عرضة للانهيار والزوال، وما ذلك إلا لأنها قدست المادة وأهملت الروح والأخلاق، ولا شك أن أمة كهذه لا تستحق أن توصف بأنها أمة متحضرة، إذ كيف يمكن لنا أن نصفها بالتحضر وهي قد بلغت الغاية في التقدم العلمي والتكنولوجي ولكنها لم تراع ابسط القيم السلوكية والأخلاقية، واعتبرت الإنسان عبدا لملذاته وشهواته، فهي تسير في طريقها للهلاك والدمار وأول دلائل هذا الهلاك والدمار مرض الإيدز الذي يفتك بهم ويهلكهم في الدنيا قبل الآخرة، وغير ذلك من أسباب الهلاك كالانتحار وتعاطي المخدرات والإدمان وغيرها.

---

[1] صحيح البخاري واللفظ له ، كتاب الأدب ، باب ما قيل في ذي الوجهين، رقم ٥٧١١، ج٥/٢٢٥١، صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة، باب ذم ذي الوجهين ، رقم ٢٥٢٦،ج٤/٢٠١٠ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

المطلب الخامس :- إسناد الأمر إلى غير أهله .

من نتائج ضعف الإيمان في حياة الأمة، أن يتولى أمور المسلمين من هم ليسوا أهلاً لذلك، ممن لا يلتزمون حدود الشريعة في رعاية شؤون الأمة .

ولا شك أن لهذا الأمر أثر كبير في اختلال حياة الأمة وانهيار حضارتها فإن الأمة التي تحيد عن منهج الله عز وجل في اختيار من يقوم برعاية شؤونها وفق شريعة الإسلام، تكون قد حكمت على نفسها بالذل والهلاك لأنها رضيت بأن تنقاد لغير شريعة الله عز وجل.

فعلى الأمة أن تولي أمورها لمن هم أهل لقيادة البشرية إلى طريق الخير والفلاح في الدنيا والآخرة، وقد بين الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم أن من علامات قيام الساعة إسناد الأمر إلى غير أهله، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة)، قال: كيف إضاعتها يا رسول الله؟ قال: (إذا أسنِدَ الأمرُ إلى غير أهلهِ فانتظر الساعة)**[1] .

قال الكرماني: أجاب عن كيفية الإضاعة بما يدل على الزمان لأنه يتضمن الجواب لأنه يلزم فيه بيان أن كيفيتها هي الإسناد المذكور والمراد من الأمر: جنس الأمور التي تتعلق بالدين كالخلافة والإمارة والقضاء والإفتاء وغير ذلك[2] .

فإن إسناد الخلافة والإمارة والقضاء والإفتاء وغير ذلك من الأمور التي تهم الأمة، إلى من هم ليس أهل للقيام بهذه المهمات سيقود الأمة حتماً إلى الهلاك والضياع.

وهذا كما ينطبق على الساعة العامة للعالم كله، ينطبق على الساعة الخاصة لكل أمة، فإن ساعتها تأتي عندما تضطرب موازينها، ويسودها جهالها أو شرارها، ويؤخر علماؤها وخيارها[3].

---

(1) صحيح البخاري واللفظ له، كتاب الرقاق، باب رفع الأمانة، رقم ٦١٣١، ج٥/٢٣٨٢، مسند أحمد، حديث رقم٨٧١٤، ج٢/٣٦١، صحيح ابن حبان، رقم ١٠٤، ج١/٣٠٧ .

(2) فتح الباري، ابن حجر، ج١١/٣٣٤ .

(3) السنة مصدراً للمعرفة والحضارة، يوسف قرضاوي، ص٢٠٧ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

ولا شك أن الأمة حين تبتعد عن منهج الإسلام تختل فيها المقاييس، وتضطرب فيها الموازين، فيصدق الكاذب ويؤمن الخائن، ويرفع الوضيع ويولى أمور الأمة من هو ليس أهل لذلك، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(سيأتي على الناس سنواتٌ خداعات، يصدَّق فيها الكاذب، ويكذَّب فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن، ويخوَّن فيها الأمين، وينطق فيها الرويبضة)، قيل: وما الرويبضة؟ قال: (الرجل التافه يتكلم في أمر العامة)**[1] .

الخداع هو المكر والحيلة، وإضافة الخداع إلى السنوات مجازية، والمراد أهل السنوات... والرويبضة تصغير رابضة وهو العاجز الذي ربض عن معالي الأمور، وقعد عن طلبها[2] .

فالنبي صلى الله عليه وسلم يبين في هذا الحديث أن من علامات فساد الأمة، أن تتغير الأحوال وتنقلب الموازين، فلا تولى أمور المسلمين لأهل العلم والفضل والدين بل تولّى لشرار الناس وجهالهم، فيقودوا الأمة إلى مهاوي الردى ومزالق الهلاك والدمار .

وقد حرص النبي صلى الله عليه وسلم على تولية أمور المسلمين لمن تتوافر فيهم المقدرة التامة على القيام بأعباء الولاية، ورفض تولية من وجد فيه ضعف عن القيام بأعباء تلك الولاية، يدل على ذلك ما روي عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال: قلت يا رسول الله ألا تستعملني؟ قال: فضرب بيده على منكبي ثم قال: **(يا أبا ذر انك ضعيفٌ، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة، خزيٌ وندامة، إلا من أخذها بحقها، وأدى الذي عليه فيها)**[3].

---

(1) سنن ابن ماجة واللفظ له، كتاب الفتن، باب شدة الزمان ، رقم ٤٠٣٦، ج١٣٣٩/٢، مسند أحمد ، رقم ٧٨٩٩، ج٢٩١/٢، وقال شعيب الأرنؤوط: حديث حسن، المستدرك، للحاكم، رقم ٨٤٣٩، ج٥١٢/٤، وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الألباني: حديث صحيح، صحيح سنن أبن ماجة ، رقم ٣٢٦١،ج٣٧٤/٢ .

(2) شرح سنن ابن ماجة، السيوطي، ج٢٩٢/١ .

(3) صحيح مسلم كتاب الإمارة ،باب كراهة الإمارة بغير ضرورة ،رقم:١٨٢٥،ج١٤٥٧/٣،مسند احمد ،رقم:٢١٥٥٢،ج١٧٣/٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

قال النووي: هذا الحديث أصل عظيم في اجتناب الولايات لاسيما لمن كان فيه ضعف عن القيام بوظائف تلك الولاية، وأما الخزي والندامة فهو في حق من لم يكن أهلاً لها، أو كان أهلاً ولم يعدل فيها، فيخزيه الله تعالى يوم القيامة ويفضحه ويندم على ما فرط[1].

فقد رفض النبي صلى الله عليه وسلم أن يولي أبا ذر بالرغم من جلال قدره حين علم أنه لا يقوى على القيام بحق هذه الولاية القيام الامثل، ولا شك أن في هذا توجيه للأمة إلى ضرورة الاحتراز عن تولية أمور الأمة إلى من هم ليس أهل لذلك، حتى لا تختل الأوضاع وتضيع المصالح والحقوق على أصحابها.

فيجب أن لا تولى الوظائف والمناصب إلا لمن تتوافر فيهم القدرة والكفاءة للقيام بتلك الوظائف على أكمل وجه، ولكن الموازين اليوم قد اختلفت، فأصبحت بعض الوظائف والمناصب بيد فئة من الناس لا تتوافر فيهم القدرة والكفاءة للقيام بأعباء تلك الوظائف، ولكنهم توصلوا إلى ذلك بطريق الرشوة أو المحسوبية وغيرها من الطرق المنحرفة، ولاشك أن لهذا أثراً كبيراً في خلخلة كيان الأمة وتدمير حضارتها.

وقد بين المصطفى صلى الله عليه وسلم أن تولية أمور الأمة لمن هم ليسوا أهلاً لذلك، سبب في ضياع الدين وهلاك الأمة، **فعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله، ولكن ابكوا عليه إذا وليه غير أهله)**[2].

فالنبي صلى الله عليه وسلم يدعوا الأمة إلى ضرورة الاحتياط في تولية المناصب والوظائف العامة، ويحذر من جعل ذلك بيد من هم ليسوا أهلاً لذلك، ممن لا تتوفر فيهم القدرة والكفاءة لإشغال هذه الوظائف، ويبين أن فعل ذلك يؤدي إلى ضياع الدين، ويفسد على الناس أمنهم واستقرارهم ويدمر حضارتهم.

---

(1) شرح النووي على صحيح مسلم ،ج١٢/٢١٠.

(2) مسند أحمد ، رقم ٢٣٦٣٣، ج٥/٤٢٢، مستدرك الحاكم واللفظ له ، رقم ٨٥٧١،ج٤/٥٦٠، وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، مجمع الزوائد ، رقم ٩٢٥٢،ج٥/ ٤٤١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من تولية المناصب الحساسة في الدولة للنساء، **فعن أبي بكرة رضي الله عنه قال: لما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم أن فارسا ملكوا ابنة كسرى قال: (لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة)**[1].

فجعل بعض المناصب الهامة التي تهم الأمة بيد النساء، يعد من باب إسناد الأمر إلى غير أهله، لأن طبيعة المرأة تختلف عن الرجل، والرجل أكثر قدرة على القيادة من المرأة، ولا يعني هذا أن المرأة لا تصلح لإدارة أي شأن من شؤون الحياة، ولكن المراد إبعاد المرأة عن الأعمال القيادية، فتولي المرأة للمناصب القيادية قد يعرض الأمة للهلاك والدمار، لأن عواطف المرأة تغلب على عقلها.

وقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم ولاية مصالح الناس أمانة، ولا تفاضل بين طلاب الوظيفة إلا بالكفاءة والقدرة والأمانة، **فعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من ولي من أمر المسلمين شيئا، فأمَّر عليهم أحدا محاباة، فعليه لعنة الله، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا، حتى يدخله جهنم)**[2].

فالأسس الذي يجب أن تعتمد في إشغال الوظائف الكفاءة والقدرة والأمانة، لا القرابة والمحسوبية والرشوة وغيرها من الطرق غير الشرعية.

فجعل الوظائف والمناصب بيد الأقارب والمعارف، وبيد من يدفع أكثر، يؤدي إلى إضاعة حقوق الناس وعدم تكافؤ الفرص بينهم، ولا يخفى ما لهذا من آثار سلبية تخل بأمن المجتمع واستقراره.

---

(1) صحيح البخاري واللفظ له ، كتاب الفتن ، باب الفتنة التي تموج كموج البحر ، رقم ٦٦٨٦،ج٦/٢٦٠٠ سنن الترمذي ، كتاب الفتن ، باب لا نهي عن سب الريح ، رقم ٢٢٦٢، ج٤/٥٢٧ .

(2) المستدرك ، رقم : ٧٠٢٤ ،ج٤/١٠٤، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، كنز العمال ، رقم ١٤١٦٨،ج٥/٨٧٢، وقال: رواه أحمد والحاكم ومنصور بن شعبة البغدادي في الأربعين وقال: حسن المتن غريب الإسناد ،وقال ابن كثير ليس هذا الحديث في شيء من الكتب الستة ، والذي يقع في القلب صحة هذا الحديث.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

وخلاصة الأمر: أن استمرار الحضارة واستقرارها لا يكون إلا بوضع الأمور في نصابها الصحيح، فيقود الأمة من هم أهل للقيادة، وتولّى المناصب والوظائف لمن يقومـوا بواجبهم على أكمل وجه وفق أحكام الإسلام وتعاليمه.

وإذا قصرت الأمة في ذلك وولت المناصب والوظائف لمن لا يستطيعون القيام بحقها على أكمل وجه، فان ذلك يكون نذير شؤم يدفع بالأمة إلى الضعف والانحلال، ويجر الحضارة إلى الانهيار والزوال.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

www.manaraa.com

المبحث الثاني

ضعف الوعي الديني

إن الوعي الحقيقي لعقيدة الأمة هو الذي يدفعها دائماً إلى التقدم والازدهار، وبالمقابل فإن ضعف الوعي لدى الأمة يقودها دوماً إلى التحلل والانهيار .

يقول أبو الحسن الندوي: إن أخوف ما يخاف على أمة، ويعرضها لكل خطر، ويجعلها فريسة للمنافقين ولعبة للعابثين هو فقدان الوعي في هذه الأمة، وافتتانها بكل دعوة واندفاعها إلى كل موجة، وخضوعها لكل متسلط، وسكوتها عن كل فظيعة وتحملها لكل ضيم، وأن لا تعقل الأمور ولا تضعها في مواضعها، ولا تميز بين الصديق والعدو وبين الناصح والغاش، وأن تلدغ من جحر مرة بعد مرة[1] .

فضعف الوعي لدى الأمة وتخبطها في سبل الضلال يعرضها للضعف والانهيار وهذا ما سوف نقف عليه من خلال المطالب التالية :

المطلب الأول :- غياب العلم وانتشار الجهل والتقليد .

يُعدُّ غياب العلم وانتشار الجهل والتقليد من أعظم الأمور خطراً على استمرار الحضارة، إذ كيف للحضارة الاستمرار والاستقرار إذا تخلت الأمة عن واجبها في طلب العلوم النافعة سواء كانت علوماً شرعية أو دنيوية .

وقد وجه الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم الأمة إلى ضرورة اكتساب العلوم النافعة التي تحقق للأمة السعادة والتقدم، وحذر من ضياع العلم وتفشي الجهل، وبين أن للجهل أثراً كبيراً في انحلال الأمم وتدهورها، فلا يمكن لأمة من الأمم أن تنهض إذا لم يكن

---

[1] ماذا خسر العالم باتحطاط المسلمين، أبو الحسن علي الحسيني الندوي، دار القلم، دمشق، ط٣، ٢٠٠٤، ص٢٩٧ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

لديها المعرفة الكاملة بالعلوم الدينية والدنيوية التي تمكنها من التقدم والازدهار في كافة مجالات الحياة.

وقد نبهت الأحاديث الصحيحة إلى حقيقة مهمة، وهي أنَّ الحياة بغير علم لا تستحق البقاء، وأن ضياعه أو إضاعته نذير بخراب الدنيا، وأن الساعة على الأبواب، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(إنّ من أشْرَاطِ السَّاعةِ أن يُرْفَعَ العِلمُ، وَيَثْبُتَ الجهلُ، وَيُشْرَبَ الخمرُ، ويظهر الزِّنا)**[1] .

قال الكرماني: وإنما كان اختلال هذه الأمور مؤذناً بخراب العالم لأن الخلق لا يتركون هملا ولا نبي بعد نبينا صلى الله عليه وسلم فيتعين ذلك[2] .

والمراد بالعلم هنا: علم الدين الموروث عن النبوة، فهو الذي يهدي الناس إلى الله، ويوقفهم عند حدوده، ويعرفهم أمره ونهيه، وحلاله وحرامه .

ولا يبعد أن يضيع الناس هذا العلم وإن وصلوا في علم الدنيا إلى غزو الفضاء، والصعود إلى الكواكب، فقد يفعلون ذلك وهم بالله جاهلون، وعنه غافلون، كعامة الغربيين اليوم، إلا من رحم ربك[3] .

فالنبي صلى الله عليه وسلم يشير في هذا الحديث إلى أن فقدان العلم من علامات انتهاء وفناء الحضارة الإنسانية .

وقد بينت السنة النبوية أن غياب العلم وانتشار الجهل من أسباب وقوع الأمة في الضلال والهلاك، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **(إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يَقبِضُ العلمَ بقبض العلماءِ، حتى إذا لم يبقَ عالماً، اتخذ الناسُ رؤوساً جهالاً فسُئِلُوا، فأفتوا بغير علمٍ، فضلوا وأضلوا)**[4] .

---

(1) صحيح البخاري واللفظ له، كتاب العلم، باب رفع العلم، رقم ٨٠، ج١/٤٣، صحيح مسلم، كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه، رقم ٢٦٧١، ج٤/٢٠٥٦ .

(2) فتح الباري، ابن حجر، ج١/١٧٩ .

(3) الرسول صلى اله عليه وسلم والعلم، يوسف قرضاوي، ص٣٤ .

(4) صحيح البخاري واللفظ له، كتاب العلم، باب هل يقبض العلم، رقم ١٠٠، ج١/٥٠، صحيح مسلم، كتاب العلم، باب رفع العلم رقم ٢٦٧٣، ج٤/٢٠٥٨ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

قال المباركفوري: في الحديث الحث على حفظ العلم والتحذير من ترئيس الجهلة، وفيه أن الفتوى هي الرياسة الحقيقية وذم من يقدم عليها بغير علم[1] .

فالحديث الشريف يبين أن ضلال الناس يكون بسبب انحرافهم عن هدي الله ورسوله عندما يتركون العلم والتعليم فيفشوا الجهل، ويتكلم الجهلة في دين الله، فيُوقِعون الناس في الهلاك والضلال .

ولا شك أن ذهاب العلم وترئيس الجهلة معول من معاول الهدم التي تهدم الحضارة، وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم أن ذهاب العلم يتبعه نزول الجهل والتقاتل بين الناس، فعن أبي موسى رضي الله عنه قال: **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن بين يدي الساعة لأياماً يرفعُ فيها العلمُ، وينزل فيها الجهلُ، ويكثُرُ الهرج). والهرج القتل**[2].

فذهاب العلم وانتشار الجهل بين الناس، يؤدي إلى تراجع الدور الحضاري لدى الأمة، ويقضي على كل مجالات التقدم والإبداع التي يمكن إن يحققها أبناء الأمة.

وقد جاءت النصوص الشرعية صريحة في التحذير من إتباع الأمم الظالمة والنحل الضالة، والأهواء المنحرفة، قال تعالى: **﴿...وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا...﴾**[3] .

وقد حذرت السنة النبوية أيضاً من إتباع الأهواء الضالة، والفرق المنحرفة، فعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(لتتبعن سنن من قبلكم، شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضبٍّ لسلكتموه)، قلنا: يا رسول الله! اليهود والنصارى؟ قال فمن؟)**[4].

---

(1) تحفة الأحوذي، المباكفوري، ج٧/٣٤٤ .

(2) صحيح البخاري واللفظ له ، كتاب الفتن ، باب ظهور الفتن ، رقم ٦٦٥٤،ج٦/٢٥٩٠ ، صحيح مسلم ، كتاب العلم ، باب رفع العلم ، رقم ٢٦٧٢ ، ج٤/٢٠٥٦ .

(3) سورة المائدة، آية ٤٨ .

(4) صحيح البخاري واللفظ له، كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم ٣٢٦٩، ج٣/١٢٧٤، صحيح مسلم ، كتاب العلم، باب إتباع سنن اليهود، رقم ٢٦٦٩، ج٤/٢٠٥٤ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

قال النووي: السنن بفتح السين والنون الطريق، والمراد بالشبر والذراع وجحر الضب التمثيل بشدة الموافقة لهم، والمراد الموافقة في المعاصي والمخالفات لا في الكفر، وفي هذا معجزة ظاهرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقد وقع ما أخبر به[1] .

ووقع التخصيص بجحر الضب لشدة ضيقه ورداءته، ومع ذلك فإنهم لاقتفائهم آثارهم وإتباعهم طرائقهم لو دخلوا في مثل هذا الضيق الرديء لتبعوهم[2].

فالنبي صلى الله عليه وسلم يحذر الأمة في هذا الحديث من إتباع الأمم المنحرفة وتقليدهم لأن ذلك من أسباب هلاك الأمة وانهيار حضارتها .

ولا شك أن تقليد أعداء الإسلام من أسباب ضعف المسلمين وانحطاطهم، فقد حرص بعض أبناء المسلمين على تقليد الغرب في كل شيء في اللباس وفي العادات وفي التقاليد، وغير ذلك من الأمور التي تبعد أبناء الأمة الإسلامية عن دينهم، وتقودهم إلى الانغماس بالشهوات والملذات وارتكاب أنواع المعاصي والمنكرات، ولا يخفى ما لهذا التقليد والإتباع من أثر في تردي المسلمين وانحطاط حضارتهم .

فالواضح من هذا الحديث الشريف، أن الجري وراء الأمم الأخرى وتقليدهم من أسباب ضلال الأمة، والقرآن والسنة يعصمان من يتبعهما من الانحراف والضلال في العقيدة والشريعة بما يرسمان من منهج سوي، وبما يحرمانه من إتباع الأهواء الضالة والأمم المنحرفة .

---

(1) شرح النووي على صحيح مسلم، ج١٦/٢٢٠ .
(2) فتح الباري، ابن حجر، ج٦/٤٩٨ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

المطلب الثاني :- الغلو والتشدد والجدل .

مما لا شك فيه أن الغلو والجدل من أهم مظاهر عدم الوعي لعقيدة الإسلام، وهما من أسباب الهلاك والضلال ولذلك حذّر منهما القرآن الكريم والرسول الأمين صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: **﴿*يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾**[1] .

ومعنى الغلو في الدين: هو تجاوز حدّ الوحي المنزل إلى ما تهوى الأنفس كجعل الأنبياء والصالحين أرباباً يضرون أو ينفعون واتخاذهم لأجل ذلك آلهة يُعبدون، وكشرع عبادات لم يأذن بها الله سبحانه، وتحريم ما لم يحرم الله كالطيبات التي حرمها الرهبان على أنفسهم وعلى من اتبعهم مبالغة في التنسك[2] .

ويعتبر الغلو والتشدد والنزوع إلى الجدل النظري العقيم بمثابة البثور السوداء التي تغطي جسد الأمة وتنذر بالشر والعقم والأذى، وذلك لما لهذه الأمور من أثر في استنزاف القدرات العقلية في ساحات الجدل والكلام والمنطق والفلسفة، والحيلولة دون توظيف الطاقات البشرية في سياقها الصحيح وإيجاد الفرقة والخلاف بين أفراد الأمة الواحدة[3] .

وقد حذرَ الرسول صلى الله عليه وسلم من الغلو في الدين وبين أنه من أسباب هلاك الأمم السالفة، فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **غداة العقبة، وهو على راحلته: (هات القط لي)، فلقطت له حصيات هن حصى الخذف،**[4] **فلما وضعتهن في يده، قال: (بأمثال هؤلاء، وإياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين)**[5] .

---

(1) سورة النساء، آية ١٧١ .
(2) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ج٦/٤٨٨ .
(3) مدخل إلى الحضارة الإسلامية، عماد الدين خليل، ص١٧٥ بتصرف .
(4) الحجارة الصغيرة التي ترمى ما بين الإبهام والسبابة، النهاية في غريب الحديث، ج٢/٤٣ .
(5) سنن النسائي واللفظ له، كتاب مناسك الحج، باب التقاط الحصى، رقم ٣٠٥٧، ج٥/٢٦٨، سنن ابن ماجة، كتاب المناسك، باب قدر حصى الرمي، رقم ٣٠٢٩، ج٢/١٠٠٨، المستدرك، رقم ١٧١١، ج١/٦٣٧، وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين . مسند أحمد، رقم ١٨٥١،ج١/٢١٥، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم، وقال الألباني: حديث صحيح، صحيح سنن أبن ماجة، رقم٢٤٥٥، ج٢/١٧٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

فالنبي صلى الله عليه وسلم حيث أمر ابن عباس أن يلتقط له الحصيات يوم العقبة وجهه إلى عدم التشدد والمبالغة في أمر هذه الحصيات وقال له إن من أسباب هلاك الأمم السابقة الغلو في الدين، فالنبي صلى الله عليه وسلم يوجه الأمة في هذا الحديث إلى عدم التشدد والمبالغة في الأمور التي جعل الله عز وجل فيها سعة للمؤمن .

وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم الأمة من التشدد ومجاوزة الحدود في الأقوال والأفعال، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(هلك المتنطعون قالها ثلاثاً)**[1] .

قال النووي: المتنطعون أي المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم[2] .

فالنبي صلى الله عليه وسلم بين في هذا الحديث أن التشدد ومجاوزة الحد في الأقوال والأفعال سبب لهلاك الأمة، وذلك لأن هذا الأمر قد يوقع الأمة في الضيق والحرج، ويقود الناس إلى الفهم المنحرف البعيد عن الصواب، مما يؤدي إلى إبعاد الناس عن دينهم وإيقاعهم في مهاوي الهلاك والضلال .

وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم أيضاً من الجدل الذي لا فائدة فيه وبين أنه من أسباب ضلال الأمم، فعن أبي أمامه رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(ما ضلَّ قومٌ بعد هدىً كانوا عليه، إلا أوتوا الجدل)، ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: (ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون")**[3] .

---

(1) صحيح مسلم واللفظ له، كتاب العلم، باب هلك المتنطعون، رقم ٢٦٧٠، ج٤/٢٠٥٥، سنن أبي داود، كتاب السنة، باب في لزوم السنة، رقم ٤٦٠٨، ج٢/٦١١، مسند أحمد، رقم ٣٦٥٥، ج١/٣٨٦ .

(2) شرح النووي على صحيح مسلم، ج١٦/٢٢٠ .

(3) سنن الترمذي واللفظ له، كتاب تفسير القرآن، باب سورة الزخرف، رقم ٣٢٥٣، ج٥/٣٧٨، وقال حديث حسن صحيح، سنن ابن ماجة، كتاب الإيمان، باب اجتناب البدع، رقم ٤٨، ج١/١٩، مسند أحمد ،رقم ٢٢٢١٨، ج٥/٢٥٢، وقال شعيب الأرنؤوط: حسن بطرقه وشواهده . وقال الألباني: حديث حسن ، صحيح سنن الترمذي ، رقم ٢٥٩٣،ج٣/١٠٣ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

قال المباركفوري: والمعنى ما كان ضلالتهم ووقوعهم في الكفر إلا بسبب الجدال وهو الخصومة بالباطل[١] .

والجدال المذموم يعد من الصفات المهلكة والمواظب عليها يدفع بالأمة إلى الوقوع في أسباب الهلاك والدمار[٢] .

فالنبي صلى الله عليه وسلم يقرر في هذا الحديث أن الجدال بغير الحق وفيما لا فائدة فيه، يقود الأمة إلى الوقوع في مزالق الهلاك والدمار التي وقعت بها الأمم السابقة.

وقد علم المصطفى صلى الله عليه وسلم الأمة، التيسير وعدم التشدد في الأمور التي جعل الله عز وجل فيها سعة للمؤمن، **فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا)**[٣] .ومما يؤكد هذا أيضا ما روا أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: **(إن الدِّينَ يسرٌ، ولن يُشَادَّ الدِّينَ أحدٌ إلا غلبَهُ، فسددوا وقاربوا، وابشروا، واستعينوا بالغدوةِ والروحةِ، وشيءٍ من الدُّلْجَةِ)**[٤].

فالنبي صلى الله عليه وسلم يدعو الأمة إلى التيسير وعدم التشدد في الأمور التي لا تتطلب ذلك، لان التشدد يوقع الأمة في الضيق والحرج.

وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الجدل وعده من الكفر، **فعن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (المراءُ في القرآنِ كفرٌ)** [٥].

فقد ذم النبي صلى الله عليه وسلم الجدال وعده من الكفر، لأنه قد يؤدي إلى الكفر في كثير من الأحيان، فبعض الناس إذا وقع جدال بينهم وبين غيرهم، يجعلون كل همهم إثبات ما يقولون به، ولو أدى بهم ذلك إلى الخروج من الدين، فالجدال إذن سبيل من السبل التي توقع الأمة في الضلال والضياع وتدمر حضارتها.

---

(١) تحفة الأحوذي، المباركفوري، ج٩٣/٩ .
(٢) آفات العلم، محمد بن سعيد بن رسلان، دار العلوم الإسلامية، القاهرة، ط١، ١٩٩٠م ، ص١٠٠ .
(٣) صحيح البخاري ، كتاب العلم ،باب ما كان النبي يتخولهم في الموعظة ، رقم٦٩،ج٣٨/١ ، صحيح مسلم ،كتاب الجهاد، باب الأمر بالتيسير ، رقم ١٧٣٤، ج١٣٥٩/٣ .
(٤) صحيح البخاري ، كتاب الإيمان، باب الدين يسر، رقم ٣٩،ج٢٣/١ ، سنن النسائي ، كتاب الإيمان ،باب الدين يسر ، رقم ٥٠٣٤،ج١٢١/٨
(٥) سنن أبي داود ،كتاب السنة ، باب النهي عن الجدال في القرآن ، رقم ٤٦٠٣، ج٦١٠/٢، مسند أحمد ، رقم ٩٤٧٤،ج٤٢٤/٢،وقال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح . مستدرك الحاكم ، رقم ٢٨٨٢،ج٢٤٣/٢ ، صحيح أبن حبان ، رقم ١٤٦٤،ج٣٢٤/٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

المطلب الثالث :- طغيان القبلية والإقليمية على مفهوم الأمة .

يعد ضعف الأمة وتفككها من أعظم الأسباب التي تحول دون استمرار الحضارة واستقرارها، وذلك لما يجلبه التفرق والانقسام من ويلات تذهب بعزة الأمة وكرامتها . لذلك فقد حذّر الإسلام الأمة من الضعف والتفكك، والتعصب للقبيلة أو البلد أو اللون، ودعا إلى الترابط والتماسك تحت راية الإسلام بعيداً عن كل دعوى تهوي بالأمة إلى مزالق الهلاك والدمار، فقد جاء القرآن الكريم مؤكداً على مفهوم الأمة وفي أكثر من موضع، قال تعالى: **﴿*إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾**[1].

وقال تعالى: **(ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم)** [2].

قال الطبري: أمر الله المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والفرقة، وأخبرهم أنه إنما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله[3] .

فتفرق الأمة وتعصبها للبلد أو القبيلة أو الجنس أو غير ذلك من الأمور يؤدي إلى انهيار الحضارة، وتدهورها واستعلاء عدوها عليها، ولا شك أن هذا الأمر يؤدي إلى استنزاف طاقات الأمة وتفتيتها ومنعها من أن تصب في بؤرة الفعل الحضاري، لذلك حذّر منه القرآن الكريم قال تعالى: **﴿..وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ**[4].

ومضى النبي صلى الله عليه وسلم في الاتجاه نفسه منددا بكل ما من شأنه إلحاق الأذى بوحدة الجماعة وتشتيت شملها، فعن جابر **بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزاة، فكسع**[5] **رجل من المهاجرين! رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين! فقال رسول الله صلى الله**

---

(1) سورة الأنبياء، آية ٩٢ .
(2) سورة ال عمران ،آية١٠٥ .
(3) تفسير الطبري، ج٥/٢٢٥ .
(4) سورة الأنفال ،آية ،٤٦.
(5) كسع : أي ضرب دبره بيده ، النهاية في غريب الحديث ،ابن الأثير، ج٤/٣١٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

عليه وسلم فقال: **(ما بال دعوى الجاهلية)، قالوا: يا رسول الله! كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال: (دعوها فأنها منتنة)** [1].

فالنبي صلى الله عليه وسلم يبين في هذا الحديث أن التعصب للقبيلة أو البلد أمر لا يرضى به الإسلام ولا يقره، لذلك أنكر هذا الموقف وعدَّه من أعمال الجاهلية التي لا يرضى بها الإسلام فشبه صلى الله عليه وسلم التعصب لغير الإسلام بالجسم الذي تفوح منه الروائح الكريهة، وذلك لما بين هذا وذاك من تشابه في الأثر الذي يترتب عليه فالروائح الكريهة تعكر صفو الناس وتفسد هوائهم، والتعصب لغير الإسلام يشتت الناس ويفرق جمعهم ويفسد معيشتهم ويدمر حضارتهم .

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن التعصب للقبيلة أو البلد أو الدم أو غير ذلك من أنواع التعصب تعدُّ من أسباب هلاك الأمة، فعن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(مثل الذي يُعينُ قومَهُ على غير الحقِّ، كمثلِ بعيرٍ تردى في بئرٍ، فهو يَنْزِعُ منها بِذَنَبِهِ)**[2].

قال الخطابي: معناه أنه قد وقع في الإثم وهلك كالبعير إذا تردى في بئر فصار ينزع بذنبه ولا يقدر على الخلاص [3].

فقد شبه النبي صلى الله عليه وسلم حال الإنسان الذي يتعصب لغير الحق بحال البعير الذي يتردى في بئر، ولا يجد سبيلا لإنقاذ نفسه إلا حركة ذنبه، ومحال أن ينفعه ذلك، فكما أن البعير جرَّ لنفسه الهلاك والدمار بهذا التردي، فكذلك فإن التعصب لغير الحق يجرُّ لأهله الهلاك والدمار في الدنيا والآخرة، وكما أن البعير لا يستطيع إنقاذ نفسه بحركة ذنبه بعد أن

---

(1) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ،باب قوله: "سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر"،رقم ٤٦٢٢،ج١٨٦١/٤،صحيح مسلم واللفظ له،كتاب البر والصلة،باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً،رقم ٢٥٨٤،ج١٩٩٨/٤.

(2) سنن أبي داود،كتاب الأدب ،باب في العصبية ،رقم ٥١١٧،ج٧٥٣/٢،وقال الألباني :حديث صحيح ، مسند أحمد، رقم:٣٧٢٦، ج٣٩٣/١ ،صحيح ابن حبان واللفظ له، رقم :٥٩٤٢،ج٢٧١/١٣،وقال شعيب الأرنؤوط : إسناده حسن.

(3) عون المعبود شرح سنن أبي داود، ج١٨/١٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

تردى في البئر فأن الأمة لا تستطيع إنقاذ نفسها من الهلاك والدمار إذا غرق أبناؤها بالتعصب لغير الحق .

وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من طغيان القبلية والإقليمية في أحاديث كثيرة، فعن جندب بن جنادة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:**(من قُتِل تحتَ رايةٍ عُمِّيَّةٍ يدعو عصبية، أو ينصرُ عصبية، فقِتْلَة جاهلية)**[1].

فبين النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث أن الذي يقتل من أجل الدفاع عن الباطل ونصرة قومه وبلده وهواه من غير وجه حق، فإن حاله يكون كحال الكافر الذي يموت على غير طريق الهدى والرشاد.

(فالتعصب لغير الحق وتقديم المصالح الخاصة على العامة، يؤدي بالأمة إلى الضعف والانحلال، وعدم القدرة على الصمود في وجه عدوها مما يجعلها لقمة سائغة له، ولا شك أن هذا الداء من أعظم الأخطار التي تهدد كيان الحضارة وتجرها إلى الهلاك والدمار.

ولا يعني تفكك مجتمع شيئاً سوى انهياره، إذ أن الأمم لا تستأصل شأفتها- في الغاب- وإنما يموت ما يجعل منها أمة واحدة، أي: التجانس في المعتقدات والآمال والأهداف والتقويمات المشتركة، وذلك التفكك يكون أشبه شيء بثوب أعدناه إلى مادته الخام، وحولناه إلى خيوط[2].

فتفرق الأمة وتقطيع أوصالها يؤدي إلى ضعفها وانهيارها، وعدم صمودها في وجه أعدائها. لذلك حذر النبي صلى الله عليه وسلم الأمة من الفرقة والانقسام، فعن أبي هريرة رضي الله عنه **عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من خرج من الطاعة وفارق الجماعة، فمات، مات ميتة جاهلية، ومن قاتل تحت راية عُمِّيَّةٍ، يغضب لِعَصَبَةٍ، أو يدعو**

---

(1) صحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين ،رقم :١٨٥٠،ج١٤٧٨/٣.

(2) من أجل انطلاقة حضارية شاملة، عبد الكريم بكار، دار القلم- دمشق، ط١، ١٩٩٩م، ص١٧٦ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

إلى عصبةٍ أو ينصرُ عصبة، فقُتل فقِتلة جاهلية، ومن خرج على أمتي يضرب برها وفاجرها، ولا يتحاشَ من مؤمنها، ولا يفي لذي عهد عهده، فليس مني ولست منه)[1].

يؤكد النبي صلى الله عليه وسلم على وجوب ترابط أبناء الأمة برباط العقيدة، ويدعو إلى نبذ التعصب للدم أو القبيلة أو البلد، وذلك لما له من أثر في نشر الأحقاد التي تضعف قوة الأمة وتذهب هيبتها، ولا يخفى ما لذلك من أثر في أضعاف الدور الحضاري لدى الأمة، إذ كيف يمكن لها أن تحفظ عزتها وكرامتها، وهي تعاني ويلات الفرقة والانقسام.

وقد بنى صلى الله عليه وسلم أمته على أساس التعاون والترابط، وحذر من الفرقة والانقسام، وسار على ذلك الخلفاء الراشدون من بعده، **فعن ابن عمر قال : خطبنا عمر بالجابية، فقال: يا أيها الناس، إني قمت فيكم كمقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا فقال: (أوصيكم بأصحابي ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم ثم يفشوا الكذب، حتى يحلف الرجل ولا يستحلف، ويشهد الشاهد ولا يستشهد، ألا لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان، عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة، من سرته حسنته وساءته سيئته فذلك المؤمن)**[2]

يحذر النبي صلى الله عليه وسلم الأمة من الفرقة والاختلاف، وذلك لما لهما من أثر بالغ في تدمير كيان الأمة، وتدمير حضارتها.

---

[1] صحيح مسلم ،كتاب الإمارة ، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين، رقم ١٨٤٨، ج١٤٧٦/٣،سنن النسائي ، كتاب تحريم الدم ، باب التغليظ فيمن قاتل تحت راية عمية، رقم ٤١١٤، ج١٢٣/٧ .

[2] سنن الترمذي واللفظ له ، كتاب الفتن ، باب لزوم الجماعة، رقم ٢١٦٥، ج٤/ ٤٨، وقال: حديث حسن صحيح غريب ، سنن النسائي ، كتاب عشرة النساء، باب اختلاف ألفاظ الناقلين لخبر عمر، رقم ٩٢٢١، ج٣٨٧/٥ ، صحيح ابن حبان، رقم ٧٢٥٤،ج٢٣٩/١٦. مستدرك الحاكم ، رقم ٣٨٧،ج١٩٧/١. وقال الألباني: حديث صحيح ، صحيح الجامع الصغير، رقم ٤٣١١،ج٤٣٢/١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

المطلب الرابع :- الظلم الاجتماعي .

يعدّ الظلم بأنواعه المختلفة من أسباب انهيار الحضارة الإنسانية فهو يؤدي إلى هدم الحضارة في كل جوانبها سواء كانت مادية أو روحية، وهذا ما نبه إليه ابن خلدون حين قال: (اعلم أن العدوان على الناس في أموالهم ذاهب بآمالهم في تحصيلها واكتسابها لما يرونه حينئذ من أن غايتها ومصيرها انتهابها من أيديهم، وإذا ذهبت آمالهم في اكتسابها وتحصيلها انقبضت أيديهم عن السعي في ذلك..فإذا قعد الناس عن المعاش، وانقبضت أيديهم عن المكاسب، كسدت أسواق العمران وانتقضت الأحوال..ولا تحسبن الظلم إنما هو أخذ المال أو الملك من يد مالكه من غير عوض ولا سبب كما هو المشهور، بل الظلم اعم من ذلك، فكل من أخذ ملك احد أو غصبه في عمله أو طالبه بغير حق أو فرض عليه حقاً لم يفرضه الشرع فقد ظلمه، فجباة الأموال بغير حقها ظلمة، والمعتدون عليها ظلمة، والمانعون لحقوق الناس ظلمة، وغصّاب الأملاك على العموم ظلمة، ووبال ذلك كله عائد على الدول بخراب العمران الذي هو مادتها لإذهابه الآمال من أهله، واعلم أن هذه هي الحكمة المقصودة للشارع في تحريم الظلم، وهو ما ينشأ عنه من فساد العمران وخرابه)[1].

فقد بين ابن خلدون أن الظلم بشتى أنواعه يؤدي إلى خراب المدن والعمران وخراب الدول.

ويقول الماوردي عن أثر الجور في خراب العمران: ليس شيء أسرع في خراب الأرض ولا افسد في ضمائر الخلق من الجور[2] .

فالظلم من أخطر الأمراض الاجتماعية التي تصيب الأمم في مقتل أهلك الله تعالى به أمما كثيرة، فالظلم إن ساد في إحدى الأمم، تعست وعاشت في شقاء وضيق وفقدت أمنها ورقيها، وانهارت حضارتها مهما كانت دعائمها قوية .

---

[1] مقدمة ابن خلدون ،ج٢/٦٧٩-٦٨٢.

[2] منهاج اليقين في أدب الدنيا والدين، الماوردي، ص١١٥ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

وقد وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم تذكر الظلم سبباً من أسباب هلاك الأمم السالفة، والظلم عام في وضع الشيء في غير موضعه، ويشمل الشرك وغيره من المعاصي[1]، ومن الآيات التي ورد فيها ذكر الظلم سبباً للهلاك قوله تعالى: ﴿*وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا...﴾[2]، ومنها قوله تعالى: ﴿*وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا...﴾[3].

فالآيات تذكر الظلم سبباً لهلاك من هلك من الأمم السابقة، وأول ما يدخل تحته هو الشرك، فهلاكهم كان بسببه وبما دونه من المعاصي[4] .

وكلمة (لما) في الآية السابقة، ظرف يدل على وقوع فعل لوقوع غيره مما هو سبب له، وهذا يدل على وقوع هلاك الأمة لوقوع سببه وهو الظلم، وهذا الظلم نوعان: الأول: ظلم الأفراد لأنفسهم بالفسق والفجور والخروج عن طاعة الله والتظالم فيما بينهم. والثاني: ظلم الحاكم لهم على نحو يهدر حقوقهم، ويذهب بعزتهم ويعوّدهم على حياة الذل، والمهانة مما يجعل الأمة ضعيفة غير صالحة للبقاء، فيسهل على الأعداء الاستيلاء عليها واستعبادها فيكون هذا محقاً لها وفناءً لشخصيتها[5] .

وهلاك الأمم الظالمة له أجل محدود، بمعنى أن بقاء الأمة الظالمة بقاء محدود المدة إذا انقضت هذه المدة جاء أجلها فتهلك كما يهلك الإنسان ويموت إذا حان أجله بمضي مدة عمره، وتوضيح ذلك أن الظلم في الأمة كالمرض في الإنسان يعجل في موته بعد أن يقضي المدة المقدرة له وهو مريض وبانتهاء هذه المدة يحين أجل موته، فكذلك الظلم في الأمة يعجل في هلاكها بما يحدثه فيها من آثار مدمرة تؤدي إلى هلاكها واضمحلالها خلال مدة

---

(1) أسباب هلاك الأمم السالفة كما وردت في القرآن الكريم، سعيد محمد باباسيلا، ص١١٢ .
(2) سورة يونس، آية ١٣ .
(3) سورة الكهف، آية ٥٩ .
(4) أسباب هلاك الأمم السالفة كما وردت في القرآن الكريم، سعيد محمد باباسيلا، ص١١٣ .
(5) السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد، عبد الكريم زيدان، ص١٢٠ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

معينة يعلمها الله هي الأجل المقدر لها... ولكن هلاك الأمم وإن كان شيئاً مؤكداً فإن وقت حلوله مجهول لنا[1] .

وطرق الظلم كثيرة ووسائله متعددة، فالغصب والسرقة والاختلاس، والربا وتطفيف المكيال والميزان، والتغرير بالمسلم، وخيانة الشريك والأجير والوكيل من الظلم الذي مقت الله أهله... وظلم الإنسان للإنسان معناه اعتداء الظالم على المظلوم في نفسه أو ماله أو عرضه، فمن قتل إنساناً أو ضربه أو شتمه أو لعنه أو آذاه بأي إيذاء في نفسه، فهو ظالم لذلك الإنسان، وكذلك إن سلط عليه من يفعل به ذلك، ومن عاب إنساناً أو اتهمه بالفحش أو الفسوق أو رماه بالزنا، أو شنع عليه عند من يعرفه بأمر هو بريء منه... فهو ظالم لهؤلاء وخائن لهم[2] .

فللظلم أنواع كثيرة وأبواب متعددة يتعذر الوقوف عليها جميعها في هذا المقام، وسوف اكتفي بذكر بعض الأحاديث من هدي المصطفى صلى الله عليه وسلم والتي تؤكد على أن الظلم من أسباب انهيار الحضارات واندثارها، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(الظلم ظلمات يوم القيامة)**[3] .

فالنبي صلى الله عليه وسلم يبين في هذا الحديث أن للظلم آثاراً سيئة تعود على الأمة في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا تضيع الحقوق على أصحابها وينتشر الحقد والبغضاء بين الناس مما يدمر حياتهم، ويضعف قوتهم وينشر الفوضى والفساد بينهم، وكذلك فإن للظلم عواقبه الوخيمة يوم القيامة، لأن الظالم سوف يحاسب على ما فعله يوم القيامة .

---

(1) السنن الإلهية في الأمم والجماعات ، عبد الكريم زيدان ، ص١٢٠- ١٢١ .
(2) الظلم وأثره السيئ على الفرد والمجتمع، محمد بن عبد الله الحكمي، دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة، ط٢، ١٩٩٥م، ص٧١ .
(3) صحيح البخاري واللفظ له، كتاب المظالم، باب الظلم ظلمات، رقم ٢٣١٥، ج٨٦٤/٢، صحيح مسم، كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، رقم ٢٥٧٨، ج١٩٩٦/٤ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أيضاً أن من الظلم المهلك المحاباة في تطبيق القانون على الناس، فعن عائشة رضي الله عنها أن قريشاً أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا ومن يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حبُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكلَّمَهُ أسامة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(أتشفع في حد من حدود الله)، ثم قام فاختطب، ثم قال: (إنما أهلك الذين قبلكم، أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها)**[1] .

قال ابن حجر: في الحديث ترك المحاباة في إقامة الحد على من وجب عليه ولو كان ولداً أو قريباً أو كبير القدر والتشديد في ذلك، والإنكار على من رخص فيه أو تعرض للشفاعة فيمن وجب عليه[2] .

فالنبي صلى الله عليه وسلم يبين في هذا الحديث إن من أسباب هلاك الأمم السابقة ظلم الراعي للرعية بتطبيق القانون على الضعفاء فقط دون أصحاب الجاه والسلطان .

فيجب أن يطبق القانون على الجميع وبالسوية ودون محاباة، لأن ذلك يبعث الطمأنينة في النفوس، ويجعل الضعيف المُحِق يوقن بأنه في مأمن من ظلم القوي، لأن الدولة معه ممثلة بقانونها الذي تطبقه محاكمها بعدل وبجدية وعلى الجميع وبدون محاباة لأحد، ومن كانت معه الدولة وقانونها فهو أقوى من غيره مهما كان هذا الغير ذا نفوذ وجاه وسلطان .

فإذا اختل هذا الوضع فلم يطبق القانون على الجميع، وأخذت المحاباة تفعل فعلها وهي التي يأخذ بها الحكام، كان ذلك من الظلم الذي تباشره الدولة، أو تعين على وقوعه أوتسكت عنه فلا تمنعه، فتتلبس الدولة بالظلم وتغشاها ظلمته، فيقوم فيها سبب الهلاك فتهلك[3].

---

(1) صحيح البخاري واللفظ له، كتاب الأنبياء باب أم حسبت أن أصحاب الكهف، رقم ٣٢٨٨، ج١٢٨٢/٣، صحيح مسلم ، كتاب الحدود، باب قطع يد السارق، رقم ١٦٨٨، ج١٣١١/٣ .

(2) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ج٩٦/١٢ .

(3) السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد، عبد الكريم زيدان، ص١٢٣ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library- Yarmouk University
المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذا الظلم وغيره من أنواعه المشينة، إذا قامت به الدولة أو تسترت عليه أو أعانت عليه، فسيترك أثراً بليغاً في نفوس المواطنين يتمثل بخيبة أملهم في الدولة وزعزعة ثقتهم بها... وتسلمهم هذه الحالة إلى عدم الاهتمام بالدولة وضعف الولاء لها وعدم الحرص على بقائها ولا الدفاع عنها... وتسلمهم هذه الحالة إلى حالة أسوأ منها وهي رغبتهم في هلاكها واضمحلالها ولو باستيلاء الغير عليها ولو كان من أعدائها[١] .

فالظلم من أسباب تباطؤ الاندفاع الحضاري وعجز الأمة عن مواصلة الصعود والعطاء، فالإحساس بالظلم وغياب العدل عوناً على نزف الطاقات المبدعة وكفاً لها عن العطاء[٢] .

ومن سنن الله تعالى أنه قد يمهل ويملي للطغاة والمستبدين وأعوانهم إلى وقت ما، ويمدهم مع ذلك بمتاع الحياة الدنيا فيوسع عليهم في حياتهم، فيظن هؤلاء أن حالتهم لا توجب عليهم نقمة، ولا يستحقون بها بأساً، وهو في الحقيقة استدراج وإملاء لهم من حيث لا يشعرون، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(إن الله ليُمْلِي للظالم، حتى إذا أخذهُ لم يُفلِتْهُ)، قال: ثم قرأ (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد)**[٣] .

قال النووي: معنى يملي يمهل ويؤخر ويطيل له في المدة، ومعنى لم يفلته أي لم يطلقه ولم ينفلت منه[٤] .

فالنبي صلى الله عليه وسلم يبين في هذا الحديث أن الظلم مهما طال له نهاية، ويحث على عدم إيقاع الظلم حتى لا يحلُّ بهذه الأمة ما حلَّ بالأمم السابقة قبلها .

---

(١) السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد، عبد الكريم زيدان، ص١٢٤ .
(٢) مدخل إلى الحضارة الإسلامية، عماد الدين خليل، ص١٦٦ .
(٣) صحيح البخاري واللفظ له، كتاب التفسير، باب قوله " وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى" ، رقم ٤٤٠٩، ج٤/١٧٢٦، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، رقم ٢٥٨٣، ج٤/١٩٩٧ .
(٤) شرح النووي على صحيح مسلم، ج٥/ ٥١٩ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم الأمة من الظلم، وعده من أسباب دخول النار، فعن أبي أمامة أن رسول الله **صلى الله عليه وسلم قال: (من اقتطع حقَّ امرىءٍ مسلمٍ بيمينه، فقد أوجب الله له النار، وحرم عليه الجنة) فقال له رجل: وان كان شيئاً يسيراً قال: (وان كان قضيباً من أراكٍ)** [1].

فالظلم سبب في القضاء على المحبة والتالف بين أبناء الأمة، وسبيل إلى غرس العداوة والبغضاء بينهم، فالإنسان الذي يشعر بالظلم بسبب ضياع حقه، قد لا تستقر نفسه ويندفع للقيام ببعض الممارسات التي تخل بأمن المجتمع واستقراره، ولاشك أن لهذا الأمر أثراً بالغاً في القضاء على حضارة الأمة.

ومن أنواع الظلم التي تقضي على كيان الأمة وتدمر حضارتها، الغدر وأكل لأموال بغير حق، **فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (قال الله تعالى: ثلاثةٌ أنا خصمهم يوم القيامة، رجلٌ أعطى بي ثم غدر، ورجلٌ باع حراً فأكل ثمنهُ، ورجلٌ استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطِهِ أجرَهُ)**[2].

فنقض العهد وعدم الوفاء به، يؤدي إلى إضعاف الثقة بين الناس، وأكل أموال الناس بالباطل يدفع الأمة إلى التقاتل والتنازع، ومنع العامل من الحصول على ثمرة جهده، يحطم كيانه ويضعفه عن القيام بالعمل، ولا يخفى ما لهذا كله من أثر في أضعاف الدور الحضاري لدى الأمة.

فالظلم معول من المعاول الهدامة، التي تعمل على هدم حضارة الأمة، وذلك لما له من الآثار السيئة التي تفتت وحدة الأمة وتخل بأمنها واستقرارها

---

(1) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى وجوه يومئذ ناضرة، رقم ٧٠٠٧، ج٦/٢٧١٠ ، صحيح مسلم واللفظ له، كتاب الإيمان ، باب وعيد من اقتطع حق مسلم ، رقم ١٣٧، ج١/١٢٢ .

(2) صحيح البخاري واللفظ له ،كتاب الإمارة، باب إثم من منع أجر الأجير، رقم ٢١٥٠، ج٢/٧٩٢، سنن ابن ماجة ، كتاب الرهون، باب أجر الأجراء، رقم ٢٤٤٢،ج٢/٨١٦ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

المطلب الخامس: الاختلاف المذموم .

يعتبر الاختلاف المذموم من أسباب انهيار الحضارات وهلاك الأمم، وذلك لما لـه من الأثر السيئ الذي يفتك بالأمة ويفرق جمعها ويشتت شملها، وقد نهى الإسلام عن التفرق والاختلاف لتبقى الأمة قوية عزيزة مهيبة الجانب، قال تعالى: (***ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم***)[١] .

قال الطبري: ينهى الله تبارك وتعالى هذه الأمة أن يكونوا كالأمم الماضية في افتراقهم واختلافهم وتركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[٢] .

والاختلاف المذموم الذي يؤدي إلى الافتراق هو الاختلاف في أصول الديانة، الذي يفضي إلى تكفير بعض الأمة أو تفسيقه دون الاختلاف في الفروع المبنية على اختلاف مصالح الأمة في الأقطار والأعصار[٣] .

وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من التفرق والاختلاف وعدّه من أسباب هلاك الأمم فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رجلاً قرأ آية وسمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ خلافها، فجئت به النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته فعرفت في وجهه الكراهية، وقال: **(كلاكُما محسنٌ، ولا تختلفوا، فإن من كان قبلكُم اختلفوا فهلكوا)**[٤] .

قال ابن حجر: في الحديث الحض على الجماعة والألفة، والتحذير من الفرقة والاختلاف، والنهي عن المراء في القرآن بغير حق، ومن شر ذلك أن تظهر دلالة الآية على شيء يخالف الرأي، فيتوسل بالنظر وتدقيقه إلى تأويلها وحملها على ذلك الرأي، ويقع اللجاج في ذلك والمناضلة عليه[٥].

---

[١] سورة آل عمران، آية ١٠٥ .
[٢] تفسير الطبري، ج٥١٥/١ .
[٣] التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج٨٠٢/١ .
[٤] صحيح البخاري واللفظ له، كتاب الأنبياء، باب أم حسبت أن أصحاب الكهف، رقم ٣٢٨٩، ج١٢٨٢/٣، سنن النسائي، كتاب فضائل القرآن، باب المراء بالقرآن، رقم ٨٠٩٥، ج٣٣/٥ .
[٥] فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ج١٠٣/٩ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

وذكر هذا الحديث ابن تيمية فقال: نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الاختلاف الذي فيه جحد كل واحد من المختلفين ما مع الآخر من الحق لأن كلا القارئين كان محسناً فيما قرأه، وعلل ذلك بأن من كان قبلنا اختلفوا فهلكوا... وأعلم أن أكثر الاختلاف بين الأمة الذي يورث الأهواء تجده من هذا الضرب، وهو أن يكون كل واحد من المختلفين مصيباً فيما يثبته أو في بعضه مخطئاً في نفي ما عليه الآخر، كما أن القارئين كل منهما كان مصيباً في القراءة بالحرف الذي علمه مخطئاً في نفي حرف غيره، فإن أكثر الجهل إنما يقع في النفي الذي هو الجحود والتكذيب لا في الإثبات[1].

فالنبي صلى الله عليه وسلم يحذر الأمة في هذا الحديث من الاختلاف ويبين أن الاختلاف من الأسباب التي هلكت بها الأمم السابقة قبلنا .

والاختلاف المهلك للأمة هو الاختلاف المذموم، وهو الذي يؤدي إلى تفرقها وتشتتها وانعدام التناصر فيما بين المختلفين لما يورثه الخلاف من كراهية وربما عداوة فيما بينهم، واعتقاد كل طرف ببطلان ما عند الآخر، وقد يؤول الأمر إلى استباحة قتال بعضهم بعضاً، أما اختلاف الفقهاء فيما يجتهدون فيه، فهذا لا يدخل في مفهوم الاختلاف المذموم المهلك للأمة وإنما هو من الاختلاف السائغ غير المذموم [2].

ولا شك أن الاختلاف المذموم الذي يؤدي إلى هلاك الأمم لا ينحصر فقط بالاختلاف في أمور الدين وإنما يشمل الاختلاف في أمور الدنيا أيضاً، وذلك لما له من اثر في تفكيك الأمة وتقطيع عرى المحبة والألفة بين أفرادها، مما يؤدي إلى استنزاف قدرات الأمة وضياع مجهودها في غير الطريق الصحيح، وبالتالي إضعاف قوتها وتهديد حضارتها.

---

[1] اقتضاء الصراط المستقيم، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ط٢، ص٣٥ .
[2] السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد، عبد الكريم زيدان، ص١٣٩ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

وقد مضت سنة الله تعالى في الأمم أن الاختلاف من أسباب هلاكها كما أخبرنا بذلك رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم، فعن أبي هريرةَ رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **(ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم، فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرةُ مسائلهم واختلافُهُم على أنبيائهم)**[1].

قال المباركفوري: فإنما أهلك من كان قبلكم أي من اليهود والنصارى، بكثرة سؤالهم كسؤال الرؤية والكلام وقضية البقرة... والاختلاف موجب للهلاك، فإذا أمرهم الأنبياء بعد السؤال أو قبله واختلفوا عليهم استحقوا الهلاك[2] .

وهذا يعني أن الاختلاف في امتثال ما أمر به الأنبياء كان سببا في هلاك الأمم السابقة، وأن الأمة اليوم إذا تنازعت واختلفت في امتثال ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم وعطلت أوامره فإن ذلك سيقودها إلى المصير المحتوم الذي حلَّ بالأمم السابقة .

وإنما كان الاختلاف المذموم علة لهلاك الأمة، لأنه يجعل الأمة فرقاً شتى مما يضعفها، لأن قوتها وهي مجتمعة أكبر من قوتها وهي متفرقة لتفرق قوتها على الفرق كلها، وقوة كل فرقة هي اضعف من قوة الأمة مجتمعة، وهذا الضعف العام الذي يصيب الأمة بمجموعها يجرئ العدو عليها فيطمع فيها فيهاجمها ويحتل أرضها ويستولي عليها ويستعبدها ويمسخ شخصيتها، وفي ذلك انقراضها وهلاكها[3] .

والاختلاف كما يضعف الأمة ويهلكها، يضعف الجماعة المسلمة التي تنهض بواجب الدعوة إلى الله ثم يهلكها، ولهذا كان شر ما تبتلى به الجماعة المسلمة وقوع الاختلاف المذموم فيما بينها، بحيث يجعلها فرقاً شتى، بحيث ترى كل فرقة أنها على حق وصواب، وأن غيرها على خطأ وضلال[4] .

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم، رقم ٦٨٥٨، ج٢٦٥٨/٦، صحيح مسلم واللفظ له، كتاب الفضائل، باب توقيره صلى الله عليه وسلم، رقم ١٣٥٧، ج١٨٢٩/٤ .

(2) تحفة الأحوذي، المباركفوري، ج٣٧٢/٧ .

(3) السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد، عبد الكريم زيدان، ص١٣٩ .

(4) السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد، عبد الكريم زيدان، ص١٤٠ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن الفرقة والاختلاف تعد من أسباب هلاك الأمة فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية: **(قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أعوذ بوجهك)، قال: (أو من تحت أرجلكم) قال: (أعوذ بوجهك). قال (أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض). قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (هذا أهون أو هذا أيسر)** [1].

فقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن اختلاف الأمة وانقسامها إلى فرق متباغضة يعدُّ أحد أنواع العقوبات التي تصاب بها هذه الأمة، ولاشك إن انقسام الأمة وتفرق أمرها يؤدي إلى وقوع التقاتل والتباغض بين أبنائها ولا يخفى ما لذلك من دور في إضعاف قوتها وتدمير حضارتها.

ومن الاختلاف الذي يدمر حضارة الأمة ويهلكها في الدنيا والآخرة، الاختلاف في أصول الدين، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة، وإن أمتي ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة، كُلُّها في النار، إلا واحدة، وهي الجماعة)**[2].

يبين النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث، أن الفرقة والاختلاف كانت من الأسباب التي هلكت بها بنو إسرائيل، وان أمته سوف يحل بها ما حل ببني إسرائيل من أسباب الهلاك، وأول هذه الأسباب التفرق والانقسام .

وخلاصة الأمر: أن للاختلاف دورا بارزا في هدم الحضارة، وقد حذر منه المصطفى صلى الله عليه وسلم في أحاديث كثيرة، لتبقى الأمة قوية مهيبة الجانب، ولكننا نرى أن المسلمين اليوم قد ساد بينهم التفرق والاختلاف، فأدى ذلك إلى إضعاف قوتهم واستعلاء

---

[1] صحيح البخاري واللفظ له ،كتاب التفسير ،باب "قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا " ، رقم:٤٣٥٢ ،ج١٦٩٤/٤.

[2] سنن الترمذي ، كتاب الإيمان، باب افتراق الأمة، رقم ٢٦٤٠ ، ج٣٨١/٤، وقال :حسن صحيح، سنن أبن ماجة واللفظ له ، كتاب السنن، باب افتراق الأمة، رقم ٣٩٩٣، ج١٣٢٢/٢، وقال الدكتور بشار عواد: إسناده صحيح .سنن أبي داود، رقم ٤٥٩٦، ج٦٠٨/٢ ، صحيح أبن حبان ، رقم ٦٢٤٧،ج١٤٠/١٤، وقال الألباني: حديث صحيح ، صحيح سنن أبن ماجة ، رقم ٣٢٢٧،ج٣٦٤/٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

عدوهم عليهم، ولا شك إن تسلط العدو على بلاد المسلمين يعتبر من مؤشرات الهلاك للأمة الإسلامية في الدنيا قبل الآخرة، فالاختلاف المذموم لا يجلب لأهله إلا الذل والضعف والانحراف عن الطريق السوي المنجي في الدنيا والآخرة.

فالاختلاف معول من معاول الهدم التي تقضي على كيان الأمة، وتضعف قوتها وتذهب بعزتها وكرامتها، لأن الأمة لا تنصر على عدوها، إلا إذا اتفقت كلمتها وتوحد صفها.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

www.manaraa.com

المبحث الثالث

الفساد

يعتبر الفساد بأنواعه المختلفة من أخطر الأمور التي تحول دون استمرار الحضارة لذلك رأيت أن أتناول في هذا المبحث أثر الفساد في خلخلة المسيرة الحضارية وزعزعة أمن الأمة واستقرارها .

فالفساد نقيض الإصلاح، والمفسدة خلاف المصلحة(١)، وقد نهى الإسلام عن الفساد بأنواعه المختلفة، قال تعالى: (*وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين*)(٢)، وقال تعالى: (*ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين *)(٣).

فالإسلام ينهى عن الفساد بكل صوره وأشكاله وسوف أتناول في هذا المبحث إن شاء الله تعالى بعض أشكال الفساد التي نهى عنها الإسلام وذلك من خلال المطالب التالية :

المطلب الأول: الفساد السياسي .

يعدّ الفساد السياسي من أبرز العوامل التي تساهم في هدم الحضارة وتهدد أمن الأمة واستقرارها إذ كيف يمكن لأمة من الأمم أن تستقر وتأمن إذا لم تعتمد الإسلام كأساس لقيادة البشرية .

فأي انحراف في تطبيق الأصول العامة والمقاصد العليا التي جاء بها الوحي، وأي تهاون في إنزالها على أرض الواقع، يؤدي بنظام الحكم إلى الفساد المفسد للأمة جمعاء، ولعل من أهم أشكال الانحراف، تعطيل شرع الله وعدم الحكم بكتابه الكريم(٤) .

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، ج١٠/ ٢٦١ .
(٢) سورة القصص ، آية ٧٧ .
(٣) سورة هود، آية ٨٥ .
(٤) سنة الله في إحياء الأمم واضمحلالها، نداء محمد حامد، ص١٢٨ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

وهذا الانحراف الخطير عقوبته صارمة حاسمة، وهي أن تؤول الأمة إلى الذل والصغار[1]، قال تعالى: ﴿*إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الأَذَلِّينَ﴾[2] .

وقد بين المصطفى صلى الله عليه وسلم أن الفساد السياسي وعدم الحكم بما أنزل الله تعالى من أسباب هلاك الأمم السابقة، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: أقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: **(يا معشر المهاجرين خمسٌ إذا ابتليتم بهنّ، وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط، حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافِهم الذين مضوا، ولم يُنقصوا المكيال والميزان، إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسولهِ، إلا سلّط الله عليهم عدواً من غيرهم، فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله، ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل بأسهم بينهم)**[3] .

يبين النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث أن التهاون في أمانة الدين وعدم الحكم بما أنزل الله تعالى وترك منهج الإسلام في الحكم، يؤدي بالأمة إلى الضعف والانهيار، فيتسلط عليها العدو وينهب خيراتها ويسودها التقاتل والتنازع الذي يذهب هيبتها بين الأمم ، فتقع فريسة لأعدائها وفي هذا يكون هلاكها في الدنيا قبل الآخرة.

يقول برغوث عبد العزيز: فالحكم بمقتضى القانون الوضعي وترك منهج الإسلام في الحكم مرض سياسي يؤدي إلى أزمة أخلاقية هي التقاتل والتنازع، وهذا سيؤثر في بقاء النسل، ويساهم في فشو الدم الذي يخرب به العمران البشري...وهذهِ الثنائيات التي يذكرها الحديث، والتي تمثل سبباً ونتيجة، ليست مذكورة على سبيل الحصر، وإنما مجرد أمثلة

---

(1) سنة الله في إحياء الأمم واضمحلالها، نداء محمد حامد، ص١٢٩ .
(2) سورة المجادلة، آية ٢٠ .
(3) سنن ابن ماجة واللفظ له، كتاب الفتن، باب العقوبات، رقم ٤٠١٩، ج١٣٣٢/٢، وقال الألباني: حديث حسن، السلسلة الصحيحة، رقم ١٠٦،ج٢١٦/١، المعجم الكبير، رقم ١٠٩٩٢، ج٤٥/١١ . المعجم الأوسط ، رقم ٤٦٧١،ج٦١/٥. مستدرك الحاكم ، رقم ٨٦٢٣،ج٥٨٢/٤، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

بسيطة للسنن التي تتحكم في الظاهرة الاجتماعية في مستواها الأخلاقي، والاجتماعي، والسياسي، والاقتصادي، والتربوي... والروح التي تسري في الحديث هي الروح السننية، بمعنى أنه مبني على أسباب وقوانين، وسنن مضطردة، لا تتخلف في أي زمان ولا مكان، في حالة توفر الشروط المحددة لكل قضية من القضايا المطروحة، ومن هذا المنطلق بالذات، استطاع النبي صلى الله عليه وسلم بحكمته، وإحاطته بالأمور، أن يخترق حدود الزمان والمكان ليقرر مسألة (الغثاء) التي تعيشها أمتنا اليوم[1] .

ومن أشكال الانحراف عن منهج الله تعالى في الحكم كون الحكام ممن لا يتصفون بالصفات الإيمانية والعلمية والسياسية المطلوبة، وقد بين المصطفى صلى الله عليه وسلم أن فساد الحكام من أشد الأمور خطراً على الأمة، فعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(إنَّما أخافُ على أمَّتي الأئمَّة المُضِلِّين)**[2].

فالنبي صلى الله عليه وسلم يحذّر الأمة من إتباع أهل الفسق والبدع والضلال، وتوليَهم أمور الناس، وذلك لما لفساد الحكام من اثر في خلخلة أمن الأمة واستقرارها، إذ لا يمكن لأمة من الأمم أن يسودها الأمن والنظام إلا إذا تولى إدارة شؤونها من هم أهل لذلك .

والأحاديث التي تنص على أن الفساد السياسي يؤدي بالأمة إلى الهلاك والانهيار كثيرة جداً، ولا يمكن الوقوف عليها جميعاً، ومن هذه الأحاديث ما روي عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(إن الله تعالى زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن ملك أمتي سيبلغ ما زوي لي منها، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض، وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة، ولا يسلط عليهم عدواً من**

---

(1) المنهج النبوي والتغيير الحضاري، برغوث عبد العزيز، كتاب الأمة، ط١، ١٩٩٥، ص٩٤- ٩٥ .

(2) سنن الترمذي، كتاب الفتن، باب الأئمة المضلين، رقم ٢٢٢٩، ج٤/٥٠٤، وقال حديث حسن صحيح، سنن أبي داود، كتاب الفتن، باب ذكر الفتن، رقم ٤٢٥٢، ج٢/٤٩٩ . مسند أحمد، رقم ٢٢٤٤٧،ج٥/٢٧٨، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم . سنن الدارمي، رقم ٢٠٩،ج١/٨٠. وقال الألباني: حديث صحيح ، صحيح الجامع الصغير ، رقم ٤٠٨،ج١/٤٠٨ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، وإن ربي قال لي: يا محمد، إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، ولا أهلكهم بسنة عامة، ولا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بين أقطارها، أو قال بأقطارها، حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً، وحتى يكون بعضهم يسبي بعضاً، وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين، وإذا وضع السيف في أمتي لم يرفع عنها إلى يوم القيامة، ولا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان، وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي، ولا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين)[1] .

فالنبي صلى الله عليه وسلم يبين في هذا الحديث أن فساد الأحوال وانتشار الفوضى والفساد، وعدم الحكم بما أنزل الله وتولية أمور الناس لأهل البدع والضلال، يؤدي إلى هلاك الأمة وتدمير حضارتها .

فساعة السقوط تحين يوم يتسلم المسؤولية المترفين الفسقة أو الإداريين الظلمة، أو المجرمين الطغاة، فيمارسون من مواقع السلطة كل أسلوب من شأنه أن يؤول إلى إلحاق التفكك والدمار بالجماعة أو الأمة التي ارتضتهم قادة لها[2] .

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن تبدل الأمور وفساد الأحوال في آخر الزمان، فعن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، **عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إنه يستعمل عليكم أمراء، فتعرفون وتنكرون، فمن كره فقد برئ ، ومن أنكر فقد سَلِمَ، ولكن من رضي وتابع) قالوا يا رسول الله ! ألا نقاتلُهُم ؟ قال: (لا ما صلوا)**[3].

---

(1) صحيح مسلم، كتاب الفتن، باب هلاك هذه الأمة، رقم ٢٨٨٩، ج٤/٢٢١٥، سنن الترمذي، كتاب الفتن، باب سؤال النبي، رقم ٢١٧٦، ج٤/٤٧٢، سنن أبي داود واللفظ له، كتاب الفتن والملاحم، باب ذكر الفتن، رقم ٤٢٥٢، ج٢/٤٩٩، سنن ابن ماجة، كتاب الفتن، باب ما يكون من الفتن، رقم ٣٩٥٢، ج٢/١٣٠٤ .

(2) مدخل إلى الحضارة الإسلامية، عماد الدين خليل، ص١٦٠ .

(3) صحيح مسلم واللفظ له ، كتاب الإمارة ، باب وجوب الإنكار على الأمراء ، رقم ١٨٥٤، ج٣/١٤٨٠، مسند أحمد ، رقم ٢٦٥٧١، ج٦/٢٩٥ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

يبين النبي صلى الله عليه وسلم أن من الأمور التي ستبتلى بها الأمة، جعل القيادة بيد من يقود الأمة بغير هدي الإسلام وتعاليمه، ويحذر الأمة من متابعة من يفعل ذلك، ويوجهها إلى ضرورة الإنكار عليه، حتى لا يدفع بها إلى الهلاك والدمار.

ومما يؤكد ذلك أيضا ما روي عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(ليأتين على الناس زمان، يكون عليكم أمراء سفهاء، يقدمون شرار الناس ويظهرون بخيارهم، ويؤخرون الصلاة عن مواقيتها، فمن أدرك ذلك منكم، فلا يكونن عريفا ولا شرطيا ولا جابيا ولا خازنا)**[1].

يحذر النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث، من مساندة الأمراء المفسدين، ويدعو إلى عدم معاونتهم، لأن مساندة أهل الفسق والضلال تدفهم إلى التمادي بالباطل، فيهلكون العباد بما يمارسونه عليهم من قيادة ضالة وسياسة فاسدة.

يتبين من خلال ما سبق أن الفساد السياسي، معول من معاول الهدم التي تنخر في جسد الحضارة، وان جعل القيادة بيد أهل الضلال ومن لا يحسنون التصرف في شؤون الأمة، يذهب بعزتها وكرامتها، ويؤدي إلى ضعفها وانهيارها .

---

[1] مسند أبي يعلى واللفظ له، رقم ١١١٥،ج٣٦٢/٢، وقال حسين سليم أسد: عبد الرحمن بن مسعود وثقه ابن حبان والهيثمي ، وباقي رجاله ثقات ، مجمع الزوائد ، رقم ٩٢٢٥،ج٤٣٢/٥، وقال: رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح، خلا عبد الرحمن بن مسعود وهو ثقة ، المعجم الصغير ، الطبراني ، رقم ٥٦٤،ج٣٤٠/١ . وقال الألباني: حديث صحيح، السلسلة الصحيحة، رقم ٣٦٠،ج٧٠١/١

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

المطلب الثاني: الفساد الاقتصادي .

يعدّ الفساد الاقتصادي والبعد عن منهج الله تعالى في كسب المال وإنفاقه معولاً من معاول هدم الحضارة إذ كيف يمكن لأمة من الأمم العيش بأمن واستقرار إذا لم تلتزم هدي الإسلام وتعاليمه في كسب المال وإنفاقه .

وأيما اقتصاد اخترعه البشر، وشذ عن هدي الإسلام وتعاليمه فهو اقتصاد فاسد ويعتريه النقص من كل جانب، لأنه يؤثر المصلحة الخاصة على المصلحة العامة، ويسعى إلى حصر الثروة بيد فئة معينة ويحرم منها فئات أخرى، وهذا الانحراف له الأثر الكبير في خلخلة أمن الأمة واستقرارها وزرع الحقد والكراهية بين أفرادها .

ففي عصرنا الحاضر نجد أن الأسس الصحيحة التي يقوم عليها الاقتصاد السليم قد أهملت، وتناسى الإنسان أنه مستخلف في مال الله، فالانحراف عن طريق الكسب المشروع وعن طرق الإنفاق المشروعة، وأصبح أكبر همه جمع المال من أي وجه كان، وبأي طريقة كانت فأصبح المال نقمة بعد أن كان نعمة .

وقد حذر الإسلام من فساد الاقتصاد وتلوثه، فحرم تحريماً واضحاً أكل المال بالباطل، قال تعالى: **﴿*يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ*﴾**[1].

قال أبن كثير: ينهى تبارك وتعالى عباده المؤمنين عن ان يأكلوا أموال بعضهم بعضا بالباطل، أي بأنواع المكاسب التي هي غيرشرعية، كأنواع الربا والقمار وما جرى مجرى ذلك(٢).

وقد بين القرآن الكريم أيضا أن الفساد الاقتصادي كان من أسباب هلاك قوم سيدنا شعيب عليه السلام، قال تعالى: **﴿*وإن كان أصحابُ الأيكةِ لظالمين*﴾**[3].

---

[1] سورة النساء، آية ٢٩ .
[2] تفسير أبن كثير ، ج٦٣٦/١ .
[3] سورة الحجر،آية ٧٨ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

أصحاب الأيكة هم قوم شعيب عليه السلام، والأيكة الشجر الملتف، وكان ظلمهم بشركهم بالله وقطعهم الطريق، ونقصهم المكيال والميزان فانتقم الله منهم بالصيحة والرجفة[1] .

فالفساد الاقتصادي وتطفيف المكيال والميزان كان من أسباب هلاك الأمم السابقة، وقد أخبر المصطفى صلى الله عليه وسلم أن الأمة سيحل بها ما حل بالأمم السابقة قبلها من البعد عن منهج الله تعالى في كسب المال وإنفاقه . فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(ليأتين على الناس زمانٌ، لا يبالي المرءُ بما أخذ المال، أمِنْ حلالٍ أم من حرامٍ)**[2] .

قال ابن التين أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بهذا تحذيراً من فتنة المال، وهو من بعض دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم لإخباره بالأمور التي لم تكن في زمنه ووجه الذم من جهة التسوية بين الأمرين، وإلا فأخذ المال من الحلال ليس مذموماً[3] .

يخبر النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث عن فساد الأحوال في آخر الزمان والسعي لكسب المال بالطرق المحرمة، ولا شك أن ذلك يعدّ من أسباب هلاك الأمم في الدنيا والآخرة، لان الحرص على جمع المال والبعد عن منهج الإسلام في كسبه وإنفاقه يؤدي إلى انتشار المعاصي والمنكرات التي تدمر الحضارة، فيكثر الربا والغش والسرقة وأكل أموال الناس بالباطل، وغير ذلك من وجوه الكسب المحرمة التي تقضي على الروابط الاجتماعية وتخلخل أمن المجتمع واستقراره.

---

(1) تفسير ابن كثير، ج٢/٧٣٣ .

(2) صحيح البخاري واللفظ له، كتاب البيوع، باب السهولة والسماحة، رقم ١٩٧٧، ج٢/٧٣٣، سنن النسائي، كتاب البيوع، باب اجتناب الشبهات، رقم ٤٤٥٤، ج٧/٢٤٣، مسند أحمد، رقم ٩٨٣٧، ج٢/٤٥٢ .

(3) فتح الباري، ابن حجر، ج٤/٢٩٧ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

وقد اعتبرت السنة النبوية الربا من مهلكات الأفراد والأمم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا: يا رسول الله وما هنّ؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات)**[1] .

فقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم الربا في مرتبة تلي القتل للدلالة على خطورته وتفظيع أمره، فالأمة التي تبني نظامها الاقتصادي على أساس الربا، سرعان ما يغشاها الهلاك والدمار، وذلك لما للربا والاعتداء على حقوق العباد من أخطار تعود على الفرد والجماعة .

فالربا يقود إلى الفساد والظلم وفناء الأموال، وإلى قطع سبيل المعروف بين الناس، ويجعل العلاقات بين أفراد المجتمع علاقات مادية صرفة ... وإباحته مفسدة من أكبر المفاسد للأخلاق وشؤون الاجتماع، زادت في أطماع الناس، وجعلتهم ماديين لا هم لهم إلا الاستكثار من الأموال، وكادت أن تحصر ثروة البشر في أفراد منهم، وتجعل الناس عالة عليهم[2] .

وقد لعن النبي صلى الله عليه وسلم كل من يشارك في المعاملات الربوية من بعيد أو قريب، فعن جابر رضي الله عنه قال: **(لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا، ومُوكِلَهُ، وكاتِبَهُ وشاهديه، وقال هم سواء)**[3] .

فالنبي صلى الله عليه وسلم يبين في هذا الحديث أن الأمة التي تتعامل بالربا تستحق غضب الله وسخطه ولا شك أن في هذا هلاكها وانهيار حضارتها .

---

(1) صحيح البخاري واللفظ له، كتاب الوصايا، باب قول الله تعالى: (إن الذين يأكلون أموال اليتامى، رقم ٢٦١٥، ج١٠١٧/٣، صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر، رقم ٨٩، ج٩٢/١ .

(2) الخطوط الكبرى في الاقتصاد الإسلامي، رضا صاحب أبو حمد، ص١٦٠ .

(3) صحيح مسلم واللفظ له،كتاب المساقاة، باب لعن آكل الربا، رقم ١٥٩٨، ج١٢١٩/٣، سنن الترمذي، كتاب البيوع، باب في أكل الربا، رقم ١٢٠٦، ج٥١٢/٣، سنن النسائي، كتاب الزينة، باب الموتشمات، رقم ٥١٠٢، ج١٤٧/٨، سنن أبي داود، كتاب البيوع، باب في آكل الربا، رقم ٣٣٣٣، ج٢٦٤/٢ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن تطفيف الكيل والميزان كان من أسباب هلاك الأمم السابقة، وأن الأمة إذا فعلت ذلك فسوف يحل بها ما حلّ بتلك الأمم، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(خمس بخمس، قالوا: يا رسول الله وما خمس بخمس؟ قال: ما نقض قوم العهد إلا سلط عليهم عدوهم، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر، ولا ظهرت فيهم الفاحشة، إلا فشا فيهم الموت، ولا طففوا المكيال والميزان، إلا منعوا النبات، وأخذوا بالسنين، ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم القطر)**[1].

فالنبي صلى الله عليه وسلم يبين في هذا الحديث أن الأمة إذا تخلت عن هدي الإسلام في معاملاتها المالية والاقتصادية، فسوف يحل بها الهلاك والدمار الذي حل بالأمم السابقة قبلهم .

فتطفيف المكيال والميزان سبب في حرمان الأمة من خيرات الأرض ونباتها، وعدم الالتزام بمنهج الإسلام في إنفاق المال، بمنع الزكاة سبب في الحرمان من نعمة المطر، ولا شك أن الأمة التي تعرض نفسها لغضب الله وعقوبته، سيكون مصيرها الهلاك والدمار .

وقد بنى المصطفى صلى الله عليه وسلم اقتصاد الأمة على أساس الصدق والأمانة، وعدم الكتمان والغش، فعن حكيم بن حزام: **عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (البيِّعَان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كذبا وكتما مُحِقتْ بركةُ بيعهما)**[2].

---

(1) سنن ابن ماجة، كتاب الفتن، باب العقوبات، رقم ٤٠١٩، ج١٣٣٢/٢، المستدرك، كتاب الفتن والملاحم، رقم ٨٦٢٣، ج٥٨٢/٤، وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، المعجم الكبير واللفظ له، رقم ١٣٦١٩، ج٤٤٦/١٢ . وقال الألباني: حديث حسن ، صحيح الجامع الصغير ، رقم ٥٥٥١،ج٥٥٦/١.

(2) صحيح البخاري واللفظ له ، كتاب البيوع، باب البيّعان بالخيار، رقم ٢٠٠٤،ج٧٤٣/٢، صحيح مسلم ،كتاب البيوع، باب الصدق في البيوع، رقم ١٥٣٢،ج١١٦٤/٣ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

فقد عد النبي صلى الله عليه وسلم الكذب في البيع سبب في محق البركة، فالاقتصاد الذي يقوم على الكذب والغش والخداع، اقتصاد فاسد يزرع الأحقاد بين أبناء الأمة، ويؤدي إلى إضعاف الثقة بينهم، ولا يخفى ما لهذا من أثر في تراجع الأمة عن القيام بدورها الحضاري.

وقد أهتم صلى الله عليه وسلم بالأسواق ودعا إلى صلاحها، وتطهيرها من الغش والخداع، **فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على صبرة طعام، فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللا فقال: (ما هذا يا صاحب الطعام ؟) قال: أصابته السماءُ يا رسول الله، قال: (أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس ؟ من غش فليس مني)**[1].

فقد أنكر النبي صلى الله عليه وسلم على صاحب الطعام، إخفاء الطعام الذي به عيب ووضعه في أسفل الطعام ، وبين له أن هذا الفعل ليس من أفعال المسلمين، فشيوع الغش والخداع بين أبناء الأمة، يضعف الروابط بينهم ويدمر حضارتهم.

فالاقتصاد الذي يقوم على أساس الغش والخداع، والتعامل بالربا وأكل أموال الناس بالباطل، اقتصاد فاسد لا يجني للأمة سوى الهلاك والدمار، فعن عبد الله بن مسعود عن **النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لعن الله آكل الربا وموكله، وشاهديه وكاتبه، قال وقال: ما ظهر في قوم الربا والزنا، إلا أحلوا بأنفسهم عقاب الله عز وجل)**[2].

يبين النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث، أن بناء النظام الاقتصادي على أساس التعامل بالربا، يؤدي بالأمة إلى التعرض لعقوبة الله عز وجل في الدنيا والآخرة،

---

(1) صحيح مسلم واللفظ له، كتاب الإيمان، باب من غشنا فليس منا، رقم ١٠٢،ج٩٩/١ ، سنن الترمذي ، كتاب البيوع، باب كراهية الغش في البيوع، رقم ١٣١٥،ج٦٠٦/٣ .

(2) سنن أبي داود ، كتاب البيوع ، باب في آكل الربا ، رقم ٣٣٣٣،ج٢٦٤/٢ . سنن النسائي الكبرى ، رقم ١١٥٤،ج٣٠٦/٦ مسند أحمد، رقم: ٣٨٠٩، ج٤٠٢/١، وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره ، صحيح ابن حبان، رقم: ٤٤١٠،ج٢٥٨/١٠ ، وقال الألباني: حديث حسن ، صحيح الجامع الصغير ، رقم ١٠٥٧١،ج١٠٥٨/١ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

وذلك لما له من أضرار دينية وخلقية واجتماعية تعود على الفرد والمجتمع، فهو سبيل لقطع الروابط بين أبناء الأمة، وطريق لنشر المعاصي والمنكرات بينهم، ولا يخفى ما لهذا من أثر في القضاء على كيان الأمة وتدمير حضارتها.

وخلاصة الأمر أن الإسلام نهى عن كثير من العقود والمعاملات التي تضر بالأمة وتعرض حضارتها للانهيار، ودعا إلى بناء اقتصاد إسلامي يقوم على أساس هدي الإسلام وتعاليمه، فحرَّم الربا والغش والاحتكار والقمار، وغير ذلك من العقود التي تؤدي إلى أكل المال بالباطل، وبين أن الأمة التي تنحرف عن هدي الإسلام وتعاليمه في كسب المال وإنفاقه فإن مصيرها الهلاك والدمار .

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

www.manaraa.com

المطلب الثالث: الفساد الإداري .

يعتبر الفساد الإداري عاملاً من عوامل انهيار الحضارات واضمحلالها وذلك لما له من أثر في إفساد حياة الأمة، وزرع الأحقاد بين أفرادها .

ومن صور الفساد الإداري الشائعة، الرشوة في الوظائف العامة، والاختلاس من المال العام، والاحتيال والنصب، والتزييف والتزوير في التقارير الرسمية وغير ذلك[١].

والواقع أن هذه الصور العديدة تعمل جميعها على تجسيم الصورة العامة للفساد، فهي بمثابة سموم تعمل داخل البناء الكلي للمجتمع وتنظيماته المختلفة[٢] .

وقد بات الفساد الإداري آفة إدارية متفشية في القطاعين العام والخاص على حدٍ سواء في جميع دول العالم بلا استثناء[٣] .

ومن الآثار السيئة له أنه يضعف السلطة المعنوية والأخلاقية في المجتمع ويؤدي إلى إضعاف كفاءة العمليات الحكومية ويزيد من فرص الجريمة، ويقلل من فاعلية القرارات السياسية، ويقود إلى استخدام غير كفء للموارد المتاحة، ويثيب المجرم على حساب النزيه.. ويزيد أيضاً من التفاوت الطبقي[٤] .

وهناك صور أخرى للفساد الإداري منها وضع الرجل غير المناسب في المناصب الحساسة في الدولة، وإبعاد أو إهمال العناصر الكفوءة... ومنها بيع مناصب الدولة لمن يدفع أكثر ومنحه بذلك الفرصة لكي يجمع أكثر، بغض النظر عن سلامة الأساليب التي يعتمدها لتحقيق هدفه هذا، ومدى انسجامها مع الحقوق العامة للمواطنين ومنها انتشار الرشوة والمصادرة، وخراب الذمم، وأثرة الموظفين وجشعهم واستغلالهم... ولن يجد المرء كبير صعوبة في وضع يده على مئات الشواهد التاريخية، بصدد الممارسات الإدارية الفاسدة التي شهدتها القرون المتأخرة[٥] .

---

(١) الفساد الإداري ومجتمع المستقبل، السيد على شتا، مكتبة الإشعاع، مصر، ط١، ١٩٩٩م، ص٤٤ .
(٢) المرجع السابق، ص٤٥ .
(٣) مجلة بعنوان الفساد الإداري بالخصائص التنظيمية لموظفي الحكومة، منقذ محمد داغر، العدد ٦٠، مركز الإمارات للدراسات والبحوث، دولة الإمارات، ط١، ٢٠٠١م، ص٧ .
(٤) المرجع السابق، ص١٤-١٥ .
(٥) مدخل إلى الحضارة الإسلامية، عماد الدين خليل، ص١٧٢ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من الفساد الإداري بكافة صوره وأشكاله، ومن ذلك الرشوة التي تعطى لإبطال حق أو إحقاق باطل، فعن عبد الله بن عمرو قال: **(لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الراشِي والمرتَشي)**[1] .

قال المباركفوري: الرشوة الوصول إلى الحاجة بالمصانعة.. والراشي هو من يعطي الذي يعينه على الباطل، والمرتشي هو الآخذ للرشوة[2] .

فالنبي صلى الله عليه وسلم لعن في هذا الحديث كل من يسعى لإبطال الحق وإحقاق الباطل، وذلك لما لهذا العمل من دور في إيقاع الظلم على العباد وهضم حقوقهم، ولا شك أن المجتمع الذي يسوده الفساد الإداري، مجتمع متفكك، يسوده الظلم والانحلال الذي يهلك الأمة ويدمر حضارتها .

وقد حارب النبي صلى الله عليه وسلم الفساد الإداري بنفسه يشهد لذلك ما روي عن أبي حميد الساعدي أنه قال: **استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً على صدقات بني سُليم، يدعى ابن اللتبية، فلما جاء حاسبه، قال: هذا مالُكُمْ وهذا هديةٌ. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(فهلا جلست في بيت أبيك وأمك، حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقاً). ثم خطبنا، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: (أما بعد، فاني استعملُ الرجلَ منكم على العمل مما ولاني الله، فيأتي فيقول: هذا مالُكُمْ وهذا هدية اهديت لي، أفلا جلس في بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته، والله لا يأخذُ احدٌ منكم شيئاً بغير حقه، إلا لقي الله يحملُهُ يوم القيامة، فلأعْرِفَنَّ احداً منكم لقي الله يحمل بعيراً له رُغاءٌ، أو بقرةً لها خُوَارٌ، أو شاةً تَيْعَرُ)**[3].

وفي هذا الحديث بيان أن هدايا العمال حرام وغلول لأنه خان في ولايته وأمانته، وعقوبته يوم القيامة حمل ما اهدي إليه ...وسبب تحريم الهدية على العمال أنها بسبب الولاية[4].

---

(1) سنن الترمذي واللفظ له، كتاب الأحكام، باب الراشي والمرتشي، رقم ١٣٣٧، ج١٦/٣، وقال حديث حسن صحيح، سنن أبي داود، كتاب الأقضية، باب كراهية الرشوة، رقم ٣٥٨٠، ج٣٢٤/٢، سنن ابن ماجة، كتاب الأحكام، باب التغليظ في الحيف والرشوة، رقم ٢٣١٣، ج٧٧٥/٢ ، مسند أحمد ، رقم ٦٥٣٢،ج١٦٤/٢، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده قوي، رجاله ثقات رجال الشيخين .

(2) تحفة الأحوذي، المباركفوري، ج٤٧١/٤ .

(3) صحيح البخاري واللفظ له، كتاب الحيل ،باب احتيال العامل ليهدى له ،رقم:٦٥٧٨،ج٢٥٥٩/٦،صحيح مسلم ، كتاب الإمارة ،باب تحريم هدايا العمال ، رقم:١٨٣٢، ج١٤٦٣/٣.

(4) شرح النووي على صحيح مسلم ،ج٢٢٠/١٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

فقد حاسب النبي صلى الله عليه وسلم ابن اللتبية وانكر عليه قبول الهدايا التي اهديت إليه، وبين له أن هذه الهدايا كانت بسبب منصبه الذي شغله، وتوعد لمن يستغل منصبه من الولاة والموظفين بالخزي يوم القيامة، وذلك بتكليفه حمل ما أخذه من الهدايا فالذي يأخذ الجمل أو البقرة أو الشاة أو غيرها هدية في وظيفة عامة، فانه يأتي يوم القيامة يحملها على عنقه، ولا تكون هذه الأشياء صامتة، بل يأتي الجمل وله رغاء والبقرة ولها خوار والشاة وهي تيعر، وهذه الأصوات تفضح الجاني وتطلعهم على أفعاله المنكرة، فبين النبي صلى الله عليه وسلم أن الذي يخون أمانته التي أوكلت له يجر لنفسه الذل والهوان في الدنيا والآخرة.

وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم كل من ولي أمراً من أمور المسلمين من غشهم والأضرار بهم، فعن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: **سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : (ما من عبد يسترعيه الله رعية، يموت يوم يموت وهو غاشٌ لرعيته، إلا حرَّم الله عليه الجنة)**[1].

فالتحذير من غش الرعية يشمل الحكام ومَن دونهم من الولاة والموظفين الذين تتعلق بهم مصالح الأمة.

فعلى كل من ولِّي أمراً من أمور المسلمين أياً كان موقعه وعمله أن ينصح للمسلمين ويبتعد عن ظلمهم وغشهم، فلا يقبل الرشوة ولا يختلس من أموالهم، ولا يحتال عليهم ويزور في تقاريرهم ويعطل أعمالهم، لان القيام بمثل هذا يفسد الأحوال ويضيِّع الحقوق، وينشر العداوة والبغضاء ويعطل الإنتاج ويقضي على الأمن والاستقرار، ويذهب بعزة الأمة ويدمر حضارتها.

ومن صور الفساد الإداري، وضع الرجل غير المناسب في المناصب الحساسة في الدولة، واستبعاد العناصر ذات القدرة والكفاءة، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بان ذلك سوف

---

(1) صحيح البخاري ، كتاب الأحكام ، باب من استرعي رعية فلم ينصح ، رقم:٦٧٣١ ،ج٦/٢٦١٤،صحيح مسلم واللفظ له ، كتاب الإيمان ،باب استحقاق الولي الغاش لرعيته النار، رقم:١٤٢،ج١/١٢٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

يقع بعده، فعن أسيد بن حضير رضي الله عنه قال: **أن رجلا من الأنصار قال: يا رسول الله ألا تستعملني كما استعملت فلانا ؟ قال: (ستلقون بعدي أثرة، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض)** [1].

قال المباركفوري: " والمعنى أنه يستأثر عليهم بما لهم فيه اشتراك، في الاستحقاق...والسر في جوابه على طلب الولاية بقوله سترون بعدي أثرة، إرادة نفي ظنه أنه اثر الذي ولاه عليه، فبين له أن ذلك لا يقع في زمانه، وانه لم يخصه بذلك لذاته بل لعموم مصلحة المسلمين، وان الاستئثار للحظ الدنيوي إنما يقع بعدي وأمرهم عند وقوع ذلك بالصبر" [2].

والناظر في حال أمتنا اليوم يجد أنها تعاني من الفساد الإداري وبشكل ظاهر، فالوظائف الحساسة لا تمنح لأهل الاستحقاق والقدرة والكفاءة، بل تمنح لأبناء الأسر ذات الجاه والسلطان، وحتى الوظائف البسيطة لا تراعى العدالة في إشغالها، وأصبحت تشغل بطرق غير مشروعة كالرشوة وغيرها من الطرق الملتوية.

وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك، وعد الذي يتولى أمرا من أمور المسلمين ولا يعدل بينهم ويفعل ما هو في مصلحتهم، من غير ظلم ولا محاباة من الملعونين ، **فعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من ولي من أمر المسلمين شيئا، فأمَّر عليهم أحدا محاباة، فعليه لعنة الله لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا حتى يدخله جهنم)**[3].

وخلاصة الأمر أن الأمة إذا قدمت المصلحة الخاصة على المصلحة العامة، وسعى كل فرد من أفراد الأمة إلى تحقيق ما يسعى إليه بعيداً عن منهج الإسلام وتعاليمه، ودبّ الفساد في المؤسسات والنظم الإدارية، وضاعت الحقوق على أصحابها وانقلبت الموازين رأساً على عقب وتولى شؤون الناس من هم ليس أهل لذلك، فإن الأمة ستؤول إلى الهلاك والدمار.

---

[1] صحيح البخاري واللفظ له ، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي للأنصار اصبروا، رقم ٣٥٨١،ج١٣٨١/٣، سنن الترمذي ، كتاب الفتن، باب في الأثرة، رقم، ١٨٩،ج٤٨٢/٤ .

[2] تحفة الأحوذي ، المباركفوري، ج٣٥٥/٦ .

[3] سبق تخريجه .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library- Yarmouk University
www.manaraa.com

المبحث الرابع

الترف والنزعة المادية الصرفة

يعد الترف والاهتمام بمتاع الدنيا ونعيمها الزائل، والمبالغة في حب المال، والسعي لكسبه بشتى الطرق والوسائل، بعيداً عن منهج الإسلام وتعاليمه، من ابرز العوامل التي تؤدي إلى هلاك الأمة وتدمر حضارتها .

وهذا ما سوف نتعرف عليه إن شاء الله تعالى من خلال المطالب التالية :

المطلب الأول: الترف .

الترف لغة: التنعم والترفه، وأترفته النعمة أي أطغته وأفسدته[١] .

أما في الاصطلاح: فاصله التوسع في النعمة .

فالمترف يتوسع في التمتع بملذات الدنيا وشهواتها، وإذا أصابته مع ذلك الدهشة والعلو فعند ذلك يصبح بطراً، والبطر هو دهش يعتري الإنسان من سوء احتمال النعمة، وقلة القيام بحقها وصرفها إلى غير وجهها[٢] .

فيعتبر الثراء الفاحش مع الانغماس في الملذات والشهوات إحدى الآفات الهامة التي تنخر في عظام المجتمع، وتفت في عضده، وتمزق أوصاله، ومما يزيد الطين بلّة، ويعجل بالنهاية أن يصحب ذلك الثراء ألوان من التحلل والابتذال[٣] .

وقد ورد ذكر المترفين في القرآن الكريم، وما من موضع ذكروا فيه إلا والتشنيع ملازم له، فالترف من كبائر الإثم فقد وصف الله سبحانه وتعالى المترفين بالظلم والإجرام قال تعالى: ﴿...وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾[٤] . وما شاع الظلم في مجتمع إلا كان نذيراً بعذاب الله وهلاكه[٥] .

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، ج١٧/٩، مادة ترف .
(٢) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، ص٧٠ .
(٣) حضارات ورد ذكرها في القرآن الكريم والسنة النبوية، عبد الكريم عبد اللطيف الصعيدي، ص٤١ .
(٤) سورة هود، آية ١١٦ .
(٥) عوامل فساد الأمم كما يصورها القرآن الكريم، فايز صالح الخطيب، ص١٤٧ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

فانتشار الترف في أمة من الأمم يؤدي حتماً إلى انهيارها وسقوطها، ويصيرها ذليلة تحت رحمة أعدائها، فالمترفون هم سبب كل بلاء عظيم في داخل البلاد وخارجها .

وقد حذر القرآن الكريم من الترف في أكثر من موضع لما له من الآثـــار المـــدمرة التي تعود على الأمة.

قال تعالى: (*وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَـقَّ عَلَيْهَـا الْقَوْلُ فدمرناها تدميرا*)[1].

مترفيها أي متنعميها وجباريها وملوكها، وخصهم بالذكر مع توجه الأمر إلى الكل، لأنهم أئمة الفسق، ورؤساء الضلال، وما وقع من سواهم بأتباعهم [2].

وتبقى سنة الله التي لا تتبدل ولا تتغير تعمل عملها في هـــذا الكـــون وتتخـــذ مـــن المترفين أداة تسوق بها الأمم والحضارات إلى مصائرها المحتومة .

يقول ابن خلدون بعد أن ذكر هذه الآية: ووجهه أن مكاسبهم حينئذٍ لا تفي بحاجاتهم لكثرة العوائد ومطالبة النفس بها، فلا تستقيم أحوالهم. وإذا فسدت أحوال الأشخاص واحـــداً واحداً أختل نظام المدينة وخربت[3].

فأبن خلدون يرى أن الترف يؤدي إلى تراجع الدور الحضاري، لان الأمـــة التـــي تغرق في بحر الترف تستهلك أكثر مما تنتج، ولا يخفى اثر ذلك في عرقلة مسيرة التقـــدم الحضاري.

ويقول ابن خلدون في موضع آخر: ومن مفاسد الحضارة الانهماك فـــي الـــشهوات والاسترسال فيها لكثرة الترف، فيقع التفنن في شهوات البطن من المآكل والملاذ، ويتبع ذلك التفنن في شهوات الفرج بأنواع المناكح من الزنا واللـــواط، فيفـــضي ذلـــك إلـــى فـــساد النوع...[4].

---

(1) سورة الإسراء ، آية ١٦.
(2) روح المعاني ، الألوسي ، ج١٥/٤٣.
(3) مقدمة ابن خلدون ،ج٣/٨٧٨ .
(4) المرجع السابق ،ج٣/ ٨٧٩ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

يرى ابن خلدون أن الترف يؤدي إلى انهيار الحضارة وذلك بما يجره على الأمة من فساد في الأخلاق ونشر للمعاصي والمنكرات.

وقد حذر رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم من الاستغراق في الملذات والشهوات وبين أن ذلك من أسباب دخول النار، **فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (حُفَّتِ الجنةُ بالمكارهِ، وحُفَّت النارُ بالشهوات)**[1].

فاتباع أهواء النفس وملذاتها يجر الإنسان إلى فعل المحرمات التي تستوجب دخول النار، فالإنسان حين يصبح أكبر همه شهوات الدنيا وملذاتها الزائلة فإن ذلك يدفعه إلى تلبية هذه الشهوات بشتى الطرق والوسائل، فلا يتورع عن فعل المحرمات ولا يتجنب الوقوع في الشبهات، ولا يخفى ما لذلك من دور بارز في أعاقة التقدم الحضاري.

والترف سبب من أسباب الهلاك والدمار والاستئصال، ومن هنا كان الترف في نظر القرآن من أظهر أسباب الانحلال الاجتماعي، والتدمير المعنوي للأمة، ولاسيما إذا كثر المترفون، وأصبحوا أصحاب السلطة[2] .

وقد جعل القرآن الكريم المترفين من أصحاب الشمال المستحقين للعقاب، قال تعالى: **﴿*وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ*فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ*وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ*لا بَارِدٍ وَلا كَرِيمٍ*إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ﴾**[3].

فالإتراف هو الباعث على الإسراف والفسوق والعصيان والظلم والإجرام يظهر في الكبراء والرؤساء... فيكون سبب الهلاك والاستئصال، أو فقد الاستقلال[4] .

والأمم المترفة لا تهتم إلا بالمظاهر المادية، ولا يشغلها الاهتمام بمصالح الناس، فهي مشغولة بالشهوات والملذات، فعندما تبدأ بالتمتع بالترف والثراء الذي حصلت عليه، يؤدي ذلك إلى ميوعة الشعب، وضعف نفسيته ونمو الأثرة عنده، وكثرة الفساد فيه، فتفقد الأمة بذلك أكبر مصادر قوتها وتماسكها[5] .

---

(1) صحيح البخاري ،كتاب الرقاق ،باب حجبت النار بالشهوات ،رقم: ٦١٢٢،ج٥/٢٣٧٩ ، صحيح مسلم واللفظ له ،كتاب الجنة، رقم:٢٨٢٢،ج٤/٢١٧٤

(2) دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي، يوسف قرضاوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٩٦م، ص٤١ .

(3) سورة الواقعة، الآيات من٤١- ٤٥ .

(4) تفسير المنار، رشيد رضا، ج١٢/١٩١ .

(5) الخطايا في نظر الإسلام، عفيف عبد الفتاح طبارة، دار العلم للملايين، بيرون، ط١، ١٩٧٦م، ص١٥٨ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

ولقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من الترف لخطورته في أكثر من موضع، ويظهر ذلك من نهيه عليه الصلاة والسلام عن لبس الحرير والذهب بالنسبة للرجال، ومن نهيه صلى الله عليه وسلم عن الأكل أو الشرب في آنية الذهب والفضة، فعن حذيفة رضي الله عنه قال: **(نهانا النبي صلى الله عليه وسلم أن نشرب في آنية الذهب والفضة، وأن نأكل فيها، وعن لبس الحرير والديباج، وأن نجلس عليه)**[1].

وعن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(لا تلبسوا الحرير فإنه من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة)**[2].

فالنبي صلى الله عليه وسلم يبين أن السعي للتمتع بملذات الدنيا وزخارفها الزائلة، وعدم امتثال أوامر الإسلام سبب لحرمان الأمة من ملذات الآخرة .

فالمترفون لا يهتمون إلا بملاذ الدنيا وشهواتها وجمع المال لذلك، ولا يهمهم ما يكون في الناس من منكرات فهي لا تقلقهم ولا ينهون عنها، لأن انشغالهم واهتمامهم بما يجلب لهم الملذات فقط ولو كان ذلك على حساب الآخرة.

فالترف والإيغال في النعيم لا يعيش ولا ينمو إلا في المفاسد والشهوات، وتفاحش العلاقات، وهذه الأشياء بذاتها تقضي على القوة النفسية والجسدية والإبداعية، بل والصحية للأمة، وهذا ما حدث فعلاً في أمم الحضارة، حيث نرى الأستاذ المودودي يقرر هذا فيقول: إن أول ما جره تمكن الشهوات في الفرنسيين، اضمحلال قواهم الجسدية، وتدرجها إلى الضعف يوماً فيوماً[3].

---

(1) صحيح البخاري واللفظ له، كتاب اللباس، باب افتراش الحرير، رقم ٥٤٩٩، ج٥/٢١٩٥، صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة، رقم ٢٠٦٧، ج٣/١٦٣٧ .

(2) صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب لبس الحرير، رقم ٥٤٩٤، ج٥/٢١٩٤، صحيح مسلم واللفظ له، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم إناء الذهب، رقم ٢٠٦٩، ج٣/١٦٤١ .

(3) الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، توفيق يوسف الواعي، ص٧٦٢ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من الابتلاء بكثرة المال والنعم، لأنه قد يكون أشد من الابتلاء بالشر، فكثيراً ما يؤدي إلى التنافس والتحاسد والتدابر والقطعية، فعن عمرو بن عوف الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(فوالله ما الفقرَ أخشى عليكم، ولكني أخشى أن تبسط عليكم الدنيا، كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم)**[1].

قال ابن بطال: فيه أن زهرة الدنيا ينبغي لمن فتحت عليه أن يحذر من سوء عاقبتها، وشر فتنتها، فلا يطمئن إلى زخرفها، ولا ينافس غيره فيها، ويستدل به على أن الفقر أفضل من الغنى، لأن فتنة الدنيا مقرونة بالغنى، والغنى مظنة الوقوع في الفتنة التي قد تجر إلى هلاك النفس غالباً والفقير آمن من ذلك[2] .

وليس معنى هذا أن يحرص الإنسان على الفقر ويحارب الغنى، بل المراد أن لا يكون المرء عبداً للمال والشهوات على حساب دينه وأخلاقه .

فالنبي صلى الله عليه وسلم يبين في هذا الحديث أن من أسباب هلاك الأمم السابقة التنافس في أمور الدنيا ومتاعها الزائل، وجعل العلاقات المادية هي الموجه للعلاقات الإنسانية .

فالتعلق بالدنيا وملذاتها وشهواتها، لا يجلب للإنسان في النهاية غير التعاسة والشقاء، فالتنافس على الدنيا يؤدي إلى التناحر بين الناس، والارتماء الشديد على ملذات الحياة، وهذا الارتماء يجلب للإنسان المرض الباكر والموت المفاجئ، كما أن جعل الحياة الدنيا الغاية الوحيدة المرجوة، يولّد في القلب القلق على المستقبل الاقتصادي، والإصابة بالأمراض النفسية التي أصبحت السمة البارزة لأمراض هذا العصر، لذلك حذّر الإسلام من الانغماس في ملذات الحياة المؤدية إلى نسيان الله تعالى، هذا النسيان الذي يؤدي إلى الخسران في الدنيا والآخرة[3] .

---

(1) صحيح البخاري واللفظ له، كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدرا ، رقم ٣٧٩١، ج١٤٧٣/٤، صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقاق، رقم ٢٩٦١، ج٢٢٧٣/٤ .

(2) فتح الباري، ابن حجر، ج٢٤٥/١١ .

(3) الخطايا في نظر الإسلام، عفيف عبد الفتاح، ص٤٨ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من الاستغراق بنعيم الدنيا الزائل، والمبالغة في الحرص على المال ومنع حق الله فيه، **فعن أبي سعيد الخدري قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فخطب الناس فقال: (لا والله ما أخشى عليكم أيها الناس إلا ما يخرج الله لكم من زهرة الدنيا)، فقال رجل: يا رسول الله أيأتي الخير بالشر ؟ فصمت رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة ثم قال: (كيف قلت ؟)، قال: قلت يا رسول الله أيأتي الخير بالشر ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الخير لا يأتي إلا بخير أو خير هو إن كل ما ينبت الربيع يقتل حبطا أو يلم، إلا آكلة الخضر أكلت حتى إذا امتلأت خاصرتاها، استقبلت الشمس ثلطت أو بالت، ثم اجترت فعادت فأكلت، فمن يأخذ مالا بحقه يبارك له فيه، ومن يأخذ مالا بغير حقه، فمثله كمثل الذي يأكل ولا يشبع)**[1].قال النووي: فيه التحذير من الاغترار بالدنيا والنظر إليها والمفاخرة بها [2].

فالحرص على جمع المال، والانشغال بمتاع الدنيا الزائل على حساب القيم الدينية والأخلاقية، يجر الأمة إلى الضعف والهوان ويدمر حضارتهم.

فالأمة التي ابتليت وأصيبت بهذا الداء، لا تقدر على مواجهة أعدائها بل تكون لقمة سائغة لكل من أراد بها سوءاً مهما ضعف هذا العدو، وهذا ما يظهر من واقع المسلمين اليوم، فلننظر إلى حالهم، فهم في أسوأ حال، فأموالهم تسلب، وأعراضهم تنتهك، وأرضهم تستباح... وما ذلك إلا لأنهم رضوا بالحياة الدنيا، واستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير، فحق عليهم قول الله، ووقعت عليهم سنته، وألجموا بالهوان، والضعف والانكسار[3] .

وقد بين المصطفى صلى الله عليه وسلم أن المكثرين من متاع الدنيا ونعيمها الزائل، هم المقلون يوم القيامة إذا غرقوا بالتلذذ بهذه الأموال ولم يؤدوا حق الله فيها، **فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: كنت أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم في حرة المدينة، فاستقبلنا أحُدٌ فقال: (يا أبا ذر) . قلت لبيك يا رسول الله قال: (ما يسرني أن عندي مثل أحُدٍ هذا**

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الزكاة ، باب الصدقة على اليتامى،رقم ١٣٩٦،ج٥٣٢/٢، صحيح مسلم واللفظ له، كتاب الزكاة، باب تخوف ما يخرج من زهرة الدنيا، رقم١٠٥٢،ج٧٢٧/٢ .

(2) شرح النووي على صحيح مسلم، ج١٤٢/٧ .

(3) الترف ونتائجه على الفرد والمجتمع، ناصر عبد الله عمار، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، ط١، ١٩٩٠م، ص٤٣ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

ذهباً، تمضي عليَّ ثالثة وعندي منه دينارٌ، إلا شيئاً أرصدُهُ لِدَيْنٍ ، إلا أن أقولَ به في عباد الله هكذا وهكذا وهكذا) . عن يمينه، وعن شماله، ومن خلفه، ثم مشى ثم قال: (إن الأكثرين هم الأقلون يوم القيامة، إلا من قال هكذا وهكذا وهكذا – عن يمينه وعن شماله ومن خلفه – وقليل ما هم)[1] .

فالاهتمام بمتاع الدنيا والحرص على جمع المال، دون مراعاة القيم الدينية والأخلاقية، يصير الإنسان عبدا لملذاته وشهواته، ويؤدي به إلى الخسران في الدنيا والآخرة.

فالمترفون أكثر الناس استغراقا في المتاع، وأقربهم إلى الانحراف... لأن كثرة المال تدعوهم إلى السيادة والخلود إلى المتعة والراحة، وتيسر عمل الفسق، فترتع فيه النفس، وتستهتر بالقيم فلا تبالي فيها، وتتعاظم بمالها، كما تستهتر بأعراض الآخرين وتحاول أن تعوض لهم عنها بالمال، إذ يصبح المال كل شيء في مفهوم المترفين، وبهذا تفسد الفطرة، وتستجيب النفس لكل مفسدة[2].

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن كثرة الأموال من علامات الساعة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، **عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا تقومُ الساعةُ حتى يفيضَ المالُ، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج)، قالوا: وما الهرج يا رسول الله؟ قال: (القتل، القتل، القتل). ثلاثا** [3].

---

(1) صحيح البخاري واللفظ له، كتاب الرقاق، باب قول النبي ما يسرني أن عندي مثل احد، رقم ٦٠٧٩،ج٥/٢٣٦٧، صحيح مسلم، كتاب الزكاة ، باب الترغيب في الصدقة، رقم ٩٤، ج٢/٦٨٧ .

(2) المرجع السابق، ص٤٥ .

(3) سنن ابن ماجة، كتاب الفتن ، باب اشراط الساعة، رقم ٤٠٤٧،ج٥/٥٩ ، وقال الدكتور بشار عواد: إسناده صحيح ، صحيح ابن حبان،رقم ٦٦٥١ ،ج٥/٢٧ . مسند أحمد، رقم ١٠٨٠٢،ج٢/٥٢٥ ، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

المطلب الثاني: النزعة المادية الصرفة .

يعدُّ حب المال والحرص على جمعه بشتى الطرق والوسائل، والاستغراق في نعيم الدنيا ومتاعها الزائل، على حساب الآخرة ونعيمها الباقي، من الأمراض التي تفتك بالأمة وتدمر حضارتها، فالأمة التي لا تفرق بين الطرق المباحة والمحرمة في كسب المال، ويستوي لديها العمل والإرث والوصية، وغيرها من الطرق المباحة مع الربا والسرقة والغش وغير ذلك من الطرق المحرمة، أمة لا يمكن لها الاستمرار والبقاء، لأن ذلك معول هدم يدمر بنائها من كل جانب .

وقد حذر الإسلام من الاشتغال بالدنيا الفانية وترك العمل للآخرة الباقية، فقد حذر الله المؤمنين أن تشغلهم الأموال وتحصيلها عن طاعة الله، قال تعالى: **﴿*يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾**[1] .

أي لا يشغلكم الاهتمام بتدبير أمورها، والاعتناء بمصالحها والتمتع بها عن الاشتغال بذكر الله عز وجل من صلاة وعبادات أخرى... ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون لأنهم باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني[2] .

فالإسلام لم يحارب كسب المال، ولكنه لم يرض ذلك هدفاً للحياة، ولا غاية للوجود، وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يكون الإنسان عبداً للمال والشهوات وملذات الدنيا، فعن أبي هريرة رضي عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(تعس عبد الدينار وعبد الدرهم والقطيفة[3] والخميصة[4]، إن أعطي رضي، وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش...)**[5] .

---

(1) سورة المنافقون، آية ٩ .
(2) روح المعاني، الألوسي، ج١١٧/٢٨ .
(3) القطيفة: هي كساء له خمل . النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير، ج١٣٢/٤ .
(4) الخميصة: نوع من الكساء المعلم يكون من صوف وغيره، المرجع السابق، ج١٥١/٢ .
(5) صحيح البخاري واللفظ له، كتاب الجهاد والسير، باب الحراسة، رقم ٢٧٣٠، ج١٠٥٧/٣، سنن الترمذي، كتاب الزهد، رقم ٢٣٧٥، ج٥٨٧/٤، سنن ابن ماجة، كتاب الزهد باب في المكثرين، رقم ٤١٣٥، ج١٣٨٠/٢ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

فالنبي صلى الله عليه وسلم ينهى الأمة في هذا الحديث عن تعظيم أمر المال وملذات الدنيا والحرص عليها، ويبين أنها من موجبات التعاسة والشقاء، في الدنيا والآخرة، لأن الإنسان الذي يلهث وراء جمع المال، بكل الطرق والوسائل، ولا يلتزم الحدود التي شرعها الله عز وجل في كسب المال، فإنه يجرُّ لنفسه ولمجتمعه الانحلال والفساد، وتنتشر فيه الفوضى والجريمة التي تحطم كيان الحضارة وتدمر بنائها .

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن المبالغة في حب المال والحرص على جمعه يفسد على الأمة دينها، فعن كعب بن مالك الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم، بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه)**[1].

قال المباركفوري: ومعناه ليس ذئبان جائعان أرسلا في جماعة من جنس الغنم، بأشد إفساداً لتلك الغنم من حرص المرء على المال والجاه، فإن إفساده لدين المرء أشد من إفساد الذئبين الجائعين لجماعة الغنم إذا أرسلا فيها... أما المال فإفساده أنه نوع من القدرة يحرك داعية الشهوات وربما يشتد أنسه بالمال ويعجز عن كسب الحلال فيقتحم في الشبهات[2].

فحرص المرء على جمع المال والمبالغة في حبه يجعل المرء لا يتحرى الكسب الحلال، وإنما يكون همّه جمع المال بشتّى الطرق والوسائل، ولا يخفى ما لهذا من أثر في زعزعة أمن الأمة واستقرارها، فالأمة التي تقدس المال وتعظم شأنه وتتجاهل كل القيم والأخلاق الإسلامية التي تنظم علاقة الإنسان بالمال وكسبه، تنتشر فيها الفوضى والفساد، وتكثر فيها الجرائم والمنازعات على الحقوق، وتفقد أمنها واستقرارها، وما ذلك كله إلا لأنها عظّمت شأن المال وانحرفت عن منهج الإسلام وتعاليمه .

---

(1) سنن الترمذي واللفظ له، كتاب الزهد، باب أخذ المال، رقم ٢٣٧٦، ج١٨٥/٤ ، وقال حديث حسن صحيح ، مسند أحمد، رقم ١٥٨٢٢، ج٤٥٦/٣، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح ورجاله ثقات، سنن الدرامي، رقم ٢٧٣٣/ ج٣٩٤/٢، وقال حسين سليم أسد إسناده صحيح، صحيح ابن حبان، رقم ٣٢٢٨، ج٢٤/٨ .

(2) تحفة الأحوذي، المباركفوري، ج٣٩/٧ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أيضاً أن المال كان من أسباب فتنة الأمم السابقة، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(ألا إن الدينار والدرهم أهلكا من كان قبلكم، وهما مهلكاكم)**[1] .

فالنبي صلى الله عليه وسلم يحذر الأمة في هذا الحديث من الافتتان بالمال ويبين أنه كان من أسباب هلاك الأمم السابقة.

وقد ذم النبي صلى الله عليه وسلم المبالغة في الحرص على المال، فعن أبن عباس رضي الله عنه قال: **سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (لو كان لأبن آدم واديان من مال لابتغى ثالثا، ولا يملأ جوف أبن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب)**[2].

قال أبن حجر: فيه إشارة إلى ذم الاستكثار من جمع المال، وتمني ذلك والحرص عليه[3].

وليس المراد من هذا، أن طلب المال وكسبه مذموم في كل الأحوال، ولكن المذموم من الكسب، ما كان من طرق غير مشروعة، كالربا والقمار وبيع المحرمات، وغيرها من الأمور التي لا يجوز اتخاذها وسيلة للكسب.

ولا شك أن اتخاذ مثل هذه الطرق وسيلة للكسب، يفسد على الناس حياتهم، ويقضي على الترابط بينهم، وينشر المعاصي والمنكرات في المجتمع ويدمر حضارته.

والناظر في أحوال أمتنا اليوم يجد أن حب المال قد سيطر على العقول وغطى على القلوب، فأصبح الغالبية العظمى من أبناء الأمة، لا يلتزمون حدود الشريعة في كسب المال، فانتشر الربا والقمار والغش والاحتكار، وغيرها من الطرق المحرمة، وهذا ما أخبر

---

(1) صحيح ابن حبان، كتاب الرقائق، باب الفقر والزهد، رقم ٦٩٤، ج٤٦٩/٢، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين، المعجم الكبير، رقم ١٠٠٦٩ ج٩٥/١٠، المعجم الأوسط، رقم ٢٠٢٢، ج٢٩٤/٢، شعب الإيمان، البيهقي، رقم ١٠٢٩٣، ج٢٧٦/٧، مجمع الزوائد رقم ١٧٨٠٠، ج٤٢٨/١٠، وقال رواه الطبراني في الكبير والأوسط وإسناده حسن .

(2) صحيح البخاري واللفظ له ، كتاب الرقاق ، باب ما يتقى من فتنة المال، رقم ٦٠٧٢،ج٢٣٦٤/٥ ، صحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب لو أن لأبن آدم واديين ، رقم ١٠٥٠،ج٧٢٦/٢ .

(3) فتح الباري، ج٢٥٦/١١ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

المصطفى صلى الله عليه وسلم بحدوثه في آخر الزمان. فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(ليأتين على الناس زمان لا يبالي المرء بما أخذ المال، أمن حلال أم من حرام)**[1] .

فالأمة التي تحرص على جمع المال بشتى الطرق والوسائل، دون مراعاة لحلال أو حرام وتجعل ذلك اكبر همها، فان ذلك يؤدي بها للوقوع في شتى أنواع المعاصي والمنكرات من أجل الوصول إلى المال، فتختفي منها كل القيم الدينية والأخلاقية التي تحفظ لها كرامتها وعزتها، فينتشر فيها الربا والغش والسرقة والقمار والرشوة، وغير ذلك من أنواع المنكرات التي تعتبر معاول هدم تدمر بنائها الحضاري.

[1] صحيح البخاري واللفظ له، كتاب البيوع، باب قول الله تعالى " يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا " ، رقم ١٩٧٧، ج٧٣٣/٢، سنن النسائي، كتاب البيوع، باب اجتناب الشبهات، رقم ٤٤٥٤، ج٢٤٣/٧، مسند أحمد، رقم ٩٨٣٧، ج٤٥٢/٢ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

الفصل الخامس

المشروع الحضاري للأمة الإسلامية من خلال السنة النبوية .

المبحث الأول : علامات تدهور الحضارة المادية المعاصرة

المبحث الثاني : البشائر النبوية في هيمنة الحضارة الإسلامية

المبحث الثالث : دور الفرد والجماعة في إنجاز المشروع الحضاري

المبحث الرابع : الحضارة الإسلامية وارثة الحضارات

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

www.manaraa.com

المبحث الأول

علامات تدهور الحضارة المادية

من خلال النظر إلى عوامل انهيار الحضارات نجد أن العلل التي تنخر جسد الحضارة المادية المعاصرة أكثر من أن تحصى ، فهي مليئة بالأمراض والعلل التي تفتك بها وتؤدي إلى هلاكها .

قال الكاتب الفرنسي غوستاف لوبون: وجب علينا التسليم بأن علامات الإنحطاط أصبحت بادية في معظم الدول الأوروبية[1] .

فهذه شهادة من أحد محللي الحضارة في الغرب، حول أفول حضارتهم المادية والحديث عن تدهور الحضارة المادية طويل ومتشعب،ولا يمكن الإحاطة به من كل جوانبه لذلك سأكتفي في هذا المبحث بذكر أبرز العلامات التي تنذر بانهيار هذه الحضارة.

وأول هذه العلامات الإيمان بالمادة وحدها وإنكار الغيبيات وكل ما وراء الحس، فهي لا تؤمن بإله خالق لهذا الكون، ولا برسل له ينزل عليهم الوحي، ولا بروح خالدة لهذا الإنسان ولا بحياة أخرى بعد هذه الدنيا، ولا بعلم غيبي غير هذا العلم المنظور، ولا بقيم مثالية فوق المنافع واللذات الحاضرة، لأن كل هذه الأشياء لا يشهد لها الحس، ولا تهتدي إليها الملاحظة والتجربة[2] وهذا في الغالب .

---

[1] سرّ تطور الأمم، غوستاف لوبون، ترجمة أحمد فتحي زغلول، المكتبة التجارية، القاهرة، ط٢، ص١٧٧ .
[2] الإسلام حضارة الغدة، يوسف قرضاوي، ص١٥ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

فالحضارة المادية تفتقر لوجود المقوم الأول من مقومات الحضارة، وهو الإيمان بالله، فهي لا تحمل تصوراً صحيحاً عن الإنسان والكون والحياة،فكيف إذن لحضارة كهذه أن تلبي حاجات أبنائها ومطالبهم الروحية والجسدية .

فقد فقدت من أول يوم برزت فيه إلى الوجود النبع الصافي لهذه الروحانية الفعالة، التي تعمل عملها في خلق حضارة سليمة للإنسان، ولهذا تسمع المودودي يقول في ذلك بعد دراسة مستفيضة لتلك الحضارة: ظهرت الحضارة الغربية في أمة لم يكن عندها معين صاف، ولا نبع عذب للحكمة الإلهية، لقد كان فيها قادة الدين، ولكن لم يكونوا أصحاب حكمة ولا علم ولا شريعة إلهية، ولم يكن عندهم إلا شبح ديني، لو حاول أن يسير بالنوع الإنساني على صراط مستقيم في طرق الفكر والعمل لما استطاع[١] .

يقول لوبون عن الحضارات الساقطة: فهي تهز من الوهن، ونظاماتها تتداعى واحداً إثر واحد، وعلة ذلك فقدانها كل يوم شيئاً من إيمانها الذي قامت عليه، فإذا فقدته قامت حتماً حضارة جديدة مؤسسة على معتقد جديد، لأن التاريخ يدلنا على أن الأمم لا تحيى طويلاً بعد اختفاء معبوداتها[٢] .

يؤكد لوبون على إن السبب الأول في سقوط الحضارات هو اختلال العقيدة وهذا رأي صحيح ومطابق للواقع.

ومن أبرز آثار الحضارة المادية وآفاتها أيضاً التحلل من قيود الأخلاق التي جاءت بها الأديان السماوية.. فالمادية النفعية السارية في حضارة الغرب، لا يمكن أن تثمر خلقاً إنسانياً رفيعاً يمسك بناء المجتمع، وإنما تثمر التفسخ والتحلل الذي يهز صرح المجتمع ويزلزله ويهدده بالانهيار[٣] .

فحضارة الغرب لم تعد هي الفضلى حتى في نظر أبنائها، لأنها أصيبت بالكساح القيمي، والعقم الروحي، والانحطاط الأخلاقي[٤] .

---

(١) الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، توفيق يوسف الواعي، ص٧٦٠ .
(٢) سر تطور الأمم، غوستاف لوبون، ص١٦٢ .
(٣) الإسلام حضارة الغد، يوسف قرضاوي، ص٣٢ .
(٤) حضارة الأزمة ماذا قبل الانهيار، حسن السعيد، ص١٦٥ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

وقد شاع في هذه الحضارة الفساد بكل صوره وأشكاله، فانتشر فيها الزنا والمخدرات وغير ذلك من صور الانحلال الأخلاقي، فهم يتخبطون في دياجر الظلام، أطلقوا شهواتهم كلها فلم يعد هناك باب من أبواب الشهوات إلا دلهم الشيطان عليها، فطرقوها مختارين محبين لها، فتغيرت أذواقهم وصاروا يرون المنكر معروفاً والمعروف منكراً، وزين لهم الشيطان أعمالهم فراحوا يغيرون خلق الله[١] .

فالحضارة الغربية تعاني من الشذوذ الجنسي، إلى حد زواج الرجال بالرجال، والنساء بالنساء...، هذا بالرغم من ظهور مرض الإيدز الذي يفقد صاحبه المناعة ويجعله فريسة سهلة لأي وباء[٢] .

فهذه الحضارة المادية أطلقت العنان للشهوات أن تفعل ما تشاء، وكيف تشاء تحت مصطلح الحرية، فانفكت من كل قيد حتى فاقت الحيوانات، فدمرت كل شيء ونشرت الرذائل والأمراض في صفوف الأمة .

ولا شك أن الحضارة التي تتصف بهذه الصفة لا يمكن لها أن تستمر طويلاً فسرعان ما تنهار ويذهب مجدها، ولم يقف الحد عند انحطاط الأخلاق فحسب.. بل امتد إلى ما كان لابد أن يمتد إليه إلى العواطف الإنسانية النبيلة.. فتلوثت مياهها الصافية بجراثيم المادية الفتاكة والفردية القاتلة، فتفككت الأسرة وتفسخت روابطها.. فلم يعد بين المرء وزوجه تلك العاطفة الكريمة، التي عرفتها الأسرة المسلمة، ولم يعد بين الأخ وأخيه ولا بين القريب وقريبه تلك المشاعر الحلوة التي تربط أفراد الأسرة الواحدة، فضلاً عن صلات الناس خارج الأسرة.. إن تبادل المنافع واللذات هو الرابط الفذ الذي يصل بعضهم ببعض[٣].

قال لوبون عن الأسرة: أما العائلة فصائرة إلى الانحلال، وقوى المجتمع آخذة في التمزق.. فلما أضاع الإنسان ربه فقد الرجاء[٤] .

---

(١) أفول شمس الحضارة الغربية، مصطفى فوزي، دار السلام، القاهرة، ط١، ١٩٨٦م، ج٤/٢ .
(٢) الإسلام حضارة الغد، يوسف قرضاوي، ص٣٦ .
(٣) المرجع السابق، ص٤٤ .
(٤) سرّ تطور الأمم، غوستاف لوبون، ص١٧٨ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

إن القاموس الأخلاقي في الغرب، كما هو الواقع المعاش، يحفل اليوم بمصطلحات من قبيل: شذوذ جنسي، اللواط، البغاء، الاغتصاب، الإجهاض، العزوف عن الزواج وتفضيل العزوبية.. وأخيراً الإيدز!!، في حين اختفت مصطلحات العفة والفضيلة والشرف، والمروءة والنبل.. والإنسانية!، فمنذ أواسط الستينات من القرن الماضي، والخط البياني في تصاعد مخيف للتدهور الأخلاقي وحينها قرعت بعض الأوساط الغربية أجراس الخطر، بسبب تفشي هذه الظاهرة، وما تمخض عنها من طوفان جنسي محرم برزت بعض معالمه وملامحه، إذ أفادت التقارير الرسمية حينئذ أن عمليات الإجهاض للطالبات في المدارس الثانوية وحدها- في أمريكا- بلغ (٢٥٠) ألف عملية.. وتفيد الإحصائيات الرسمية الأمريكية، أن (٧٠٠) ألف امرأة تتعرض سنوياً إلى أنواع الاعتداء الجنسي، وأن مليون وثلاثمائة ألف طفل يولدون سنوياً من مراهقات صغيرات وليست أمريكا الوحيدة في هذا المضمار [١].

من خلال ما تقدم ندرك أن الابتعاد عن هدي الإسلام وتعاليمه يسبب للبشرية الانحلال والضياع، ويجعل الإنسان عبارة عن حيوان يسعى لإشباع غرائزه وميوله بشتى الطرق والوسائل الدنيئة، فيصبح هذا الإنسان عبداً لشهواته وغرائزه ولا شك أن هذا من أوضح الدلائل التي تؤكد أن الحضارة المادية المعاصرة تسير في طريقها إلى الهلاك والدمار .

فالحضارة الغربية حضارة فقدت إنسانيتها، ويعترف بهذا رئيس فرنسا الأسبق "ديغول" حيث يقول: إن مجتمعاتنا الأوروبية فقدت شيئاً ثميناً جداً تحت وطأة تقدمها الضخم، وهو الإنسانية وأعني بها القيم الروحية البشرية العليا، فقد قطعت حضارتنا تلك الصلة المعنوية التي تربط البشرية بعضهم ببعض، لقد جفّ شعورنا وتجمدت قيمنا الأخلاقية وانحلت[٢] .

---

[١] حضارة الأزمة، حسن السعيد، ص١٩٤- ١٩٥ .
[٢] المرجع السابق، ص٢٠٩ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

ومن العلامات التي تنذر بانهيار الحضارة الغربية السائدة أيضاً أنها تقدس المـــال، فقد أصبح المال إلهاً جديداً في الغرب، يعبد من دون الله، ومن شدة حـــبهم للمـــال أخـــذوا يثيرون الحروب بين الأمم ليتوصلوا بذلك إلى تحقيق مصالحهم الشخصية .

فالحضارة المادية المعاصرة يعتريها الفساد الاقتصادي، وأكبر دليل على ذلك أنهـــا تقوم على الربا، الذي شرعته الحضارة الغربية، التي نهبت خيـــرات الأمـــم الاقتـــصادية، وتحكمت فيها، وسرقت لقمة العيش من أفواه الجياع، لتضعها في بطون لا تشبع، تقيم فـــي مهد هذه الحضارة، وهي حضارة مصاصي الدماء، فالدول المتقدمة التي يـــشكل ســـكانها قرابة ١٠% من سكان الأرض، يستهلكون ٨٠% من المصادر الطبيعية[١]

فشتان ما بين الحضارة المادية والحضارة الإسلامية، فالحضارة الإسلامية تقوم على رعاية الجانب الروحي والمادي، إلا أن تغليب الجانب الروحي الإنساني والخلق هو السمة البارزة في التشريعات الإسلامية، فمن ثم حرم الله الربا، أما الحضارة الغربية وما شـــاكلها فأساسها رعاية المادة، وتغليب الجانب المادي على الجانب الروحي، وعدم اعتبار الجانـــب الخلقي في كثير من قوانينها، وسواء في هذا من لا يقر بدين كالشيوعية، أو من لهم ديـــن كالدول المسيحية[٢] .

وهي حضارة الترف والسَرف، ويكفي أن نعلم أن بعض الدراسات التقديرية انتهت إلى أن ما استهلكه الأمريكان في خلال قرن يعادل ما استهلكته البشرية كلها في تاريخهـــا الطويل[٣] .

فالحضارة الغربية قامت أساساً على المادة وعبوديتها، واتخذتها إلهاً من اللحظة التي هجرت الكنيسة بسبب آرائها المنحرفة، وتصوراتها العقيمة للحياة، فأمسوا يعبدون ذواتهـــم بدل الذات الإلهية، وأوقعتهم الذاتية والأنانية في الفتنة بما حلّت منهم محلَّ الإله[٤] .

وهي حضارة مادية هابطة، ليس فيها مكان للمشاعر الإنسانية، ولا المثل الخلقيـــة، وهذا يجرفها إلى تيار الصراع المادي الذي يؤدي إلى الحرب وإلى الخراب[٥].

---

(١) من أجل انطلاقة حضارية شاملة، عبد الكريم بكار، دار القلم، دمشق، ط١، ص٥٣ .
(٢) حلول لمشكلة الربا، محمد أبو شهبة، مكتبة السنة، القاهرة، ط٢، ١٤٠٩هـ ص٨٩ .
(٣) من أجل انطلاقة حضارية شاملة، عبد الكريم بكار، ص٥٠ .
(٤) نحن والحضارة الغربية، أبو الأعلى المودودي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٣م، ص٣٩ .
(٥) الإنسان بين المادية والإسلام، محمد قطب، دار الشروق، بيروت، ط٥، ١٩٧٨م، ص٩٥ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

ومما لا شك فيه أن الحضارة المادية الغربية امتازت بالتفوق العلمي الباهر، ولكن العلم دون تصور صحيح للإنسان والكون والحياة ليس كافياً لأن تكون الحضارة رشيدة، فالعلم إذاً تجرد عن الدين يصبح وبالاً على الأمة .

وإذا بحثنا عن العدل في الحضارة الغربية المادية، فلن نجد له أثراً يذكر، وإذا استقرأنا الظلم كمعول هدم في الحضارات، فسوف نجد الحضارة الغربية راعية من رعايا الظلم وسبباً من أسبابه في العالم، وهو ما ترك الإنسانية في معاناة وشقاء[1] .

فهي حضارة اللصوص وقطاع الطرق، وهي قائمة على سرقة ثروات البلاد المستضعفة، ونهب مواردها ومص دمائها، وهي حضارة متوحشة تفتك بخصومها فتكاً دموياً رهيباً، ومن الأمراض التي تنخر في جسد الحضارة الغربية اعتبار كل من الدين والعلم عالمين منفصلين، وذلك بسبب الفهم الضيق لكل من العلم والدين... فقد حددت الحضارة الغربية مفهوم العلم وحصرته في ميدان التقنية والفلسفة الوضعية، وجردته من القيم الإنسانية[2] .

يقول الدكتور صبحي الصالح: من ذا الذي يصدق أن حضارة القرن العشرين، برغم مما حققت من إنجازات قارنها بعضهم بالمعجزات، آخذة بالانحدار، دائرة في الفراغ، مستعدة للرحيل عاجزة عن مواصلة المسير ؟

من ذا الذي يصدق أن غياب الروح العلمي الحق هو الذي يدفعها في عصر العلم! إلى الانتحار والاحتضار والانهيار[3] .

وخلاصة الأمر أن الحضارة المادية المعاصرة، تسير في طريقها للغروب والانهيار وذلك لأنها فقدت المقومات الصحيحة، التي تؤهلها للبقاء والاستمرار .

---

(1) أزمة الفكر الحديث ومبررات الحل الإسلامي، عباسي مدني، مكتبة المنارة، مكة المكرمة، بلا تاريخ وطبعة، ص١٠٨ .
(2) فلسفة الحضارة عند مالك بن نبي، سليمان الخطيب، المؤسسة الجامعية، بيروت، ط١، ١٩٩٣م، ص٢٠٢ .
(3) الإسلام ومستقبل الحضارة، صبحي الصالح، ص٣٥٧ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

فقد اعتراها الفساد من كل جانب، وسارت في طريق الشرك والضلال الـذي يعـد المعول الأول في هدم الحضارات وسقوطها، وابتعدت عن منهج الله عز وجل فـي الحكـم والسياسة، ودخلها الفساد الاقتصادي لأنها ابتعدت عن منهج الله عز وجل في كسب المـال وانفاقه، ودخلها الفساد الأخلاقي والاجتماعي، فانتشرت فيها المفاسـد والمنكـرات بـشتى أنواعها، وضعفت الروابط بين أفرادها، وعظمت المال وأهملت الأخلاق والقـيم، ودخلهـا الظلم والقهر وابتعدت عن منهج الإسلام في العدل والمساواة، ودخلهـا الفـساد الـسياسي والإداري، وولت الأمور إلى غير أهلها وابتعدت عن منهج الإسلام وتعاليمه في كل شـأن من شؤون حياتها، فأصبح يهددها شبح الهلاك والدمار من كل جانب .

يقول الشيخ القرضاوي بعد أن ذكر أسباب هلاك الأمم وكل واحدة من هذه الجرائم حرية أن تعجل بعقاب الله وبأسه الذي لا يرد عن القوم المجرمين، فكيف إذا اجتمع عـدد منها في أمة من الأمم أو مجتمع من المجتمعات .

والناظر في الحضارة التي تسود عالمنا اليوم، يجدها تأخذ بنصيب يكثر أو يقل من حضارات الهالكين، وانحرافاتهم العقدية والفكرية والسلوكية، فلا غرو أن يخشى عليهـا أن ينزل بأهلها ما نزل بهم[1] .

فكل الدلائل تشير إلى ن هذه الحضارة الشاسعة الواسعة، تسير في طريقهـا إلـى الزوال والانهيار، بما كسبت يدها .

[1] الإسلام حضارة الغد، القرضاوي، ص١٣٠ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

المبحث الثاني

البشائر النبوية في هيمنة الحضارة الإسلامية

تناولت في الفصل السابق بعض النصوص التي تنذر بهلاك الأمة، وانهيار حضارتها، وبينت أن الهلاك لا يلحق بأمة من الأمم، إلا إذا انحرفت عن نهج الإسلام وتعاليمه، وبالمقابل أردت أن أبين في هذا المبحث أن نصوص الشريعة الإسلامية تحمل وعوداً وبشائر بغد مشرق الوجه للإسلام وأهله .

فهناك نصوص قرآنية، وأحاديث نبوية، توحي بمستقبل هذا الدين، وظهور نجمه، وبزوغ شمسه، واستجابة الفطرة له، وانقيادها لتعاليمه، ومن هذه الآيات: قوله تعالى: **﴿*هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾**[1] .

وقوله تعالى: **(*وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أمنا*)**[2].

فهذه الآيات تبشر بظهور الإسلام، وعلو شأنه وبزوغ شمسه، وان الله عز وجل سيظهره على الأديان كلها، ويجعل أهله أعزة آمنين.

وقد بشر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بظهور الإسلام في بداية الدعوة للإسلامية، عندما كانوا في مكة المكرمة قلة مستضعفة، وفي الوقت الذي كانت قريش تمارس فيه مع المسلمين أشد ألوان العذاب لصدهم عن دينهم، فعن خباب بن الأرت رضي الله عنه قال: **شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة، فقلنا: ألا تستنصر لنا ؟ ألا تدعو لنا ؟ فقال: (قد كان من قبلكم، يؤخذ الرجل،**

---

(1) سورة الصف، آية ٩ .
(2) سورة النور ، آية ٥٥ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

فيحفر له في الأرض فيجعل فيها، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه، فما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون) [1] .

فلم يدعو النبي على المشركين عندما طلب المسلمون منه ذلك، ولكنه دعاهم إلى الصبر وتحمل الأذى، وبشرهم بظهور الإسلام وانتشار الأمن وزوال الخوف، وقد تحقق ما وعد به النبي صلى الله عليه وسلم، وقويت شوكة الإسلام وأهله، وفتحت البلاد وعم الأمن والاستقرار.

فقد تضمنت سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم بشائر نبوية تبين أن الهيمنة والتمكين للإسلام وأهله .

ومن هذه المبشرات ما رواه تميم الداري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **(ليبلغنَّ هذا الأمرُ ما بلغ الليلُ والنهارُ، ولا يتركُ الله بيت مدرٍ ولا وَبَرٍ، إلا أدخله الله هذا الدّينَ، بعزِّ عزيز أو بذلِّ ذليلٍ، عزاً يعز الله به الإسلام، وذلاً يُذلُ الله به الكفر)**[2].

المقصود بالأمر الإسلام، ومعنى بلوغه ما بلغ الليل والنهار: أي انتشاره في الأرض كلها، حيث يبلغ الليل والنهار، ودخول هذا الدين الحواضر والبوادي، فالحواضر هي التي بيوتها من مدر (أي من حجر) والبوادي هي التي بيوتها من وبر وشعر، وسيدخل الإسلام جميعها، وسيظهر على جميع الأديان ففي القرون الإسلامية الأولى غلب الإسلام على اليهودية، والنصرانية والوثنية والمجوسية، ولكنه لم ينتصر على جميع الأديان، فما زلنا ننتظر هذه البشارة، ولن يخلف الله وعده[3].

---

(1) صحيح البخاري ، كتاب الإكراه ، باب من اختار الضرب والقتل على الكفر، رقم ٦٥٤٤، ج٦/٢٥٤٦ .

(2) مسند أحمد واللفظ له، رقم ١٦٩٩٨، ج٤/١٠٣، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم، صحيح ابن حبان، رقم ٦٧٠١، ج١٥/٩٣، المستدرك، رقم ٨٣٢٦، ج٤/٤٧٧، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، ، مجمع الزوائد، رقم ٩٨٠٧، ج٦/٧، وقال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح .

(3) السنة مصدراً للمعرفة والحضارة، يوسف قرضاوي، ص١٢٣-١٢٤ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

وقد وردت أحاديث أخرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تؤكد ظهور الإسلام وانتشاره بما لا يدع مجالاً للشك في أن المستقبل للإسلام وأهله، فعن ثوبان أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: **(إن الله تعالى زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها...** الحديث)[1] .

ففي هذا الحديث دليل على أن مشارق الأرض ومغاربها وأقطارها ستكون إسلامية، وستدخل تحت راية الإسلام، وتسير بمنهجه وتحت كنفه، إن شاء الله تعالى، وهذا الحديث بشر بالفتح الذي تحقق بعضه، وما زال البعض الآخر ينتظر التحقيق .

ومن هذه المبشرات أيضاً ما روى المغيرة بن شعبة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: **(لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين، حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون)**[2] .

فالنبي صلى الله عليه وسلم يبين في هذا الحديث، أن الخير سيستمر في هذه الأمة، وأنها لا تخلو من قائم لله بالحجة، ومن ناصر للحق، متمسك به، حتى تقوم الساعة، والحديث يتضمن أيضاً الإخبار بظهور الإسلام وأهله على بقية الأمم والأديان.

يؤكد ذلك ما روي عن ثوبان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك)**[3] .

فالنبي صلى الله عليه وسلم يبين في هذا الحديث أن صوت الإسلام باقٍ إلى يوم القيامة لا يضره كيد كائد ولا تسلط عدو، فالمبشرات بانتصار الإسلام عديدة، والنصر للإسلام وأهله بالرغم من كل التحديات التي تواجهه.

---

(1) سبق تخريجه .

(2) صحيح البخاري واللفظ له، كتاب الاعتصام، باب لا تزال طائفة، رقم ٦٨٨١، ج٦/٢٦٦٧، صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب لا تزال طائفة، رقم ١٩٢٣، ج٣/١٥٢٤ .

(3) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب لا تزال طائفة، رقم ١٩٢٠، ج٣/١٥٢٣ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

فالإسلام آتٍ كالفجر بعد طول عتمة، ولابد أن يستأنف دوره الحضاري، بوصفه ضرورة إنسانية لإنقاذ البشرية، وبوصفه الترجمة العملية للمنهج الإلهي[1].

وخلاصة الأمر: أن النصر للإسلام وأهله لأن العناصر الحقيقة للرقي والتقدم لا توجد كاملة إلا في الإسلام، حيث يحمل بين ثناياه استقامة في المبادئ، وإيماناً قوياً بها وبتحقيقها، ينتج هيمنة كاملة، تصنع مُثلاً ونماذج دائمة العطاء، غزيرة الإشعاع، قوية الإرادة، تستطيع بناء الحضارات وتحمل أعبائها.

[1] حضارة الأزمة، حسن السعيد، ص٣٤٣ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

المبحث الثالث

دور الفرد والجماعة في إنجاز المشروع الحضاري

إن الإنسانية اليوم- تحت سلطان الحضارة المادية- مهددة بطوفان كطوفان نوح، يمكن أن يأتي على بنيانها من القواعد، ولابد لها من سفينة كسفينة نوح عليه السلام، بها يعصمها الله من الهلاك والدمار، ولن تكون هذه السفينة إلا رسالة الإسلام، التي جعلها الله رحمة للعالمين وهداية للحائرين[1].

فقد أصبح العالم شرقاً وغرباً في أزمة روحية وخلقية واجتماعية واقتصادية تطلب حلاً سريعاً عاجلاً، والحل الوحيد هو تحول القيادة العالمية، وانتقال دفة الحياة من اليد الأثيمة الخرقاء، التي أساءت استعمالها إلى يد أخرى بريئة حاذقة .

إن تحول القيادة من بريطانيا إلى أمريكا ومنهما جميعاً إلى روسيا لا يغني غناء، ولا يغير من الموقف شيئاً، فإن هذا التحول ليس إلا نقل المجداف من اليمين إلى الشمال، إذا تعبت الأولى أو بالعكس، فما دام المُجدف واحداً فلا فرق بين يمينه وشماله، وليست بريطانيا وأمريكا وروسيا إلا أيدي رجل واحد تتداول دفة الحياة، وتتناوب تجديف السفينة على خط واحد إلى جهة واحدة .

إن التحول المؤثر الواضح هو تحول من أوروبا- بالمعنى الواسع الذي يشمل بريطانيا وأمريكا وروسيا، ومن كان على شاكلتها من الأمم الآسيوية والشرقية- التي تقودها المادية والجاهلية، إلى العالم الإسلامي الذي يقوده سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم برسالته الخالدة ودينه الحكيم .

هذا هو التحول الذي يغير وجه التاريخ، ويحول مجرى الأمور، وينقذ العالم من الساعة الرهيبة التي ترقبه، فمن حق العالم الإسلامي أن يمني نفسه بهذا المنصب الخطير[2].

---

(1) الإسلام حضارة الغد، القرضاوي، ص٢٠١ .
(2) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، علي الحسني الندوي، ص٢٧٠ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

فالبشرية التي تضع أقدامها على أعتاب القرن الحادي والعشرين، تتلفت إلى مشروع إنقاذ، وتتطلع إلى منقذ... تهتف بمنقذ وتهفو إلى مخلِّص، وتتصور لهذا المخَلِّص سمات وملامح معينة تطلبها فيه، وهذه السمات والملامح المعنية لا تنطبق على أحد إلا على هذا الدين[١] .

فالمجتمعات البشرية في وقتنا الحاضر تعاني من التشتت والضياع في كافة مجالات الحياة، لذلك كان على الأمة الإسلامية أن تقدم مشروعها الحضاري لتنقذ البشرية من الخطر الذي يتهددها ويزعزع أمنها واستقرارها .

والمشروع الحضاري يعني إعادة صياغة أمة بكاملها... وتعديل وقفتها الجانحة، وبث روح الإبداع والحركة في مواتها، لكي تمضي على الطريق الصحيح (الصراط) الذي أراده لها كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم... فالمشروع الإسلامي منذ لحظات تأسيسه الأولى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم، مشروع حضاري يستهدف الخروج بالناس من الظلمات إلى النور، وابتعاثهم من ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن عبادة العباد إلى عبادة الله وحده... ويضع بين أيديهم مبادئ الاستخلاف والتسخير والاستعمار، وتحفيز آليات العمل العقلية والحسية والروحية[٢].

فالإسلام تتلخص فيه الرسالة الأساسية التي يحتاجها العالم اليوم، وهو على شفا الانهيار[٣] .

فالوضعية العامة للأمة الإسلامية وضعية بائسة، وإن الخلاص من هذه الحالة التي تعيشها الأمة، يحتاج إلى جهد كل فرد فيها، حتى تستطيع أن تعوض ما ضيعته في قرون السبات الطويل، وحتى لا تتراكم عليها استحقاقات أخطاء وخطايا القرون، وهذا يعني أن نخطط لكيفية شحذ فعالية المسلم الروحية والذهنية، حتى يضاعف العطاء[٤].

---

(١) حضارة الأزمة، حسن السعيد، ص٢٧٧ .
(٢) مدخل إلى الحضارة الإسلامية، عماد الدين خليل، ص٢٣٢ .
(٣) الإسلام والقرن الواحد والعشرون، روجيه جارودي، ترجمة كمال جاد الله، دار الجيل للكتب والنشر، بيروت، ط١، ص١٢١ .
(٤) من أجل انطلاقة حضارية شاملة، عبد الكريم بكار، ص٥٨ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

والبناء الحضاري الشامل بحاجة إلى جهد كل مسلم مهما كان شأنه، فالعامل الـذي ينظف الشوارع، والإسكافي الذي يصلح الأحذية، والمعلم الذي يثقف الأجيال، والـسياسي الذي يقود شعبه... كل أولئك بناة للصرح الحضاري، إذا قـاموا بـواجبهم علـى الوجـه المطلوب[1] .

فالإحياء الحضاري في عالمنا اليوم يمكن تحقيقه في إطار الوعي الكامـل بالـدور والمسؤولية الملقاة على عاتق الإنسان المؤمن، بحيث يخرج هذا الإنسان من تخلفـه إلـى الوحي مجدداً فيأخذ به في عملية نهوضه، ويجعله مرشداً له في صياغة حياته، بعيداً عمـا تسببت به الطواغيت والحكام من انهيارات معنوية وروحيـة... وإذا شـاء المـسلمون أن تستقيم حياتهم بعد أن أكلها الفساد من كل جانب، فليس أمامهم إلا أن يقيموا حيـاتهم علـى الإسلام، وأن يأخذوا بتنظيم حياتهم كلها على هداة[2].

إن الإحياء الحضاري يبدأ من كون الإنسان متواصلاً مع الرسالة، ومتحققاً بها على مستوى الحياة، سواء الخاصة أو العامة، لأن الإسلام قد كفل لمن أخذ به واهتدى بتعاليمـه أن يحقق له سعادة الدارين في الدنيا والآخرة، قال تعالى: **﴿*يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْـتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ...﴾**[3].

ولا شك في أن الحياة التي تتضمنها الآية ليست حياة خاصة في مجال من المجالات الإنسانية، وإنما هي حياة عامة في كل شؤون الحياة المادية والروحية، إنها حياة حـضارية إنسانية تأتي نتيجة للاستجابة الحقيقية لأوامر الله تعالى ورسوله الكريم، ولهذا فقد رأينا أن مصدرية الوحي في الحياة الإنسانية، وسببيته في كل تشكل حضاري في التاريخ الإنساني، هما أساس وجوهر كل إحياء[4] .

---

(1) المرجع السابق، ص٧٩ .
(2) الإنسان والحضارة في القرآن الكريم بين العالمية والعولمة، فرج موسى، دار الهادي، بيروت، ط١، ص٢١٨ .
(3) سورة الأنفال، آية ٢٤ .
(4) الإنسان والحضارة في القرآن، فرج موسى، ص٢٢٤ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

فرسالة الإسلام في حاجة إلى أمة تمثلها وتتمثلها، وتعطي للبشرية الأسوة والنموذج، كما أعطت أمة الإسلام في القرون الأولى... أمة يتجسد فيها الإسلام توحيداً خالصاً، وإيماناً صادقاً، وعلماً نافعاً، وعملاً صالحاً، وخلقاً فاضلاً، ودعوة إلى الخير، وتواصياً بالحق والصبر، وتعاوناً على البر والتقوى، وجهاد في سبيل ذلك كله، حتى تكون بحق خير أمة أخرجت للناس، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله[1].

ولن تستطيع هذه الأمة أن تقوم بدورها في إنقاذ البشرية من سعار الحضارة المادية، إذا أصابها هي من شررها وشرورها ما أصاب الآخرين من أدواء المادية والإباحية والنفعية والأنانية، لهذا كان على الأمة أن تحصن نفسها بالإسلام، وأن تجدد شبابها بالإيمان، وأن تعرض عما تشكو منه حضارة اليوم من أوصاب وأمراض، وأن تنصر الله لينصرها الله ويمكنها في الأرض ويحقق لها وعده... ولن تستطيع أمتنا أن تقدم البديل للحضارة المعاصرة، إذا هي قلدت هذه الحضارة، واتخذتها مثلها الأعلى... إنما تستطيع أمتنا أن تقدم البديل إذا تمسكت بمشروعها الحضاري المتوازن المتكامل، واستماتت في الحفاظ على هويتها ورسالتها، وسيكون هذا في صالحها وصالح البشرية معها[2].

فالإسلام وحده هو حبل النجاة لنا وللبشرية من ورائنا، وهو القادر على إنقاذ سفينة الحضارة قبل أن تغرق ونغرق كلنا معها، ولا يكون ذلك إلا إذا قام أبناء الأمة الإسلامية، أفراداً وجماعات، بالدور المناط بهم على أكمل وجه، ولا يكون ذلك إلا بتطبيق أحكام الإسلام والدعوة إليه، واتخاذه منهجاً للحياة .

ومن هنا فإنه لا مناص لنا من أن نتمكن من حضارة العصر بكل منجزاتها المادية، وتطوراتها العلمية والتقنية، في الوقت الذي نراجع فيه مواقفنا من الإسلام وتعاليمه، لنزيل

---

(1) الإسلام حضارة الغد، يوسف قرضاوي، ص٢٠١ .
(2) الإسلام حضارة الغد، يوسف قرضاوي، ص٢٠١- ٢٠٣ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

الغبش الذي غطى على تعاليم الإسلام وقيمه الحضارية، فحجب عنا الرؤية السليمة الواضحة لهذه التعاليم وتلك القيم على مدى القرون الماضية[1] .

وقد بين المصطفى صلى الله عليه وسلم أن فلاح الأمة ونجاحها في الدنيا والآخرة لا يكون إلا بالتمسك بالكتاب والسنة، **فعن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله حبلٌ ممدودٌ من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما)**[2] .

يبين النبي صلى الله عليه وسلم أن التمسك بالكتاب والسنة هو الطريق لإنقاذ الأمة من أسباب الهلاك والدمار.

وقد أوجب النبي صلى الله عليه وسلم على الأمة أن تنشر هذا الدين، وتعمل على إظهاره، فعن **عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار)**[3] .

فقد حمل النبي صلى الله عليه وسلم الأمة الإسلامية واجب نشر الدين وتبليغه، وما ذلك إلا من أجل أن تكون السيادة للإسلام وأهله.

يقول مالك بن نبي: إذا أراد المسلم أن يقوم بدور الري بالنسبة للشعوب المتحضرة والمجتمع المتحضر، وأراد أن يقدم المبررات الجديدة التي تنتظرها تلك الأرواح التي تتألم لفراغها وحيرتها وتيهها، إذا أراد المسلم ذلك، فليرفع مستواه بحيث يستطيع فعلاً القيام بهذا الدور، إذ بمقدار ما يرتفع إلى مستوى الحضارة بمقدار ما يصبح قادراً على تعميم ذلك الفضل الذي أعطاه الله له (أعني دينه)، إذ عندها فقط يصبح قادراً أيضاً على بلوغ قمم الحقيقة الإسلامية، واكتشاف قيم الفضيلة الإسلامية، ومن ثم ينزل إلى هضاب الحضارة المتعطشة، فيرويها بالحقيقة الإسلامية، وبذلك يضيف إليها بعداً جديداً، لأن الحضارة العلمانية، حضارة الصاروخ، حضارة الإلكترون اكتسبت هذه الأشياء، وضيعت بعداً آخر تشعر بفقدانه وهو بعد السماء[4] .

---

(1) الحضارة فريضة إسلامية، زقزوق، ص٧٦ .

(2) سنن الترمذي واللفظ له ، كتاب المناقب ، باب مناقب بيت النبي،رقم ٣٧٨٨،ج١٢٥/٦ ، وقال حديث حسن غريب، المعجم الكبير، الطبراني، رقم ٥٠٢٥،ج١٨٢/٥. وقال الألباني: حديث صحيح، صحيح سنن الترمذي ، رقم ٢٩٨٠، والسلسلة الصحيحة له، رقم ١٧٦١،ج٣٥٥/٤.

(3) صحيح البخاري واللفظ له، كتاب الأنبياء ، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم٣٢٧٤،ج١٢٧٥/٣، سنن الترمذي كتاب العلم ، باب الحديث عن بني إسرائيل ، رقم ٢٦٦٩،ج٤٠/٥ .

(4) دور المسلم في الثلث الأخير من القرن العشرين، مالك بن نبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ص٢٩ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

إن أوروبا حققت المعجزات في عالم الاكتشافات وعالم العلوم... ولكنها فقدت في أعماق نفسها البعد الذي كان يروّح عليها ويرفّه عنها، ويسندها في وقت المحن لأنه يربطها بوجود الله .

إذا أراد المسلم أن يسد هذا الفراغ في النفوس المتعطشة، المنتظرة للمبررات الجديدة... فيجب أولاً أن يرفع مستواه إلى مستوى الحضارة[1] .

فالأمة المسلمة لن يتأتى لها استئناف النهوض ومعاودة استثمار طاقاتها الروحية والمادية ما لم تفتش عن نفسها من جديد في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وتحسن التعامل مع معارف الوحي، وتقوم الواقع بها، فتنظر إلى الواقع من خلال قيم الكتاب والسنة، وتتأمل في الكتاب والسنة، وتبصر الحلول وكيفيات التنزيل ووضع البرامج والخطط من خلال معاناة الواقع وحاجاته وتستوعب التجربة التاريخية، وتدرك حركتها وسنتها الاجتماعية[2] .

وقد أوصى النبي صلى الله عليه وسلم الأمة بالتمسك بحبل الله المتين، ليكتب لها النجاة في الدنيا والآخرة، فعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: **وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة بليغة، ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا ؟ قال: (أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة وإن عبدا حبشيا، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها وعظوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة)**[3] .

فيجب على أبناء الأمة الإسلامية أن يلزموا تقوى الله عز وجل، ويتمسكوا بكتاب الله وسنة نبيه، لأن ذلك هو السبيل الوحيد لتحقيق السعادة للبشرية، وإنقاذها من أسباب الهلاك والدمار التي تهدد كيانها.

---

(1) المرجع السابق، ص٢٩ .

(2) في النهوض الحضاري، عمر عبيد حسنة، ص٤٢ .

(3) سنن الترمذي ، كتاب العلم ، باب الأخذ بالسنة، رقم ٢٦٧٦،ج٤/٤٠٨ ، وقال: حديث حسن صحيح ، سنن أبي داود واللفظ له، كتاب السنة، باب لزوم السنة، رقم ٤٦٠٧،ج٢/٦١٠ ، مسند أحمد، رقم ١٧١٨٥،ج٤/١٢٦، وقال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح ، وقال الألباني حديث صحيح ، صحيح سنن أبن ماجة ، رقم ٤١،ج١/١٣ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

فالأمة الإسلامية مكلفة بحمل هذه الرسالة العالمية إلى العالم فلا يجوز لها أن تحتكر الخير والنور لنفسها، بل عليها بعد أن اهتدت بنور الله أن تهدي الآخرين إليه، وبعد أن صلحت بالإيمان والعمل الصالح أن تصلح الأمم وتدعوها إلى الخير الذي أكرمها الله عز وجل به[1] .

فيجب على المجتمع المسلم دائماً وأبداً أن يحرص حرصاً شديداً على أداء واجبه نحو ربه بالطاعة والامتثال، ونحو نفسه بتطهيرها من الرذائل وتحليتها بالفضائل، ونحو أسرته، ونحو مجتمعه، فيحرص على سعادته ورفاهيته .

فواجبنا أن نرتفع بالواقع إلى أفق الشرع، لا أن نهبط بالشرع إلى حضيض الواقع، واجبنا أن نخضع واقع الناس لشريعة الله، وأن يكيف الناس سلوكهم وأعمالهم تبعاً لها، لأن الشريعة كلمة الله، وكلمة الله هي العليا[2].

---

(1) مدخل لمعرفة الإسلام، يوسف قرضاوي، ص٢٧٠ .
(2) شريعة الإسلام صالحة للتطبيق في كل زمان ومكان، يوسف قرضاوي، ص١٣٩ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

المبحث الرابع

الحضارة الإسلامية وارثة الحضارات

عرفنا سابقاً، أنه لا يمكن لأي حضارة من الحضارات أن تبقى وتستمر، إلا إذا استمدت أصولها من إله مدبر، وأن الحضارة التي تعتمد في قيامها على قواعد ومبادئ من صنع البشر، بعيداً عن كل القيم والمبادئ الدينية، لا تقوى على البقاء طويلاً، لأن ما كان من صنع البشر، يعتريه دوماً النقص والاختلال، وعرفنا أيضاً أن الحضارة المادية المعاصرة، حضارة لا تصلح لقيادة البشرية، لما يعتريها من أسباب النقص والدمار، فبقي من اللازم أن أبين في هذا المبحث، أن الحضارة الإسلامي هي الحضارة الوحيدة التي تصلح لقيادة البشرية، وذلك لأنها تستمد أصولها من شريعة الإسلام وتعاليمه الصالحة لكل زمان ومكان .

ونظراً لهذه الميزة التي تميزت بها استحقت أن توصف بأنها وارثة الحضارات، فكون الرسول صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين، وكونه بعث للناس كافة ولم يبعث للعرب خاصة وكون شريعته صلى الله عليه وسلم جمعت رسالات الأنبياء والمرسلين، وكونه تعالى تأذن بحفظ القرآن الكريم... كل ذلك يدل دلالة واضحة أن هذه الرسالة جاءت لتبقى، وصيغت تعاليمها لتدوم، وأن هذه الرسالة تحمل بين طياتها أسباب هذا البقاء[1] .

فالحضارة الإسلامية تعتمد على أصول تكفل الله بحفظها، والحضارات المادية تقوم على أصول متغيرة وغير ثابتة، وهذا ما يؤهل الحضارة الإسلامية لأن تكون وارثة الحضارات .

فالبشرية في حاجة ماسة إلى حضارة تعطيها الدين ولا تفقدها العلم... وتعطيها الإيمان ولا تسلبها العقل... تعطيها الروح ولا تحرمها المادة... تعطيها الآخرة ولا تحرّم

---

[1] الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية، الواعي، ص٦٢٦ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

عليها الدنيا... تعطيها الحق ولا تمنعها القوة... تعطيها الأخلاق ولا تسلبها الحرية... وليست هذه الحضارة إلا حضارة الإسلام، التي يتجلى فيها التوازن والتكامل بصورة لا يقدر عليها إلا العليم الحكيم[1] .

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن حضارة الإسلام باقية إلى يوم القيامة، فعن معاوية **بن أبي سفيان قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسم والله يعطي، ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله، لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله)**[2].

فحضارة الإسلام باقية إلى يوم القيامة، وذلك لأنها تستمد أصولها من إله مدبر، وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم، أن الله عز وجل تكفل بإيجاد من يقوم على أمر الدين حتى قيام الساعة، فعن أبي عنبة **الخولاني قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (لا يزالُ اللهُ يغرسُ في هذا الدِّين، غرساً يستعملُهُم في طاعته)**[3]

وعودة الحضارة الإسلامية لقيادة البشرية، قدر حتمي، أدرك صناع الحضارة المادية أمره .

قال جورج سارطون: إن شعوب الشرق الأوسط، قد سبق وقادت العالم... ومن أجل ذلك ليس هناك ما يمنع تلك الشعوب من أن تقود العالم ثانية، في المستقبل القريب أو البعيد[4] .

وقال غلادستون الذي كان الوزير الأول في بريطانيا: ما دام هذا القرآن موجود، فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق، ولا أن تكون هي نفسها في أمان[5] .

---

(1) الإسلام حضارة الغد، يوسف قرضاوي، ص١٥٧ .

(2) صحيح البخاري واللفظ له ، كتاب العلم ، باب من يرد الله به خيرا، رقم ٧١،ج٣٩/١، صحيح مسلم، كتاب الإمارة ، باب لا تزال طائفة، رقم ١٩٢٣،ج١٥٢٤/٣ .

(3) سنن أبن ماجة واللفظ له ، كتاب الإيمان ، باب في إتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رقم ٨ ،ج ٤٦/١ ، وقال الدكتور بشار عواد: إسناده حسن ، الجراح بن مليح البهراني صدوق ، وبكر بن زرعة الخولاني صدوق ، كما حققته في تعليقنا على التقريب ، وإن قال أبن حجر مقبول . مسند أحمد ،رقم ١٧٨٢٢،ج٢٠٠/٤، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن . صحيح أبن حبان ، رقم ٣٢٦،ج٣٢/٢ السلسلة الصحيحة، الألباني ، رقم٢٤٤٢،ج٥٧١/٥ .

(4) الحضارة الغربية في رعاية الشرق الأوسط، جورج سارطون، ترجمة عمر فروخ، مكتبة المعارف، بيروت، ط١، ص٦٩ .

(5) الإسلام على مفترق الطرق، محمد أسد، ترجمة عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ١٩٥١م، ص٣٩ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

فالحضارة المادية التي تقود العالم اليوم، لم تخف حقدها وعداوتها للإسلام وأهله، وحاربت الإسلام في كل مكان، وما ذلك كله إلا لأنها تعلم علم اليقين أن المستقبل للإسلام وحضارته .

ولقد تلقت الحضارة الإسلامية ضربات كاسحة لم تتعرض لمثلها حضارة قط، ومع هذا بقيت البنية الأساسية لهذه الحضارة قائمة قوية، وهذا دليل ساطع على أنها الحضارة الوارثة لما سبقها من الحضارات، وهي الحضارة التي تسير في طريقها لتولي قيادة البشرية، وطمس الحضارات التي حادت عن منهج الله .

يقول المفكر الأمريكي جورج سارطون: أن السبب في تأخر استلام المسلمين لزمام الأمر، هو أن الإسلام أصبح محجوباً عن المسلمين[١] .

فأعداء الإسلام باتوا على يقين، أن حضارة الإسلام بدأت تبعث الحياة في أبنائها، وأن المسلمين بدأوا يستيقظون من سباتهم العميق .

يقول الرئيس الأمريكي الأسبق ريتشارد نيكسون: إن رياح التغيير في العالم الثالث تكتسب قوة العاصفة، ونحن لا نستطيع إيقافها، ولكننا نستطيع أن نساعد في تغيير اتجاهها[٢] .

فوراثة الحضارة الإسلامية للحضارات كلها أمر مقطوع به، قال تعالى: ﴿*هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[٣] .

فمن سنة الله أن تموت الحضارات وتتحلل، ويرثها غيرها من الأمم، ويظل الأمر على ذلك حتى يرث الله الأرض ومن عليها... ويستثنى من ذلك حضارة الإسلام، لأن أساسها ليس عنصراً بشرياً يناله الضعف ولكن أساسها العقيدة، وهي لا تزال تتجدد، وتتعاقب على حمل رايتها للأجيال[٤] .

---

(١) الحضارة الغربية في رعاية الشرق الأوسط جورج سارطون، ترجمة عمر فروخ، مكتبة المعارف، بيروت، ط١، ص٦٨ .
(٢) نصر بلا حرب، ريتشارد نيكسون، إعداد محمد أبو غزلة، مركز الأهرام، القاهر، ١٩٨٨م، ص٣٠٨ .
(٣) سورة التوبة، آية ٣٣ .
(٤) الحضارة، حسين مؤنس، ص٢٨٠ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

فالحضارة الإسلامية ومهما حل بحملتها من أسباب هلاك الحضارات، فإنها ستبقى وارثة الحضارات حتى قيام الساعة، وذلك لأن أصولها ثابتة وقادرة على الانبعاث .

فالحضارات كلها تحمل في داخلها عوامل أفولها، إلا الحضارة الإسلامية، وستكون وارثة الحضارات، لأن الله عز وجل تكفل بحفظ دستورها، فقيام الحضارة المادية الغربية، على أسس غير إسلامية، لا يعني إنكار وجودها.. فقد حدَّث القرآن عن حضارات كثيرة، قامت وماتت ولكن حديث البقاء هو للحضارة الرشيدة، التي تأخذ بأسباب قيامها، وتحافظ على ديمومتها، وتتجنب أسباب الأفوال وعوامل الانهيار .

فقد تقوم حضارة على غير تلك الأسس التي أوضحتها، ولكنها ليست الحضارة التي تسعد الإنسان في روحه، وعقله وجسده، وأي حضارة تنهض بعيداً عن تلك التبصرة القرآنية، فإنها تحمل بداخلها بذور ضعفها، وأسباب دمارها[١] .

يقول المودودي: إن قوة الحضارة المادية، كانت في زمن ألم الضعف في أبناء الحضارة الإسلامية، ومع ذلك استطاعت حضارتنا أن تصمد طويلاً، وحاولت الحضارة الغربية أن تنزع أسس الحضارة الإسلامية من صدور أبناءها، وجاهدت في ذلك جهاداً كبيراً، ومع هذا فهاهي حضارتنا تنتعش من جديد، ولا شك أن الحضارة الغربية لا تستطيع أن تزاحم الإسلام بمنكبيها، وتقوم أمامة كالنِّد[٢] .

فالحضارة الإسلامية تصلح لإرث الأرض، لأنها توطد عقيدة التوحيد، وتوفق بين الإيمان والعلم، ولا تقيم حاجزاً ولا وسيطاً بين العبد وربه، وتحفظ كرامة الإنسان وما يحققها من العدل والحرية والشورى[٣] .

فللشريعة المحمدية مزية مزدوجة لم تكن لسواها من الشرائع، وهي البقاء والارتقاء معاً، فهي ثابتة في نصوصها وأصولها، ولكنها قادرة على التفريع والتنويع، وبمرونة متكيفة مع سير الزمان، تلبي التطلعات السوية لكل بني الإنسان[٤] .

فالحضارة التي تكون بهذه الصفة هي الحضارة الوارثة التي تصلح لقيادة البشرية، ومما يدل على أن الحضارة الإسلامية وارثة الحضارات، ما بشَّر به المصطفى صلى الله

---

(١) منهج الحضارة الإنسانية في القرآن الكريم، محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر، دمشق، ص١، ١٩٨٧م، ص١٧١ .
(٢) نحن والحضارة الغربية، المودودي، ص٤٥ .
(٣) الإسلام وأزمة الحضارة الإنسانية المعاصرة، عمر بهاء الدين الأميري، مؤسسة الشروق، قطر، ط١، ١٩٨٣م، ص٢٤ .
(٤) المرجع السابق، ص٣٨ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library- Yarmouk University
www.manaraa.com

عليه وسلم، بأن النصر والظفر للإسلام وأهله، وأن الذل والهوان للكفر وأنصاره، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(لا تَقُوم السَّاعةَ، حتى يُقاتِلَ المُسلمونَ اليهودَ، فيَقتلهمْ المُسلمُونَ، حتى يَختَبِئَ اليَهُودِيُّ مِنْ وراءِ الحجر والشجر، فيقول الحَجَرُ أو الشَجَرُ: يا مُسلم! يا عبدَ اللهِ، هذا يَهودِيٌّ خَلفيَ، فتعالَ فاقتلهُ، إلا الغَرقدَ فإنهُ مِنْ شَجَرِ اليَهُودِ)**[1] .

قال ابن حجر: وظاهرة أن ذلك ينطق حقيقة، ويحتمل المجاز بأن يكون المراد أنهم لا يفيدهم الاختباء، والأول أولى، وفيه أن الإسلام يبقى إلى يوم القيامة[2] .

فالمصطفى صلى الله عليه وسلم يؤكد في هذا الحديث أن حضارة الإسلام باقية إلى يوم القيامة، وأن أعدائها مهما انتصروا عليها فإن النصر والظفر سيكون في نهاية المطاف للإسلام وأهله .

---

(1) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة، رقم ٣٣٩٨، ج١٣١٦/٣، صحيح مسلم واللفظ له، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة، رقم ٢٩٢٢، ج٢٢٣٩/٤ .

(2) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ج٦١٠/٦ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

الخاتمة وأهم النتائج

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على نبيه الكريم، الذي برسالته ختمت الرسالات .

فالحمد لله الذي أعانني على إتمام هذه الرسالة على هذه الصورة، فالفضل والمنة له أولاً وآخرا (*له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون*).

وبعد هذه الرحلة المباركة التي تبين من خلالها أن السنة بحر واسع عميق، مليء باللآلئ والكنوز والثروات الثمينة، التي تمد البشرية بالفقه والسلوك الحضاري، وترشد الأمة إلى توقي مزالق الهلاك والدمار، أقول هذا ما من الله به، وسمح به الوقت، وتوصل إليه الفكر، فإن يكن صواباً فمن الله تعالى، وإن يكن فيه خطأ أو نقص ، فتلك سنة الله في البشر، وأسأله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به أمة المسلمين، فإنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير.

ويمكن إجمال أهم النتائج التي توصلت إليها بما يلي:

١- أن القرآن الكريم والسنة النبوية هما مصدر الحضارة، وأي حديث عن الحضارة بمعزل عن القرآن الكريم، وسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم، هو لغو لا قيمة له، أو كمن يتحدث عن الحياة بلا ماء أو هواء، فلا حضارة بلا هدي القرآن وسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم.

٢- الحضارة التي تنهض بها البشرية وتسعد وتزدهر، هي الحضارة المبنية على أسس عقدية سليمة، مقنعة لعقل الإنسان وملائمة لفطرته.

٣- للحضارة مقومات لا تقوم إلا بها، وعلى رأسها الإيمان بالله تعالى، وهو الأساس الذي تبنى عليه الحضارة.

٤- الحضارة الإنسانية تقوم على الإيمان والتقوى، والعلم والعمل، ولابد أن تعمل هذه المقومات معاً للوصول بالأمة إلى خيري الدنيا والآخرة.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

٥- تعد الأخلاق ركيزة من ركائز الحضارة، والروح التي تسري في أوصالها.

٦- لا يمكن للحضارة أن تستمر إلا بنظام سياسي، يحميها ويقيم العدل بين أطرافهـا، ويوفر لها نعمة الأمن والاستقرار.

٧- هناك عوامل تسهم في الحفاظ على استمرار الحضارة وديمومتهـا، وتقيهـا شـر الانهيار والأفول، وأهم ما يساعد على ذلك التناصح بين أبنائها.

٨- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من لوازم الحياة البشرية، وضروراتها وهمـا من أهم العوامل التي تمنح الحضارة الإسلامية الاستمرار والاستقرار، وهما سياج حفظ الفضائل ومنع انتشار الرذائل.

٩- السنة النبوية تدعو إلى التقدم والازدهار، والتطور في كافة المجالات واسـتثمار الطاقات الكونية، من أجل إسعاد البشرية في الدنيا والآخرة ،

١٠- كما أن هناك عوامل تسهم في قيام الحضارة، فهناك أيضاً عوامل تـؤدي إلـى انهيارها وعلى رأس هذه العوامل الشرك والضلال .

١١- ترك الجهاد وتعطيله، من أعظم الأسباب التي تؤدي إلى إذلال الأمة وقهرهـا، وتدمير حضارتها .

١٢- الحضارة التي تصاب بالجمود الفكري، والتقليد الأعمى، وعدم الوعي لعقيدتها، تصاب عادة بأمراض الهبوط والسقوط الحضاري، كالظلم، والاختلاف، والفـساد السياسي، والاقتصادي، والاجتماعي، والإداري، وبالتالي تتعرض للانهيار والسقوط الحضاري .

١٣- إسناد الأمر إلى غير أهله معول من المعاول الهدامة، التـي تـدمر الحـضارة وتجعلها عرضة للانهيار والأفول .

١٤- الأمراض التي تؤدي إلى انهيار الحضارات مردها وأساسها الانحراف العقدي، الذي لا قيام معه لحضارة متوازنة، ذات عمر حضاري طويل .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

١٥- سنة هلاك الأمم سنة إلهية ثابتة، تسري على الجماعات البشرية في كل زمان ومكان، وهي سنة لها أسبابها وعللها، متى وجدت تلك الأسباب والعلل، وقع الهلاك لا محالة .

١٦- الحضارة الإسلامية باقية ثابتة، وصالحة لكل زمان ومكان، وذلك لأنها تعتمد على أصول تكفل الله عز وجل بحفظها، والحضارات المادية تقوم على أصول متغيرة وغير ثابتة، لذلك فأن الحضارة الإسلامية هي الحضارة الوحيدة القادرة على قيادة البشرية.

١٧- تقديس المال، والمبالغة في حبه، والحرص على جمعه بشتى الطرق والوسائل، والابتعاد عن منهج الإسلام في كسب المال وإنفاقه من أعظم الأمور التي تدمر الحضارة وتسبب انهيارها .

١٨- الذنوب والفواحش، أمراض فتاكة تدمر الحضارة، وتودي بحياتها .

١٩- الحضارة المادية المعاصرة، حضارة قوية، ولكنها تخفي وراء قوتها عوامل انهيارها .

٢٠- على الرغم من كثرة معاول الهدم والتخريب، التي عملت في حضارة الإسلام، لكن المسلمين بعقيدتهم ورسالتهم، هم وحدهم القادرون على إعادة بناء الحضارة الإنسانية، وقيادة البشرية نحو الطريق السليم، إن هم أحسنوا فهم دينهم، وعملوا على تطبيقه .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

www.manaraa.com

التوصيات

في نهاية هذه الدراسة يوصي الباحث بما يلي:

١- ضرورة التعرف على سنن الله عز وجل، في نهضة الحضارات وانهيارها، والتعامل مع هذه السنن بما يعيد الأمة إلى إسلامها، ويجعلها قادرة على قيادة البشرية .

٢- تحقيق تصور حضاري إسلامي، يمكن من خلاله بناء أمة قوية متماسكة، مؤمنة بالله .

٣- أن يساهم المتخصصون بالعلم الشرعي، بالكتابة عن الحضارة، وأن يقبلوا على دراسة الحضارات، وأن لا يزهدوا بهذا العلم الهام، الذي أصبح وسيلة لغزونا، وترويج بضاعة فاسدة تصدر إلينا .

٤- إدخال مواد تدريسية حضارية في المدارس والجامعات، تختلف في جوهرها عن العرض التاريخي .

٥- أن تدرس مادة الحضارة الإسلامية من قبل متخصصين في الشريعة، لهم إطلاع واف بموضوع قيام الحضارات وانهيارها .

٦- اعتماد موضوع قيام الحضارات وانهيارها كمادة من المواد الدراسية التي تدرس في كلية الشريعة .

٧- أن يعنى بالشأن الحضاري نخبة من أهل الفكر وعلماء الإسلام، يظهرون حضارتنا الخالدة، ويبرزون جوانبها الرائعة، باستخدام كافة السبل والأساليب التي تحقق ذلك.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير الخلق أجمعين

حسين محمود فريحات

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

فهرس الآيات الكريمة

الآيات الكريمة مرتبة بحسب الترتيب الهجائي

الرقم	الآية	رقم الصفحة
١.	أبلغكم رسالات ربي	١٧٤
٢.	أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا	١٨٤،١٢٣
٣.	أفمن أسس بنيانه	٢٣٣
٤.	اقرأ باسم ربك الذي خلق	١٤٦
٥.	إلا تنفروا يعذبكم عذابا	٢٤٠
٦.	ألم ترَ أن الله أنزل من السماء	١٤٧
٧.	ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السماوات	٢١٨
٨.	ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض	٢١٨
٩.	إن الذين يحادون	٢٨١
١٠.	إن الصلاة كانت على المؤمنين	٢٢٠
١١.	إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون	١٤١
١٢.	إن هذه أمتكم	٢٦٥
١٣.	إنا عرضنا الأمانة على السماوات	٣٠
١٤.	انفروا خفافاً وثقالاً	١٨١
١٥.	أولم يسيروا في الأرض فينظروا	٢٨
١٦.	أيحسب الإنسان أن يترك	٢٢٠
١٧.	الذي أطعمهم من جوع	٢٠٢
١٨.	الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة	٩١
١٩.	ظهر الفساد في البر والبحر	٢٤٧
٢٠.	فاعلم أنه لا إله إلا الله	١٣٧
٢١.	فلا وربك لا يؤمنون	١٦٠،٨٤
٢٢.	فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى	٦٧،٤٤
٢٣.	قال ربِّ أنى يكون لي غلام	٣٩
٢٤.	قل انظروا ماذا في السماوات	١٤٦
٢٥.	قل سيروا في الأرض	٢٣٥

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

٢٦.	قل هذه سبيلي أدعو إلى الله	٣٩
٢٧.	قل هل يستوي الذين يعلمون	١٥١،١٩١
٢٨.	كذلك يبين الله لكم آياته	١٤١
٢٩.	كنتم خير أمة أخرجت للناس	١٦٥
٣٠.	لعن الذين كفروا من بني إسرائيل	٢٤٢
٣١.	لو كان فيهما آلهة إلا الله	٣٩
٣٢.	ليأكلوا من ثمره	١٠٥
٣٣.	هو الذي أرسل رسوله بالهدى	٣١٤،٣٢٧
٣٤.	هو أنشأكم من الأرض	٣٢
٣٥.	هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً	١٩٤
٣٦.	وابتغ فيما آتاك الله الدار	٢٨٠
٣٧.	واتبع الذين ظلموا	٢٩٥
٣٨.	واتقوا فتنة	٢٤٢
٣٩.	وأحل الله البيع	١٠٢
٤٠.	واخفض لهما جناح الذل من الرحمة	د
٤١.	وإذ قال ربك للملائكة	٢٩
٤٢.	وإذا أردنا أن نهلك	٢٩٦
٤٣.	وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال	٢٩٧
٤٤.	وأعدوا لهم ما استطعتم	١١٣،١١٧،١٨١
٤٥.	والذين استجابوا لربهم	٢٢٥
٤٦.	والذين يكنزون الذهب والفضة	١٩٤
٤٧.	والعصر إن الإنسان لفي خسر	١٧٤
٤٨.	والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض	١٦٩
٤٩.	وإن كان أصحاب الأيكة	٢٨٥
٥٠.	وتعاونوا على البر والتقوى	٧٢،٢١١
٥١.	وتلك القرى أهلكناهم	٢٣١،٢٧٠
٥٢.	وشاورهم في الأمر	٢٢٥
٥٣.	وعد الله الذين آمنوا منكم	٦٢،٣١٤
٥٤.	وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة	١٨٥
٥٥.	وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه	٧٥

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

٥٦.	وقل ربي زدني علما	١٤٩
٥٧.	وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا	٣٤
٥٨.	وكذلك جعلناكم أمة وسطا	٣٨،٢٦
٥٩.	ولا تتبع أهواءهم	٢٦٠
٦٠.	ولا تكونوا كالذين تفرقوا	٢٧٥،٢٦٥
٦١.	ولا تنازعوا فتفشلوا	٢٦٥
٦٢.	ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير	١٦٥
٦٣.	ولقد أهلكنا القرون	٢٧٠
٦٤.	ولقد كرمنا بني آدم	٤٠
٦٥.	ولو أن أهل القرى آمنوا	٩٥،٦٢
٦٦.	ولو أن أهل الكتاب آمنوا	٣١
٦٧.	وما أصابكم من مصيبة	٢٣٥
٦٨.	وما أوتيتم من العلم إلا قليلا	١٤٩
٦٩.	وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون	٢٧
٧٠.	ومن أعرض عن ذكري	٢٣٧
٧١.	ومن آياته أن خلق لكم	٧٤
٧٢.	ومن كفر فأمتعه قليلا	٢٣٤
٧٣.	ويا قوم أوفوا المكيال	٢٨٠
٧٤.	يا أهل الكتاب لا تغلوا	٢٦٢
٧٥.	يا أيها الذين آمنوا استجيبوا	٣٢٠
٧٦.	يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله	٨٦
٧٧.	يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود	٤٤
٧٨.	يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم	٢٨٥
٧٩.	يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم	٣٠٢
٨٠.	يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم	١٨١
٨١.	يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى	٧٨

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

www.manaraa.com

فهرس الأحاديث الشريفة

الأحاديث الشريفة مرتبة بحسب الترتيب الهجائي

الرقم	طرف الحديث	الصفحة
١.	ائتوني بكتاب اكتب لكم	١٤٧
٢.	أتدرون ما المفلس	١٣٠،٦٩
٣.	أتشفع في حدّ	٢٧٢
٤.	اتق الله حيثما كنت	١٣٣
٥.	اتقوا الظلم	٢٥٠
٦.	اتقوا الله ربكم وصلوا خمسكم	٦٣
٧.	اتقوا الله وإن أمر عليكم	٩١
٨.	اجتنبوا السبع الموبقات	٢٨٧،٢٣٥،٦٨
٩.	اجتنبوا الموبقات	١٤١
١٠.	أدّ الأمانة إلى من ائتمنك	٢٠٨
١١.	إذا تبايعتم بالعينة	١٨٢،٢٤٠
١٢.	إذا خرج ثلاثة في سفر	٨٥
١٣.	إذا ضيعت الأمانة	٢٥٣
١٤.	إذا ظهر الزنا والربا	٢٥١
١٥.	إذا مات الإنسان انقطع عنه	١٥٣
١٦.	ارموا بني إسماعيل	١١٧
١٧.	استعمل الشفاء بنت عبد الله	١٧٢
١٨.	اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل	٨٧
١٩.	أطعموا الجائع وعودوا المريض	٢١٦
٢٠.	اعلموا أن الناس لن يزالوا بخير	٢٠١
٢١.	اغتنم خمساً قبل خمس	٢٢٣
٢٢.	اغزوا باسم الله	١٣٠،١٢٤
٢٣.	أكمل المؤمنين إيماناً	١٢٨

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

٢٤.	ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام	٢٤٩
٢٥.	ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا	٦٣
٢٦.	ألا إن الدينار والدرهم	٣٠٤
٢٧.	ألا إن ربكم واحد	٧٨
٢٨.	ألا كلكم راع وكلكم مسؤول	١٦٢
٢٩.	أمرت أن أقاتل الناس	١٨٥،١٢٣
٣٠.	أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبع	٨٢
٣١.	أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم	١٥٠
٣٢.	إن أطيب ما أكلتم من كسبكم	١٠٢
٣٣.	إن الحلال بَيّن	٦٧
٣٤.	إن الدنيا حلوة خضرة	٢٤٧
٣٥.	إن الدين يسر	٢٦٤
٣٦.	إن الرقى والتمائم	١٤٢
٣٧.	إن الله أوحى إليَّ أن تواضعوا	٢٠٨
٣٨.	إن الله زوى لي الأرض	٣١٦،٢٨٢
٣٩.	إن الله رفيق	٢٠٧
٤٠.	إن الله كتب الإحسان	٦١
٤١.	إن الله كريم	٢٠٦
٤٢.	إن الله لا يقبض العلم	٢٥٩
٤٣.	إن الله ليملي للظالم	٢٧٣
٤٤.	إن الله عز وجل يحب إذا عمل	١٩٧
٤٥.	إن الله يرضى لكم ثلاثا	٥٤
٤٦.	إن المؤمن ليدرك بحسن	١٣٣
٤٧.	إن المقسطين عند الله	٩٢
٤٨.	إن الناس إذا رأوا الظالم	٢٤٤،١٧١
٤٩.	إن الناس إذا رأوا المنكر	٢٤٣
٥٠.	أن النبي أعطاه دينارا	١٠٢
٥١.	إن بني إسرائيل افترقت	٢٧٨
٥٢.	إن بين يدي الساعة	٢٦٠
٥٣.	أن رسول الله أعطى خيبر	١٠١

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

٥٤.	إن شئت أنبأتك برأس	١٨٦
٥٥.	إن فيك خصلتين	٢١٠
٥٦.	إن قامت الساعة وبيد أحدكم	١٠٠،١٩٧،٢٢٤
٥٧.	أن مري غلامك النجار	١٠٦
٥٨.	إن من أشراط الساعة	٢٥٩
٥٩.	إن من أعظم الجهاد	١٧٩
٦٠.	إن من خياركم أحاسنكم	١٢٨
٦١.	أنا أغنا الشركاء	٢٣٦
٦٢.	أنا وكافل اليتيم	٢١٦
٦٣.	إنكم تختصمون إلي	١٦١
٦٤.	إنما أخاف على أمتي	٢٨٢
٦٥.	أنه من لا يرحم	١٢٩
٦٦.	إنهما ليعذبان	٧٠
٦٧.	إنه يستعمل عليكم أمراء	١٦٨،٢٨٣
٦٨.	إني تارك بكم ما إن تمسكتم به	٣٢٢
٦٩.	إني قد وليت عليكم	١٧٨
٧٠.	أوصيكم بأصحابي ثم الذين	٢٦٨
٧١.	أي العمل أفضل	١٠٥
٧٢.	أي الناس أفضل	١٨٣
٧٣.	آية المنافق ثلاث	٧١
٧٤.	أيها الناس قفوا أوصيكم	١٢٥
٧٥.	أي يوم هذا	١٠٩
٧٦.	إياكم والجلوس في الطرقات	١٦٨
٧٧.	الإيمان بضع وسبعون شعبة	٥٣
٧٨.	بايعت رسول الله على إقام الصلاة	١٧٦
٧٩.	بايعنا رسول الله على السمع	١٨٠
٨٠.	البر حسن الخلق	١٣٤
٨١.	بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة	١١٥
٨٢.	بعث سرية فيها عبد الله بن عمر	١١٥
٨٣.	بعثت لأتم مكارم الأخلاق	١٣٢

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

٨٤.	بقاؤكم عليه ما استقامت	٢٠١
٨٥.	بلغوا عني ولو آية	٣٢٢،١٤٨
٨٦.	بني الإسلام على خمسة	٦٣
٨٧.	بينما الحبشة يلعبون	١١٦
٨٨.	بينما نحن جلوس	٥٧
٨٩.	البيِّعان بالخيار	٢٨٨
٩٠.	التاجر الصدوق	١٠٣
٩١.	تجد من شرار الناس يوم القيامة	٢٥٢
٩٢.	ترى المؤمنين في تراحمهم	٢١٥
٩٣.	تبسمك في وجه أخيك	٢٠٩
٩٤.	تعس عبد الدينار	٣٠٢
٩٥.	تنكح المرأة لأربع	٧٤
٩٦.	ثلاثة أنا خصمهم	٢٧٤،٩٨
٩٧.	ثلاثة لا يكلمهم الله	١٥٨
٩٨.	الجنة تحت ظلال السيوف	١٢٠
٩٩.	حالف النبي صلى الله عليه وسلم بين قريش	٢١٢
١٠٠.	حد يعمل به في الأرض	٢٠١
١٠١.	حفَّت الجنة بالمكاره	٢٩٧
١٠٢.	خدمت النبي صلى الله عليه وسلم	١٢٩
١٠٣.	خرج رجل ممن كان قبلكم	٢٤٩
١٠٤.	خمس إذا ابتليتم بهن	٢٨١،٢٣٨
١٠٥.	خمس بخمس	٢٨٨
١٠٦.	خيركم خيركم لأهله	د
١٠٧.	الخيل في نواصيها الخير	١٢٠
١٠٨.	دبَّ إليكم داء الأمم	٢٤٩
١٠٩.	دلني على عمل	١٣٨
١١٠.	الدين النصيحة	١٧٥
١١١.	الراحمون يرحمهم الرحمن	٢٠٩
١١٢.	الرجل يقاتل للمغنم	١٨٦،١٢٢
١١٣.	رحم الله رجلا سمحا إذا باع	١٠٤

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

١١٤.	الرحم شجنة من الرحمن	٧٦
١١٥.	سئل النبي أي العمل أفضل	١٨٣
١١٦.	سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الكبائر	٢٣٧
١١٧.	الساعي على الأرملة	٢١٦
١١٨.	سبعة يظلهم الله	٩٢
١١٩.	السمع والطاعة على المرء المسلم	١٥٨،٨٧
١٢٠.	سيأتي على الناس سنوات	٢٥٤
١٢١.	سياحة أمتي الجهاد	١٨٣
١٢٢.	الصلاة على ميقاتها	٧٥
١٢٣.	الظلم ظلمات	٢٧١
١٢٤.	عليكم بالجهاد في سبيل الله	١٨٢
١٢٥.	عليكم بالصدق	٢٠٦
١٢٦.	عينان لا تمسهما النار	١٢١
١٢٧.	فهلا جلست في بيت أبيك	٢٩٢
١٢٨.	قالت الأنصار للنبي أقسم بيننا	٩٩
١٢٩.	قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له	٣١٤
١٣٠.	قل هو القادر على أن يبعث	٢٧٨
١٣١.	كان أصحاب رسول الله عمال أنفسهم	٩٩
١٣٢.	كان زكريا نجاراً	١٠٦
١٣٣.	كانت بنو إسرائيل	٨٦
١٣٤.	الكبرياء ردائي والعظمة إزاري	٢٥١
١٣٥.	كسفت الشمس على عهد	١٤٠
١٣٦.	كل عمل ابن آدم له	٦٤
١٣٧.	كلاكما محسن ولا تختلفوا	٢٧٥
١٣٨.	كلكم راع ومسؤول	٨٩
١٣٩.	كنت أمشي مع النبي	١٢٩
١٤٠.	لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله	٢٥٥
١٤١.	لا تحاسدوا	٨١
١٤٢.	لا تدخلوا الجنة حتى	٥٦
١٤٣.	لا ترجعوا بعدي كفارا	٢٠٣

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

١٤٤.	لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين	٣١٦
١٤٥.	لا تزول قدما عبد	٢٢٢
١٤٦.	لا تقوم الساعة حتى يقاتل	٣٢٩
١٤٧.	لا تقوم الساعة حتى يفيض المال	٣٠١
١٤٨.	لا تلبسوا الحرير	٢٩٨
١٤٩.	لا حسد إلا في اثنتين	١٥٢
١٥٠.	لا ضرر ولا ضرار	١٩٨
١٥١.	لا يبع حاضر لباد	١٠٣
١٥٢.	لا يحتكر إلا خاطئ	١٠٨
١٥٣.	لا يدخل الجنة نمام	٢٥١
١٥٤.	لا يدع قوم الجهاد	٢٤١
١٥٥.	لا يرحم الله من لا يرحم	٢١٧
١٥٦.	لا يزني الزاني حين يزني	٧٠
١٥٧.	لا يزال الله يغرس	٣٢٦
١٥٨.	لا ينبغي لنبي يلبس	٢٢٧
١٥٩.	لا يؤمن أحدكم حتى أكون	٨٤
١٦٠.	لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه	٥٦
١٦١.	لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه	٨٥
١٦٢.	لأن يأخذ أحدكم حبلة	٩٧
١٦٣.	لتتبعن سنن من قبلكم	٢٦٠
١٦٤.	لزوال الدنيا أهون على الله	٢٠٤
١٦٥.	لعن الله آكل الربا	٢٨٩
١٦٦.	لعن رسول الله آكل الربا	٢٨٧
١٦٧.	لعن رسول الله الراشي والمرتشي	٢٩٢
١٦٨.	لكل داء دواء	١٩١
١٦٩.	لما وقعت بنو إسرائيل بالمعاصي	٢٤٥
١٧٠.	لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة	٢٥٦
١٧١.	اللهم إني أعوذ بك من الأربع	١٤٩
١٧٢.	لو أنكم توكلتم على الله	٦٦
١٧٣.	لو كان لأبن آدم واديان	٣٠٤

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

١٧٤.	ليأتين على الناس زمان لا يبالي	٣٠٥،٢٨٦
١٧٥.	ليأتينَّ على الناس زمان يكون عليكم	٢٨٤
١٧٦.	ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل	٣١٥
١٧٧.	ليس الإيمان بالتحلي	٥٢
١٧٨.	ما أخشى عليكم أيها الناس	٣٠٠
١٧٩.	ما أكل أحد طعاماً قط	٩٨
١٨٠.	ما الفقر أخشى عليكم	٢٩٩
١٨١.	ما آمن بي من بات شبعانا	٢١٥،٢١٤
١٨٢.	ما أنزل الله داء	١٩٠
١٨٣.	ما أنزل الله عز وجل	١٩١
١٨٤.	ما بال دعوى الجاهلية	٢٦٦
١٨٥.	ما بعث الله نبيا إلا ورعى الغنم	٩٧
١٨٦.	ما تشيرون علي في قوم	٢٢٧
١٨٧.	ما ترك قوم الجهاد إلا عمهم	٢٤١
١٨٨.	ما ذئبان جائعان	٣٠٣
١٨٩.	ما رأيت أحد أكثر مشورة	٢٢٨
١٩٠.	ما زال جبريل يوصيني	٧٧
١٩١.	ما سئل النبي صلى الله عليه وسلم شيئا قط	١٢٩
١٩٢.	ما ضل قوم بعد هدى	٢٦٣
١٩٣.	ما عندك يا ثمامة	١٢٥
١٩٤.	ما من رجل يكون في قوم يعمل فيهم	٢٤٥،١٧٨
١٩٥.	ما من شيء أثقل في ميزان	١٣٠
١٩٦.	ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت	٢٩٣،١٥٩
١٩٧.	ما من عبد يسترعيه الله رعية فلم يحطها	١٧٧
١٩٨.	ما من مسلم يغرس	١٠٠
١٩٩.	ما من نبي بعثه الله	١٦٧
٢٠٠.	ما من والٍ يلي رعيته	٩٣
٢٠١.	ما من يوم يصبح العباد	١١١
٢٠٢.	ما نقصت صدقة من مال	٢٠٧
٢٠٣.	ما نهيتكم عنه فاجتنبوه	٢٧٧

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

٢٠٤.	ما هذا يا صاحب الطعام	٢٨٩
٢٠٥.	ما يسرني أن عندي مثل أحد	٣٠٠
٢٠٦.	ما يصنع هؤلاء	١٩٢
٢٠٧.	ماذا كنتم تقولون في الجاهلية	١٤٠
٢٠٨.	مثل الذي يعين قومه على غير الحق	٢٦٦
٢٠٩.	مثل القائم على حدود الله	١٧٠
٢١٠.	مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم	٨٠
٢١١.	مثل ما بعثني الله به	١٥١
٢١٢.	المراء في القرآن كفر	٢٦٤
٢١٣.	مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر	١٧٠
٢١٤.	المستشار مؤتمن	٢٢٩
٢١٥.	المسلم أخو المسلم	٧٧
٢١٦.	من أتاكم وأمركم جميع	٨٨
٢١٧.	من أتى عرافاً	١٤٢
٢١٨.	من احتبس فرساً	١٢٠
٢١٩.	من أحق الناس بحسن صحابتي	٧٥
٢٢٠.	من أحيا أرضا	٢٢٠
٢٢١.	من أشار إلى أخيه	٢٠٢
٢٢٢.	من أصبح منكم آمناً	١٩٩
٢٢٣.	من أطاعني فقد أطاع الله	٩٠
٢٢٤.	من أعمر أرضاً	١٠١،١٩٨
٢٢٥.	من اقتطع مال امرئ مسلم	١١٠
٢٢٦.	من اقتطع حق امرئ	٢٧٤
٢٢٧.	من بايع إماماً فأعطاه	١٥٦
٢٢٨.	من تصدق بعدل تمرة	٦٦
٢٢٩.	من جهز غازياً	١١٩
٢٣٠.	من خرج من الطاعة وفارق الجماعة	٢٦٧
٢٣١.	من خلع يداً من طاعة	٨٦،١٥٦
٢٣٢.	من دعا إلى هدى	١٧٢

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

٢٣٣.	من رأى من أميره شيئاً يكرهه	٨٨
٢٣٤.	من رأى منكم منكراً	١٦٦
٢٣٥.	من سرَّه أن يبسط له في رزقه	٢١٤،٧٦
٢٣٦.	من سرَّه أن ينجيه الله	٢١٧
٢٣٧.	من سلك طريقاً يلتمس	١٥٢
٢٣٨.	من سنَّ في الإسلام سنَّة	١٨٩
٢٣٩.	من علق تميمة	١٤٣
٢٤٠.	من علم الرمي ثم تركه	١١٧
٢٤١.	من قُتل تحت راية عمية	٢٦٧،٧٩
٢٤٢.	من كان معه فضل ظهر	٢١٣
٢٤٣.	من كان يؤمن بالله واليوم	٢١٠،٥٧
٢٤٤.	من كانت له أرض	٢١٩،١٠١
٢٤٥.	من كره من أميره شيئا	٢٠٣
٢٤٦.	من لم يدع قول الزور	٦٤
٢٤٧.	من لم يغز	٢٤٠
٢٤٨.	من مات ولم يغز	١٨٤
٢٤٩.	من نفس عن مؤمن كربة	١٤٨
٢٥٠.	من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط	٧٠
٢٥١.	من ولدت له أنثى	٧٩
٢٥٢.	من ولي مالاً ليتيم	١٩٥
٢٥٣.	من ولي من أمر المسلمين شيئا فأمّر	٢٩٤،٢٥٦
٢٥٤.	من يحرم الرفق	٢٠٨
٢٥٥.	من يرد الله به خيراً	٣٢٦،١٥١
٢٥٦.	من يضمن لي ما بين لحييه	٦٩
٢٥٧.	المؤمن القوي خير	١٩٦،١١٥
٢٥٨.	المؤمن للمؤمن كالبنيان	٢١٢
٢٥٩.	نضر الله امرأ	١٤٨
٢٦٠.	نعم المال الصالح	٩٦
٢٦١.	نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس	٢٢١
٢٦٢.	نعم يا عباد الله تداووا	١٩١

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

٢٦٣.	نهانا النبي أن نشرب في آنية الذهب	٢٩٨
٢٦٤.	هات القط لي	٢٦٢
٢٦٥.	هلا انتفعتم بجلدها	٢١٩
٢٦٦.	هلك المتنطعون	٢٦٣
٢٦٧.	والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد	١٣١
٢٦٨.	والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف	٢٤٣،١٦٦
٢٦٩.	وجدت امرأة مقتولة	١٢٤
٢٧٠.	وعظنا رسول الله موعظة	٣٢٣
٢٧١.	والله لا يؤمن والله لا يؤمن	٧٧
٢٧٢.	ويل للعرب من شر قد اقترب	٢٤٤
٢٧٣.	يا أبا ذر إذا طبخت مرقة	٢١٤،٧٧
٢٧٤.	يا أبا ذر أنك ضعيف	٢٥٤
٢٧٥.	يا رسول الله ألا تستعملني	٢٩٤
٢٧٦.	يا رسول الله ما الإيمان	٦٠
٢٧٧.	يا زبير اسق ثم أرسل	١٦٠
٢٧٨.	يا غلام إني أعلمك كلمات	٥٤
٢٧٩.	يا معشر الشباب من أستطاع	٧٤،٦٥
٢٨٠.	اليد العليا خير وأحب	١٩٥
٢٨١.	يدخل ثلاثة نفر الجنة	١١٩
٢٨٢.	يسروا ولا تعسروا	٢٦٤
٢٨٣.	يقول العبد مالي مالي	١١٠،٦٥
٢٨٤.	يكون في هذه الأمة مسخ وخسف	٢٥٠
٢٨٥.	يوشك أن تداعى	٢٣٩

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

www.manaraa.com

المصادر والمراجع

١- آبادي: محمد شمس الحق العظيم، **عون المعبود شرح سنن أبي داود**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤١٥هـ .

٢- آبادي: محمد بن يعقوب الفيروز، **القاموس المحيط**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٦، ١٩٩٨م .

٣- الألباني: محمد ناصر الدين، **صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته**، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٩٨٢م .

٤- الألباني، **صحيح الترغيب والترهيب**، مكتبة المعارف، الرياض، ط٥ .

٥- الألباني، **السلسلة الصحيحة**، مكتبة المعارف، الرياض .

٦- الألباني، **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**، المكتب الإسلامي، بيروت،ط٢، ١٩٨٥.

٧- أحمد: أحمد، **الجانب السياسي في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم**، دار القلم، الكويت، ط ، ١٩٨٢م .

٨- أحمد: محمد عباس، **الإسلام يدعو إلى العلم واستخدام العقل والحواس**، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم لدول الخليج، البحرين، ١٩٨١م .

٩- الأزهري: محمد بن أحمد، **تهذيب اللغة**، الدار المصرية، القاهرة، ط١، ١٩٦٤م.

١٠- أسد: محمد، **الإسلام على مفترق الطرق**، ترجمة عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ١٩٥١م .

١١- اشبنغلر: أسوالد، **تدهور الحضارة الغربية**، ترجمة أحمد الشيباني، مكتبة الحياة، بيروت، ط١ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
www.manaraa.com

١٢- الأصبحي: مالك بن أنس، **الموطأ**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، مصر، ط١ .

١٣- الأصفهاني: أبو نعيم، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٤ .

١٤- الأصفهاني: الحسين بن محمد، **معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم**، طبعه وصححه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٩٩٧م .

١٥- الأميري: عمر بهاء الدين، **الإسلام وأزمة الحضارة الإنسانية المعاصرة**، مؤسسة الشروق، قطر، ط١، ١٩٨٣م .

١٦- الألوسي: محمود، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، الطبعة المنيرية، القاهرة، ط٢، ١٩٩٢م .

١٧- باباسيلا: سعيد محمد، **أسباب هلاك الأمم السالفة كما وردت في القرآن الكريم**، دار ابن الجوزي، الرياض، ط١، ٢٠٠٠م .

١٨- البخاري: محمد بن إسماعيل، **الجامع الصحيح المختصر (صحيح البخاري)** دار اليمامة، بيروت، تحقيق مصطفى ديب البغا .

١٩- البخاري، محمد بن اسماعيل، **الأدب المفرد**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١، ١٩٨٩م .

٢٠- بكار: عبد الكريم، **من أجل انطلاقة حضارية شاملة**، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٩٩م .

٢١- البهي: محمد، **الدين والحضارة الإنسانية**، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٩٧٤م.

٢٢- البهي: محمد، **الفكر الإسلامي في تطوره**، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢، ١٩٨١م .

٢٣- البهي: محمد، **الإسلام في حياة المسلم**، **مكتبة وهبة**، القاهرة، ط٢، ١٩٧٧م.

٢٤- البوطي: محمد سعيد، **منهج الحضارة الإنسانية في القرآن الكريم**، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٨٧م .

٢٥- البيهقي: أحمد بن الحسين، **السنن الكبرى**، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الباز، مكة، ط٢، ١٩٩٤م .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

٢٦- البيهقي: أحمد بن الحسين، **شعب الإيمان**، تحقيق محمد سعيد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ .

٢٧- الترمذي: محمد بن عيسى، **سنن الترمذي**، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢ .

٢٨- التويجري: عبد العزيز بن عثمان، **خصائص الحضارة الإسلامية وآفاق المستقبل**، مطبعة المعارف، المملكة المغربية، ٢٠٠٢م .

٢٩- ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم، **اقتضاء الصراط المستقيم**، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ط٢، ١٩٨٩م .

٣٠- ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم، **العبودية**، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٦٩م .

٣١- ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم، **السياسة الشرعية في اصطلاح الراعي والرعية**، دار المعارف، بيروت، ط٤، ٢٠٠٠م .

٣٢- الجرجاني: محمد بن علي، **التعريفات**، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط٢، ١٩٩٨م .

٣٣- جارودي: روجيه، **الإسلام والقرن الواحد والعشرين شروط نهضة المسلمين**، ترجمة كمال جاد الله، دار الجيل، بيروت، ط١ .

٣٤- ابن الجزري: أبو السعادات المبارك بن محمد، **النهاية في غريب الحديث والاثر**، تحقيق محمود الطناحي، المكتبة الإسلامية، بيروت، ط١ .

٣٥- الجصاص: أحمد بن علي، **أحكام القرآن**، المطبعة البهية، مصر، ط١، ١٣٧٤هـ .

٣٦- الجندي: أنور، **الشبهات والأخطاء الشائعة في الفكر الإسلامي**، دار الاعتصام، مصر، ط١ .

٣٧- الجندي: أنور، **معلمة الإسلام**، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٨م .

٣٨- الجندي: أنور، **الإسلام والحضارة**، دار الاعتصام، بيروت، ط١، ١٩٩٧م .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

www.manaraa.com

٣٩- ابن الجوزي: عبد الرحمن بن علي، **غريب الحديث**، تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٥م .

٤٠- الجوهري: إسماعيل بن حماد، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق عبد الغفور، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، ١٩٧٩م .

٤١- الحاكم: محمد بن عبد الله، **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٠م .

٤٢- ابن حبان، محمد بن حبان، **صحيح ابن حبان**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨٤م .

٤٣- ابن حجر، أحمد بن علي، **فتح الباري، شرح صحيح البخاري**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٣٧٩هـ .

٤٤- ابن حجر: أحمد بن علي، **تقريب التهذيب**، تحقيق محمد عوامة، دار الرشيد، دمشق، ط١، ١٩٨٦م .

٤٥- ابو حجير: مجيد محمود، **قواعد السياسة الشرعية في تعيين موظفي الدولة في الإسلام**، دار الثقافة، عمان، ط١، ٢٠٠٥م .

٤٦- الحربي: إبراهيم بن إسحاق، **غريب الحديث**، الناشر جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١ .

٤٧- حسنة: عمر عبيد، **في النهوض الحضاري بصائر وبشائر**، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٩٩٦م .

٤٨- حسين: محمد محمد، **الإسلام والحضارة الغربية**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٤، ١٩٨١م .

٤٩- الحكمي: محمد بن عبد الله، **الظلم وأثره السيئ على الفرد والمجتمع**، دار المجتمع، جدة، ط٢، ١٩٩٥م .

٥٠- أبو حمد، رضا صاحب، **الخطوط الكبرى في الاقتصاد الإسلامي**، دار مجدلاوي، عمان، ط١، ٢٠٠٦م .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

٥١- ابن حنبل: أحمد بن حنبل، المسند، ، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٥٢- الخالدي: محمود، **الشورى**، دار الجيل، بيروت، ط١ .

٥٣- الخالدي: محمود، **التفكير بداية الطريق إلى نهضة الأمة الإسلامية**، مكتبة الرسالة، عمان، ط١، ١٩٨٥م .

٥٤- ابن خزيمة: محمد بن إسحاق، **صحيح ابن خزيمة**، تحقيق مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٧٥م .

٥٥- الخطيب: سليمان: **فلسفة الحضارة عند مالك بن نبي**، المؤسسة الجامعية، بيروت، ط١، ١٩٩٣م .

٥٦- الخطيب: محمد عبد القادر، **دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية**، مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة، ط١ .

٥٧- الخطيب: عمر عودة، **لمحات في الثقافة الإسلامية**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨٢م .

٥٨- الخطيب: سليمان، **أسس مفهوم الحضارة في الإسلام**، الزهراء للأعلام، القاهرة، ط١، ١٩٨٦م .

٥٩- الخطيب: فايز صالح، **عوامل فساد الأمم كما يصورها القرآن الكريم**، رسالة ماجستير، التفسير وعلوم القرآن، جامعة الأزهر، القاهرة، ١٩٩٨م .

٦٠- خطاب: محمود شيت، **دروس عسكرية من السيرة النبوية**، الناشر للطباعة، بيروت، ط٢، ١٩٩٠م .

٦١- خطاب: محمود شيت، **جيش الرسول صلى الله عليه وسلم**، مكتبة النهضة، بغداد، ط٢، ١٩٨٨م .

٦٢- خليل: عماد الدين، **مدخل إلى الحضارة الإسلامية**، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م .

٦٣- خليل: عماد الدين، **التفسير الإسلامي للتاريخ**، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٧٥م .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

www.manaraa.com

٦٤- خليل: عماد الدين، **الوسيط في الحضارة الإسلامية**، دار الحامد، عمـــان، ط١، ٢٠٠٤م .

٦٥- خليل: عماد الدين، **دليل التاريخ والحضارة الإسلامية**، دار الـــرازي، عمـــان، ط١، ٢٠٠٤م .

٦٦- ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد، **مقدمة ابن خلدون**، تحقيـــق علـــي عبـــد الواحد، دار النهضة، مصر، ط١ .

٦٧- خلاف: عبد الوهاب، **السياسة الشرعية ونظام الدولة الإسلامية**، نشر محـــب الدين الخطيب، القاهرة، ط١ .

٦٨- خليفة: عبد الرحمن، **في علم السياسة الإسلامي**، دار المعرفـــة، الإســـكندرية، ط١، ١٩٩٧م .

٦٩- خفاجي: محمد بن عبد المنعم، **الإسلام وبناء المجتمع**، دار الوفاء، الإسكندرية، ط١، ٢٠٠٢م .

٧٠- الخياط: عبد العزيز، **المجتمع المتكافل في الإسلامي**، دار السلام، بيروت، ط٣، ١٩٨٦م .

٧١- الخياط: عبد العزيز، **نظام الحكم في الإسلام**، منشورات جامعة القدس المفتوحة، ط١، ١٩٩٧م .

٧٢- داغر: منقذ محمد، **الفساد الإداري بالخصائص التنظيميـــة لمـــوظفي الدولـــة**، مركز الإمارات للدراسات والبحوث، دولة الإمارات، العدد ٦٠، ط١، ٢٠٠١م.

٧٣- أبو داود: سليمان بن الأشعث، **سنن أبي داود**، تحقيق محمد محي الـــدين عبـــد الحميد، دار الفكر، بيروت، ط١ .

٧٤- الدارمي: عبد الله بن عبد الرحمن، **سنن الدارمي**، تحقيق خالـــد العلمـــي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـــ .

٧٥- دراز: محمد عبد الله، **الدين بحوث مهمة لدراسة تاريخ الأديـــان**، دار القلـــم، الكويت، ط١ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

٧٦- دراز: محمد عبد الله، **دستور الأخلاق في الإسلام**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٤، ١٩٨٢م .

٧٧- الدسوقي: فاروق احمد، **الإسلام والعلم التجريبي**، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٨٧م .

٧٨- الدسوقي: فاروق أحمد، **استخلاف الإنسان في الأرض**، دار الدعوة، الإسكندرية، ط١، ١٩٩٨م .

٧٩- الدقس: كامل، الدولة الإسلامية، مكتبة دار الأرقم، عمان، ط١ .

٨٠- الدارقطني: علي بن عمر، **سنن الدارقطني**، تحقيق عبد الله هاشم، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٩٦٦م .

٨١- الرازي: محمد بن زكريا، **مختار الصحاح**، المكتبة الأموية، بيروت، ط١، ١٩٧٨م .

٨٢- ابن رسلان: محمد بن سعيد، **آفات العلم**، دار العلوم الإسلامية، القاهرة، ط١، ١٩٩٠م .

٨٣- رضا: محمد رشيد، **تفسير المنار**، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٩٧٣م .

٨٤- رقيط: حمد حسن، **التقدم الحضاري في الإسلام**، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٩٩٩م .

٨٥- الركابي: الشيخ الركابي، **الجهاد في الإسلام**، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١، ١٩٩٧م .

٨٦- زريق: قسطنطين، **في معركة الحضارة دراسة في ماهية الحضارة وأحوالها في الواقع الحضاري**، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ٢٠٠١م .

٨٧- زرزور: عدنان محمد، **التوجيه الإسلامي للعلوم والمعارف**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٩٢م .

٨٨- زقزوق: محمود حمدي، **الحضارة فريضة إسلامية**، مكتبة الشروق، القاهرة، ط١، ٢٠٠١م .

٨٩- الزمخشري: محمود بن عمر، **أساس البلاغة**، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٦٥م .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

www.manaraa.com

٩٠- الزمخشري: محمود بن عمر، **الكشاف عن حقائق التنزيل** وعيون الاقاويل في وجوه التنزيل، تحقيق خليل مأمون، دار المعرفة، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م .

٩١- الزهراني: سعيد بن عطية، **القيم الحضارية في الصراع الحضاري بين الإسلام والغرب**، دار ابن حزم، بيروت، ط١ .

٩٢- الزيلعي: جمال الدين بن محمود، **نصب الراية في أحاديث الهداية**، المكتبة الإسلامية، القاهرة، ط٢، ١٩٧٣م .

٩٣- الزين: سميح عاطف، **الإسلام وأيديولوجية** الإنسان، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٧١م .

٩٤- زيدان: عبد الكريم، **أصول الدعوة**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ٢٠٠٦م.

٩٥- زيدان: عبد الكريم، **السنن الإلهية في الأمم والجماعات** والأفراد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ٢٠٠٢م .

٩٦- سارطون: جورج، **الثقافة الغربية في رعاية شؤون الشرق** الأوسط، ترجمة عمر فروخ، مكتبة المعارف، بيروت، ط١ .

٩٧- السامرائي: نعمان عبد الرزاق، **نحن والحضارة والشهود**، كتاب الأمة، العدد ٨٠، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة، ط١، ٢٠٠١م .

٩٨- السامرائي: محمد صالح، **أثر التخطيط في بناء المجتمع المدني**، رسالة ماجستير، جامعة صدام للعلوم الإسلامية، بغداد، ١٩٩٨م .

٩٩- سبع: توفيق محمد، **قيم حضارية في القرآن الكريم**، دار المنار، القاهرة، ط٢، ١٩٨٤م .

١٠٠- السباعي: مصطفى، **من روائع حضارتنا**، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٩٨٢م .

١٠١- السباعي: مصطفى، **التكافل الاجتماعي في الإسلام**، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٨م .

١٠٢- السباتين: نجاح يوسف، **مفاهيم النهضة الإسلامية**، دار الإسراء، عمان، ط١، ٢٠٠٤م .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

١٠٣- السايح: أحمد عبد الرحيم، **أضواء على الحضارة الإسلامية**، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، ط٢، ٢٠٠١م .

١٠٤- أبو السعود: محمد بن مصطفى، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، ط١، ١٩٨١م .

١٠٥- السعيد: حسن، **حضارة الأزمة ماذا قبل الانهيار**، دار الهادي، بيروت، ط٣، ٢٠٠٣م .

١٠٦- سعيد: صبحي عبده، **التنظيم الاقتصادي الإسلامي**، دار النهضة، القاهرة، ط١، ١٩٩٧م .

١٠٧- سحنون: محمود، **الاقتصاد الإسلامي**، دار الفجر، الجزائر، ط١ .

١٠٨- سفر: محمود محمد، **دراسة في البناء الحضاري**، رقم ٢١، مركز البحوث والمعلومات برئاسة المحاكم الشرعية، في دولة قطر، ط١ .

١٠٩- السيوطي: جلال الدين، **أربعون حديثاً في فضل الجهاد**، تحقيق مرزوق علي إبراهيم، دار الفضيلة، القاهرة، ط١ .

١١٠- السيوطي: جلال الدين بن عبد الرحمن، **الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج**، دار الأرقم، بيروت، ط١ .

١١١- السيد أحمد: عزمي طه، **الثقافة والثقافة الإسلامية**، مطبعة الروزنا، عمان، ط٢.

١١٢- شتا: السيد علي، **الفساد الإداري ومجتمع المستقبل**، مكتبة الإشعاع، مصر، ط١، ١٩٩٩م .

١١٣- الشرقاوي: عفت، **فلسفة الحضارة**، دار النهضة العربية، بيروت، ط١، ١٩٨١م.

١١٤- الأشقر: عمر سليمان، **نحو ثقافة إسلامية أصيلة**، دار النفائس، عمان، ط٢، ١٩٩١م .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

www.manaraa.com

١١٥- شلبي: أحمد، **الحضارة الإسلامية**، مكتبة الشباب، القاهرة، ط٢، ١٩٩٤م .

١١٦- شلبي: أحمد، **الجهاد والنظم العسكرية في التفكير الإسلامي**، مكتبة النهضة، القاهرة، ط٣، ١٩٨٣م .

١١٧- أبو شهبة: محمد بن محمد، **حلول لمشكلة الربا**، مكتبة السنة، القاهرة، ط٢، ١٤٠٩هـ .

١١٨- صالح: حافظ، **النهضة**، دار البيارق، عمان، ط٣، ١٩٩٣م .

١١٩- الصالح: صبحي، **النظم الإسلامية نشأتها وتطورها**، دار العلم للملايين، بيروت، ط٦، ١٩٩٥م .

١٢٠- الصالح: صبحي، **الإسلام ومستقبل الحضارة**، دار الشروق، بيروت، ط١، ١٩٨٢م .

١٢١- الصعيدي: عبد الحكم عبد اللطيف، **حضارات ورد ذكرها في القرآن الكريم والسنة النبوية**، مكتبة الدار العربية، بيروت، ط١، ١٩٩٦م .

١٢٢- الصنعاني: عبد الرزاق بن همام، **المصنف**، تحقيق حبيب الاعظمي، مصنف عبد الرزاق، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ .

١٢٣- الصواف: محمد محمود، **أثر الذنوب في هدم الأمم والشعوب**، دار الاعتصام، القاهرة، ط١، ١٩٨٢م .

١٢٤- ضناوي: محمد علي، **مقدمات في فهم الحضارة الإسلامية**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٠م .

١٢٥- الطبراني: سليمان بن أحمد، **المعجم الكبير**، تحقيق حمدي السلفي، مكتبة العلوم، الموصل، ط٢، ١٩٨٣م .

١٢٦- الطبراني: سليمان بن أحمد، **المعجم الأوسط**، تحقيق طارق عوض، دار الحرمين، القاهرة، ط١، ١٤١٥هـ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

www.manaraa.com

١٢٧- الطبري: محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ .

١٢٨- طبازة: عفيف عبد الفتاح، **الخطايا في نظر الإسلام**، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٦م .

١٢٩- طعيمة: صابر عبد الرحمن، **العقل والإيمان في الإسلام**، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٧٩م .

١٣٠- طهماز: عبد الحميد محمود، **أسباب هلاك الأمم وسقوط الحضارات في سورة الأعراف**، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٩٢م .

١٣١- الطيالسي: سليمان بن داود، **مسند الطيالسي**، دار المعرفة، بيروت، ط١ .

١٣٢- ابن عاشور: محمد الطاهر، **التحرير والتنوير**، دار سحنون، تونس، ط١ .

١٣٣- ابن عاشور: محمد الظاهر، **مقاصد الشريعة الإسلامية**، الشركة التونسية، ط١، ١٩٧٨م .

١٣٤- عارف: نصر محمد، الحضارة . الثقافة . المدنية، **المعهد العالمي للفكر** الإسلامي، عمان، ط٢، ١٩٩٤م .

١٣٥- العالم: يوسف حامد، **المقاصد العامة للشريعة الإسلامية**، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، ط١، ١٩٩١م .

١٣٦- عبد الحميد: محسن، **مذهبية الحضارة الإسلامية**، دار عمار، عمان، ط١، ٢٠٠٠م .

١٣٧- عبود: عبد الغني، **الحضارة الإسلامية والحضارة المعاصرة**، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ١٩٨١م .

١٣٨- عبد العزيز: برغوث، **المنهج النبوي والتغيير الحضاري**، كتاب الأمة، رقم ٤٣، وزارة الأوقاف، الدوحة، ط١، ١٩٩٥م .

١٣٩- ابن عباد: إسماعيل الصاحب، **المحيط في اللغة**، تحقيق محمد آل ياسين، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٩٤م .

١٤٠- عثمان: محمد فتحي، **القيم الحضارية في رسالة الإسلام**، الدار السعودية، جدة، ط١، ١٩٨٢م .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

www.manaraa.com

١٤١- ابن العربي: ابو بكر محمد، **أحكام القرآن**، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.

١٤٢- العسال: أحمد محمود، **النظام الاقتصادي في الإسلام مبادئه وأهدافه**، مكتبة وهبة، مصر، ط٨، ١٩٩٢م .

١٤٣- عقلة: محمد، **الإسلام مقاصده وخصائصه**، مكتبة الرسالة، عمان، ط١، ١٩٨٤م.

١٤٤- عطية: جمال الدين، **نحو تفعيل مقاصد الشريعة**، دار الفكر، دمشق، ط١، ٢٠٠٣م .

١٤٥- عطية: محمد عطية، **مفاهيم أساسية في التربية** الإسلامية والاجتماعيات، دار الفكر، عمان، ط١، ١٩٩١م .

١٤٦- عمارة: محمد، **الاستقلال الحضاري**، مكتبة الوحدة للطباعة، بيروت، ط١، ١٩٨٦م .

١٤٧- عليان: شوكت محمد، **النظام السياسي في الإسلام**، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط١، ١٩٩٩م .

١٤٨- عمارة: عماد حمد، **النظام الرقابي في الإدارة الإسلامية وأثره في الدعوة إلى الله**، دار اليقين، مصر، ط١، ١٩٨٦م .

١٤٩- عمار: ناصر عبد الله، **الترف ونتائجه على الفرد والمجتمع**، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، ط١، ١٩٩٠م .

١٥٠- عويس: عبد الحليم، **تفسير التاريخ علم إسلامي**، دار الصحوة، القاهرة، ط٢، ١٩٩٩م .

١٥١- عوض: أحمد صفي الدين، أصول **الاقتصاد الإسلامي**، مكتبة الرشيد، الرباط، ط١ .

١٥٢- أبو عيد: عارف خليل، **نظام الحكم في الإسلام**، دار النفائس، عمان، ط١، ١٩٩٦م .

١٥٣- الغزالي: محمد بن محمد، **إحياء علوم الدين**، دار قتيبة، بيروت، ط١، ١٩٩٢م .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

١٥٤- الغزالي: محمد، **الاقتصاد في الاعتقاد**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٧٢م .

١٥٥- الغزالي: محمد، **الإسلام والاستبداد السياسي**، دار الكتب الإسلامية، القاهرة، ط٢، ١٩٨٤م .

١٥٦- غزال: مصطفى فوزي، **أفول شمس الحضارة الغربية**، دار السلام، القاهرة، ط١، ١٩٨٥م .

١٥٧- الفاسي: علال، **مقاصد الشريعة الإسلامي ومكارمها**، مكتبة الوحدة العربية، ط١، ١٩٦٣م .

١٥٨- ابن فارس: أبو الحسين أحمد، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٧٩م .

١٥٩- أبو فارس: **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**، دار الفرقان، عمان، ط٤، ١٩٨٧م .

١٦٠- أبو فارس: محمد عبد القادر، **النظام السياسي في الإسلام**، دار الفرقان، عمان، ط٣، ١٩٨٩م .

١٦١- فروخ: عمر: **العرب في حضارتهم وثقافتهم**، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢ .

١٦٢- فريحات: حكمت عبد الكريم، **مدخل إلى تاريخ الحضارة العربية الإسلامية**، دار الشروق، عمان، ١٩٩٩م .

١٦٣- الفوال: صلاح مصطفى، **علم الاجتماع**، المفهوم والموضوع والمنهج، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ١٩٨٢م .

١٦٤- قاسم: نداء محمد، **سنة الله في إحياء الأمم** واضمحلالها، رسالة ماجستير، تفسير، الجامعة الأردنية، عمان، ٢٠٠١م .

١٦٥- القضاعي: محمد بن سلامة، **مسند الشهاب**، تحقيق حمدي السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨٦م .

١٦٦- القرطبي: محمد بن أحمد، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق صدقي جميل العطار، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٩٩م .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

www.manaraa.com

١٦٧- القرضاوي: يوسف، **السنة مصدراً للمعرفة والحضارة**، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٩٧م .

١٦٨- القرضاوي: يوسف، **الإسلام حضارة الغد**، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ٢٠٠١م .

١٦٩- القرضاوي: يوسف، **من أجل صحوة راشدة**، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٣م .

١٧٠- القرضاوي: يوسف، **الصحوة الإسلامية من المراهقة إلى الرشد**، دار الشروق، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢م .

١٧١- القرضاوي: يوسف، **شريعة الإسلام صالحة للتطبيق** في كل زمان ومكان، دار الصحوة، القاهرة، ط١، ١٩٨٥م .

١٧٢- القرضاوي: يوسف، **مدخل لمعرفة الإسلام**، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٩٩٦م.

١٧٣- القرضاوي: يوسف، **الخصائص العامة للإسلام**، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٩٧٧م .

١٧٤- القرضاوي: يوسف، **الحل الإسلامي فريضة وضرورة**، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٩٩٦م .

١٧٥- القرضاوي: يوسف، **في الطريق إلى الله الحياة الربانية والعلم**، دار الفرقان، الأردن، ط١، ١٩٦٩م .

١٧٦- القرضاوي: يوسف، دور **القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٩٦م .

١٧٧- القرضاوي: يوسف، **الرسول صلى الله عليه وسلم والعلم**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٤م .

١٧٨- القرضاوي: يوسف، **امتنا بين قرنين**، دار الشروق، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠م .

١٧٩- قطب: سيد، **المستقبل لهذا الدين**، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٩٦م .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

١٨٠- قطب: سيد، **خصائص التصور الإسلامي**، دار إحياء الكتب، مصر، ط٢، ١٩٦٥م .

١٨١- قطب: سيد، **في ظلال القرآن**، دار الشروق، بيروت، ط٩، ١٩٨٠م .

١٨٢- قطب: سيد، **معالم في الطريق**، دار الشروق، بيروت، ط٦، ١٩٨٣م .

١٨٣- قطب: محمد، **لا إله إلا الله عقيدة وشريعة** ومنهاج حياة، دار الشروق، بيروت، ط١، ١٩٩٣م .

١٨٤- ابن كثير: إسماعيل بن عمر، **تفسير القرآن العظيم**، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٦٩م .

١٨٥- كحالة: زهير محمد، **القرآن رؤية تربوية**، دار الفكر، عمان، ط١، ١٩٨١م.

١٨٦- أبو كف: عطا الله خضر، **الثقافة الإسلامية**، دار الصفاء للنشر، عمان، ط١.

١٨٧- كمال: يوسف، **مستقبل الحضارة بين العلمانية والشيوعية والإسلام**، المختار الإسلامي، القاهرة ط١، ١٩٧٤م .

١٨٨- كمال: محمود محمد، **أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، العدد ١١٠، ط١، سنة ١٩٩١م .

١٨٩- الكيلاني: إبراهيم زيد، **دراسات في الفكر العربي الإسلامي**، دار الفكر، عمان، ط٣، ١٩٩١م .

١٩٠- الكيلاني: إبراهيم زيد، **خصائص الأمة الإسلامية الحضارية كما بينتها سورة المائدة**، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، عمان، ٢٠٠٤م .

١٩١- أبو ليلى: فرج محمود، **الإسلام وبناء المجتمع**، المكتبة الوطنية، بيروت، ط١، ١٩٩٩م .

١٩٢- لوبون: غوستاف، **حضارة العرب**، ترجمة عادل زعيتر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٩٧٩م .

١٩٣- لوبون: غوستاف، **سرّ تطور الأمم**، ترجمة أحمد فتحي زغلول، المكتبة التجارية، القاهرة، ط٢ .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

www.manaraa.com

١٩٤- ابن ماجة: محمد بن يزيد، **سنن ابن ماجة**، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٨ .

١٩٥- المباركفوري: محمد عبد الرحمن، **تحفة الأحوذي** شرح جامع الترمذي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط٣، ١٩٨٣م .

١٩٦- المبارك: محمد، **نظام الإسلام الاقتصادي مبادئ وقواعد**، دار الفكر، بيروت، ط٣، ١٩٨٠م .

١٩٧- مجمع اللغة العربية القاهري، **المعجم الوسيط**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١ .

١٩٨- المشوخي: عبد الله سليمان، **مجتمعنا المعاصر**، مكتبة المنار، الأردن، ط١، ١٩٨٧م .

١٩٩- المسعودي: علي بن الحسين، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، دار الأندلس، بيروت، ط١، ١٩٦٥م .

٢٠٠- مسلم: مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، ط٣، ١٩٨٣م .

٢٠١- الماوردي: علي بن حبيب، **الأحكام السلطانية**، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٩٨٣م.

٢٠٢- الماوردي: علي بن حبيب، **أدب الدين والدنيا**، تعليق محمد كريم راجح، دار اقرأ، بيروت، ط١، ١٩٨١م .

٢٠٣- الماوردي: علي بن حبيب، **منهاج اليقين شرح أدب الدين والدنيا**، ط١، ١٩٨٠م.

٢٠٤- مدني: عباسي، **أزمة الفكر الحديث ومبررات الحل الإسلامي**، مكتبة المنارة، مكة المكرمة، ط١ .

٢٠٥- معروف: ناجي، **أصالة الحضارة العربية**، دار الثقافة العربية، بيروت، ط٣، ١٩٨٠م.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

٢٠٦- مؤنس: حسين، **الحضارة دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها**، المجلس الوطني للثقافة، الكويت، ط٢، ١٩٩٨م .

٢٠٧- المودودي: أبو الأعلى، **الحضارة الإسلامية أسسها ومبادئها**، الدار العربية، بيروت، ط٢، ١٩٧٠م .

٢٠٨- المودودي: أبو الأعلى، **نظام الحياة في الإسلام**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٩٩٣م .

٢٠٩- المودوي: أبو الأعلى، **نحن والحضارة الغربية**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٣م .

٢١٠- ابن منظور: جمال الدين محمد بن مكرم، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، ط١ .

٢١١- موسى: فرح، **الإنسان والحضارة في القرآن الكريم**، دار الهادي، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م .

٢١٢- المناوي: محمد عبد الرؤوف، **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، المكتبة التجارية، مصر، ط١، ١٣٥٦هـ .

٢١٣- المناوي: محمد عبد الرؤوف، **التعاريف**، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ .

٢١٤- الميداني: عبد الرحمن حسن، **الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها**، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٩٨م .

٢١٥- الميداني: عبد الرحمن حسن، **الوسطية في الإسلام**، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٩٨م .

٢١٦- الميداني: عبد الرحمن حسن، **الوجيز في الأخلاق الإسلامية**، المكتبة المكية، مكة المكرمة، ط١، ١٩٩٧م .

٢١٧- المصري: زكريا عبد الرزاق، **أهمية التوحيد وخطر الشرك**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٩٤م .

٢١٨- الناصر: ناصر عبيد، **ظاهرة الفساد**، دار المدى للثقافة، دمشق، ط١، ٢٠٠٤م .

٢١٩- النبهاني: محمد تقي الدين، **التفكير وسرعة البديهة**، جدارا الكتاب، عمان، ط١، ٢٠٠٦م .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

www.manaraa.com

٢٢٠- النبهاني: محمد تقي الدين، **الشخصية الإسلامية**، دار السلام، الزرقاء، ١٩٧٧م.
٢٢١- النبراوي: فتحية، **تطور الفكر السياسي في الإسلام**، دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٩٨٢م .

٢٢٢- ابن نبي: مالك، **شروط النهضة**، ترجمة عمر كامل مسقاوي، دار الفكر، بيروت، ط٣، ١٩٩٦م .
٢٢٣- ابن نبي: مالك، **مشكلة الثقافة**، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٧٩م .
٢٢٤- ابن نبي: مالك، **المسلم في عالم الاقتصاد**، دار الشروق، بيروت، ط١، ١٩٧٢م.
٢٢٥- ابن نبي: مالك، **دور المسلم في الثلث الأخير من القرن العشرين**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٧٧م .
٢٢٦- النجار: عبد المجيد عمر، **فقه التحضر الإسلامي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٩م .
٢٢٧- الندوي: أبو الحسن علي الحسيني، **ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين**، دار القلم، دمشق، ط٣، ٢٠٠٤م .
٢٢٨- النسائي: أحمد بن شعيب، **سنن النسائي**، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ط٢، ١٩٨٦م .
٢٢٩- النووي: يحيى بن شرف، **شرح النووي على صحيح مسلم**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢ .
٢٣٠- نيكسون: ريتشارد، **نصر بلا حرب**، إعداد وتقديم المشير محمد أبو غزالة، مركز الأهرام للترجمة، القاهرة، ط١، ١٩٨٨م .

٢٣١- الهاشمي: محمد علي، **المجتمع المسلم كما يبنيه الإسلام في الكتاب والسنة**، دار البشائر، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م .
٢٣٢- الهاشمي: عايد توفيق، **مدخل إلى التصور الإسلامي للإنسان والحياة**، دار الفرقان، عمان، ط١، ١٩٨٢م .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University
www.manaraa.com

٢٣٣- الهروي: القاسم بن سلام، **غريب الحديث**، دار الكتاب العربي، بيـــروت، ط١، ١٣٩٦هـــ .

٢٣٤- ابن هشام، السيرة النبوية، دار الجيل، بيروت، تحقيق عبد الرؤوف سعد .

٢٣٥- هندي: صالح ذياب، **دراسات في الثقافة الإسلامية**، المطابع التعاونية، عمـــان، ط٣، ١٩٨٢م .

٢٣٦- الهندي: على بن حسام الدين، **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعـــال**، مؤســـسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٩م .

٢٣٧- الهيثمي: علي بن أبي بكر، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، دار الكتاب العربـــي، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـــ .

٢٣٨- الواعي: توفيق يوسف، **الحضارة الإسلامية مقارنة بالحـــضارة الغربيـــة**، دار الوفاء، المنصورة، ط١، ١٩٨٨م .

٢٣٩- و ل: ديورانت، **فقه الحضارة**، ترجمة زكي نجيب، الإدارة الثقافيـــة بجامعـــة الدول العربية، القاهرة، ط٣، ١٩٦٥م .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

www.manaraa.com

The rise of civilization and their fall from the prophetic sunna perspective.

Abstract

The prophetic sunna is a completed method which gives the human being alive in security and stability and keep them away from the dangers of the destruction this study analyzed the factors of rising the civilizations and their fall through collecting the prophet speeches and classified them .this study includes five chapters .

Chapter ١:

A paving in civilization study that explained what is the civilization and the civilization ,then it explained the deference's between them ,it also explained the meaning of the culture and it's relation with the civilization the relation between the civilization with the per poses of the legality and the features of Islamic civilization .

Chapter ٢:

The rise of civilization factors in the prophetic sunna . it include the religious factor , the sociable factor , the political factor, the economical factor , the military factor , the temporal factor and the scientific factor.

Chapter ٣

The continuing of civilizations factors in the prophetic sunna ,it includes the leader ship , asking favor and prevent the in discretion, the deliberation , the solidarity, keeping the ability of struggle and other factors .

Chapter ٤:

The destruction of civilizations factors in the prophetic sunna , which are the weakness of religion , such as polytheism , aberration ,breaking down the worships , ignore the military works , giving tasks for people who aren't qualified , and the behavioral dissolution . it also explained that there is another factors for the destruction of civilization

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library- Yarmouk University
www.manaraa.com

which is the weakness of religion such as : science absence , the excessiveness , the severity , the tribal oppression , the arguments it explained that the deceitfulness is one of the factors for destruction of civilization , such as , political decay , in addition to the luxury and the materialistic tendency .٠

Chapter ٥:

In this chapter the study talked about the civilized project for the Islamic world , it talked about the marks to the destruction of the materialistic contemporaneous civilization, the prophetic auguries in the hegemony of the individual and the group in the civilized project attraction . Finally it explained the Islamic civilization is harassing the civilization .

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

www.manaraa.com